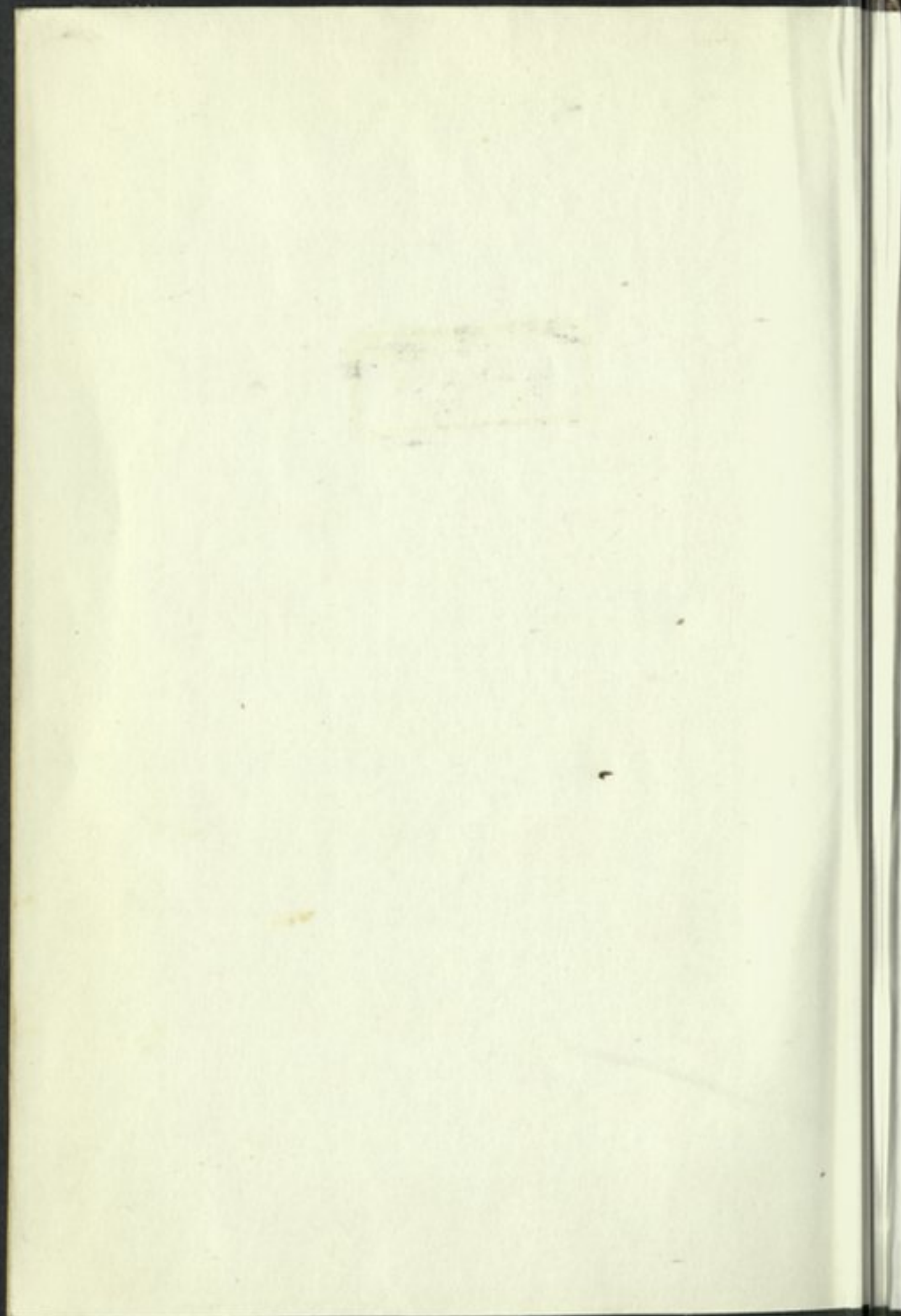
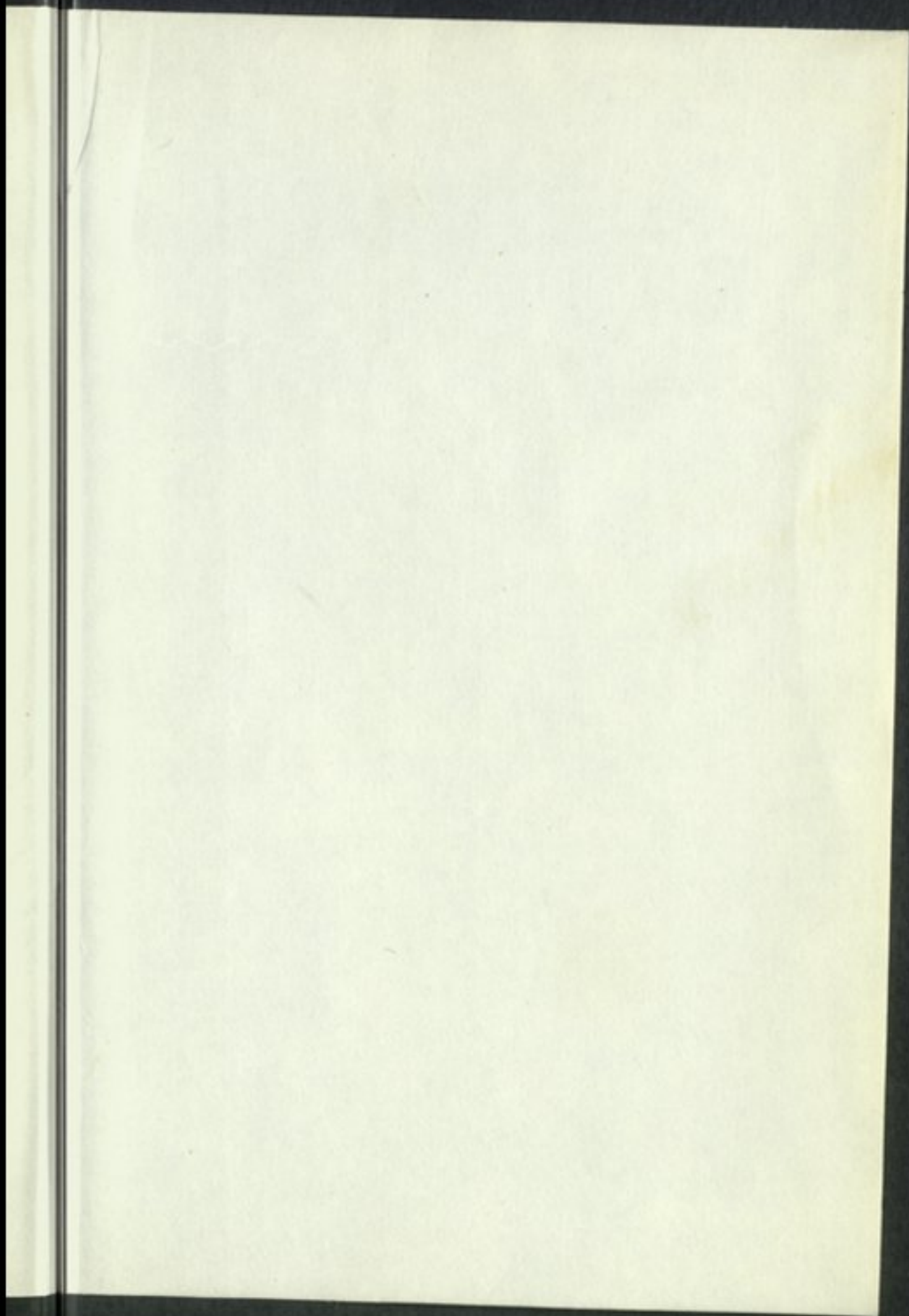
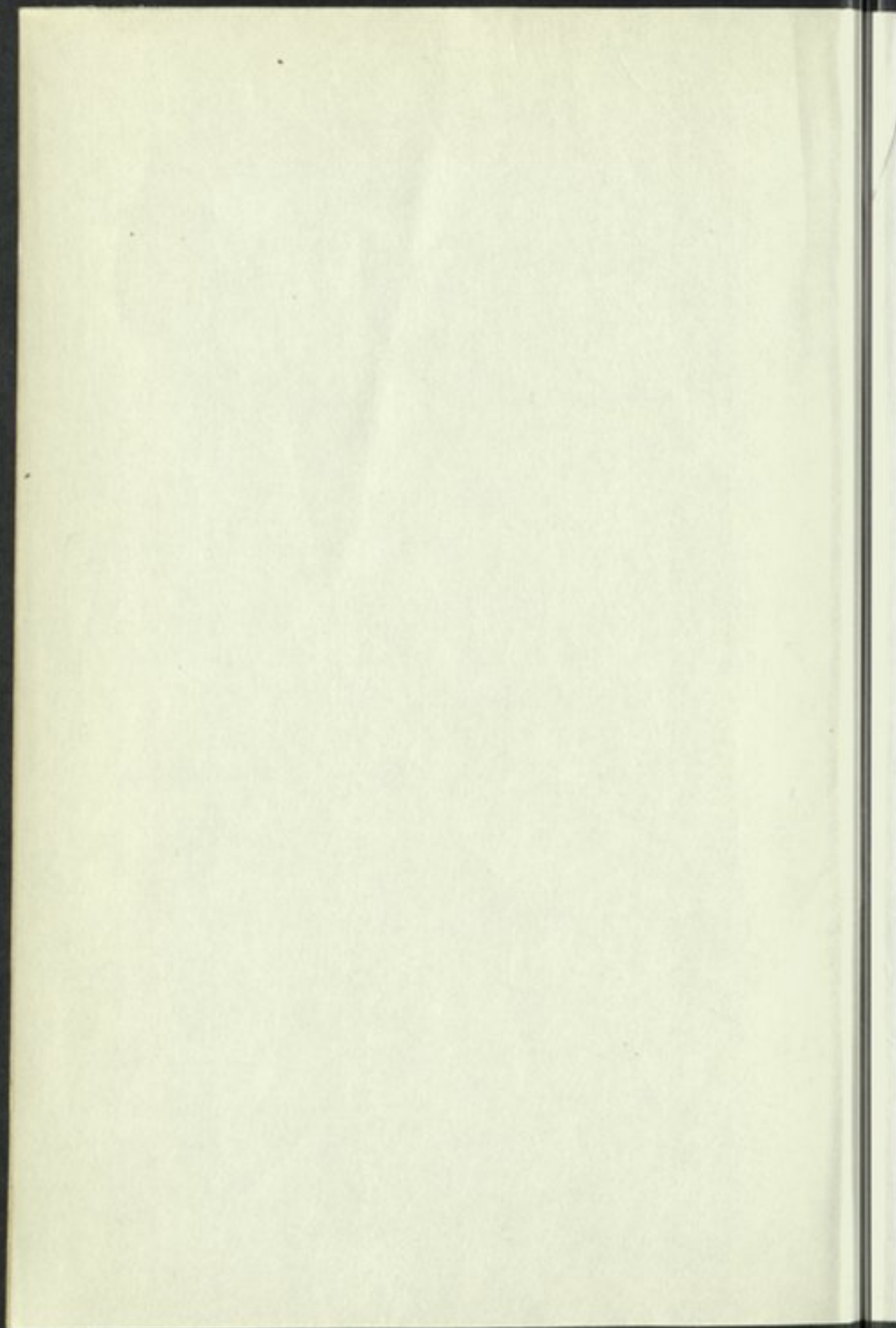
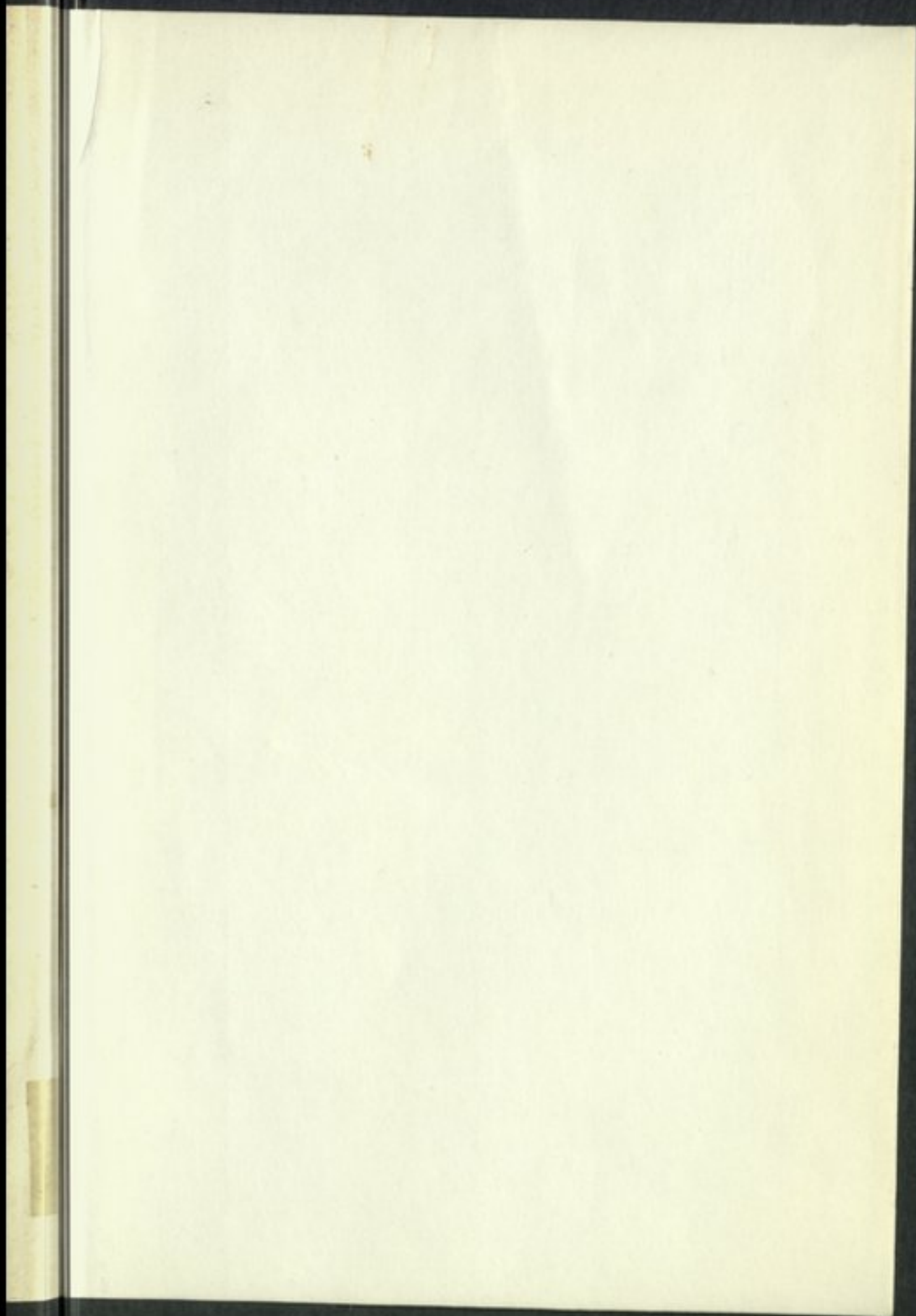


AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT









A

—

LIBRARY
OF THE
MUSEUM OF
COMPARATIVE ZOOLOGY
AND ANATOMY
HARVARD UNIVERSITY
CAMBRIDGE, MASS.





﴿ مصطفى كامل باشا ﴾

﴿ في الثانية والثلاثين من عمره ﴾

923.262

K15mH

ص ١/٣

مصطفى كمال باشا

في ٢٤ ربيعاً

سيرة وأعماله من خطب
وأحاديث ورسائل

شياً منية
وعمرانية

« أحرار في بلادنا
كرما، لضيوفنا »
سب الفقه

الجزء الأول

﴿ الطبعة الأولى ﴾

29318

﴿ ثمن كل جزء ثمانية قروش صاغ ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)

Cat. May 14, 1925

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد
النبي الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين .



الى الوطن العزيز :

منك أيها الوطن استمدت المرحوم « مصطفى كامل » قوة
الذود عن حقمك المسلوب . وفي حبك الأ كيد والاخلاص
في خدمتك ضحي حياتاه الغالية ذلك البطل المحبوب . بل
بين ربوعك نشأ وأزهر وبذر . فرفع ذكر الك بما أدهش وبهر .
خلفه أبوان صالحان اليك ينتسبان . وعلماه الدفاع عن
حقوق الأوطان . بما وهباه من دم كله صدق وأمل وأيمان .
عملا لنصرتك . وتفانيا في خدمتك

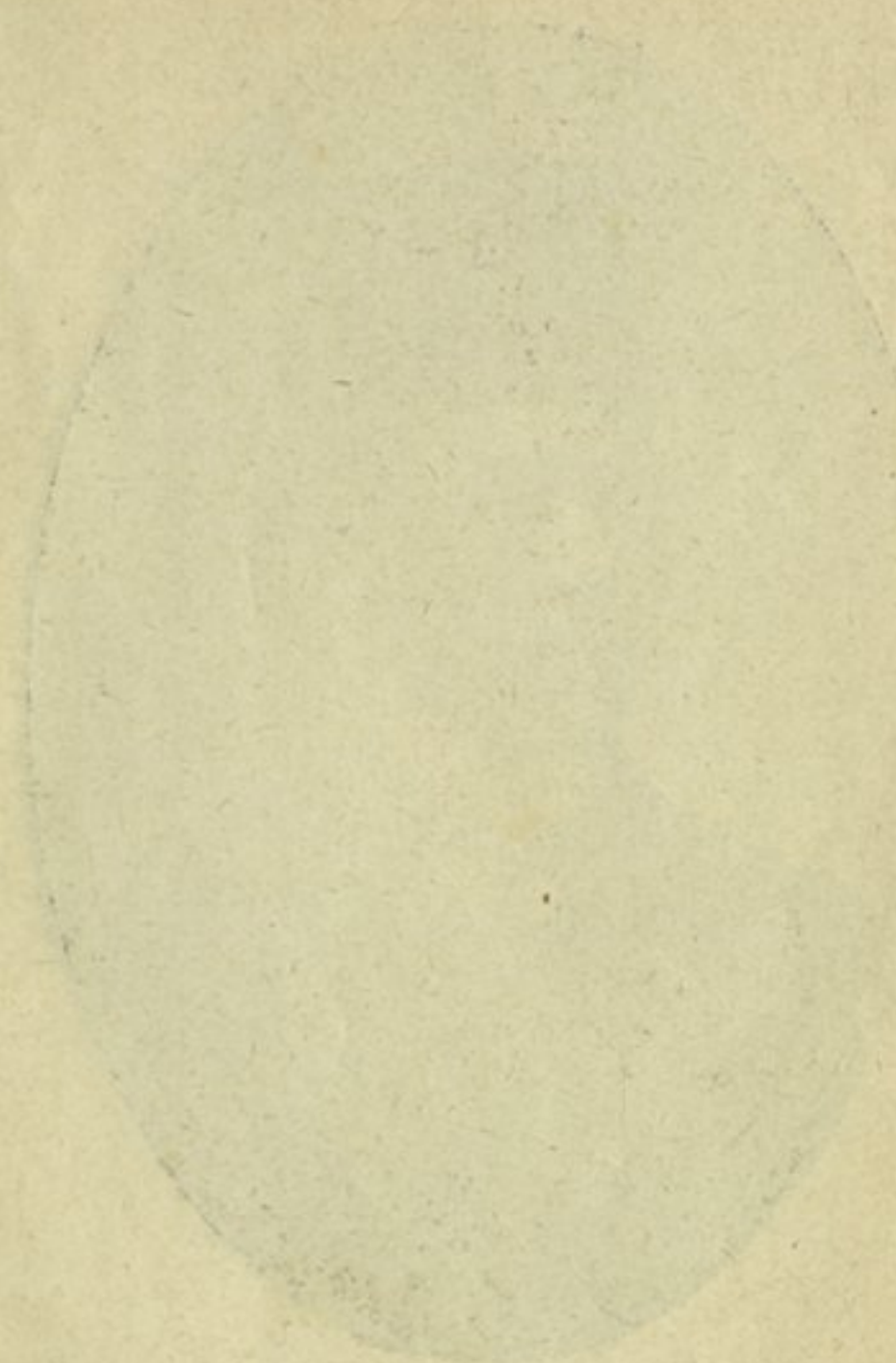
واليك أقدم اليوم سيرة أعماله . لينسج أبناؤك على
منواله . وما أنا والحمد لله الا أحدكم . وجندى من صفوفهم .
قد علمنى ذلك الذى هزّ نعيه القلوب فسالت بحباتهن العبرات
وأطار موته عن المضاجع الجنوب فكادت تمزقها شدة
الزفرات . أن الوطن فوق الرؤوس والهلمات . وأن حياته
تفدى بالأرواح والبنين والبنات . لأنك حى ونحن مائتون .
وأنت سيد ونحن خادمون . وليس أحب الى المرء من وطن
هو سيد الأوطان . وأمة هي خير أمة أخرجت للناس من
قديم الزمان

نعم اليك أقدم سيرة من عطفت عليه واستخلصته لنفسك
فكان من المصطفين الأخيار . وتركت له الخيار فاختر الموت
فى خدمة الديار . انما أرجو منك رجاء ابن جمّ الأمل فى حلم
أبيه . بل أتمس منك العفو فأنت خير من يسديه . عسى أن
تصفح عني صفح العفو الرؤوف الكريم . اذالم أكن قد قمت
بكل ما على نحوك من واجبي الخدمة والتكريم . أو ظهر لك اليوم
ضعف من فكرى وقلمى . أو نقص من يسانى وعلمى .

فأن امرءاً اجتمعت عليه بوقوع ذلك الخطب العظيم ضروب
الاحن. فقلبه كاد يأكله الشجن. وأعصابه اذا اهتزت دقائقها
بذكرى ذلك الفقيد الأكرم قدمت كان على من . ليس
في وسعه أن يزف اليك خيراً من هذا . فاعف عني وأدخلني
مدخل صدق تحت ظلك الوريث . فأنت أبر من شمل بالرضى
والعطف ابنك الضعيف . شقيق الفقيد
على فهمي كامل



﴿ علي بك فهمي كامل ﴾
﴿ في الخامسة والثلاثين من عمره ﴾



1 2 1

عِظَاءُ الْإِحْبَابِ

درس لربالفض

حدثنا التاريخ أن عظماء الرجال الذين بعثهم الله في كل
أمة ليرفعوا في العالمين مجد ذكرها. وقيموا بجهادهم الشريف
بناء نخرها. ويهبوها السيادة في ديارها بدفاعهم عنها والذب
عن حياضها وهم أولئك الذين خلقوا وبين جنوبهم قلوب
لا يرهبها التهديد ولا تعوقها عن خدمة الحق المقدس حق
الوطن وبنية الا وقفه الموت مصابيح تستضيء الأمم بنورهم
بعد الرسل وتهتدي بهديهم وتنسج على منوالهم لأن ما عملوه
في حياتهم يصبح عهدا بينهم وبين من يأتي بعدهم

وقد اتخذ رجال النهضة الوطنية والحياة القومية تاريخهم
مصباح هدى يسرون في سناه ونبراسا يضيء لهم طريق
العمل والحياة والنجاة

وليس الرجل العظيم الا من قام بعمل يعجز عنه معاصروه
لقوة ثباته وشدة جناحه فهو مجموعة فضائل في فرد أو نفر
مجتمع في شخص . فأولئك الذين دوخوا الطغاة وفتحوا
الأمصار من عرب وعجم . وأولئك الذين وهبهم الله الذكاء
وآتاهم من لدنه حكما وعلما . وأولئك الذين خلقوا بين أهل
الكهف والرقيم فأيقظوهم من سباتهم وأعادوهم الى الحياة
والعمل . وأولئك الذين وقفوا على أسباب الداء ومواضعه من
أممهم فقدموا لهم دواء كان رحمة وشفاء . وأولئك الذين دفنوا
المنافقين أحياء وشهروا بالخائنين تشهيرا : هم الذين كانوا
عظما وما زالوا كذلك يذكرهم التاريخ الى يوم الدين . لانهم
بعملهم المحيد واخلاصهم الاكيد لبلادهم العزيزة وأممهم المحبوبة
قد علموا الاعقاب حب الدفاع عن الحرية واستقلال الاوطان
ليشيد هؤلاء الابناء على قمة المجد الخالد صروحاً من الاخاء
والمساواة لن تغيرها صروف الزمان . ولن تبيدها يد الحدثان .
فاذا تحرك أى فرد من أبناء البلاد الى أى مكان . فى أى زمان .
شعر أنه يمثل أمة كريمة عالية الرأس عظيمة الجاه مجيدة

الاسم ذات شمم و اباة وأن الراية المرسمة على فؤاده والتي
 اذا أبصرها حن اليها حبا واحتراما والتي يشعر وهي خافقة
 فوق رأسه أن من نسيجها صيغت الاساطيل ولرمزها خضعت
 الجيوش: يعتز بالا تتساب اليها ويفخر بالوقوف تحت ظلها
 أولئك هم عظماء الرجال الذين لو سردنا تاريخهم لضاقت
 صحف العالم عن أن تسعها

وليس الرجل العظيم هو الذي يفتح المدائن ويحرر الامة
 ويرفع شأن الوطن بالسيف والرمح فقط . بل أن هناك رجلا
 أعظم من كل الرجال وذلك هو الذي يفتح القلوب ويرسم
 عليها ماشاء من ضروب الوطنية ونعمات محبة الاوطان . ذلك
 هو الرجل العظيم بالمعنى الصحيح لان الوطنية شعور كبير
 اذا لم تكن الافئدة متشعبة به كان الاحتيال على ادخاله فيها
 من أدق الصناعات والوصول الى طبعه عليها مستلزما بذل
 أقوى المجهودات

فالرجل الذي يستطيع بقلمه ولسانه وما بينهما من هممة
 لا تعرف الملل وعزيمة هي أمضى من السيف: أن يكون قلوبا

حساسة تدرك ماهية حب البلاد وتضحى كل تفتيس في نصرتها
لهو في مرتبة أجل وأسمى من مراتب عطاء الرجال وهو
الخليق ولا نكران لفضل أولئك أن تسير بعظمته الأمثال
لأن من يعتمد على النار والحديد في تحرير بلاده إنما
اعتمد على القوة الساحقة بصواعقها المبيدة على ما استدعي من
أراقة دماء بريئة ربما ذهبت دون الوصول إلى الاستقلال
المحبوب والحرية المنشودة وربما التوي عليه القصد وانعكست
النتيجة فكانت جريمة لا تغتفر

أما ذلك الذي يعتمد على القلم واللسان فيملي عليهما ما وهبه
الله من علم وبيان يسحر بهما القلوب فيجمعها في قبضته ليصوغ
منها أمة حية راقية فهو أعظم مشيد للمجد فوق أمته أساس
وكيف لا يكون عظيماً من يملك القلوب؟ وهذه القلوب
هي الحياة مجتمعة وقوة البلاد محتشدة بل هي التي اذاهاجت
سمعنا خاملها زئيراً أقوي من زئير الاساد وهي مصدر كل
حركة ومركز قيادة الأعمال بل هي باعثة النور للحواس
فلا ارادة الا بها ولا عمل الا منها وبالجملة لا حركة تبدو

الا بتأثيرها . فمثل النجوم التي تكتسب ضوءها من القمر
كمثل قلوب بشرية اجتمعت حول رجل عظيم .

وعلى ذلك وجب أن يكون العظيم حاملاً قلباً كبيراً
وفؤاداً حساساً ذا شعور عديم المثال حتى يكون ذا سلطان

فعال وسطوة نافذة على مواطنيه . ولما كانت الفضائل هي
أساس الوطنية الصحيحة التي علي منوالها تنسج محبة الأوطان

كان قلب الرجل العظيم في أشد الحاجات لأن يتحلي بها
حتى لا تنفر منه قلوب مواطنيه اذا حلت الرذيلة محل احداها

[وهذه الفضائل كثيرة نذكر منها قوة الارادة .

والاعتماد علي النفس . مع الصدق والشجاعة والامانة . والسعي

في الخير . والنشاط النادر . وسرعة الخاطر . مع العلم الصحيح

وقوة الخطابة مع الصراحة التامة . والافصاح بلغة صحيحة

سهلة مؤثرة]

هذه هي الفضائل التي اذا اجتمعت في شخص فر اليأس

من وجهه ولازمه الثبات ملازمة الظل للشبح وهي ليست

لمن يكون قائداً سلمياً في ميدان العمل لرقى أمته وفك قيود

استعبادها واحلالها المكان الاول بين الامم والشعوب
الا عدة كالتى يحملها محرر أمته بالسيف و اراقة الدماء . لأن
كليهما جندي ولكل ميدان عدة . فالبنديقية وورصا صها والسيف
وحده والرمح و سنامه والمدفع وقبيلته وغيرها من القوي المدمرة
المبيدة للامم ليست فى الحقيقة الا أسلحة فى يد الفارس الفاتح
كما أن تلك الفضائل ليست الا معدات أقوى من الاسلحة
فى نفس قائد الشعور . لان المعدن بائد والشعور باق . والعرض
زائل والجوهر ثابت . وفى الاول ولو أنه أصدق من الثانى
فى سرعة الانجاز خطر كبير من خشية رد الفعل . أما الرقى
من طريق احياء الشعور فلم يقل أضعف الناس عقلا أنهم خطر متى
كانت عدة محييه ما ذكرناه من الفضائل

وليس عظماء الرجال من طينة تخالف طينة البشر . ولكن
روحهم تمتاز عن غيرها نورا وطهرا . وليس مثل روح الرجل
العظيم بين أرواح اخوانه الا كمثل مصباح فى وسط قوم
يستضيئون بضوئه فيبصرون به ما حولهم من طيب وخبيث
فاذا اختفى حلت بينهم الظلمة محل النور والسكون محل

الحركة وأصبحوا لا يقوي أحدهم على أن يبرح مكانه أو ينقل
قدمه حتى يأتهم مصباح هدي يهديهم الصراط المستقيم
نعم هذا شأن عظماء الرجال الذين وهبهم الله ما ذكرنا
من الفضائل

لأن الإرادة رأس العمل فلا حياة إلا بها وقد اتفق
العالم الحكيم قديمه وحديثه على أن الإرادة هي القدرة . فإن
أردت قدرت . وليس الغرض من الإرادة أن يقلب المرء
وجه البسيطة أو يبذل الأرض بالسماء بل الإرادة فيما يكون
من قدرة البشر عمله والقيام به . والدافع إلى الإرادة الرغبة
في العمل والاخلاص في محبة الأوطان . فالذي يشعر أن عليه
لبلاده واجبات يتحتم على مروءته وشممه ووفائه بالحقوق
أن يقضيها: يري على الدوام في نفسه ميلا لمعاونتها والوقوف
في وجه الطامع فيها المهادم كيانه الضارب بين أرجائها
بممول الجهل والدمار

فهذه الإرادة الحديدية التي تظهر على مجيا عظماء الرجال
وتدفعهم إلى العمل لسمو الأوطان فتنزلهم الأمم منزلة شماء

وتسكنهم مكانة علياء هي الصفة التي يجب أن تكون أمامنا
في كل وقت والتي يجب أن نحتمل علي إيجادها لتكون أول
نعت من نعوتنا بل وقوام دمائنا حتى نبني عليها مافاتنا ونعز
أبناءنا بوطن عالي الذري سامي المقام

هذه الإرادة هي التي لو سكنت جسم فرد لا يصبح عدة
أجسام. ومهما صادف في طريقه من عقبات ترجعه إلى الخلف
مرة فإن الإرادة تدفعه إلى الأمام مرات فلا يجد في طريقه
صعبا. بل يصبح شجاعا غيورا ومقداما عاملا ويكون مثله
مثل الماء لا بد أن يفتح له مع الأيام طريقا مهما كانت
شدة صخره وقوة مادته

وكذلك الاعتماد على النفس من أكبر صفات العظيم وهو
يلزم الإرادة بل هما توأمان. وانه إذا كانت الإرادة ما ذكرنا
فإن الاعتماد على النفس هو أن يضع المرء نموذج عمله بنفسه
غير معتمد إلا على عضد الله. وعليه أن يراقب هذا العمل
مراقبة الساهر عليه. وإلا فإنه لو فكر وترك الأمر لغيره
بلا مراقبة منه توأسيه وتتعهد إصلاحه لأصابه من حيث

لا يدري خسار كبير . لان من يضع يده في الماء ليس كمن
يضع يده في النار

+ ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

والاعتماد علي النفس دليل الشعور الكبير وعنوان الفخر
الدائم لمن اتصف به لانه يدفع الانسان الى البحث فيقف علي
دقائق الأمور وأسرار الكون ويرشده الى وجوب السعي
فيكون سيد نفسه عزيزا في قومه لا فضل لاحد عليه . وكفى
أن يكون الاعتماد علي النفس قوة من قوي الخالق التي ينفخها
من روحه في نفوس عظماء الرجال

والصدق من أجل الصفات لأنه ميزة الأنبياء وخلة
الاتقياء ومهابة العظماء وهو مجلبة النجاة ودليل الحق ورسول
الحب والتآلف بين عباد الله . فبه تعم الثقة بين الناس وتسهل
المعاملة وتقل الجرائم . لان الرجل الصادق يتحاشى ارتكاب
ما يشين خوفا من الاقرار بالحق اذا وقع في الاثم يوماً .
فالصادق في قوله لا يشرب الخمر ولا يلعب الميسر ولا يأتي
فاحشة لئلا يسأل من أين أتى وماذا عمل فيهلك ستر سمعته

ويؤذي سيرته . بل الصادق هو خادم أمين من خدام الطبيعة
لانه لا يغير معالم ما رأي أو سمع أو عمل سنة الله ولن تجدل سنة
الله تبديلاً

هذا قليل من كثير من أمر من يصدق في عمله وقوله .
لان الكذب عار كبير وقد ذكره الله في كتابه الحكيم
مقرونا باللعنة الى يوم الدين . فالكاذب لا يكذب فقط على من
حوله من الناس بل يكذب على الله ونبيه وملائكته ورسله
فيبدل القرآن اذا اراد ويخلق الاحاديث اذا شاء ويتخذ من
نفسه الها ومن غروره نبياً ومادري ان الكذب من عمل
الشیطان وهو مغضوب عليه ومأواه جهنم وبئس المصير
ان الكاذب يكذب أيضاً على الوطن وبنيه وليس
بأوقع من رجل حشر نفسه في زمرة العظاء ليخدم وطناً
ويرقى أمة ويكسر قيود أسروسلاحه الكذب لأن الكذب
خيال وخدمة الوطن حقيقة وهما ضدان لا يجتمعان وخصمان
لا يتفقان

والامانة من صفات الرسل والأنبياء وقد حتم الله ان

تكون فيهم لأنها فضيلة كبرى . وما بعث الرسول الا ليكون
ملتقن فضائل ومبدد رذائل . وقد وجب أن يتحلي بها كل
امرئ وخصوصاً العطاء لأنهم منفذو ما بعث الرسول
لأجله

بعث الله فينا الرسول بدين الهدى والحق ليهدي الى
الرشد . والههم الرجل العظيم ان يتمسك به ويحض الناس عليه
والعمل بعظاته وأوامره حتى لا تهضم الامم حقوق الامم ولا
يفتال الفرد حياة الفرد قولاً وفعلاً ويكون عباد الله اخوانا
فالأمانة صفة كلها نور وجلال من اتصف بها كان
قلبه نقياً لانه اذا اوئتمن على سر أسر اليه فلا يفشيه ولا يذيعه
واذا اوئتمن على مال حافظ عليه ولم يمسه بسوء واذا اوئتمن
على عرض كان عليه حارساً أميناً وجندياً مدافعاً وليس أشرف
من رجل يسر الاسرار ويرد الأمانة الى أهلها ويحفظ الانساب
بعهد الله فيكون من عباده المتقين

سمي النبي عليه الصلاة والسلام بالأمين لأنه مصدر
الامانة المبارك فقد ائتمنه العرب على أموالهم وأولادهم

وأرواحهم قبل أن ينزل عليه الوحي فكان نعم الأمين اذ حفظ
الأموال في تجارتهم بل زادت ونمت ورد اليهم أولادهم
وأمن على أرواحهم بروحه فكان بشراً سوياً

هذه الصفة التي نعت بها سيد البشر ورسول الخير حبيب الله لم
لا تتصف بها جميعاً لتقرب بيننا وبين أسلافنا مسافة الخلف ونكون
أحب أمة الى الله ونحن أحق بهذا الحب لان النعم التي وهبنا
ايها من جمال السماء ونعيم الارض وعدوبة اللغة وطهارة
الدين الذي هو دينه عز وجل تنادي بأنه تعالي فضلنا على
العالمين واننا أمناء في الارض على أئمن وأتقى خزائنه

ان الذي لا يكون أميناً يكون بالطبع خائناً. وهو وصف
سوء يهز الجسم اذا اتصل بالأذن هذا لأن الخيانة أم الغدر
وحيلة الشيطان. ولن يهب الشيطان الناس حالاً. فهي تمزق
الاعراض وتأكل أموال اليتامي وتبيح الاسرار. واذا
كان الأمين يحسن الى الناس بامانته مرة فالحائن يسيء اليهم
آلاف مرات والوطن في قبضة يده فان خان سلمه وأصبحت
الامم المقبلة بلا ذنب جتته ولا جرم أته في ذل دائم وأسر

مقيم . فالخيانة شيطان الفساد ولا يكره الله مخلوقاً أكثر مما
يكره خائناً خلق من طين وهو يقول أنه خلق من نار
ان الخائن الذي يدعي أنه من عطاء الرجال في خدمة
الاطوان لا يلبث أن يفضح سره بسلاحه لان خدمة الاوطان
تطلب الامانة ولا يحمل جوف قلوبين ولا يعي قلب نقيضين
فتبا للخيانة وتعا للخائنين !

والسعي في الخير أول نعت من نعوت العطاء الذين
يخدمون بلادهم وليس هناك خير أغزر مورداً وأعظم قدراً من
حبة الوطن . لانه الميدان الذي بذرفيه ذلك العظيم بذره فترعرع
فكان شجرة ثم باركة تهدي الناس أحلى الثمرات ذوقاً وياً كلون .
وتنشر ظلالها الوارف فيها يستظلون . هذه الأرض المقدسة
التي لو حلت أجزاءها لكان له في كل ذرة منها ميراث كبير
هو عظم آباءه وأجداده الأولين

هذه الارض التي لو بكت لا بكت الوطني . ولو ضحكت
لا ضحكته . فشرها شره وخيرها خيرها . فهي أمه وأبوه وبنوه
بل هو قطعة منها قامت لتدفع عنها الضر حتى اذا ما أدت

لها واجبا وأحسنت عملا عادت الى مكانها الاول لتلقي جزاء
طيبا من ربها يوم يبعثون

وإذا كان السعي في خدمة الوطن من أول وجوه الخير
فكذلك يجب على الرجل العظيم أن يكون بارا بأهله
وعشيرته مؤلفا بين قلوبهم خاطبا ودجامعتهم . فقلبه الذي
امتلاء بالتفاني في اعزاز البلاد وسمو قدر الامة يجب أن يكون
شفيقا بالفقراء واليتامى داعيا الأغنياء والموسرين للاتفاق في
سبيل تعليمهم وتثقيف عقولهم وتذليل مرافق الحياة أمامهم
لان الفقراء هم حملة الاغنياء ان أخلوا بهم يوما سقطوا من
أعلى نعيمهم الى حضيض الفاقة

وان العظيم مع هذا القلب الرحيم بالمساكين وأبناء
السبيل يتحتم عليه أن يكون شديد البطش بالخائنين والمنافقين
حتى لا يتسرب فعلهم الى القلوب فيكسرها والشعور الحي
فيضعفه

أما النشاط في العمل فهو أول الضروريات للرجل
العظيم لأنه يلازم الارادة والاعتماد على النفس ولان وازع

احب البلاد الذي سكن فؤاده وانطبع على حواسه يدفعه الى
مواصلة العمل لنيل أمنيته . فهو لا يدع عملا لقد ولا يترك
فرصة تمر حتى يستفيد منها ليكون مثال الجد في كل حركاته
أمام من هم حوله ممن يمدونه في عمله حتى اذا أصابه مرض
قوي على احتمالته وثابر على الكفاح لئلا يستولى اليأس على
قلوب من يستمدون نور روحه في سبيل خير جهاد اذا غلب
سقمه عزيمته

أما سرعة الخاطر والعلم الصحيح فكلاهما مرتبط
بالآخر غالبا . والاول هبة يهبها الله من أعده لعظام الامور
والثاني مكتسب لا يناله المرء الا اذا كد ليل نهار للحصول
عليه وارتشف من منهله العذب فأخذ باللباب دون القشور
حتى يهابه الجاهل ولا يستخف به العالم فيتخلص عنه ظل المنقصة
ويقرب من الكمال الذي هو شارة العظماء ورداء الكبراء
وسرعة الخاطر هبة اذا وهبها الله امرأ ربح منها ربحا
كثيرا لان السعادة ابنة المصادفة وليست هذه الا توفيقا
يناله المرء من سرعة الخاطر . فالسعادة بكل معانيها لا بد أن

تزور المرء ولو مرة واحدة في العمر فان وجدته أهلا لها
بأن أكرم مثواها واستقبلها استقبال العارف قدرها سكنت
بجانبه وكانت طوع يمينه ما دام حيا حتى يمتد ظلها من بعده
على أهله ومن اشترك معه في العمل من بنى وطنه . وان لم
تجده أهلا لها دخلت من الباب اليوم وخرجت من النافذة
غدا

فسرعة الخطر هي التي تميز في الغالب عمل زيد عن
عمرو لان من الناس من تمر أمامه حادثات لو عرف كيف
يستخدمها لأصبح من كبار الاغنياء . ومنهم من يلهمه الله
فكرة لو عمل على تحقيقها ونشرها لم عبير اسمه الآفاق
وتحدثت الناس به في كل مكان . وتلك الفكرة كالخترع
مفيد أو استكشاف جليل . ومنهم من يتوقف نصره على
عدوه في ميدان الضرب والنضال أو المناقشة والجدال على
خاطر صغير يمر بمخيلته فيضم بتنفيذه أملا كما واسعة لخريطة
بلاده فضلا عن صيانة هذه من تهديد العدو ووقوعها في
الخطر عاجلا أو اجلا

نعم ان سرعة الخاطر هي أس السعادة لمن وهبه الله
اياها . ولو اطلع المشتغلون بأية مسألة عمرانية كانت أو مالية
أو سياسية على أسرار التوفيق الذي يبعثه الله لمن يختصهم بتوفيقه
لسرعة خاطرهم وتصيدهم الفرص في حينها لعرف أن انتصار
الدول على الدول والاسواق على الاسواق ليس الا من هذه
الهبة الكبيرة هبة سرعة الخاطر

وأما الصراحة في القول فهي ألزم للعظيم الذي وقف
وقفة الاسد أمام خصمه دفاعا عن حق اغتصب أو ميراث
سلب أو أموال نهبت أو ضياع اغتالها مغتال . لأنها أقوى
حجة من حجج الحق وأشفى بلسما لكشف سيئات الخصم
والافصاح عن سوء طويته وحنثه في يمينه وقسمه

ورب قائل يقول ان السياسة تقضى بالمداراة وما كل
حقيقة يصح أن تقال . نعم ان هذا رأي صحيح من بعض
الوجود ويجب العمل به في بعض الاحوال التي يدبر فيها عمل
للانتقام من خصم بحيث لو افتضح ضر ضررا بليغا بما يحدثه
من رد الفعل وسوء العقبى . ولكنه من الضروري عند إقامة

الحجة على سالب الحق المقدس أن تكون الصراحة على رأسها
وأول ما يجب في تأييدها. لان صفات المراوغة والخداع والمكرا
التي تطلب عدم الصراحة لا تكون من صفات عظيم يدراً تهمة
أو يشرح جريمة شاهد وقوعها العالم بأسره ولها نص صريح
بين المتعاقدين . وحكم عدل... بين تضاعيف القوانين . كذلك
الذي يدافع عن قضية شعب بأسره اغتال محتله اغتيالاً مرافقاً
حياته وحرمة من السيادة في بلده بما حث فيه من يمين أو نقض
من عهد في حاجة الى هذه الصراحة لان خدمة الاوطان
ليست الا أحد مظاهرها . واذا كان هذا حالها فكيف اذا
لا نعترف بأنها من أكبر صفات عطاء الرجال ??

وأما قوة الخطابة ففضلها واضح وضوح الشمس في رابعة
النهار لأن هذه الهبة الالهية الكبرى التي هي ليست مما يطمع
فيه كل واحد عون من أعوان التأثير في القلوب وغذاء من
أقوى أغذية النفوس . فالخطيب القوي بلسانه وبيانه العالى بصوته
وبرهانه المحق بحجته . الجريء بقلبه المحبوب بنعوته الفصيح بلغته
يلعب من قلوب سامعيه في ساعة مالا يبلغه قلم سيال في أشهر وأعوام

بل ان خطابا واحدا مؤثرا يفعل في العقول . ما يفعله الغيث
في الحقول . فلهذا على أثر منفعوله تترعع الاغصان وتزهرا
وتثمر . وذلك يقوى سيال القلوب الطاهر فيقربها بعضها من
بعض ويخرج منها قوة تكون اقرب الى نصرته الحق منها الى
الباطل فيظهر الخفي لكل مغرور ضعيف العقل وتضيء معالم
الحقيقة كما تضيء الشمس في كبد السماء

لان اجتماع الآلاف من القوم في صعيد واحد ليس في
الواقع الا احتشاد قلوب بشرية طاهرة حساسة ساقها اليه
حب الوقوف على دقائق القضية المطروحة امامه . وما بالك
بقضية هي أم القضايا بل أول وآخر أمنية انسانية لا وجود
لمخلوق الا بسببها ولا شرف الا منها ولا حياة الا برمجتها وهي
قضية الوطن ورد حقوقه التي غدر الدهر فسلبها من أبنائه وأفلاذ
اكباده ??

فأذا ن هذا الجمع تسمع بكل تشوف وشغف وعيونه تبصر
بسرور وارتياح وقلوبه تجدفى قول الخطيب دواء جر ورحها
وشفاء من آلامها وتأمينا على شكواها

فأُس مال قائد الشعور هو قوة الخطابة التي لا يختلف
اثنان في مضائها وتفوذ منعولها
وانه اذا كان لتأثير قوة الخطابة هذا المكان الجليل من
الأرواح فقوة اللغة لا تقل عنها بل هي مغزاها المنعش وقوامها
التماسك . فالخطيب الذي يخدم مبدأً تميل اليه القلوب وتصبو
نحوه النفوس اذا كانت لغته عذبة فصحي سهلة الفهم على سامعيه
كان له على الافئدة من الفعل مال الشمس في الحياة أو القمر
في تبديد الظلمات

كل هذه الفضائل اذا تحي بها رجل لا يدخل اليأس
على فؤاده بل يعتصم بالصبر والثبات ولا يلتفت الى ما يقف في
طريقه من تهديد العدو أو تفاق المنافق أو خيانة الخائن استطاع
أن يذل كل صعب ويصل الي بغيته ويؤدى لامته أكبر
خدمة

وهذه الفضائل منها ماهو وهي يهبه الله من يشاء من
عباده فلا قدرة لمخلوق أن يبلغه بمحض ارادته . ومنها ماهو
كسبي وهو ما يستطيع كل امرىء أن يناله بجده واجتهاده

من هذا ترى أن عطاء الرجال أفراد يعدون على الأصابع
يوجد لهم الله من حين إلى حين في الأمم ليأخذوا بيدها ويدفعوا
بها إلى طريق الحق طريق الحرية وال إخاء والمساواة
ولما كانت مصر إحدى الأقطار التي وهبها الله مزايا
قل أن يجدها الإنسان في قطر آخر من جودة التربة واعتدال
الأقليم كان خروج أبنائها منها نادرا لتوفر أسباب الراحة
فيها ولذلك حافظ أفراد الأمة المصرية العزيزة على وجه
الشبه بين بعضهم وبعض كما نزع إليها الكثيرون من كل
طرف من أطراف المعمور ليسعوا في منابها ويأكلوا من
خيراتها. ولكن هذا التزام كان مقصورا على ميدان العمل
خارج هيئة الحكومة فلما نزل الاحتلال بأرضنا باسم نشر ألوية
الأمن بعد الثورة العراقية المشؤومة تمادي في تداخله وأكثر
اغاراته وغزواته حتى جار على مصالحها الحيوية وبدل المصري بكل
جنس في حكومة بلاده وقلد الرئاسة في كل فيج للدم الانكازي
واستعان على سلب حقوقها الطبيعية والشرعية بما هداه إليه
دهاء القوة وخبث السياسة من الوسائل والأساليب وأغرى

من أغرى بالتعاون على انتهاب موارد الرزق ومرافق الحياة
التي كان المصريون أحق بها وأهلها وشن على هذا الوطن
العزير الغارة أثر الغارة تارة في شكل الصديق الذي يغار وتارات
في صورة العدو الذي يجاهر بالعداء وما يكنه أعظم وحارب
الذكاء المصري الفطري في دوائر التعليم المصوغ من معدن
المارب السياسية والاهواء الاحتلالية وضيق النطاق على اللغة
الاهلية ليقطع بين السلف والخلف تلك الوصلة المكيئة
والجامعة المتينة جامعة اللغة وضرب على المدارس نطاقا من
غلاء الاجور ونقص العلم والاستهانة بالتربية وأخلى منصات
المناصب الاميرية والوظائف الرسمية في حكم البلاد من النوابع
المصريين الذين يستطيعون أن يشرفوا قدر أمتهم ويدلوا على
مالامة المصرية من عظيم الاهلية والاستعداد الباهر لحكم
أنفسهم بأنفسهم وأثقل عاتق خزينة الحكومة بما تدفعه من
المرتب الباهظ لجيش الاحتلال الذي بدأ مئين مئين وعادا آلاف
آلاف ولم يذر وسيلة للنكابة في الامة الا تذرع بها واتخذ للكيء
لها ماشاء الاستبداد والاستئثار وجمع لها من سيطرته العاشمة

ومزاجه الثقيل خصما يبتز من أيدي أبناء البلاد ما لهم فيها
من الحيشية والاولوية وسلط عليها جندا آخر من مركزه المريب
وسلطانه الموهوم رجاء أن يضربها الضربة الاخيرة فيتوارى
الحق ويظهر عليه الباطل وكان ذلك محالا

فكان المصريون يهمسون بالشكوى ويتواصون بالخذر
والصبر ولا يستطيعون الجهر بالتأم من سوء ذلك التصرف
لانهم فوجئوا مفاجأة بالاحتلال ولم يغن عنهم شيئا ذلك
الاعتقاد الصحيح اعتقاد أنهم أصحاب الشأن في بلادهم وأنهم
أمة مستقلة استقلال اداريا خاضعة للدولة العثمانية العلية صاحبة
السلطة الشرعية على البلاد كما أن العلم بأن ذلك الاستقلال
مضمون بالمعاهدات والقرمانات لم يكن ليظف شيئا من
حزنهم لما جرته تلك الثورة التي كانت بلاء محضا وشرا
صرفا على البلاد فضرب اليأس على ضفاف النيل ولم يكن
غيره حرا من قبل وكاد ينقطع عرق الرجاء من كل صدر وضعف
الامل في الخلاص من ذلك البلاء المخيم في طول البلاد وعرضها
تحت اسم الاحتلال الانكليزي فتضايقت النفوس ووجلت

القلوب وانعدت الالسن حتى عن تبادل الشكوى وخفتت
الاصوات حتى لم يكن يكاد يسمع لمصر أنين من بلاء حاضر
ولاحنين الى مجد غابر ولمصر في كتاب الدهر التاريخ الذي
يدعوها الى الكرعلي الآثار دون الوقوف لتشيعه بالابصار
فلما بلغت الروح الخلقوم وغلب اليأس الامل وأوشك
ألا يبقى في قوس الرجاء منزع تلفت المصريون يفتقدون
النصير ويلتمسون المحير وينذرون للرحمن النذر ان فرج عنهم
الكرب وبعث فيهم رجلا عظيما منهم يقاتل الخصم واليأس في
آن ويقاوم أعاصير الحوادث مهما جرى على خطته الزمان ليكون
وراءه صفا صفا وهم مسرعون الى تلبية ندائه كلما نادى
مؤمنون على دعائه كلما دعا وللعناية نور في مراتبها
وفيما هم يودعون الحياة ويصافحون الموت ويوطنون
النفس على احتمال المكروه الى النهاية حتى يأتيهم أمر الله
وتحق عليهم الكلمة بما فرط أولئك الذين قاموا بالثورة
فأذكوا نارها وشبوا أوارها أو تمن عليهم المقادير باجلاء ذلك
البلاء حين تشاء أراد تبارك وتعالى أن يعلم الناس وله المثل

الاعلى أن نعمته لا تخص أمة معينة في وقت دون وقت وأن
رحمته التي وسعت كل شيء لا تضيق بشعب دون شعب فبعث
في المصريين رجلا عظيما اصطفته عنايته العظيمة من القدم
لينفض عن أعطاف هذه الامة الكريمة غبار اليأس ويمسح
من عيونهم قذى الاستسلام ويضن بهم على المهانة وذل المقام
ويهيب فيهم بصوته الذي يقطر حماسة وبيانه الذي يتدفق
غيرة وسحرا: أن جاهدوا أيها المصريون في سبيل الحرية
والحياة فقد جاءكم بكتيهاما البشير

فأفاق المصريون من ذلك السبات العميق ونهضوا
مشتبكة أحداقهم ملتفة قلوبهم حول هذا الداعي البشير
وتأملوا فاذا مصرى من لب الامة وصميمها نهض بهذه
الدعوة المباركة ونور الحق يتلأأ على جبينه كما تلالأ من قبل
على جبين الهداة الأبطال ولعنائه تعالى مغدى ومراح
حول ذاته الكريمة وله من الحق ظهير ونصير

نهض رضى الله عنه وعلى وجهه سيما الهداية وفي معارفه
قيس التوفيق فأرسل من صدره المملوء حكمة وأملا وبقينا

صوتا أول ماهزاً بناء اليأس فتداعي وانقضت حجارتها تباعا
ثم استمال الي الحياة أبناء وادي النيل الأعراف وما جهلتهم
ولكن جهلوها ولا نكرتهم بيد أنهم أنكروها وأغرى
بالخلاص من ربقة الاحتلال هذا الشعب المحب الوديع
الذي بوغت من حيث يدري ولا يدري بتلك الداعية الدهماء
وما زال ذلك الصوت العالي يرن نوح هذا الأفق رنيناً متتابعاً
حتى اخترق الحجب وهتك السجوف واستقر في القلوب لافي
الاسماع ثم جاوز منطقة النيل وحملت البرد صداه الي أنحاء
العالم كافة فتسمع دهاة الرجال وأساطين السياسة يريدون
أن يعرفوا ماهنالك

فلم يمض الا القليل حتى رأوا ماهالهم . رأوا رجلاً عظيماً
من المصريين بعث فيهم على حين فترة وبعد أن ذهبت الظنون
في هذا الوطن العزيز كل مذهب ثم نهض بهمة نهوضاً أذل
أعراف العوائق واستدعي الاعجاب والاكبار حتى من
أشد الخصوم السياسيين وطأة علي مصر
رأوا رجلاً عظيماً من المصريين قام يقرب دولة اليأس

الذي كان اذ ذاك مستحكما الحلقات رأسا على عقب ويقوم من
الامل الذي كان ضئيلا مستضعفا درلة وطيدة الاركان
متماسكة البنيان

رأوا رجلا عظيما من المصريين قام يث في صدر الامة
من عقب العناية الالهية التي تولته في كل ادوار جهاده الشريف
روحاً جديدة ويذكر في نفوسهم عزائم توارت وراء الصبر
على المقدور زمانا طويلا ويعلمهم كيف يقاومون ذلك التيار
تيار الاحتلال الذي كان يأخذ كل سفينة من سفين الآمال
غصبا وكيف يجبون الاوطان الى درجة الفناء في نصرتها بلا
من ولا تأخر وكيف أن صاحب الحق منتصر على مقتصبه
منه أيا كان المقتصب وأيا كان المطالب

رأوا رجلا عظيما من المصريين أبي أن يرضى لامته
ذات السيرة المحيطة في السير والصفحة المذهبة في التاريخ
الصبر على ذل الاحتلال ولو كان المحتلون من حملة العرش.
ويرفض السكون الى ظله ولو أنه مستعار من ظلال أشجار
الجنة. فكيف بهو المحتلون أعداء مصر على وجه البسيطة. وظله

أشد جمودا من مزاجه الثقيل ?? فقام يحيى موات الهمم ويعيد
المشاعر سيرتها الاولى وهو خير من تمثل قول القائل :

نبى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل فوق ما فعلوا

ونفض يستجيش العزائم ويستنفر الاتمس الحساسة

مثابا منصورا

رأوا رجلا عظيما من المصريين قام يوقظ الامة بعد

ان طال اغفائها واستوى صبحها ومساؤها ويقول لها أيتها

الامة الكريمة فى الامم ان لك حقوقا سلمها الغاصب فطالبه ولا

يوئسك المطال فهو سجية الغاصب الى حين

وأخيرا رأوا رجلا عظيما من المصريين وهو فى حركته

وسكونه وقعوده وقيامه وغدوه ورواحه يضرب على الاوتار

الحساسة من القلوب وينفض ما جمد من الارادات فى النفوس

ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور حتى جند من الميل اليه

والانعطاف عليه عسكريا جرارا وقف فى مقدمته يناقش الطامع

الغاصب الحساب وكل شىء عنده فى كتاب

رفع صوته وانتضى قلمه وجاهر بمبدئه حين كان الجبن

مستوليا على ألسن عقدت من الخوف وأقلام أنهدت من
الرغبة ومبادئ توارت من الخشية وفي المصريين اذ ذاك
كما فيهم الان وفي كل أمة شبيه شأنها بشأننا الماضى رجال
كثيرون من ناس جاوزوا طور الكهولة وناس فى طور
الشباب وربما كانت وسائل العمل متوفرا بعضها فيهم
ولكن الاحتلال الذي رهبوا جانبه واتقوا مغبة الجهر
باتقاد تصرفه والاحاح فى طلب جلائه أقام من سلطانه
المغتصب وسطوته الموهومة حاجزا حصينا يحول بين الاصوات
ومنافذ الغرف فكان ذلك الفقيد العظيم الذي لا أسميه اجلالا
ومن كان طيفه نورا فى الاجفان وآثاره الكريمة خالدة على
الزمان فى غنى عن التسمية: أول مصرى استطاع بلا كافة ولا
تهيب أن يرفع صوته العالى مطالبيا بالجلاء ويجرد من قلمه
حساما ماضى الحدين يثبت به أحقية هذا الطلب العدل
ويذيع فى الناس مبادئه الشريفة المنطوية على كل ما يكفل
لهذا البلد الأمين عود ماضى مجده وهذه المبادئ التى فطم
نفسه عن لذائد الدنيا ليؤيدها ويشرب القلوب حبها والعمل

بها هي الأساس المتينة التي بنى عليها وترك لمن بعده الكمال
البناء. ومضى كريم المآثر والهمم والأبناء. متحملا في سبيل
ذلك الجهاد الغنيف الشريف أصعب وأثقل ما يمكن أن تتحمله
كواهل الألوفا المؤلفة غير شاك من ذلك نصبا ولا تعباً
نهض في الوقت الذي تحامى فيه كل مصري أن يذوق
المسألة المصرية ولو فيما بينه وبين نفسه لتسلط الرعب على
القلوب اذ ذلك فعرض نفسه لمخاطر السياسة ودسائس
الافاكين وهو يري جيش الاحتلال ذاهباً آتياً ووراءه
والأساطيل الضخمة والجنود المعبأة على شواطئ بريطانيا
العظمى فلم ينفعل بشيء من هذا ولا اضغف يقينه ولا ثم حد
حميته ما كان يحس به من خطورة أعظم مهمة لا يأخذها على
عاتقه الا أعظم عظيم ومن وعورة السبيل الذي يسلكه لرد
تلك الغارة الشعواء والقاء مقاليد الحكم بين أيدي المصريين
بعد استخلاصها من أيدي الفاضبين السالين وما كانت
تزيده تلك العقبات والمصاعب القائمة في العمل لتحرير رقبة
الأمة من ربة الاحتلال الاعزيمه ومضاء وثباتا على اليقين

واستبسالا في الذود عن كرامة الأمة العزيزة وشرف الوطن
الأقدس الأعز بل كان الدساسون والمحتلون يخدمونه من
حيث لا يتوقع بما يضعون في سبيله من العراقيل لأن كل
عقبة وضعت أمامه كان يهبيء لاجتيازها قوة يفوق طور
العقل تصويرها فيدهش المحتلون لتلك النفس التي لا تني
من التربص للعظام. ولتلك العزيمة التي لا تعدلها العزائم.
ولا عجب فما كان فقيد مصر والاسلام والشرق الا جيلا
شريفاً ظهر في نفس وأمة عظيمة تمثلت في ذات وعالم اقوياء
اجتمع في انسان وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

ظهر في مصر « مصطفى كامل » وشمل المصريين
أجزاء ولكل جزء لواء فلم يرعه الأمر ولم يلتو عليه القصد
فسعى ماسعى وعمل ماعمل وجاهد ماجاهد حتى تماسك
كيان الأمة وتعارفت الوجوه وزال ذلك التناكر ثم اقتحم
المجال تقدمه مهابة المحق وحوله نطق من الأتفس والقلوب
فكان قلب الوطن الخافق ولسانه الناطق وعزمه الصادق
بل كان كف في يدا الحق للسيف البتار وعلى متون الصاعب الفارس

المغوار وفي النزال البطل الشجاع الكرار
بل كان كل أثر من آثاره العظيمة فكراً ما لثار رأس
الوجود وكان ذلك الهيكل النوراني الشريف هيكل المجد
الوثاب وكانت تلك النفس العظيمة أشرف نفس استنشقت
هواء النيل ولا عجب بعدئذ إذا كان من ألقابه بحق وجدارة
أنه باني أركان هذه الحركة الشريفة وموقف الوطنية في
صدور المصريين ومنشئ الجيل الجديد ومكون مصر الفتاة
وتلك المزايا التي أحصى النجوم ولا أحصياها هي التي
أتاحت له أن يتصرف في ملك القلوب التي انطبع عليها بطبع
صورته في صميمها أشرف وأقدس المبادئ والنضائل وأرق
الصفات التي يمكن المصطفين في الامم وهم قلال أن يجمعوا
بينها فتظهر بهم ويظهرون بها في المظهر الأسمى الأسمى
لا ريب أن ذلك البطل الخالد أقدر فاتح استطاع أن
يفتح أقفال القلوب ليضع في صميم كل قلب تقاسم أنفاسه
الظاهرة وسراً من أسرار الحياة الباهرة فعرف كل مصرى
من معاني الوجود ما كان يجهل من قبل وتعلم بالعيان والحس

أن وراء هذا الشأن شأننا أسعد حالا وما آلا وفوق هذه
الحال حالا أجل جلالا وأجل جمالا

واني لا أعالي اذا قلت في وصف تلك العظمة التي رفعت
صاحبها وهو غض الشباب الى ما فوق مصاف الشيب من
المختارين في الأمم قديما وحديثا أني لم أعرف رجلا عظيما
أعزته الحمية وسودته النفس وامتلات روحه السامية الطاهرة
بكبار الامال ونظام الأمانى وبلغ ما لم يبلغ اليه شرقى في دوائر
السياسة العالية في أوروبا من النفوذ والاعتبار وجعل لمصر
العزيزة مكانة محترمة ومنزلة رفيعة في المشارق والمغرب فلا
يذكرون هناك الحياة الوطنية الا ذكروه ولا يمجدون
كرامة الوطن المصرى الا مجدوه ولم أعرف رجلا عظيما
كان اذا أرسل نفسه هادئا تحركت سواكن القلوب وحييت
الامال في الصدور واذا أرسله عاليا أقام وأقعد ووعد
وتوعد حتى بلغ من شأنه أنه كافح الاقدار وواصل في خدمة
أمته بالنزاهة النادرة والصدق المكين والاخلاص الكامل
آناء الليل بأطراف النهار فكان علما تستظل بظله الوطنية

ويحتفى به الوطنيون ساعة الخطب المروع وهو أثبت من
الاطواد رأياً وقلباً اذا عز النسير وخيف الزيف وأرهبت
القوة بل اني لم أعرف رجلا عظيما كانت الحمية الوطنية تشتعل
في بعض الصدور نارا وفي البعض الآخر نورا اذا أجرى
علي القرطاس قلمه الحر الكريم الهوى أو صدع على المنبر
داعياً الى الحياة والمجد والاستقلال وقد لظمت شمائله حتى
عادت نسيماً يكاد ينشر موتى الآمال ويوشك أن يطيل آجال
اليائسين وكان شيطان اليأس وخصومه السياسيون الذين أخلهم
حياوميتا يفرون من بين يديه خوفاً من قوة حجته وثبات عقيدته
وسمو عزيمته وطهارة نفسه وسليقته ولم أكن أعرف أن في
مصر رجلا عظيما صادق الكرم بنفسه ونفيسه ومجهوداته
على كل ما يرق شأن الامة المصرية ذائدا بشبابة قلمه وأسلة
لسانه وخطرات قلبه عن حوض الوطن العزيز المقدس
مضحياً أشرف حياة وأكرم عمر في سبيل الاستقلال —
أقول لم أكن أعرف أن رجلا عظيما في مصر جمع الى هذه
المناقب التي يعز أن يجتمع اثنتان منها عند القياصرة والا كاسرة

أضعاف أضعافها ان كان للمزيد فوق ما تقدم من مكان: قبل
أن أعرف ذلك الذي جاور ربه كريم الآمال والاخلاق
والمواهب ومضى الى رضوانه سامي المهمة والنفس والمراتب
حميد المسائر والمزايا والمناقب المغفور له « مصطفى كامل » وما
قلت فيه والله على ما أقول شهيد الا بعض ما أعتقد أنه
صحيح ليس فيه من غلو ولا ريب

نعم ما كنت قبل أن أعرفه أعتقد أن في صفوة بني
الانسان من تسمو به فطرته ويؤهله استعداده الطبيعي
ومقاصده التي هي من صنع النفوس التي ليس لها طراز
الا بين جنوب المصطفين للقيادة العامة الى تلك المرتبة التي
هي أرفع وأسمى ما في طوق غير الأنبياء والمرسلين الوصول اليه
ولقد أثمر جهاده الشريف ورأى قبل أن يختاره الله
لجواره ثمار هذا السعي المبرور بالغة في كل مكان أو ما ترى
أني التفت وجوها لم تنبسط بعد انقباض الأسي المعاود الا
وفي أسارىها اشراق الرجاء وعزائم وقفتم على خدمة الوطن
عملا بارشاد ذلك الفاتح المجاهد بالقلم واللسان لا بالسيف والسنان

وصدورا ملئت بالرجاء في قرب تحقيق ذلك الوعد الذي
بشر به ذلك الفقيه العظيم ??

جس خلال الاندية ناديا ناديا وطف ماشئت من المجمع
بمجمعاً وتفق المدارس على اختلاف نوعها وتفاضل درجاتها
تجد الناشئة المصرية وقد توزع عليها بعض صفات ذلك الفقيه العظيم
فنقلتهم من حال الى حال وعلمتهم أن جلال الوطن فوق كل
جلال وأنه انمدي بالأرواح والأموال فأصبحوا بسموتلك
الصفات التي قامت بها نفوسهم يعرفون كيف يحبون الوطن
المصري وكيف يقابلون ذكرى منشئهم بالاجلال والتكريم.
ثم طف بعد ذلك على ماشئت من المجتمعات في أى مكان من
أصغر قرية الى اكبر عاصمة تجد أن روح الوطنية المرفرفة
حول تلك الصورة المرفوعة من صدور المجالس في المكان
الأشرف دائماً تنفح صدور الناظرين والذاكرين بعبير الوطنية
الخالصة التي لم يكن أحد من شمال القطر الى جنوبه ومن شرقه
الى غربه يعرف عنها أثراً يؤثر قبل أن تبشر مصر بميلاد ذلك
الفقيه وتشهد بعض آثار عمله الشريف المجيد

بل سل من شئت من أساطين السياسة ودهاة الرجال
في العالم عن رأيه في مصر أمس ورأيه فيها اليوم يجيبك أنها
انتقلت من ظلمة اليأس الى نور الامل وتفضت عن رأسها
غبار الموت واستقبلت بشائر الحياة وودعت ليل الخمول
والجمود لتلقي فجر النباهة والحركة وليس هذا كله الامظهورا
من مظاهر تلك الروح السامية التي بثها ذلك المختار في أمته
نخلقوا خلقاً جديداً وأصبح المصري الذي كان ساهياً خافت
الصوت ضعيف الامل مطرق الرأس ساكناً صابراً على
اهتضام حقه واحياء ماله من الاولوية والشأن الاكبر في
بلادته تحت ظل الاحتلال يقظاً عالي الصوت عظيم الرجاء
رافعاً رأسه يجاهد بشجاعة وجرأة في طلب الجلاء وعود
مصر الى حالتها الأولى قبل أن تبلى بمصاب الاحتلال وذلك
ولا جرم احد آثار الفقيد أو هي آية من بعض آياته التي هي
أبقى على الزمن الباقي من الزمن

وهذا هو الواقع المحسوس فان المصري اليوم غير المصري
أمس . قد كان يجزع من حفيف أتوابه في رابعة النهار ولا

يتصور أنه سيقوم من بينهم ذلك القائد الكريم والفتاح
العظيم فيقودهم الى مواقف الدفاع ومواطن النضج عن مصر
ويكون لهم الصوت المحكي وكل صوت آخر صدى له
والمحامي الطلق اللسان القوى الحجة والبيان والعصمة التي
يعتصمون بها كلما حدثت المطامع أهلها بسوء أو زين لهم
الغرور أنهم باقون في مصر زمانا طويلا

فكل روح في مصر سكنت جسما جاء من أبوين
مصريين أصليين لا تأتي أن تسيل فناء في نصره الوطن
المصري العزيز والجامعة الوطنية المقدسة

فليت شعري الى أي حد بلغت تلك العظمة التي هي
أحدى مميزات فقيدنا العزيز ??

بلغت ولا مرء الى الحد الذي قدر للنفوس السامية أن
تصل اليه من مراتب العظمة والسمو والكمال. فلم يكن وراء
غايته غاية ولا خلف نهايتها نهاية. ولو كشف الله عن بصيرة
ناظر فرأى تلك الروح العظيمة وقد أفرغت عليها حلال
الرضوان والجلال ولقيت في نعيم الجوار مالم يلقه كثير مثلها

من القبول والاقبال جزاء ما قدمت من المآثر الخالدة العظيمة
التي لا يحصيها عد والاثار الباقية الكريمة التي لا يعدها احصاء
لعلم كيف يجازى الاصفياء الأبرون وكيف يكافأ الاوفياء
الاكرمون

وتالله لكأني أنظر اليه وقد تمثل في عليين طيناً نورانياً.
لا كما كنا نبصره من قبل بشراً سوياً . ورفع الله تبارك
وتعالى في حظيرة الرضوان الأعلى الى أريكة لا تظل غير
المجاهدين فلاًها جلاله وكأله وقد حفت من حول أريكته
أرواح الشهداء والفاتحين يتسمون من روحه الكريمة عير
الكمال. وينظرون الى الجلال تمثل في نفس والنفس تمثل في
الجلال. وما كان عطاء ربك محدوداً

وحاشا لله أن أتوخي الغلو فيما أقول فتلك سنة الشعراء
لا المؤرخين وإنما أنا أصف تلك العظمة العظيمة التي امتزجت
بتلك النفس السامية الكريمة كما يمتزج الهواء بالعطير وأسأله
تعالى أن يهني قوة التصوير لا أستطيع أن أمثل في هذا
الدرس الذي ألقىه عن عطاء الرجال. وأمامي منهم هذا المثال.

على نابتة مصر الذين غنوا بشهود الحقيقة عن تمثيل الخيال .
بيد أنهم في حاجة الى نموذج من العظمة حاضر ينسجون على
منواله ومثال من الكمال باق يتحلون بأساله

لا أقول ان تلك العظمة التي أعيا وصفها الشاعر
والكاتب على السواء جلت عن أن يكون لها شبيه في من
رأينا وإنما أقول انها بنزولها في أخصب منبت في أسمى
نفس من نفوس المعاصرين زكت ونمت فكانت أماراتها
أظهر وأبهر . نعم ان صفات الكمال متى تساوت في درجة
الرسوخ تفاوتت في قدر المنزلة ولكن التوفيق كله في جمع
أشتات تلك الصفات التي لا نجد لها علما تنضوي تحته أشرف
من العظمة وهذه قل أن تتضام أجزاءؤها في أكثر أعلام
الزمان وان تضامت وتجمعت فلن يكون ذلك الا في آحاد
قلال صافية جواهرهم صادقة بواطنهم وظواهرهم نزيهة
مساعيمهم وسرائرهم

وهؤلاء الآحاد الذين ينبغ منهم في أمم الشرق في كل
حين واحد على الغالب هم الذين يكونون الوطنية تكويناً

ويطبعون النفوس على غرار حبها طبعاً وهذه سيماهم التي بها يعرفون

والتفاضل في أفراد الجنس الواحد بديهي لتفاوت
الاقدار والمنازل وما شا كل من الاعتبارات . واذا كان
الأثر دالاً على المؤثر كل الدلالة بل هو مظهر من مظاهره
وشكل من أشكاله فان العظمة الحقيقية تقاس وتقدر بما
ينبعث عنها من الآثار وما تتجلى فيها من الاشكال والمظاهر
ونحن اذا أردنا أن نقضى حق التاريخ ونزل عظمة ذلك
الرجل العظيم منزلتها من الصحة منصفين لا مغالين ولا
مقصرين وجب علينا أن نرجع في ذلك الى تلك الآثار
لنعرف ان كان قد قام في وادي النيل بطل من أبطال تاريخه
الحديث تماثل عظمته عظمة الفقيدم أنه كان الواحد في
أولئك الآحاد بجدارة واستحقاق

استعرض سير عظماء الرجال ثم اعتبر في الظروف التي
أحالت بهم فان للظروف علاقة بالناس تجد أن آفاق هذه
البلاد قد أظلت كثيرين من عظماء الرجال والمصري ذكي

بفطرته وما زالت مصر مقر العظمة والنبوغ . ونعوذ بالله أن
تجد فضل أسلافنا فهم الذين علموا الاغيار الحياة كيف
تكون وما زالوا أحياء في التاريخ وان تقادمت على وفاتهم
السنون

ثم أعد نظراً في آثار أولئك العظماء تجدها أما قائمة على
ظهر البسيطة وأما قائمة في بطون الأسفار وأما قائمة على
كاهما معا وليس من العسير أن يقيم ملك من أضخم الأبنية
دلائل على ضخامة دولته في عهده وأن يأمر أمير بتدوين
سيرته في كتاب بل ليست قيادة الجيوش المدربة على الظفر
والاقتصار وفتح المعقل والأمصار بالحديد والنار نهاية مظاهر
العظمة بل ان ثمة عظمة أعظم من تلك وأشرف العظم وشرف
آثارها الخالدة التي لا يهدمها معول ولا تذهب بذهاب صاحبها
علي مر الزمان

ومن هذا الطراز الأخير كانت عظمة ذلك الرجل
الكبير « مصطفى كامل » التي تألفت مادتها من عناصر
الفضائل الكاملة وصيغ معدنها الكريم من جواهر الخلائق

الفاضلة وقامت من المبادئ الشريفة التي هي مرايا القلب
الشريف على أمتن أساس

تبيد الدول ويفنى الزمان وتختلف الأجيال الأجيال
وتبلى الشؤون شؤون ولكن عظمة « مصطفى كامل » لا تبلى
وذكره لا تنفى وآثاره المنقوشة في صدور الجيل الحالي
ستنتقل بالوراثة الى الجيل الذي يخلفه فلا تبلى وان بلى الحديدان
وما ذكرت فيما تقدم أنه كان يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا
خفاقا بالآمال الكبيرة والأمانى الفخمة وان ذلك القلب
الكبير مستقر الفضائل التي من أخصها قوة الإرادة وصدق
اليقين والاعتماد على النفس والصدق والشجاعة والأمانة والسعي
في الخير مستطاع الجهد والنشاط النادر وسرعة الخاطر مع
العلم الصحيح وقوة الخطابة مع الصراحة التامة والافصاح عن
المقاصد بلغة صحيحة سهلة مؤثرة الى مئين من أمثال هذه
الأوصاف سترد في تضاعيف أجزاء هذا الكتاب الا لا استدل
بامتياز تلك الروح السامية التي كانت تشع نورا وطهرا علي
أن تلك العظمة النادرة المثال. الوافية في الكمال. انما كانت

عظمة ممتازة وأن ذلك الذي كان واحداً آحاداً أعظم عظيم
قام تحت سماء هذه البلاد

وكيف لا تكون عظمته كذلك؟ أليس لها هذا الأثر
الخالد في كل نفس المطبوع علي كل قلب الظاهر في كل مكان
المركب في كل صورة??

ألا ان نور الشمس لا تحجبه الأكف وجمال الحقيقة
الساطع لا يتوارى خلف ستار وتلك العظمة الخالدة آثاراً
وما آثر أجل من أن يصورها قلم يضطرب من لوعة الآسى
بين أنامل لا تقوى علي امساكه فليهمد لنا القراء العذر
متفضلين

لأقول أنني فيما كتبت وفيما سأكتب سأقضى واجب
التنويه بهذه العظمة الممتازة كبعض ما يجب وإنما أنا قائل
في القليل من آثارها القليل من القول ليستدل به الناظر
في هذا الكتاب علي الكثير من العمل

اجتمعت في المغفور له « مصطفى كامل » كل الصفات
الواجب أن تتوفر في ذوات قادة الأمم والا كان السعى

بغيرها عقيماً : فهو أول مصري رنّ صدى صوته في الشرق
والغرب وأول مصري ثبت على المطالبة بجلاء الاحتلال
وأول مصري بعث في المصريين هادياً إلى طريق النجاة
والحياة وأول مصري رفع رأسه مفاخرًا بالاتساب إلى
الوطن المصري والدعوة العامة إلى الدفاع عن سمعته وكرامته
وأول مصري أقام الأعياد الوطنية والمواسم الأهلية مذكراً
ومحذراً وبشيراً ونذيراً . ويطول معنا تكرار قولنا أول من
وأول من فلتتجاوز هاتين اللفظتين ونقل أنه المصري الذي
قاد في حداثة سنه الأمة جمعاء وفيها الشيب والشبان إلى
مواقف النضال ومواقع النزال ليذب عن الوطن المصري
وهزّ صوته الرنان وقلّمه السيل عروش الأمراء وتيجان
الملوك وناصر الظالمين المغتصبين العداء بصبر وثبات عظيمين
وكشف سيئات حكومة الفرد الواحد أمام العالم المتمدن
وأحسن السفارة بين أبناء البلاد وأنصار الحرية في الأمم
الراقية وجذب قلوب الجماعات من هؤلاء الكرماء إلى
نصرة مصر بتأثيره وإرشاده بل هو المصري الوحيد في

تاريخ مصر القديم والحديث الذي استطاع أن يجاهر بقطع
الصلة الذاتية بينه وبين سمو الخديو المعظم بلا تردد ولا وجل
لما رأى أن مصلحة الأمة تقتضى ذلك وكان قدوة حسنة
للشعب المصرى فى انشاء المدارس الحرة الوطنية كما كان فى
صباه التلميذ الوحيد الذي أنشأ مجلة علمية وألقى خطبة
وطنية وكاتب كبار ساسة الانكليز مطالباً انكلترا بالبر
بوعودها والوفاء بعهودها فاغتبط فضلاء المصريين من كل
الطبقات وأعجبوا به فكانوا يحبون اليه الانتظام فى صفوفهم
اعجاباً به واكباراً لقدره وهم يتمنون على الله أن يكون
« مصطفى كامل » ذلك الرجل العظيم الذي بعث فى الأمة
المصرية على رأس هذا القرن ليخرجها من الظلمات الى النور
ويوقظ منها نائم العزيمة ويحيى فيها ضعيف الشعور فكان
ما تمنوا وراوا أولاً وآخراً من تلك العظمة الممتازة الفارس
الحامى الذمار والبطل القصور المدافع عن الاوطان والمطالب
بالحقوق

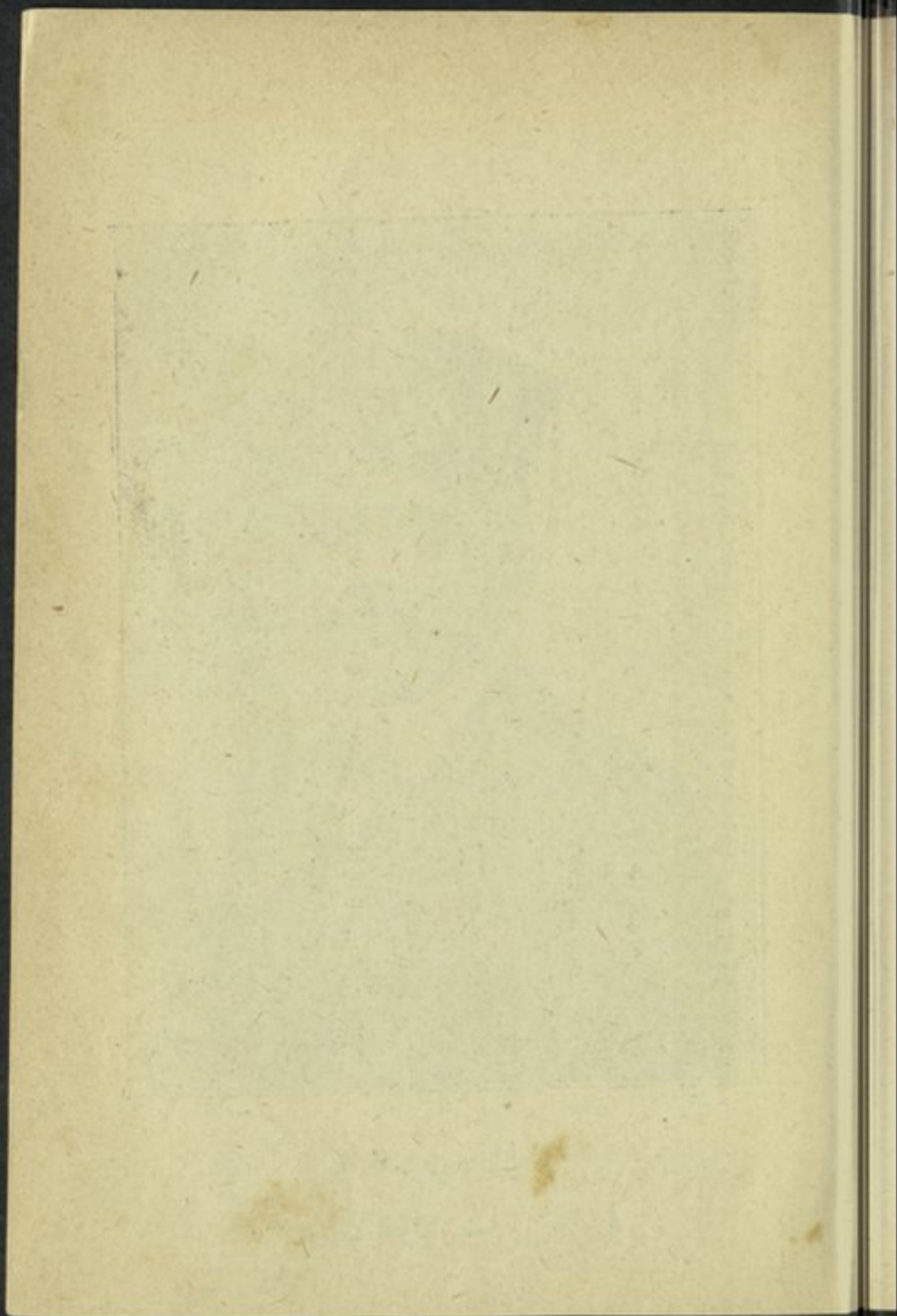
أوليس هو ذا اليد البيضاء فى الدعوة الى التعلق بعرش

الخلافة الاسنى والاخلاص فى التبعية لجلالة مولانا أمير
المؤمنين وودفع شرور السلطة المغيرة عن السلطة الشرعية فى
البلاد؟ أليس هو الذى دعا منذ زمان طويل الى الجامعة
المصرية والى تقوية الاسطول الاسلامى ونصرة مشروع
السكة الحجازية الحميدية وحث المصريين على مؤازرة الدولة
العلية العثمانية فى مواقفه المشهورة وكسر يديه القويتين
أبواب السجن فأطلق أسرى دنشواى بعد أن جاهد ما جاهد
فى اسقاط العميد المستقيل عن عرش استبداده وكبريائه وكان
له فى مواطن النزاع بين الانكليز والعثمانيين تلك الحملات
الشديدة والصيحات المسموعة؟ وكم له فى خدمة الامة المصرية
والعالم الاسلامى من صنع مشرق الجمال وأثر ظاهر الجلال؟؟
انه خير لى أن أترك تفصيل ما حاولت اجماله الآن
الى حضرة صديقى العزيز المتفضل على بك فهى كامل شقيق
الفقيد فأمامه مجال القول ذوسعة ليس بمدها سعة وأريد
الآن أن أنبه النابتة الجديدة وهم رجال الغد ودولة الآتى
وعماد المستقبل الى الاستفادة من هذه السيرة على قدر

ما يستطيعون لعلمهم اذا اعتبروا في هذا التاريخ الخفيل بالعظام
وهو تاريخ رجل مصر العظيم تاقت نفوسهم الى التشبه واتمثل
ما استطاعا اليهما سبيلا بمن نهض باعباء الآمال ناشط الكاهل
وانتصرا بما انتصار على كثرة الصديق المداجي والعدو الخاذل
ادرسوا أيها الشبان لتستفيدوا من سيرة ذلك الرجل
العظيم الذي علم العصاميين كيف يسودون وبين لكبار
الرجال كيف يموتون وكيف يحيون . ثم ادرسوا لعل فيكم
كثيرين من أهل الاستعداد الفطري والاستعداد الكسبي
للقيام بعظام الامور متى عرفوا من أي طريق لا دراك
الغايات والآمال يسرون

ادرسوا أيها الشبان لتستفيدوا من سيرة ذلك الرجل
العظيم الذي شرع لكم سبيل العمل الصريح الصحيح لعلمكم
اذا جاوزتم طور التأهب والنظر ظهر منكم أمام العالم أجمع
خدام للوطن أوفياء لا يبالون بالصعوبات ولا يخفلون بما
يقوم أمامهم من العقبات

ادرسوا أيها الشبان لتستفيدوا من سيرة ذلك الرجل





﴿ محمد فرید بك ﴾

﴿ فی الثانية والاربعین من عمره ﴾

العظيم الذي زرع على ضفاف النيل شجرة الحياة المباركة
وتعهدنا بالسقي حتى قويت وأثمرت فسي أن تذكى حرارة
الدرس في تلك القلوب الطيبة نار الشجاعة والاقدام فترتفع
أصواتكم مجتمعة وتلتقي أعمالكم متوحدة حول ذلك الغرض
الذي جاهد في سبيل الوصول اليه فقيدنا الكريم « مصطفى
كامل » ولا يصرفكم عن اقتحام المعترك انتظار أن يبدأ
منكم بادىء بل تقدموا جميعا وليكن كل واحد منكم بادئا
في هذا السبيل فرمما كانت الفرص أمامكم كثيرة ومجال
العمل فسيح على الدوام

— ولا يكفي أن يكون هوى « مصطفى كامل » في القلوب
وعلى الألسن بل يجب أن تتخذوا جميعا من سيرته مثالا
للجهاد الشريف والعمل الصالح لما يعز الاوطان ويرفع
شأنها ويعلي مقامها فليعمل كل منكم في الدائرة التي تحيط به
ولتلتفوا جميعا حول لواء الوطنية جارين على خطها عاملين
بسنتها فان البلاد التي لا يخدمها أبناءها لا ينتظر أن يخدمها
أحد في الوجود والله ولي المخلصين

محمد فريد

سِنِّيَّةُ وَالِدِهِ

هو المرحوم المبرور على أفندي محمد ولد في غرة رمضان
سنة ١٢٣١ هجرية في بلدة كتامه من أعمال مركز طنطا
وهو أحد مراكز مديرية الغربية أكبر مديريات القطر
المصري . وتلك البلدة كان يسكنها المرحوم والده السيد محمد
ابن علي بن سليمان بن حسين بن مصطفى بن أحمد بن يوسف
ابن حسن

كان والده يتجر بالغالل وكان جده السيد علي هو
صاحب الثروة التي كانت بين أيديهم . وقد رزق السيد محمد
والد المرحوم ثلاثة أبناء أحدهم صاحب الترجمة والآخران
وهما سليمان وحسين توفيا إلى رحمة الله وبقي المرحوم وحيداً
وكان أصغرهم سناً

فعلمه والده القراءة والكتابة على أحد الفقهاء وحفظ قسماً
من القرآن الشريف وكان في عزمه ان يهبه لدراسة الدين الحنيف

ولكنه لما ترعرع وبلغ العاشرة من عمره وظهرت نجابته
أخذه محمد علي باشا الكبير مؤسس العائلة الخديوية وأدخله
في من أدخل من أبناء التجار مدرسة طره في سنة ١٢٤١
هجرية وكان من أقرانه الذين دخلوا معه المدرسة المرحوم
المبرور اسماعيل باشا محمد رئيس مجاس شوري القوانين
وحضرت معه الى طره المرحومة والدته وكان قد اشترى
لها المرحوم والده بيتاً فيها لا يبعد كثيراً عن المدرسة ليقم به
حتى يتسنى لولدها ان يراها عند ما يشاء . وقد أخذ والده
وصية لناظر المدرسة « الذي كان يدعي سايم أغا » من علي
بك مدير الغربية اذ ذلك ليأذن لابنه بالخروج من المدرسة
في أي وقت أراد

بعد ان انتظم المرحوم الوالد في سلك المدرسة ظهرت
عليه مخائل الفصاحة والذكاء ولاحت عليه سيما التقوى
والصلاح اللذين لم ينفك عنهما حتى مماته . فمكث في المدرسة
المذكورة خمس سنين ثم انتقل الى مدرسة الخانكاه وفي تلك
الاثناء توفي والده وعين ناظر مدرسته « راسم أغا » وصياً عليه

حفظ له ماترك أبوه من نقود وأرض وعتقار
مكث رحمه الله بهذه المدرسة أربع سنين كان فيها مثال
الجد والاستقامة وكان أول أقرانه . ترقى في سنة ١٢٥٠ هـ
برتبة الملازم الثاني مهندسا طوبجيا وتعين معيدا في المدرسة
ثم نقل الى بلوكات المهندسين التي كانت تعمل في اقامة الكبارى
وبناء الشكنات . ثم رقى الى رتبة الملازم الاول في عهد المغفور
له والى مصر محمد علي باشا الكبير . والى رتبة اليوزباشى الثاني
في عهد والى مصر عباس باشا الاول حيث عين قومندان أحد
بلوكات المهندسين . ولما تولى المغفور له سعيد باشا ولاية
مصر رقاها الى رتبة اليوزباشى الاول وعينه ضمن أركان
حرب معيته

عرف القاريء أن المرحوم كان قد تخرج من المدرسة
وهو فى التاسعة عشرة من عمره فلم يتوله والدته حتى زوجته
فى الحال ليكون له خاف يخافه ولكن لم يرزق أحداً من
البنين الا وهو فى الثانية والاربعين من سنى حياته وكانت
زوجه سيدة شريفة يتصل نسبها بالبضعة الحسينية وهى

كريمة السيد محمد حجازي الذي كان نجله الأ كبر السيد أحمد
أفندي حجازي رئيس كتاب ديوان الري بنظارة الاشغال
فأنجبت ثلاثة أبناء وهم المرحوم محمد أفندي على الذي كان
صيدلياً وقد توفي سنة ١٢٢٠ هجرية وهو في الثامنة والاربعين
من عمره. والمرحوم سليمان أفندي علوي الذي بعد ان أتم
دراسة الحقوق توظف بالمحاكم المختلطة وقد توفي سنة ١٣٠٥
هجريه وهو في التاسعة والعشرين من عمره ثم سعادة سيدي
وأخي حسين بك واصف (الذي هو الآن مفتش ري مديرية
الفيوم) أطال الله عمره

وبعد ان انتقلت والدتهم الى دار النعيم في سنة ١٢٨٠
هجريه تزوج المرحوم الوالد بكريمة المرحوم عبد الرحمن
أفندي خليل المهندس فأنجبت المرحوم عبد الفتاح أفندي
فتحي الذي بعد ان تخرج من مدرسة الطب وكان المأمول
ان يقطع في هذه المهنة الشريفة شوطاً بعيداً لشدة ذكائه
وتمام استعدادده وافته المنية سنة ١٣١٢ هجرية وهو في السادسة
والعشرين من عمره

ثم اقترن رحمه الله بالمرحومة والدتنا في ٧ رمضان سنة
١٢٨٦ هجرية وهي كريمة المرحوم اليوزباشي محمد أفندي
فهمي بن أحمد بن يوسف بن محمود بن إبراهيم بن حسام
الدين بن هارون بن علي بن جمال الدين المدفون الآن في ضريحه
ببلدة ابناس من أعمال مديرية المنوفية بمصر ويقام له مولد
سنوي لانه كان قطباشا يرتبط نسبه بالبضعة النبوية الشريفة
من فرع سيدنا الحسين رضي الله عنه

وأنجبت المرحومة الوالدة كآب هذه السطور في يوم
الثلاثاء ١٦ شعبان سنة ١٢٨٧ هجرية . ثم المغفور له الفقيه
العزير مصطفى كامل باشا في يوم الاحد غرة رجب الفرد سنة
١٢٩١ هجرية ثم ثلاثة أولاد لم يعيشوا بعد ثم ابنة ثم حسن حسني
أفندي كامل ثم ابنة أخرى وهي آخر خلف للمرحوم الوالد
فهو رحمه الله ترك من الابناء سبعة ومن البنات
اثنتين كلهم ولدوا في منزله الذي كان شيده في سنة ١٢٥٩
هجرية بحارة الميضاة بشارع الصليبة بقسم قيسون (الذي هو
قسم الخليفة الآن) ولا يزال هذا البيت ملكا لنا الى الآن

استمر المرحوم في خدمة المغفور له والى مصر سعيد
باشا الى أن جاء حكم اسماعيل باشا فأحيل على الاستيداع
ولكن لم يتم فيه طويلاً حتى عين مهندساً ملكياً بنظارة
الاشغال وأخيراً أُحيل على المعاش في سنة ١٢٩٨ هجرية
ومن هذا يتضح للقارىء أنه خدم الحكومة ٤٨ سنة
كان فيها مثال الهمة والنشاط والذمة حيث قام في خلالها
ببناء الشكنات مع البانين وتشيد محطات السكك الحديدية
عند بنائها بالوجه البحرى وقد استدعته الحكومة المصرية
في عهد المغفور له عباس باشا الاول ليفتش على قلاع سواحل
البحر الاحمر ويقرر حالتها وقد قدم تقريراً ضافياً عملت الحكومة
بمشورته فيه ووكلت اليه أمر الاصلاح بها فتعهد بها ولذلك
كوفيء بالترقى الى رتبة اليوزباشى الثانى

وقد عنى رحمه الله بتربية أولاده تربية حسنة فكان اذا بلغ
الولد الخامسة من عمره دعا أحد الفقهاء الى المنزل لتلقيه
مبادئ القراءة والكتابة حتى اذا شب قليلاً أرسله الى الكتاب
ليحفظ ما يستطيع من القرآن الشريف ثم يدخله المدرسة بعد ذلك

وكان رحمه الله بأشافي وجه أولاده يؤدبهم برهبة العين
ومارأيته في المدة التي قضيتها تحت ظله الضافي وفي حياته السعيدة
مديده ليضرب أحداً بناؤه لانه كان رؤوفاً شفيقاً أبي النفس ولا
يزال بعض الذين يعرفونه على قيد الحياة الى الآن ومنهم
صاحب العظوفة المنفضال الوزير عبد القادر باشا حلمي وسعادة
المهندس البارع عامر بك عبد البر وغيرهما

وكان رحمه الله يجمع في كل ليلة أولاده حوله بعد تناول العشاء
والصلاة ليقتص عليهم أحاديث الشهامة والنجدة ويعلمهم
الصدق والاخلاص ويدلهم على طريق الفلاح والعمل حتى
ينجحوا جميعاً نجاحاً أرضى الامة المصرية بأسرها

وكان تغمده الله برحمته يتفقد أحوال أولاده في مدارسهم
مرة في كل يومين أو ثلاثة ليقف بنفسه على سيرهم من علم
ومواظبة وطاعة وكان يستوصي النظار والمعلمين بهم خيراً
قصدت مرة منزل المرحوم المبرور على باشا مبارك
ناظر المعارف المصرية مع أخي المرحوم مصطفى كامل باشا
لانه كان كعبة الطلاب فقبلت يده بعد ان قدمني المغفور له

شقيقي فنظر في وجهي نظرة تدقيق وقال « انك تشبه أباك »
فقلت « ومن يشابهه أبه فما ظلم » . أتعرفه ياسعادة الوزير ؟ قال
نعم أعرفه . وكيف لا وهو قد كان معيدا على في المدرسة
لانه كان اكبر مني سنا وأقدم عهداً . فسألته عن سبب تأخره
في الرقي فقال ما معناه انه كان من جهة وحيد والدته فلم
يرض أن يسافر الى أوروبا مع أول ارسالية مصرية ومن
جهة أخرى كان شديد المراس ابي النفس لا يعرف التمليق ولا
النفاق وقد كنا جميعاً نحبه ونحمله كثيراً

وكان المرحوم دقيقاً في أعماله خصوصية كانت أوعومية
حتى انه كان يدون كل شيء في أوراقه وقد ترك بعد وفاته
ضمن كتبه وورقه خمسا وخمسين نتيجة زمانية خمسة وخمسين
عاماً وقد قل في مصر من يعرف تاريخ ميلاده بالضبط كما
يعرف أبناؤه لانه قيد ذلك بخط يده وكان لا يغفل التوقيت
بالساعة مبالغة في التدقيق

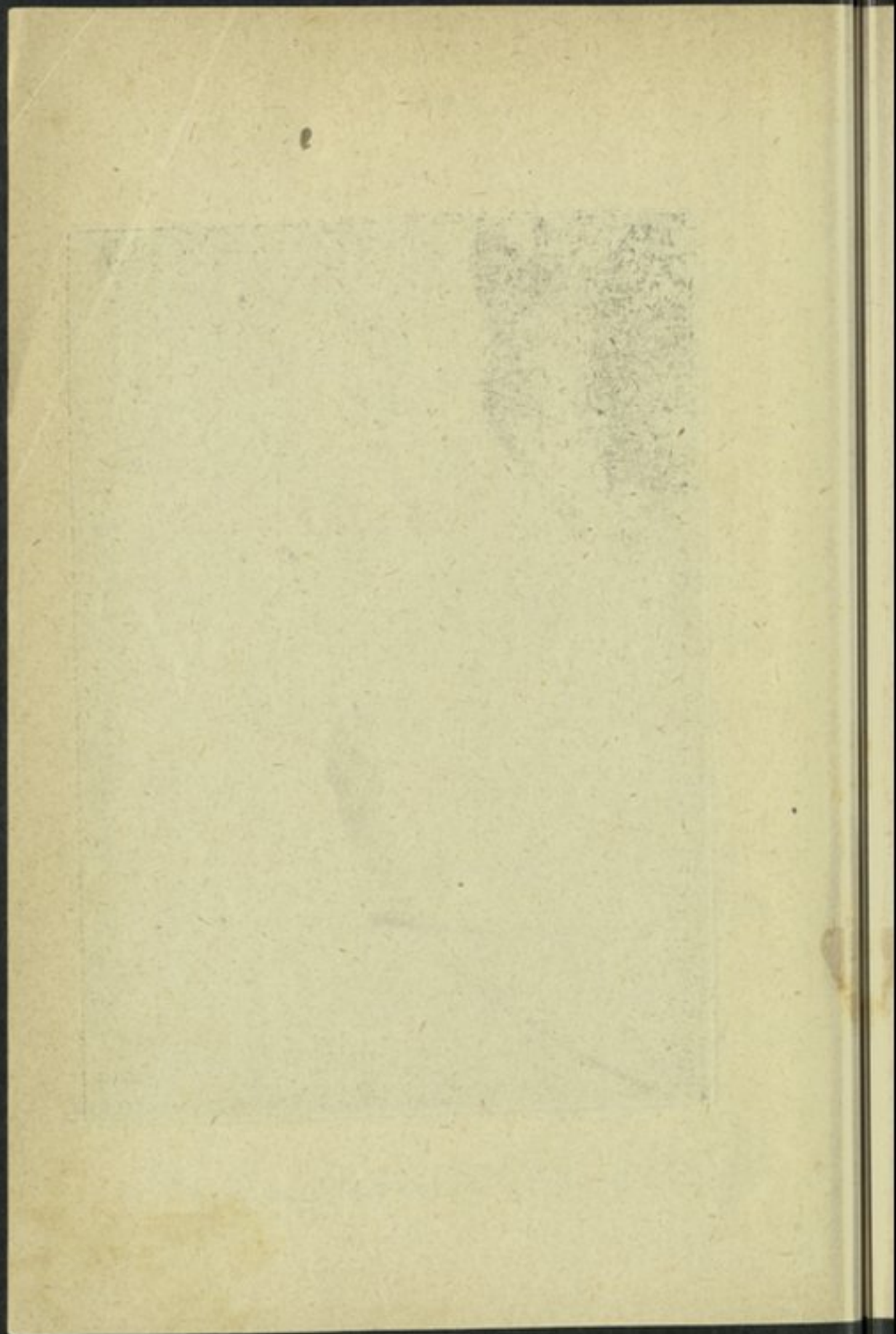
توفي الكثيرون من اخوانه وأقرانه فقام بالنيابة عنهم
في تربية أبنائهم ومؤاساة عائلاتهم حتى كان يوماً من الايام

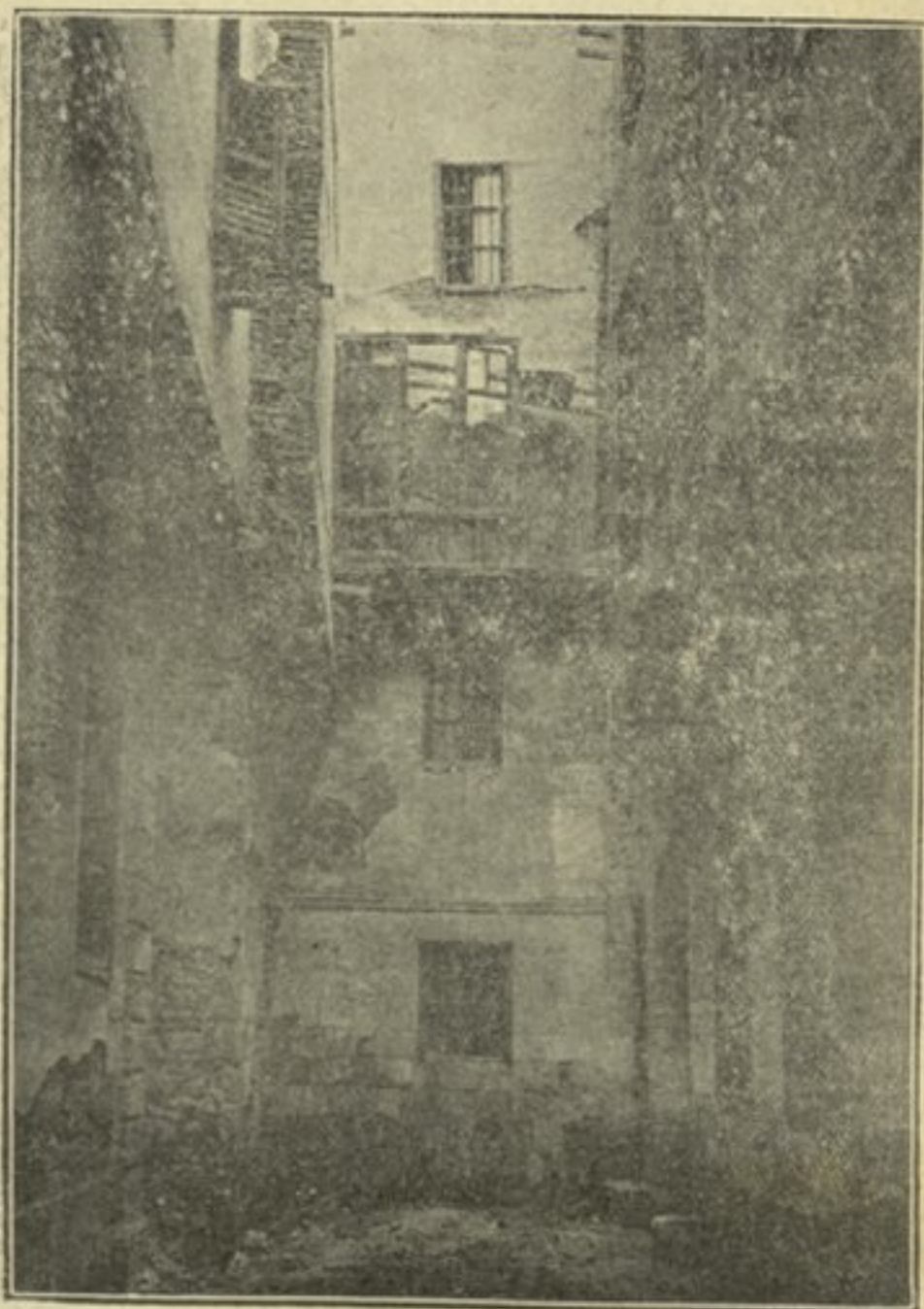
وكيلا عن ٣٢ عائلة وكان يسميه أهالي خط الصليبية « أبا
اليتامى »

توفي المرحوم في صبيحة يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الثانية
سنة ١٣٠٣ في البيت الذي ذكر على أثر سكتة قلبية وهو في
الثانية والسبعين من عمره فدفن في مشهد كبير سارت فيه
الجنود والكبراء والعظماء

وقد ترك المرحوم الكثير من النقود والمصوغات
والجواهر وتركنا ونحن صغار فتولى أمرنا من بعده بناء
على وصيته أخونا البار بل والدنا الشفيق المبجل حسين بك
واصف

هذه سيرة المرحوم والدنا موجزة أجمناها هنا ليحيط
القراء بها خبرا قبل ان نبدأ بسيرة صاحب الترجمة فقيدهمصر
والاسلام والشرق المرحوم « مصطفى كامل باشا »





﴿ جزء من واجهة منزل ميلاد الفقيد ﴾

سيرة صاحب النجعة

كان ميلاد المبرور « مصطفى كامل » في الساعة الثانية
بعد غروب شمس يوم الاحد غرة رجب سنة ١٢٩١ هجرية
في منزل والده المرحوم (بحارة درب الميضاة بشارع الصليبة
أحد شوارع القاهرة الشهيرة) وقد أسماه « مصطفى » تيمناً
وتفاؤلاً على حد قول القائل :

كأن أباه حين سماه (صاعداً) رأى كيف يرقى للمعالي ويصعد
ولعل ثمة اشتراكاً قديماً في بعض الأحيان بين الاسم
والمسمى وللعناية نور في مرائيها . ولقبه « كاملاً » لما تحقق
أنه ولد محتوناً نظيفاً بعد ان كان قد لقبه بعلي وهو اللقب
الذي كان يعطيه الوالد لكل أولاده بحكم العادة الحكيمة
لتكون سلسلة النسب متصلة الحلقات

وقد استبشرت الأسرة كلها بمقدمه السعيد . في يوم
فضلت عندها غرته غرة العيد . لما رأت من بشائر الخير

التي طلعت عليهم بهلول جبينه المشرق . فقد زيد مرتب والده
في اليوم الثالث زيادة سارة . ولولا أنني اكتب الآن كتابا
تاريخيا لتداوله الأيدي وتدارسه الأجيال لذكرت من
تلك البشائر كثيرا ولكن المسألة لا تختص الا بيت واحد .
فليس من اللائق اذا أن أذكر غير تلك البشرية تبريرا
وتصديقا للتيمن والتفاؤل بالخير اللذين وقعا من كل قلب
تجرى فيه سرايين ممتزجا دمها بدمنا اجمل موقع
وقد سهرت عليه العيون وافتحت له القلوب وكان
كل ممن في البيت وممن بيننا وبينهم صلة قرابة أو صداقة
مكينة لا يملك نفسه من الجذل والحبور واستشعار الارتياح
والسرور كلما وقعت عيناه على « مصطفى كامل » في أبان
طفولته أيام كان ساهيا لاهيا لا يحمل أثقل عبء في الوجود
وكان الناظر اليه وهو في سكينته الاطمئنان وطفرة
المسرة يقرأ على جبينه المشرق ومعارف وجهه الميمون ما اكنه
الغيب في قلبه من تلك العظمة التي امتزجت بروحه أيما
امتزاج فيتهل اليه تعالى أن يصون لهذه الاسرة وليد الجلال

وتحرسه عنايته في كل حال
وبعد أن مضى على ميلاده الكريم خمسة أشهر سافرت
الأسرة الى نبروه التي كانت مقر الوالد حيث كان مهندساً
لذلك المركز . ومكث بها الى أن انقضى على مولده الكريم
أربعة عشر هلالاً ثم عادت به الأسرة الى مصر حتى اذا جاز
من مرحلة العمر عامين فطمته المرحومة والدته فكان
بعد فطامه :

قليل الأكل لامن سقم . جهم النشاط لامن خفة .
كثير الحركة لافى مكدر . نحيل الجسم لامن اعياء
ويظهر لمن يعتبر في سير عطاء الرجال قديماً وحديثاً
أن هذه الصفات الاربع تكاد تكون في الطفولة ووفقاً على
قلائل من الناس يدهش نبوغهم العالم بعد تجاوز هذه السن
وذلك لأن الاقلال من الطعام يلزم عنه صفاء جوهر
النفس ونقاؤه . وجهم النشاط في الوليد مظهر من مظاهر
القوة التي تنبعث من روحه ومظاهر الشيء في العادة تكون
بحسبه . وكثرة الحركة من الوليد دليل على رسوخ عرق

الحياة فيه وبرهان على استعداده الفطري للظهور. ونجد هذا الوصف في مئين من الاطفال ولكن يظهر من تتبع سيرتهم فيما بعد الطفولة أن الاوساط التي يقيمون فيها لا تجيد انماض هذه الملكة ان لم يكن لها يد في قتلها. وبقينا أنه لو عني أبواكل طفل كثير الحركة في الطفولة بتهديبه وتثقيفه لكان لنا في كل عام من خفاف الحركة في طفولتهم أبناء متهيئون للنبوغ متى توفرت لديهم الاسباب. وفي نحول الجسم مع ما تقدم من الاوصاف شيء من الانذار كان والده يتقي جانبه بما كان له رحمه الله من سداد النظر وصدق الفراسة. وذلك أن نحول الجسم على شرط تلازم الصفات آتفة الذكر ينذر بوشك حلول اليوم الذي تثقل فيه آمال النفس على بناء الجسم لفقدان التكافؤ بين قوته وقوة النفس المنبعثة منها تلك الآمال. ومتى بدأت الآماني تنمو ومادة الهمم تكون أخذت قوي الجسم تنقص شيئا فشيئا تبعاً لتلك الزيادة التي تجيء قليلاً قليلاً والله در المتنبى اذ يقول :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

واذ ذاك يقعد الجسم عن مشايعة آمال النفس ويجد
ذاك في التخلف وتجد تلك في التقدم فاذا انفرجت مسافة
الخلف واشتد التباين بين القوى العقلية والقوى البدنية من
حيث كبر تلك وصغر هذه خيف على الانسان أن يسقط في
الميدان بعد أن ينتصر أو يتوقع النصر على الاقران
وقد ظهرت عليه مخائل الذكاء الفطري وبدأت على
جبينه أمارات الاستعداد الطبيعي الذي يخلق مع النفوس
المرموقة بعنايته تعالى. وهنا لا يسعني الا أن أترحم على المرحوم
الوالد العزيز الذي عرف كيف ينزل صاحب الترجمة حيث
أنزلته الفطرة ويعينه على ما وجد عليه من نفسه القدرة
كان « مصطفى كامل » وهو قريب العهد بأيام الرضاعة
أى بعد أن فطم بقليل في الوقت الذي تكون فيه كلمة الوليد
إشارة أو مقاطع ثنائية وعبارته تؤدى بمزيج من حركة اليد
وحركة اللسان معاً يحمل جهداً عظيماً في أداء ما يتوارز على
ذهنه من المعاني بكلمات تدل بوضعها على ما يمكن أن ينتهي
إليه اقتدار الطفل على الافصاح بغير اعتماد على الجلبة والصياح

ونحن لا نذكر هذا لان في المترجم امتيازاً وخصوصية من هذه الوجهة على غيره ممن كانوا في سنه ولكن نريد أن نقول ان اعتماد الطفل في أداء أغراضه بصورة تشعر بما نفسه تمام الاشعار باحدى طريقتي الدلالة التي يعرفها الطفل معرفة ما وهما طريقة الاشارة مهما ضعفت والكلام مهما تقطع ونحف : على الجهد دون أن يكون كغيره دليل جديد على أنه سيكون داعم الركون الى بذل الجهد في كل شأن يعرض له بلا تراخ ولا توان . وقد تقدم أن مظاهر الشيء تكون في العادة بحسبه وأول مظهر من مظاهر قوة العزيمة يمكن أن يجتليه في الطفل الباحث الاخلاقي اجتهاده في افهام ما يريد بشيء أوضح مما يفعل غيره على قدر الامكان وكان المترجم بعد أن قضى سنتين وشهوراً من عمره كثير السؤال في كل ما يمكن أن يخطر على بال الطفل السؤال عنه فيما يحيط به من الاشياء أو يمكن أن يعرض له من الشؤون . فاذا رأيت طفلاً يسأل أباه بعد الفراغ من الصلاة مثلاً بما يفيد رغبته في الوقوف على سبب القيام والعودة

على شكل مخصوص وبطريقة منظمة في وقت معين وتولية
الوجه شطر جهة لا يحد عنها أو رأيت طفلا يسأل أباه وهو
خارج من بيته في الصباح بما يفيد رغبته في الوقوف على
سبب الخروج في ميعاد محدود يعرفه الطفل بالتكرار أمامه
مثلا : فأيقن أنك لست أمام طفل فقط بل أمام بحثة
في المستقبل

كثيرون من الأطفال يبصرون كل شيء ولكن قلالات
منهم من يسأل للوقوف على سبب الشيء وهذا مظهر من
مظاهر الفطنة : أنك تجد بين رجال النيابة موظفًا تقع في
دائرة عمله الرسمي جنایات كثيرة فلا يعرف من أسبابها
الموجبة لوجود الجنين أو الجنين الموجدین لأسبابها الا
قليلا وتجد من هذا الطراز موظفًا لا ينتهي معه دور التحقيق
حتى يقع على الجناني بعينه . ومرجع هذا التباين بالطبع الى
الفطنة فالأول يرى ولا يبحث والثاني يشاهد ويستنتج .
وقس على ذلك

وقد كانت كثرة أسئلة « مصطفى كامل » شاغلا لذهن

المرحوم الوالد فبما عسى أن يكون الباعث عليها وأخيراً التي
في روعه ما تحقق بعد تليل أنه الصحيح . اعتقد أن السؤال
صادر عن رغبة حقيقية في فهم الكليات عن حقائق الموجودات
في الوسط الذي يشغله

ويؤثر عنه أنه قال بعد أن سمع من كثرة الأسئلة ما سمع
وتوارد عليه منها ما توارد

« ان ابني هذا سيكون له شأن كبير لان عقله اكبر
من جسمه » قال هذه الجملة التي حفظها عنه من سمعها منه
ثم ترك للمستقبل تحقيق تلك الاماني التي تندرج تحت هذا
التنبؤ وكان الله بتحقيقهن كفيلاً

في تلك السن التي تكون عادةً مجال السهو واللهو
للأطفال كان « مصطفى كامل » مشغولاً بغير ذلك . في تلك
السن التي اعتاد فيها الابناء في عامة أقطار المشرق أن تنصرف
أذهانهم الى الالاعيب ويتعلقوا بالاضاحيك تعلقاً جماً
ولا ينقطعوا عن البكاء اذا حرموا من شيء رغبوا فيه كان
المرحوم قد خالف تلك السنة وجري وهو لا يعلم على غير

تلك الخطاة

لأنه لم يكن في طبعه الميل الي اللعب كثيراً وربما كان
مرجع ذلك الانصراف عن اللهو واللعب الي ضعف بنيته وعدم
قوته . فالأولاد يميلون الي اللعب عادة متى كانت أجسامهم
أكبر من رؤوسهم ولكن المرحوم خلق ورأسه أكبر من
جسمه فكان لا يخرج من البيت الا ليستنشق الهواء مع خادم
أو يقضى وقته بين أهله ولذلك لم يسمع له صوت بين
أصوات أبناء أهل الجوار مما يجري عادة للصغار في كل بلد
من البلدان

.....
وكان الوقت فيما بين الثانية والخامسة من عمره مجالا
لاضيقا ولا فسيحا لظهور مبادئ النبوغ . تلك المبادئ التي
كانت في أول أمرها شيئاً معنوياً ثم عادت قوى محسوسة
بتوالي الزمن . فكان مهيباً بين أبناء الاقرباء والاصدقاء
الذين كانوا يزوروننا وكان زورهم محبوباً منهم مخصوصاً بمشايعتهم له
حدثني محدث كان من أصدقاء والدي قال: شهدته (يعني

المترجم) مرة واقفا أمام سبعة من أولئك الابناء فكانوا
ككواكب الجوزاء وكان أمامهم الهلال المنير . شهدته
وقد وقفهم صنفا منظما يأتمر بأمره وينتهي بنبيه ظاهرة عليه
سيما الجد . فتوقعت أنه اذا انتظم في سلك العسكرية يكون
ضابطا ماهرا مهيبا ولم اكن أعلم ماذا خبأ له الغيب من تلك
المنزلة التي تفضل منزلة الضابط ألف مرة :

ولما أو شك أن يجاوز الخامسة من سني حياته الطيبة
المباركة كان يدرك كل شيء يقع تحت حواسه الإدراك الذي
يقدر أن يتحمله من جاوز ضعف سنه من الأذكاء . وله في
تلك الاثنا عشر حكايات أحقها بالذكر وأجدرها بالحكاية تلك
التي رواها لي أحد أصدقاء سيدي الوالد

وكان يميل الي استماع أحاديث الوالد في كل غرض من
الاغراض . وأذكر أنا كنا جميعا بعد غروب الشمس كل
يوم نجتمع في قاعة كان يطلق عليها فيما بيننا اسم « القصر »
وهي قاعة في الدور العلوي من منزلنا يشرف الناظر من
منافذها على مأذنة مسجد السلطان حسن . وكان المرحوم

الوالد يجلس في مكان أعلى قليلا من أما كنا ليشرّف علينا
جميعا بنظرة ونحن ملتفون حوله ويترنم بتوقيع بعض أناشيد
حماسية تلقاها عن بعض فضلاء معاصريه ويشتمعها بتلاوة كثير
من سير الأبطال الفاتحين في الشرق والغرب قديما وحديثا
مستخلصا لنا من كل قصة عبرا وعظات وراسما على قلوبنا
من كل توقيع نبرات الشجاعة والاقدام وتلك السير اللطيف
مرور على أسماعنا

ولا أستطيع أن أصور ما كان للمترجم من الشغف بنهم
تلك السير فقد كان يقبل عليها بحواسه كلها وكانت العبارات
سريعة الارتسام في مخيلته . وأذكر من الدلائل على ذلك أن
الوالد كان يتلو علينا مرة سيرة أحد أبطال الوطنية وقدسها
أثناء الحكاية عن ذكر نقطة مهمة في القصة ثم ذكرها بعد
أن تمت وفات موضعها ولم يرد أن يشير إليه وأراد أن
يستعيدنا ماسمعناه فما هو إلا كليم البصر حتى بدأ المترجم
يعيد ماسمع حرفا بحرف . وقد ذكر تلك النقطة في موضعها
الخليقة به من سيرة ذلك البطل . وهنا أبرقت أسرته واهتز

عطفاه شأن الفائز . ولما فرغ من اعادة ما كان قد سمعه
التفت أنظارنا حوله ثم صمتنا هنيهة معجبين بذكائه الفائق
فראينا الوالد قد رفع رأسه الى السماء وبسط يديه وقال
كلاماً لم نسمع منه الا قوله : انك سميع الدعاء :

وكانت رغبة المترجم في استماع هذه السير تزداد يوماً
فيوماً . والظاهر انها كانت تحدث في نفسه تأثيراً مخصوصاً .
ولم نكن ندري لماذا يلح علي الوالد اذا جاء موعد الاجتماع
في « القصر » في الحديث اذا لم يكن قد بدأ به أو كان قد
فرغ منه . كأنما هو كان يجده حلو المذاق بديع الطرب عنده
موقظاً فيه همامة نفس ومذكياً نار عزيمة

جاء الوالد المرحوم الي المنزل يوماً وقد أخذه الاعياء
ونال منه التعب . وما كدنا تتناول العشاء بعد أن استراح
قليلاً حتى جمعنا المترجم وكنا أحياناً أن يريح الوالد نفسه من
الحديث لأنه تعب في نهاره كثيراً علي ما ظهر لنا وكان القاء
هذه القصص يحشمه شيئاً من النصب لصوغها في قالب مؤنق
تقبله الاسماع وتقبل عليه النفوس

ثم جاس (الوالد) جلسنا حوله علي عادتنا وبدأ المترجم يستعطف أباه أن لا يحول تبعه دون أطرافنا بما نحب من حديثه العذب ومعانيه الجميلة . فاعتذر بما كان يحس به من التعب والرغبة في الاستراحة تلك الليلة . فلم يمتنع هذا الاعتذار تلك النفس الطمحة القوية الأرادة ولذلك أخذ يستلين فؤاد الوالد تارة بابتسامه الجميل وتارة بدالة البنوة علي الأبوة وحيننا برجاء الآمل وحيننا بصلافة المحق . فأعاد الوالد الاعتذار ولم يكن نصيبه من القبول أكثر من نصيب الاعتذار الأول . ولكنه استحيا أن يعيد علي الوالد القول فأراد أن يحدث عنده تأثيراً من ناحية أخرى . وكنا قد رأينا من اللائق أن نعفي أبانا من عناء هذا الدرس في تلك الليلة ليأخذ حظه من الراحة ورأى منا المترجم ذلك فاقرب من أبيه يقول ما معناه اذا لم ترد أن تسمعنا شيئاً جديداً ففضل بأن تسمع مني شيئاً قديماً . وأعاد علي أسماعنا تاريخ بطل كان كثير الشغف به والاجلال له . وما زال ينتهي من قصة ويتدى في قصة حتى انبسطت نفس الوالد وزايلها ما كان قد لحق بها من الكمال والجهد . فحنا عليه

وضمه اليه وألقى علينا قصة جديدة بلذة وشغف. وانقضت الليلة
وقسطنا من الاستفادة فيها أوفر منه فيما سلف ونحن نعجب
بذكاء المترجم وحسن احتياله علي نيل ما يريد من اليمين اذا
اعياه من الشمال. ولو كان ذلك الطلب قد قام بنفس غير تلك
النفس لأحجمت عن الاحاح وقنعت بما بلغت من قبل ولكن
الثبات وقوة الارادة يذلان كل شيء مهما كان صعبا وفي مثل
هاتين الصفتين الجلياتين النافعتين يتنافس المتنافسون

وكان المرحوم الوالد يجمعنا أثناء تناول الطعام حول
مائدة واحدة كما كان يجمعنا للصلاة على بساط واحد ليعلمنا
الاتحاد والاتفاق بصفة عملية لانظرية. وكثير من الآباء
ينصحون لأبنائهم بأن يحبوا بعضهم بعضا ويكونوا روحا
واحدة متوزعة على عدة أشخاص ولكن الفعل الواحد
يفيد ما لا يفيد ألف قول. وخير للوالد الذي رزق نعمة الابناء
أن يدر بهم بنفسه على الائتلاف والحب بايجاد أسباب له
دون الاكتفاء بحب الاخوة الطبيعي فانه يعتز ويكون متمكنا
امكن اذا أضيفت اليه مثل هذه التجارب الكيمية ليكون

ممرعا مخلصا اكثر من الامراع والخصب العاديين
واذكر ان المائدة التي كسنا نأكل عليها جميعا كانت من
النحاس وقد نقشت على احدى نواحيها هذه الجملة : ملك
عبدالرحمن الشنواني سنة ١١٤ : وهي لاتزال عندنا الى الآن .
فكان كل منا يجتهد اذا جلسنا تتناول الطعام في جعل الناحية
المنقوشة عليها تلك الجملة أمامه . وتكرر مناذلك فلحظ المرحوم
الوالد الامر . فحكم بأن يكون مجلس المترجم ساعة الأكل
بمحيث تكون أمامه تلك الجملة التي كانت أشبه شيء بالزينة
لحسن نقشها . فسررنا لهذا الحكم ولم يجد منا الا الاحترام
والاذعان . لان الحب المتبادل بيننا على ما تقدم كان عظيما الي
درجة الايثار وما كان ذلك التنازع الا ضربا من المزح
لا أكثر . وربما لو وقع مثل هذا الحكم في هيئة شبيهة بهيئتنا
من حيث التكوين كان يجر وراءه ضغينة على المحكوم له
وشيئا من الاشتمزاز من مصدر الحكم
وقد أخذت أمارات النجابة وعلام الذكاء تزداد ظهوراً
في المترجم ولاحظنا ذلك منه يوماً يوماً فعين له والده فقيها

صاحباً هو المرحوم الشيخ أحمد السيد ليعلمه مبادئ القراءة
والكتابة ويحفظه القرآن الكريم

وذلك لأن نية المرحوم الوالد كانت متجهة الى حمل
المترجم متى ترعرع وكبر على طلب العلم والدين في الأزهر
الشريف والتوسع فيهما حتى يكون منقطعا لهما. ولكن كان
لله فينا ارادة غير ارادة أينا . وقد أخذ الميثاق على معلمه أن
يجتهد معه في تجويد القرآن الشريف واتقان قراءته وحفظه
حفظاً يدور به على لسانه . وكان الفقيه يلحظ من المترجم
ميلا الى التوسع في العلم كبيراً و ارادة قوية وذكاء نادرا
ورغبة شديدة في الاستزادة من العلم حتى قال للمرحوم الوالد
على مسمع مني ذات يوم ان ولدك هذا سيكون عالماً كبيراً
لأنه يحفظ في يوم ما يقل أن يحفظ غيره نصنمه في يومين
فضلا عن طلاقة لسانه وقوة ذاكرته واني الى الآن لا أعلم
أن في المتعلمين من هو أذكى منه قلباً وأقوى ذاكرة الا أن
يكون في الناس من لا أعرفه

وكان أخواه الكبيران سليمان وحسين اذا عادا من

المدرسة أحضراه بينهما وأخذنا يلتقيان عليه ويلقي عليهما من
الأئلة الكثيرة ما يدور حول محور ما يحيط بهم من الأشياء
ويقع تحت الحواس من الموجودات والأعراض . وكان
ينهض في الفجر ليقرأ ما يتيسر من القرآن الشريف بصوت
جهورى بعد أن يصلى خلف الوالد المرحوم

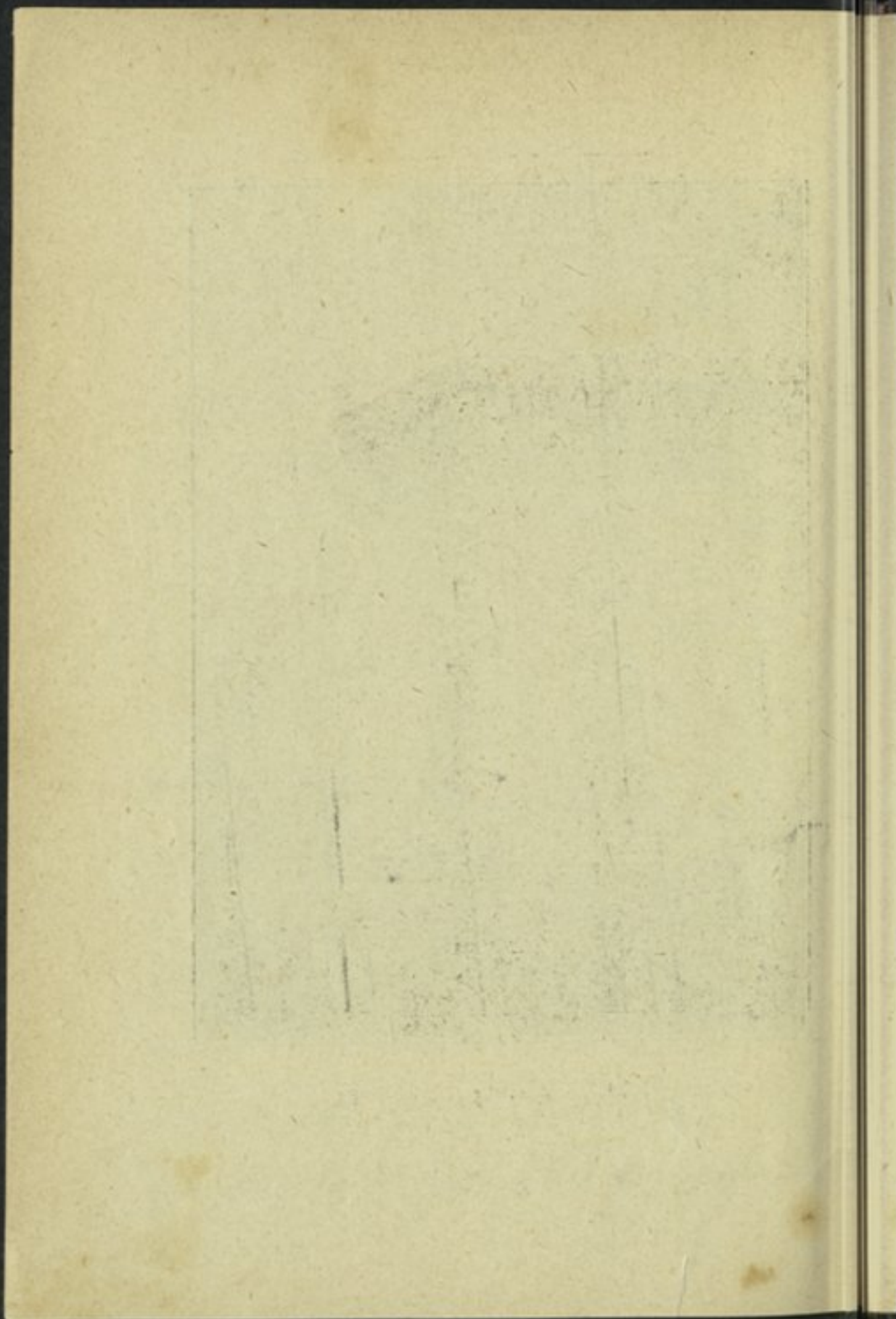
ومن هذه النقطة يتبين لمن لم يعرف معنى القدوة. فإنها
كل شىء فى التربية ان حسنة وان سيئة بل ان لها تأثيراً
فى نفس الطفل دونه كل تأثير . وتجد كثيراً من الشبان
الصالحين المهذبين قد تلقوا تلك التربية بالأسوة الحسنة فبهى
الى أن تكون طبيعية أقرب من أن تكون صناعية على حد
قول أبي العلاء :

حسن ^{المرضاة} المبلوثة محبوب بتطرية وفي البداوة حسن غير محبوب
وعبثا يتعب الأستاذ فى المدرسة اذا لم يكن له على تربية
الطفل عون من القدوة بمن هم فى بيته . فعلى الذين يشكون
اعوجاج سير الابناء أن يعرفوا جنايتهم عليهم . فلو ترعرع
الصبي وكبر وهو يرى أباه مقيما الصلاة فى أوقاتها مؤديا

الزكاة في حينها قائماً بسائر الفرائض الدينية المطلوبة منه
شرعاً لكان منه في كبره رجل ورع عن الشبهات محافظ
على أداء ما عليه من الواجبات كل واجب في حينه . فاذا
شئت أن تطبع عقل ابنك على غرار مخصوص وتفرغه في قالب
معين فكن أمامه الشخص الذي تريده منه يكن ما تحب .
وأما الذين يتمنون ولا يفعلون في المقدمة فلا تقع جريمتهم
الا فوق رؤوسهم وهم وخدمهم المؤخذون

وقد حفظ رحمه الله بلا معلم وهو في السادسة من عمره
ورد السحر الذي يتلوه والده مع رفقاته في مسجد شيخون
وكان يتغنى به في ذهابه الي المسجد واياه منه . وله قبل أن
يقطع هذه الرحلة آيات في الذكاء بينات ومرام في الادب
صالحات . ونحشي اذا نحن ذكرنا طرفاً من بواهر الادلة على
توقد جنانه وصدق ايمانه وهو مشرف على العام السابع من
سنى حياته المباركة قبل أن يزداد جنانه توقدا وايمانه صدقاً أن
ينفسح أمامنا المجال

وقد انقضى بانقضاء عامه السادس دور التعليم في البيت





﴿ مدرسة والدة عباس الأول ﴾

وحل بحلول العام السابع دور التعليم في المدرسة

التعليم الابتدائي

فأدخله الوالد مدرسة والدة المرحوم عباس الأول
وهي المدرسة الكبيرة الطائفة الصيت الشهيرة بمن تخرج منها
من كبراء الوطنيين الذين يشغلون في البلاد أسمى المناصب
الادبية الجليلة ذات الاثر البين في الخدمة الوطنية. أسستها
المرحومة المبرورة والدة المرحوم المبرور عباس باشا الاول
(في سنة ١٢٨٤) فنالت شهرة ذائعة في الآفاق بتلقين
المبادئ العالية والعلم الصحيح ولذلك كان من حظها أن ينبغ
فيها كثيرون من أهل المعارف الواسعة وقد أتجت للوطن
فوائد جمة وأصبحت في طليعة المدارس المصرية كافة وكذلك
كل عمل يؤسس على الاخلاص ويقوم على الصدق يثبت
ويثمر الثمار المطلوبة ويبارك الله حوله والله ولي المخلصين

ومكث فيها سنتين كاملتين كان أثناءهما متعلقا بعلم

الحساب أكثر من كل علم آخر
ومن ذكر أن والدنا المرحوم كان من
المهندسين وقف على سر من أسرار الوراثة الثابت ناموسها
حيث تعلق صاحب الترجمة بهذا العلم تعلقا شديدا. وأكسبه
القوة والشدة فيه ما كان يتعمده به أبوه من المناقشة والمذاكرة
في آخر كل نهار وكان مما أعان على نبوغه في هذا العلم
ويقول الخيرون بالتعليم ان التعلق بهذا العلم وكثرة
الاشتغال به يكسبان العقل نقاء وسعة. وقد بلغ من تعلق
المترجم بهذا العلم أنه كان ينقش أبواب البيت أرقاما فلما منعه
الوالد عن الكتابة على الأبواب امتنع طائعا لأنه كان سهل
الانقياد الي واجب الأذعان في موطنه. ولو أنه كان صعب
المراس شديد البأس في بعض الأمور حتى أنه كان اذا راقه
لون ملبس مخصوص ولم يناله من أيه في الحال يقضى الساعات
الطوال غاضبا فلا يأكل ولا يشرب حتى يناله. وهذا مظهر
من مظاهر قوة الإرادة في أبسط أشكالها
ومن التوارد التي تدل بشكها وموضوعها على الشم

العالي الذي اتصف به المترجم هذه الحكاية التي نرويها
كما وقعت شأننا في كل ما سنورده في هذا الكتاب . لأننا
نرى في سردتها معنى آخر غير حكاية الواقع وهو توجيه عناية
الآباء الى ملاحظة ما يبدو على الأبناء من مظاهر الانفعالات
التي تدل على ما يقوم بنفوسهم من الصفات ومراقبة ما يصدر
عنهم في طفولتهم من الأقوال والأفعال مهما كانت قليلة
ضئيلة . فان الوالد ذا البصيرة الباصرة يستطيع أن يكتشف
معدن ابنه ويقف على ما توجه اليه نفسه أو يظهر عليها حب
السير فيه من الخطط والأخذ به من الأسباب طلباً للوصول
اليها . فان وجد ثمة من كل ما يمر به من أطوار وليده أية
أمارات من أمارات الاستعداد الفطري والذكاء الطبيعي والنبوغ
كيفما كانت درجته : كان من المتعين عليه أن ينظر فيما يعين
على اظهار هذه المواهب في صورها الطبيعية وتمهيد السبيل
لتجلى آثارها واذكاء نارها بروية وحكمة . فان كثيرين من
الأطفال تختق مع انقضاء طفولتهم مواهب لو عني بتقويتها
واظهارها لكان في كل جيل مئون من أولى النبوغ العجيب

والذكاء المدهش والشهرة الفائقة . وكثيرا ما جنى الآباء على
الأبناء بغض النظر عن ملاحظة مواهبهم والمكات الخيرة
فيهم . ولو فسحوا لها في السبيل بعد تمهيده وأجادوا القيام
على حراسة هذه الكنوز التي تفضل كنوز العالم بأسرها
لكان التاريخ غنيا بما يحفظ من سير النابغين والاذكياء
القديرين

والحكاية التي أشرنا إليها أن المترجم وهو في التاسعة
من عمره جاء الى أبيه يوماً بعد الانصراف من المدرسة في
صورة تشعر بأن نفسه تضطرب اضطراباً وجنانه يغلي غليانا .
ولما سلم سأله الوالد عما به وكان رحمه الله شفيقا في حزم لنا
في قوة يجيد وضع الندي في موضعه ووضع السيف في موضعه .
فقطب المترجم جبينه وجالت الحماسة في صدره فانطلق لسانه
يرسم على سمع أبيه هذه النبرات

« اننا سنذهب غدا الى سراي الخلمية لناخذ من الاميرة
نقودا احسانا وأنا لا أود أن آخذ شيئا من هذه النقود لانك
أمرتني أن لا آخذ قرشا من أحد »

ولما انتهى من القاء هذه الكلمات ظهرت عليه الحدة
والشدة لكن بأدب وكمال . وكان مع المرحوم الوالد جماعة
من الأصدقاء . فلما رأوا هذا الشمم العالي وتلك النزاهة
النادرة أكبروا هاتين السجيتين أيما كبار . وأراد الوالد
أن يعرف ما انتهى إليه نجابة الطفل النجيب وأحب أن يصل
إلى أعماق نفسه ليعرف درجة الثبات فيها فنظر إليه مظهرا
العناية والاهتمام الفائقين وقال له : وعلام أنت عازم وماذا
تصنع بأمر ناظر المدرسة : ؟ فأجابه من فوره بما معناه :
إذا أنا لم أذهب في مقدمة اخواني اعتبر تخلفي خطأ في
نظر قانون المدرسة . وإذا ذهبت ولم أقبل ما يعطى إلي
أسوة بمن هم معي كان ذلك بروزا عن ظل الذوق . وإذا قبلت
اعتبرت نفسي فيما بيني وبينها آتما لأنني أكون قد خالفت
أمرك الذي لا يمكنني مخالفته . وأراد أن يمضى في القول .
فأشفق أبوه أن يقيمه في موقف بين الحيرة والتعرض لأذى
العيون فقال له : اذهب معهم لترى ما سيكون ولا تأخذ
النقود الا اذا أكرهت على أخذها . وحينئذ تصدق بها

على عاجز مقعد أو عجوز ضير . فلما سمع ذلك من أبيه أبرقت
أسرته وانشرح صدره لهذا الحل المرضي وأحس كأنما ألقى
عن كاهله حمل ثقيل وفعل ما أمر به

وكان إذا عاد من المدرسة يخلع ملابسه ويرتبها ترتيباً
حسناً . فإذا فرغ من ذلك جلس بجوار والده ليقص عليه
ما شاهد في يومه ويشكو إليه ما كان يشاهد من عناد التلاميذ
الأشقياء لمشيئة أساتذتهم الصالحة أو مشاكستهم بعضهم
بعضاً مبدياً على أثر كل قصة ما يناسبها وما يعتقد أنه الأشبه
والأمثل من التصويب أو التخطئة

جاء إلى أبيه يوماً وهو عابس وطلب منه أن يخرجته
من المدرسة ويدخله مدرسة أخرى . ثم ألح وتشدّد ظاهرة
عليه سيما الجِدِّ والاصرار على تنفيذ ما يطلب . فراعت والده
هذه الجرأة وقال له وهو غاضب : إن الولد الذي يدخل
مدارس عديدة قبل أن يقوم عقله في إحداها لا ينجح أبداً :
وكانما كان المترجم معداً جواب هذا الكلام . ولهذا لم يكدم المرحوم
الوالد يفرغ من آخر لفظة منه حتى قال له « صدقت يا والدي -

وكذا الولد الذي يتحمل الذل لا يكون شجاعاً أبداً « فعلم أبوه أن وراء هذا القول سرّاً . ثم أراد أن يعرفه كما هو لينظر فيما يجب أن يتخذ . فسأله عن سبب رغبته في ترك تلك المدرسة فحكى له الحكاية التالية :

« ان تلميذا اسمه لم يسرع في الاجابة لما سأله الاستاذ فأجبت بدلا منه فسبني المعلم وحبسني ساعتين . وهذا ظلم لا أرضاه لنفسى ولا شك أنك لن ترضاه لى كذلك »

فقال له الوالد : ألم أقل لك : أن من دخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه : فأجابه « نعم . انى أعقل هذا النصيح . ولكنى خشيت أن يفوت الوقت بين اعتذار التلميذ الكسول وعقاب الأستاذ الصعب وفي هذا شبهة لحقوق التلاميذ جميعا . ثم ان هذا الاستاذ قد عاقبني عقابين على ما يعتقد أنه ذنب واحد . وهما عقاب السب وهو شنيع وعقاب الحبس وهو حق من حقوقه . ولذلك فاني لا أرى الا انه تعدى حده . ولا أستطيع أبدا أن أصبر على هذه الالهانة مهما كان الامر ولو قتلتنى . فاني لأحب

أن أكون تلميذا في مدرسة أحد أساتذتها على ما ترى من
الجور والاستبداد»

فلما سمع هذا الحديث قصد المدرسة في اليوم التالي
وحقق المسألة أمام الناظر فشهد من سئل من التلاميذ بصحة
ما قاله المرحوم فأخرجه من تلك المدرسة وأدخله مدرسة
السيدة زينب التي كانت أمام القسم وهي تابعة لديوان الاوقاف
وجاء يوما الي أبيه وقال له: متى يا والدي نتلقي في المدرسة
مثل هذه السير التي تقصها علينا؟ فقال له: ان هذه القصص
موضوعة لتشجيع الناس وبث روح الهمة والاقدام فيهم ومنها
ما هو صحيح لا ينكر وقوعه. على ان ذلك ليس علما فانظريات
تدرس في المدارس ولكنهم سيلقون عليك يا بني دروس التاريخ
التي هي حقائق ثابتة لا جدال فيها. ومنها تعرف عزة أقدار
أولى النفوس العالية الكبيرة وذل مقام الخائنين ذوى النفوس
الصغيرة الوضيعة وكيف كان الحكماء من الملوك والأمرء
يسوسون بلادهم وينتصر العدل على الظلم الي آخر ما لا يحصى
من الفوائد العائدة بالخير على دارس التاريخ:

وخشى المترجم أن لا يكون بين ماسيدروس من التاريخ
تاريخ مصر فسأل والده: «وهل سندرس تاريخ بلادنا وبلاد
آبائنا وأجددنا - مصر»؟ فقال له نعم فسكن واطمان خاطره
وفي اليوم التالي قصد المدرسة وكانت الحصة الأولى
حصة اللغة العربية وأستاذه فيها اذ ذاك الفاضل السيد أفندي
الحسنى (مدرس العربية الآن بالمدارس الأميرية) فابتداه
بقوله: لماذا لا ندرس التاريخ يا حضرة الاستاذ لنستفيد من
دراسته مالا يستفاد من غيره:؟ فأجابه: أنكم الآن مبتدئون
والكل سن تعليم. والتاريخ يحتاج الى ادراك كبير وعقل راجح
لانه مجموعة وقائم متشابهة الاسباب والنتائج وميدان فسيح
لصور عدة. وستلقونه بمشيئة الله في مدرسة التجهيزية: ولم
يرق المترجم هذا الجواب لانه شعر بأن فيه ما يدل على ضعف
ادراك التلاميذ ونزوله عن الحد المناسب لتلقي مبادئ هذا العلم
النفيس فقال له: يظهر يا حضرة الأستاذ أن هذه المدرسة
صغيرة أكثر مما كنا نتصور. لان عقولنا تفهم كل شئ فيها وقد
تعلمت قصصا كثيرة ألقاها علي والدي وكنت أفهم ما فيها من

المغازى النافعة : وقد احتد شأن من يثق من نفسه أنه محق فيما
يقول وما يفعل

فأمره الاستاذ بالصمت ثم أشار له بالخروج من
الفصل ثم أنهى المسألة الى الناظر. ولم يقو المترجم على احتمال
هذه الالهانة لانه كان أول فرقة نخرج من المدرسة في الحال
لم يردده عن ذلك أنه قريب العهد بمزايلة مدرسة أخرى. وقد
كان آنئذ في العاشرة من عمره ثم قصد المرحوم الوالد وكان جالسا
في أجزخانة فتحي أفندي أمام قره قول الصليبية ومعه المرحوم
خورشيد باشا طاهر. فلما رآه والده في غير موعد الخروج
من المدرسة دهش وتوقع شيئا جديدا فلقيه بالبشاشة والهشاشة.
ولما قبل يده وسلم على الباشا سأله أبوه : لم أتيت : فأسره
المسألة في أذنه. فأخذه من يده وسار به الى المدرسة ولما وصل
اليها قابل الناظر وسأله عن سبب خروجه من المدرسة فقص
عليه الأمر كما وقع. ثم انتظر الأستاذ ريثما فرغ من الحصة
وقابله طالبا منه الصفح عما جرى وأفهمه أن ابنه لا يقصد أن
يشوش عليه بحال من الاحوال. بل هو منغم يعلم التاريخ

ولبت المترجم صارفا كل مجهوده في الدرس مقبلا عليه
بكل حواسه ضنينا على نفسه بالراحة والتمهل مستعينا بالذكاء
والذاكرة على استيعاب كل ما يلقي عليه وفهمه بأكثر مما
يطلب ممن كان في ضعف سنه اذ ذاك . وكان ذا شغف بالقياس
والاستنتاج في مسائل الدروس التي كان يطلب منه حلها غير
مستعين في ذلك أحدا خلا ما كان يرسم في ذهنه من تفاسير
المعلم التي تشمل القواعد والاصول في العلوم التي تدرس ولا
تتناول المسائل والتمارين عادة الا بمقدار ما يدرب الدارس
على الوصول الى الحلول من بيان حل واحد أو حلين ويترك
الباقى لذكائه وفهمه . ولو كان يبذل من الجهد في عمل ما يطلب
منه عمله القدر اللازم فقط لاستطاع أن يدفع عن جسمه النجيل
ثقل وطأة الامراض . ولكن النفس الكبيرة مهما كانت
الدائرة التي تحيط بها صغيرة دائمة الطموح الى ما وراء الحد
المرسوم غير مقيدة بقيد اللزوم

وقد خاف الاهل والاصدقاء اذا مضى المترجم في هذه
الخطوة خطوة تحميل الجسم ما فوق طاقته والزامه بمسيرة هوى

النفس في الاستزادة والطموح أن يضعف لما تقدم من
الاسباب

وكان ماخيف قريب الوقوع . فلم تمض شهر على هذا
الجد المتواصل والسير الخثيث حتى مرض شهرين متواليين
مرضا شديدا فكاد يجهله بعد أن أبل من كان يعرفه من
قبل . وكان أثناء هذين الشهرين ينتهز فرصة خروج الطبيب
وخلو المكان فيتناول كراساته وكتبه ويعيد فيها النظر غير
حاسب للانتكاس حسابا على ما كان من تشديد المرحوم
الوالد عليه في تلك الفترة ألا يتصفح كراسة ولا ينظر كتابا
شفقة على ذلك الجسم النحيل أن يجتمع عليه بلاء السقم وتعب
الدرس المتواصل

وقد اقتضت مشيئته تعالى أن يتعافى من ذلك السقم
بعد أن قاومه ستين يوما ومن عليه وله الحمد والفضل العظيم
بالصحة وكذلك تدخر عناية الله جلت حكمته من تختارهم أبان
الطفولة ليكونوا في الشيبه والكهولة رجالا نافعين
وكان من الواجب برا بجسمه « ان لبدنك عليك حقا »

ألا يهاجم الدرس بعد ابلاله مباشرة مهاجمة وإنما يتدرج في العود إلى أقل مما كان عليه من قبل تخفيفاً ورحمة بنفسه. ولكنه استأنف الدراسة بعزيمة أشد صلابة وإقبال أوفى وجهد أوفر وعوض عما فاتته تحصيله وهو في فراش السقم في أيام معدودات حتى كان بعض العارفين بشأنه من رفقائه في المدرسة ينصح له ألا يسرف في قوته وأن يقتصد في اتقاقها بما يناسب درجة المدرسة وهو لا يبالي بما يقال له من هذا القبيل

وفي هذه المدرسة ظهر ذكاؤه الفائق وتجلت مواهبه العالية وظهرت أمارات استعداده التام فأصبح أول أقرانه. والمقدم بحكم النجاح علي أخذانه. ولم يكن منهم أحد يجحد ميزة سبقه وفضل اجتهاده. وحبب فيه رفقاه الذين كانوا يخالطونه ما عرف به بينهم من حسن المعاشرة ولين الجانب وتوقد الجنان والصبر علي احتمال عناء المدارس ليل نهار غير خائف أعياء ولا شاك من الدأب بلاء

وأدركت المنية الرحوم الوالد وصاحب الترجمة بعد منتظم في تلك المدرسة. ولما انتهى إليه نبأ تلك الفجعة

لم يكن مصدقاً بوقوعها لهول الخطب وعظم المصاب . ثم
مالبت أن تحقق صدق الناعي حتى أقبل على والده يبكيه مر
البكاء ويكبر علي القضاء مصابه ويحتسب عند الله ما أصابه .
وقد أثر فيه الحزن تأثيراً سيئاً وبقي على ذلك أسابيع وشهوراً
لا يهدأ له جنب ولا ينعم له بال ثم وجد من التشجيع والترغيب
في الصبر ما ألهم قابه السكون والعزاء وصرفه بعض الشيء عن
النحيب والبكاء

وقد سأل أخانا (سعادة حسين بك واصف) أن يبعثه
الى مدرسة القرية الاميرية لأنها أقرب الى المنزل الذي كنا
نقيم فيه من تلك المدرسة فأجابه الى ما طلب وأرسله اليها
وهو في الحادية عشرة اذ ذلك

فراى منه الاساتذة والتلامذة ما بهر من الجد والذكاء
والحرص علي أداء كل عمل في وقته بطريقة كانت أكثر
مما يطلب من أمثاله كثيراً ولكن النفس الكبيرة كما قلنا
دائمة الطموح الي ما وراء الحد المرسوم

وكان في هذه المدرسة طائفة صالحة من خيار الاساتذة

لم يبق في الذاكرة من أسمائهم إلا المرحوم الأستاذ الشيخ
العسال معلم الخط وحضرة الوطني الغيور محمد بك حبيب
المهندس الشهير وقد اتصفوا جميعا بصدق الخدمة والاخلاص
في تربية التلاميذ ولهم فضل كبير على كثير من العاملين
وكان قد عرف في المدارس الأولى ميزة السبق على
الأقران وما يكون قسط السابق من الأجلال والأكرام
ووجد من نفسه العزيمة المطاوعة والمهمة الفائقة والتأهب
للوثوب إلى معالي الدرجات في تلك المدرسة. وما هي إلا
أسابيع قلائل حتى طفر إلى الكرسي الأول وأصبح في مدرسة
القريبة كما كان في كل مدرسة انتظم في سلكها من قبل أول
التلاميذ وأوفرهم نصيباً من احترام ذلك الوسط الصغير
وحدثت في تلك الاثناء مسألة للقارىء بعد الوقوف على
يأنها أن يستنتج منها ما تعطيه هي بالبداهة ليعرف أن الصفات
التي يعرف بها كبار الرجال وهم في أدوار أعمالهم هي عين
الصفات التي يعرفون بسميها قبل أن يشبوا عن الطوق.
وانما الفرق بين الحالين أن التدرج في الظهور والكبر كلما

قطع الانسان مرحلة من العمر سنة من سنن الطبيعة لا تتغير
ولا تتبدل

وذلك أن نظارة المعارف أقامت في تلك السنة احتفالا
مهيباً لتوزيع المكافآت علي السابقين النابغين (ذلك أيام كانت
النظارة نظارة والمعارف معارف) في العلوم التي يتلقونها .
وكان مركز هذا الاحتفال في « أنفتياترو » النظارة فكان
المرجم التلميذ الذي كوفيء من مدرسة القرية

ولا تسل أيها القاريء عن مقدار ما استشعر الأهل
والأصدقاء من الجذل والهناء بتلك البشرى التي وقعت أجمل
وقع لاسيما من نفس سعادة ولي أمرنا شقيقنا الاكبر . فقد
طرب لهذا النجاح الذي كان يتوقعه للمترجم ويتوقعه معه كل
عارف بمواهبه الكريمة وذكائه الباهر واستعداده الظاهر .
بل أن هذه المكافأة التي تنطق بامتياز من نالها على غيره من
التلاميذ وتشرفه وترفع قدره لم تكن بالشئ الغريب قياسا
على المعروف من كفاءة الفقيده الشخصية وأهليته للحصول
على ما هو أكبر منها وأسمى . ولكن الذي أكسبها ذلك الوقع

الحسن أنها جاءت مفاجأة وخير البشائر ما كان كذلك فضلا
عن اعلانها في محفل حافل بين الجماهير من الأشباه والنظراء
وهو بينهم في حداثة سنه وتبجلي مخائل النجابة والفلاح عليه
ملتقى أشعة الابصار والمخصوص بين تلاميذ مدرسته بالاعجاب
والاكبار

وقد أراد سعادة الشقيق البار المهام أن يدل المترجم
على ما قام بنفسه من الفرح والسرور فأطرفه بالكثير من
الهدايا الغالية حتى اذا أصبح الصباح وتصد « الاتقيتارو »
مع الطلاب كافة كان بحسن هندامه وما وقر في نفوس اخوانه
من احترامه ملتفة حوله الأحداق تنظر منه في الجد الى
مثال هو خير مثال وتتمنى القلوب له على الزمان الأمانى
والآمال

ولم يمض الا القليل حتى وافى مكان الاحتفال سمو
الخدو توفيق باشا في موكب حافل وفي معيته نظار حكومته
وأقبل صاحب الدولة الغازى مختار باشا وأخذوا في امتحان
التلاميذ واحداً واحداً . وكان المرحوم الخديو السابق هو

الذي يتفضل باعطاء الناجحين المكافئات بيده الكريمة
فلما أن جاء دوره وأقيت عليه الأسئلة رفع صوته
الجهوري أمام نخبة الطباشير وحياء الخديو والحاضرين وارتجل
من حاضر ما تملى البديهة المسعفة والذاكرة المطاوعة خطاباً
أنيقاً يناسب المقام. وألقاه بما شاء الثبات من الشجاعة والاقدام.
فصفتى له الحاضرون استحساناً وتفضل سمو الخديو فعطف
عليه ودعاه اليه باسم الثغر وسلمه المكافأة. ثم قال له: اني
سررت منك كثيراً

فأجابه: عفوا فالفضل لتشجيع سمو المليك المعظم

فسأله — ما اسمك يا بني؟

قال: اسمي « مصطفى كامل ». واذ ذاك همس في أذنه

الضابط أن قل: عبد سموكم « مصطفى كامل »: فأعرض عنه

ثم قال له — كم سنك؟

قال: اثنتا عشرة سنة. فأبرقت أسرة الجناب العالي ثم

عاود السؤال

فقال له — ما اسم والدك؟

قال : المرحوم علي أفندي محمد المهندس . ولما نطق

بهذا الجواب لمح ذلك الضابط بعينه ينهه بإشارة خفيفة أن

قل : « عبدكم » فلم يعأ به

ثم قال له — فتح الله لك

قال : شكراً للامير المعظم

ثم حيا وانصرف من حضرته . وقصد الضابط بعد

انتهاء الحفلة وقال له : « ما كان أبي عبداً وما كنت كذلك .

وإذا أجبت بغير الواقع كما كنت تريد أن أجيب كنت

كاذباً » فدهش لهذه الجرأة التي تدل على عظمة النفس وتحول

ما كان في نفسه من الخلق اعجاباً ودعاء

من هذه المحادثة البسيطة يعرف القراء من هو صاحب

الترجمة ويستدلون على عظمة تلك النفس التي كانت بين جنبيه

وهو اذ ذاك صبي لم يتعرع . بل من هذه المحادثة التي جرت

بين الامير المعظم وذلك الصبي المتوقد الجنان المملوء صدره

بالشجاعة والحمية والاقدام يدرك كل مطلع على هذا الكتاب

ما انطوت عليه تلك النفس العظيمة من الصفات الفاضلة

والسجاييا الكاملة

ولم يكن مثل ذلك الموقف بين يدي الجناب العالي
المعظم بالأمر الهين المقدور عليه . وان مجرد المثول في حضرة
ملك البلاد ولا سيما اذا كان المائل صبيا لم يسبق له عهد
برؤية مجالس الأمراء والملوك كاف في اعتقال اللسان ووقوع
الهيبة والرعب في القلب بحيث لا يحير المسئول جواباً ولا يهدأ
بأله خوفاً واضطراباً . ولكن « مصطفى كامل » لم يكن من
هذا الطراز . بل لم يكن ذلك الذي يتلعم لسانه أو يضطرب
جناحه أو يخونه بيانه فقد كان يعطى الجواب على قدر السؤال
لا يحيد يمينه ولا يسره ولا تشوبه زيادة ولا نقص . وبديهي
أنه لو كان الواقف أمام ملك البلاد صبي آخر أتيج له أن يتكلم
بمثل هذا الثبات النادر وهذه الجرأة العظيمة ثم لمح ضابطاً
في معية الجناب العالي يهمس في أذنه أن : قل عبدكم : وهو
يسأل عن اسمه واسم أبيه لتأثر من هيبة المقام وامثل لمشية
الهامس وتلقى اشارته كما هي وأجراها علي لسانه اذعاناً واثماراً
ولكن « مصطفى كامل » لم يكن كذلك

ولا عجب بعد ذلك اذا اضطررنا في هذا المقام الي
التصريح بما كنا نحاشينا التلميح اليه عند الكلام على ترجمة
المرحوم الوالد . وهو أنه تولاه الله بالفقران قد ورت بنيه
ما كان متصفا به من السجايا والصفات . ولزيادة البيان نقول
هذه الكلمة ونحن نستطيع القراء المعذرة فيما نقول

لما ذاع في طول البلاد وعرضها أننا ننوي وضع تاريخ
منفصل لصاحب الترجمة ونشرنا ذلك في اللواء أكثر من
مرة زارنا بعض عارفي المرحوم الوالد وطلبوا الينا أن ننزل
لهم عن وضع تاريخه ليتولوا ذلك هم بأنفسهم مراعين في هذا
الطلب أنه لا يجمل بالابن أن يتكلم بأسباب وتفصيل عن
أبيه لان عادة البنوة متهمة باطراء الأبوّة مهما كانت غنية عن
الاطراء بذاتها وصفاتها . وقد تفضل علينا من أولئك الذين
عرفوا الوالد حتى المعرفة من كتب بقلمه تاريخه المنفصل
وأرادنا على أن نشر ذلك التاريخ كما كتبه لينحينا عن موقف
التزكية فيما لو كتبناه نحن بقلمنا ولم نغفل شيئاً مما يتعلق به
ويجب أن يكون في ذمة التاريخ ورعاية الماضي . ثم أطلع علينا

الكاتب في الطلب ونحن نتردد بين الاكتفاء بالقدر القليل
الذي اطلعوا عليه هم واغفال كثير من مميزات الوالد المرحوم
لثلا يقول الناس متى رأوا ما كتباه عنهم : ابن بار يطريء
والدأ باراً : وبين اعفاء النفس من هذا البحث وترك الأمر
الى غيرنا ننشر له باسمه ما كتبه ولا نخلو مع ذلك من ضلة
الأحاديث ومذاهب الظن

ترددنا في هذه المسألة طويلاً وبقينا وقتاً بين أخذ ورد
ونحن نعتذر تارة الى المتفضل بكتابة ما يعرف عن المرحوم
الوالد من اغفال ما كتب ونقبل على النفس باللائمة تارة
أخرى لأنها لم تقم في البر بما كان متعينا عليها القيام به حق
القيام بكتمان شيء أو أشياء من صفات الوالد المرحوم خشية
أن نكون في نظر القراء متزيدين أو مغالين

وأخيراً خطر لنا أن نقتطف عبارة واحدة مما كتبه
غيرنا في هذا المعنى وندمجها فيما كتبناه لنكون أبعد عن
الظن وأقرب الى البر بالوالد المرحوم وهذه العبارة : أنه
كان من رفعة المنزلة بين عارفيه جميعاً وهم اذ ذاك أكثر

خلاصة الطبقة المتتورة بحيث أنه اذا عقد المجلس للسمر أو لتبادل الآراء في شأن ما يتكلم وسائر الحضور يسمعون ويشير بالرأى وهم بصدق ما يذهب اليه موقنون . ذلك لأنه كان من سداد الرأى وحسن الروية وصدق الفراسة وطول الاختبار فى المكان الذى يتيح له التصدر والتكلم بصوت عال رنان فى المجالس والمحافل وما كان أحد يجسر على تخطئه أو العدول عما يذهب اليه : ثم قال الكاتب : (وهو حضرة الفاضل المهام محمد أفندي لمعى باشمهندس مديرية قنا سابقا) وكان من أخص الصفات التى عرف بها المرحوم الوالد نزاهة النفس والترفع بها عن كل ما يحط من قدر النفوس العالية ولم يؤثر عنه فى طول أيام حياته أنه تزلف الى أمير أو داهن ذا مقام خطير . فكبر النفس كان أمراً طبيعياً فيه الى صفات أخرى يعز اجتماع بعضها فى انسان الآن ويندر أن يتحلى بها من كان من أنداده فى ذلك الزمان واذا جاز لنا أن نعقب على هذا القول فانا بما لنا من الثقة بالكاتب الذى كان بينه وبين المرحوم الوالد صلة متينة

وعلاقة مكينة نستطيع أن نعتبره صادقا فيما غير محمول بدافع
الصداقة الى الغلو فيما يكتب روى . ومصدق ذلك ما سمعته
بأذني من المبرور على مبارك باشالما سألته عن سبب تأخير الوالد
عن الترقى وهو أنه كان شديد المراس أبي النفس على ما تقدم اجماله .
ومعنى شدة المراس وابعاء النفس البعد بها عن كل ما يشين وفي جملة
ذلك التزلف الى ذوى المناصب العالية للحصول على ما هو
أهل له من المراكز التي كان يستطيع أن يشغلها بجدارة واستحقاق
والذى حدا بنا الى هذا الاستطراد في شأن جاوزنا محله
هذه المناسبة التي عرضت لنا أثناء الكلام على تفسير تلك الجراءة
العظيمة التي ظهر بها المغفور له « مصطفى كامل » في حضرة
الجناب الخديوى المعظم ✓

فقد أردنا أن نقول ان بين صفات صاحب الترجمة
العالية ما انطبع في نفسه بطريق الوراثة وتمكن على مر الزمان
وقد قام في فلاسفة الغربيين في هذا الزمان من يقول
ان الانسان يرث نصف شكله وصفاته عن أبويه ونصف النصف
عن جديه وربيع الربع عن أبوى جديه وثمان الثمن عن جدى

جديه الخ الخ فكان الانسان صورة من أسلافه تماماً
وعلى ذلك يمكننا أن نقول ان الصفات الممتازة التي جملت
حسباً صاحب الترجمة قد اتصل به أكثرها من طريق الوراثة
عن أبيه . وليس معنى ذلك أنه لم يقو تلك الصفات ولم يزد لها
رسوخاً وثباتاً على مرور الايام بل معناه أن المحتد الشريف
القائم على السجايا الجوهرية يلزم سلائله الى النهاية وله في
كل عقب من الاعقاب مظهر كريم في المظاهر
على ان هناك شيئاً اكتفينا بأن أشرنا اليه اشارة خفيفة
وهو مسألة التربية بالقدوة . ذلك المبحث الجوهرى الذى
يصح أن يوضع فيه كتاب برأسه كما يصح أن يفرد لكل مبحث
من المباحث التى نوجزها هنا الى حد الاجمال فى الاسطر
القلال مؤلف مستقل . ولكن القلم فى يدنا يمر على هذه
المباحث مرور النسيم على الزهر جهد ما يصنع أنه يحركها
تحريكاً لطيفاً . نعم انا كنا نحب حباً جماً أن تكون كل صفحة
من صفحات هذا الكتاب مشتملة على فائدة اجتماعية أو
سياسية أو فقرة أخلاقية أو نبذة تاريخية وما أشبه مما يمكن

القارىء استنتاجه ويسهل عليه استخراجه من تضاعيف
الكلام أو من بين السطور كما يقول بعضهم ولكننا في ذلك
نعتمد حيناً على ذكاء القارىء وحيناً على نطق الحادثة أو المسألة
من تلقاء نفسها بما أودعت من غوالي الأسرار المنطوية على
لطائف الآثار

وإذا أعدنا الكرة على مسألة التريية بالقدوة التي ساقنا
إلى هذا الإيجاز وهي عندنا من أمهات المسائل التي يجب أن
تشتغل بها أقلام الكتاب قلنا إن الإنسان يستطيع أن يكون
ابنه كما يشاء بل هو يستطيع أن يفرغ عقله في قالب الذي يحبه
يمكنك أيها الوالد الحكيم الصالح متى كان في طبيعة
ولذلك استعداد أن تجعله حكيماً صالحاً بما يتكرر على مشاعره
من أمارات الحكمة وينطبع على مداركه من أمارات الصلاح.
والفرق بين التعليم بالقدوة والتعليم بالكتاب كالفرق بين
الحسن المطبوع والحسن المصنوع. وذلك لأن الأول
ينفذ إلى أعماق النفس ويستقر في صميم القلب. وأما الثاني
فإنه فيما بين حين وحين تأخذ الحواس قسطها منه وقد تحرص

عليه وقد تفرط فيه لأنه غير مألوف عندها . والأمثلة على ذلك لا يكاد يأتي عليها احصاء

فليعمد كل أب منكم أيها المصريون الأعراء الى الجمع بين هاتين التريبتين علي قدر الامكان لتكمل احدهما مافي الاخرى من النقص ولتتضامن كلتاهما في سبيل جعل الولد مجموعة من الأخلاق الفاضلة ومزايا الانسانية القرية من الكمال قربا ما

واذا نحن رجعنا الى التاريخ نستخلص من سير أبطاله ومشهورى رجاله قديما وحديثا ما نستخلص - ولا نسمى واحدا معينا لكثرة الاسماء بين أيدينا - استطعنا أن نستخرج منه نتيجة محسوسة ونعتصر من هذه النتيجة ذاتها العبر والعظات الى القدر الذي يحتمله المقام ضنا بالقارىء أن يسأم من تسلسل الكلام وأخذ بعضه برقاب بعض . ولكن متى اتضح أن صنيعنا هنا أكثر من صنيع المؤلف فقط تمهد لنا سبيل العذر فانا نكتب ثم نستنتج . ونشاهد ثم نستخلص . لنقدم الى المطالع سيرة وحكما في آن علي قدر ما يعين عليه البيان .

اقرأ سيرة من شئت من عطاء الابطال وطالع تاريخ
من أحييت من نوابغ الرجال فانك تحصل في ذهنك قضية
تشمل كثيراً من الجزئيات . وهذه القضية هي أنه لم يتم
واحد من أولئك المعدودين ويتلألاً كوكب نبوغه ويندهش
الوسط الذي هو فيه والأمة التي نشأ فيها بما يصنعه من العجائب
والغرائب الا كان في نفسه استعداد طبيعي تمده الوراثة ويعينه
المجهود . ولا نقدر ان نقول أن أسلاف أي واحد من هؤلاء
الذين نغنيهم تجردوا كلهم من مزايا النبوغ المدهش
والاستعداد للاتيان بالعظام . بل لا بد أن يكون أحدهم مثلاً
لمن يأتي بعده وعلي هذا الخلف أن يرقى هذا المثال حتى يقرب
به علي قدر الأماكن من الكمال والعرق يسري الي السلائل
مسافة بعيدة . فاذا حدثت أن فلانا الفاتح العظيم أو فلانا
النابعة الذي أدهش العالم بنبوغه وذكائه لم يكن من أسلافه
رجل كبير النفس ولو الي درجة قريبة فلا تصدق ذلك .
فانهم يجحدون فضل أحد الآباء الأولين للمحدث عنه علي
الغالب

والذين نبغوا في الوجود وأتوا بالعظام قل أن لا يكون
في أسلافهم جميعاً رجل واحد نابغة جاء بالعظام التي يصح أن
تعتبر كذلك بالنظر إلى أحوال الزمان والمكان . نقول أحوال
الزمان والمكان ونحن نعني ما نقول . لأن لهما علاقة كبيرة
بالناس كما لا يخفى

وقد انتهى إلى صاحب الترجمة عن المرحوم الوالد كثير
من الصفات والأخلاق والمزايا . فقد كان على الصوت
إذا تكلم رفيع المنزلة بين الناس مشيراً بالرأى الصحيح
كريم الطبع واليد واللسان لا يفتر عن تمني الأمانى العظيمة
والجد في تحقيقها . وإن رجلاً يلقبه أهل الوسط الذي نشأ
فيه : « أبي اليتامي » لأنه كان وكيلاً عن اثنتين وثلاثين أسرة
يطالب بحقوقها وينهض بأعبائها خليق أن يكون في سلالة
من يلقب بمنشئ الجيل الجديد ومكون مصر الفتاة وأبي
المظلومين لأنه كان وكيلاً عن مئات الألوف من الأسر
يطالب بحقوقها التي سلبها الاحتلال وينهض بأعبائها كما تشاء
الآمال

ولما بلغ الثانية عشرة كان الرأي يلحظ من عينيه المشرق
فيهما نور الذكاء وابتسام الأمل . ويرى على جبينه الظاهرة
في أسرته مجالي العظمة والتوفيق . ويشهد في معارف محياه
الضاحكة للألاء بلمحات العناية والهداية : ما يبعث على توقع
كبار الآمال لذلك الذي أدهش العالم في شبابه وكان آية
الكون الناطقة في كتابه

بلغ هذه السن فكانت روحه دائماً الأشرار بنور من
المواهب السامية وقلبه متواصل الخفقان على نعم من الاماني
الكبر وصدوره حفيلاً بما شاء ربك من روائع الهمم
بلغ هذه السن وهو يكتم في نفسه أملاً كبيراً لضعف
كاهله عن حمله اذ ذلك ولأنه لم يكن قد حان الوقت الذي
يعمل فيه لتحقيق هذا الأمل بالسعي المتواصل في العمل
بلغ هذه السن والعيون ترمقه والقلوب داعية له وكان
أهله لا يرجون له الا التفوق على الأقران والرفقاء وبلوغ المرتبة
العلياء بين الأشباه والخطاء غير متوقعين أكثر من ذلك
أجل . وصل الى هذه السن متطلع النفس الى الاستزادة

من العلم . فدخل المدرسة التجهيزية (الخديوية الآن)
في سنة ١٨٨٧ ميلادية

التعليم الشابوي

وكان المنزل الذي نسينه منزل جدنا للوالدة .
المرحوم اليوزباشي محمد أفندي فهمي لأنه بعد أن توفي
المرحوم والدنا أغلقنا منزلنا وقصدنا أسرة الوالدة . ويمكننا
أن نقول أن حياة المترجم اذ ذاك بدأت في الظهور . وكان
ضعيفا في اللغة الفرنسية قويا في اللغة العربية ميالا الى العلوم
الرياضية والطبيعية وعلى الأخص التاريخ الطبيعي
وقد بلغ من قوة ميله أن أستاذ التاريخ الطبيعي وهو
المرحوم محمود بك فوزي الحكيم كان يملئ الدرس في كلمتين
ثم يشرحه في صفحتين وليس أسرع من يد المترجم في تدوين
تلك الشروح الا ذهنه في تصور ما يكتب . فاشتهر في هذا
العلم شهرة فائقة ونبغ في فروع علمه لاسيما النباتات نبوغا مدهشا .

حتى أن تلاميذ السنين الثلاث المتقدمة عليه كانوا يقصدونه
في أوقات الفراغ ليشرح لهم الدرس بطريقة أوضح وأوسع
فكانوا يجدون عنده من القدرة على الفهم والتبسط في مناحي
البيان ما يغريهم بالعود إليه كلما استعصى عليهم فهم مسألة أو
استبهم عليهم حل اشكال

وكان أستاذه كثير الإعجاب به كما كان أساتذته في العلوم
الرياضية وهم حضرات الأفاضل أحمد بك كمال وأحمد أفندي
حمدي وعثمان أفندي أنور ومحمد أفندي ادريس يعجبون به
الإعجاب كله وينظرون منه في النجاة إلى مثال ويقابلونه
بالتكريم والاحترام وخصوصاً أستاذه في علمي الكيمياء
والطبيعة حضرة العالم الفاضل الدكتور محمد بك كامل
الكفراوي فإنه كان يعجب به كثيراً

ولقد وصل به إعجاب الأساتذة إلى حد أن بعضهم إذا ألقى
امتحاناً لا يكلفه بالجواب أسوة بأقرانه لأن قوته لم تكن
عادية كقوة غيره من الطلاب والا لكان جوابه كلما ألقى
عليه سؤال يحتمل الخطأ والصواب والظهور والخفاء ولكنه

لم يكن باجماع أساتذته ورفقائه كذلك في الغالب
 ومن أوصافه التي لازمته في دورى التعليم الابتدائى
 والتجهيزى أنه ما كان يميل الى اللعب أو المزح الذى يجاوز التلطف
 والا بتسام حتى ظن فيه اخوانه الكبرياء خلافاً بين منهما وثقت
 بينه وبينهما عرى الصداقة وتوطدت دعائم الوداد لآن ذكاءهما
 كان حاداً وطبعهما شريفاً وقد ذهب عن ذا كرتي اسم أحدهما
 أما الآخر فهو حضرة الفاضل محمد أفندى خالد ويعقب على
 ظنى أنه موظف الآن بالمدارس الأميرية

ومما هو جدير بالذكر أن التلاميذ في أوقات الفراغ
 التى تجيء عادة بين الحصة والحصة كانوا يقصدون المكان المنقطع
 فى المدرسة ليدخنوا بحيث لا يراهم من ينقل عنهم أو يذهبون
 الى الطرقات للمدارسة والمذاكرة . ولكنه لم يكن يجرى
 على هذه الخطة بل كان يقصد غرفة تحضير دروس الكيمياء
 والطبيعة حيث كان يجلس معيد هذين العلمين حضرة اسماعيل
 أفندى فهمى ويلقى عليه المترجم من الاسئلة العديدة فى دقائق
 هذين العلمين ما كان معه لذلك المعيد العذر فى ظنه أن المرحوم

يجب أن يكون كيميا كشافا. وما أثر عنه الميل الى الاستكثار من المحفوظات بل كان يعتمد على الذكاء في الأغلب ولهذا ظهر ميله وهو في دور الدراسة الابتدائية الى الحساب والمسائل العقلية ويجمل بنا هنا أن نقول كلمة عن الحافظة وأخرى عن الذكاء زيادة في الايضاح. قال كثير من المؤلفين ان قوى العقل الغريزية المعول عليها في علم الادب خصوصا خمس : الذكاء والخيال . والحافظة . والحس . والذوق . وعرفوا الذكاء بأنه حدة الفؤاد وسرعة الفطنة . وأنه الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر . وعرفوا الحافظة بأنها قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعاني فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت حافظة أو ذاكرة

أما الفرق بين هاتين القوتين من قوى العقل الغريزية فظاهر ظهور بعد ما بين فتيين : هذا سريع الفطنة حاد الفؤاد على استعداد تام لادراك العلوم والمعارف بالفكر . وهذا لا يزيد على حفظ ما يدركه عقله من المعاني ليذكره عند الحاجة . ولهذا لا نطيل الكلام في التفاضل بينهما على أن كلتا القوتين

لازمة نافعة ولكل منهما موافق يرجع فيها اليها ولا يعول
الا عليها

والذي نلاحظه أن رجال الاعمال العقلية أخرج الى
الذكاء منهم الى الحافظة . لأن الذكاء هو العمدة التي يرجعون
اليها في حل المشكلات وفهم المعضلات . قال القزويني في كتاب
عجائب المخلوقات ما يأتي :

« ان التفاوت في الغريزة أمر لا سبيل الي جرده فانه مثل
نور يشرق على النفس . ومبادئ اشراقه عند سن التمييز ثم
لا يزال ينمو ويزداد نموا الي أن يتكامل . وكيف ينكر تفاوت
الغريزة وقد شاهدنا اختلاف الناس في فهم العلوم وانقسامهم
الي بليد لا يفهم بالتفهم الا بعد تعب طويل والى ذكي يفهم
بأدنى رمز والى مغفل كثير الخطأ قليل الصواب والى فطن
كثير الصواب قليل الخطأ » اه

وأما الحافظة فلا نستدل على شرف الذكاء عليها بأكثر
مما قال الماوردي في هذا الصدد وهذه شذرات منه :

« ربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم

المعاني علي الرجوع الى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة
فلا يكون الا كمن أطلق ماصاده ثقة بالقدرة عليه بعد الامتناع
منه فلا تعقبه الثقة الا خجلا والتفريط الاندما . وقد يدعو
اليه أحد ثلاثة أشياء : الضجر من معاناة الحفظ ومراعاته
وطول الامل في التوفر عليه عند نشاطه وفساد الرأى في
عزيمته وليس يعلم أن الضجور خائب وأن الطويل الامل
(بلا عمل) مغرور وان الفاسد الرأى مصاب »

ثم قال : « وربما اعتنى المتعلم بالحفظ من غير تصور
ولا فهم حتى يصير حافظا لا لفاظ المعاني فيما بتلاوتها وهو
لا يتصورها ولا يفهم ما تضمنته يروى بغير رواية ويخبر عن
غير خبرة فهو كالكتاب الذي لا يدفع شبهة ولا يؤيد حجة .
وقد جاء في الحديث الشريف : همة السفهاء الرواية وهمة
العلماء الرعاية : ورواه ابن مسعود : كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا
له رواة فقد يرعوى من لا يروى ويروى من لا يرعوى : «
هذا ما نستشهد به الآن على أن الذكاء ولا جحود
تفضل الذاكرة أشرف منها وألزم . وما من نابغة الا والذكاء

عدة من عدد نبوته بين الناس . و فرق عظيم بين السرور
الذي يقوم بنفس المتعلم متى توفى الى أن يحل مسألة معتمدا في
ذلك على الذكاء وحده أو يفهم مثلا بالرجوع الى ما وعته
الحافظة . وقد رأينا أن الذكاء هو كل شيء في إقامة الاعمال

العظيمة وتدير التدابير الخطيرة وصنع العجائب في العالم
والتاريخ لا يذكر لنا بالا عجاب الا أسماء وسير أهل
الذكاء النادر . وأما ما جاء من الثناء على أولئك الذين حفظوا
في صدورهم عشرات الكتب فهو لاء جديرون به لأن ذلك
ما كانت تقتضيه الخطط التي يريدونها

انك متى كنت ذكيا مجدا كنت نابغة ومتى كنت حفاظا
لم تكن أكثر من عالم . على أن المترجم انما كان يعتمد على الحافظة
فيما يجب وعلى الذكاء في أكثر مما يجب

ندع هذه الافاضة ونرجع الى ما نحن بصدده فنقول
أنه لما أتم دروس السنة الاولى وانتقل الى السنة الثانية
حدثت له حادثة جديدة أن تكتب بالتهر

✧ وذلك أن نظارة المعارف العمومية أصدرت قرارا بأن

المتوسط الذي ينقل به التلميذ من سنة الى سنة أعلى يجب أن لا يقل عن ١٦ درجة. ولما انتهى الامتحان ظهر أنه السابع في ترتيب فرقته التي كان ١٤. د. تلاميذها خمسة وستين ، ولكنه لم ينل هذا المتوسط بل لم ينله قبله الا اثنان فقط فوجم لذلك وتكدر خاطره كثيرا

فلم يستسلم الى الحزن ويتشبه باخوانه في الرضى بهذه الحالة وكان له ذلك لو أراد . بيد أنه توفق الى ابتكار حل لطيف لهذا الاشكال أذهب الحزن عن نفسه وتفوس اخوانه جميعا وتفس كرب الحزن عن الفرقة بأسرها . اذ أنه ذهب تورا الى نظارة المعارف وقصد غرفة المرحوم علي باشا مبارك فاراد الحاجب أن يمنعه لأنه لم يؤثر قبل مقابلته لذلك الوزير أن تلميذاً في تلك السن استطاع أن يمثل بين يديه . فقال له : ويحك اني أنا ابن الباشا فكيف تمنعني أن أدخل . وحسب الحاجب أن ظاهر هذا الجواب كباطنه وأن الواقف أمامه ابن سعادة الوزير حقيقة ففسح له في الطربق وأذن له بالدخول فلما توسط في التقديم بين الحاجب والوزير قال بحيث يسمع

صوته « اني ابنه في العلم » وكان المرحوم مطرقا يشتغل بالنظر
في أوراق بين يديه فلما سمع الصوت رفع رأسه وابتسم للمتترجم
فخيا تم قال له :

ما جاء بك الي هنا يا بني ؟

فقال — عدل الناظر

قال — أحقا ما تقول ؟

فقال — نعم

قال — اذا كنت تذكر « عدلا » فلم تركت درسك ؟

فقال — اني أريد بقولي « العدل » العدل المقلوب

لا العدل المطلوب . فقد أمرتم ياسعادة الوزير بما لا يطاق

ولا يطاع . وذلك أن القرار القاضي بنقل التلميذ من سنة

الى سنة أعلى بمتوسط لا يقل عن ١٦ في كل العلوم حرم

فرقتي خلا تلميذين اثنين من الانتقال وأنا مع المتأخرين

فضحك الباشا وقال لحضرة الاستاذ العلامة الشيخ

هارون عبد الرازق الذي كان جالسا معه اذ ذلك « أسمعت

يا أستاذ أن تلميذا يعارض وزيرا في قراره » وابتسم . فقال

له الاستاذ « لعل في الأمر شيئاً » فالتفت المترجم الى الشيخ
وقال له : نعم . ان الامر غير عادل لأننا جميعاً مجتهدون في
دروسنا ولا يصح تأخيرنا سنة كاملة . فقد سألنا معلمي اللغة
الأجنبية (لأن العلوم كانت في تلك الأزمان الخالية تدرس
بالعربية) عما اذا كان التلميذ في بلادهم لا ينقل من سنة الى
سنة أعلي الا اذا نال ١٦ درجة في المتوسط فأجابونا بالسلب جميعاً
فأراد المرحوم الوزير أن يحول الحديث عن مجراه

ويختبر قوة المترجم في علم تقويم البلدان

++ فأشار الى خريطة من الخرائط المعلقة في غرفته وسأله

يتكلم على جزيرة في جهة الشرق من تلك الخريطة . فلم
يعرفها المترجم بل بعد موقفه عن مكان الخريطة المرتفعة . فأراد
أن يقرب منها قليلاً حتى اذا عرف اسمها تكلم عنها فضحك
الوزير وقال له : يظهر لي أنك غير مجتهد في هذا العلم : فما
تلعثم المترجم وما اضطرب بل قال : « يسمح لي سعادة الوزير أن
ألقي عليه سؤالاً واحداً ! » فأذن له في ذلك فقال : « كم مرة
ألقيت اليك مقاليد هذه النظارة وكم سنة لبثت في كل مرة »

فقال له الباشا أربع مرات ولم تقل مدتي في كل مرة عن سنة
ولم تزد الى هذه الساعة عن ثلاث سنين . فقال له يستتج من
ذلك أنك دخلت هذه القاعة نحو ألفي مرة فهل لسعادتك
أن تفضل باخباري عن عدة درجات سلم النظارة التي وطئتها
قدماك كل هذا العدد من المرات ??

ألقي هذا السؤال بسكينة لا يشوبها خوف ولا تطاول .
فحسب الاستاذ آف الذكر أن الوزير يقابل هذا السؤال
بالاعراض لبعده الجواب عن أن يحيط به الذهن لانه ليس
مما يشتغل به كثيراً ولكن الوزير هش وبش والتفت سعادته
الى الشيخ وقال له كلاما لم يكده يسمع منه المترجم الا قوله
« ان البنين على هوى الآباء »

ثم التفت الى المترجم وقال له :

يظهر أن هذا القرار آلمك كما آلم اخوانك كثيرا

قال : نعم

فقال : هب أنني أصررت على تنفيذه ولم أرجع عنه

فماذا أنت صانع

قال : أعود برجوعك الي الحق من أصرارك علي الخطأ ،
والي عدلك تفرع من جورك . ومثل سعادة الوزير جدير أن
أن لا يسيء في معاليه ظنون أبنائه المتسكين بأهداب ولائه .
والظاهر أن هذا الجواب أطرب الباشا فأراد أن يستزيد من
مثله . فأخفي ابتسامه جميلة كانت مرتسمة علي شفثيه ونظر
اليه لا عابسا ولا باسا ليتقصى مافي نفسه ويقف علي كل ما عنده
فقال : دعك من الاستعاذة بالعدل الذي أعزه من
الجور الذي اكرهه . وربما كان ذلك القرار تخفي الحكمة
في وضعه علي مثلك ومثل اخوانك . واقتضت مشيئتي أن
لا أعدل عنه فماذا يكون منك ??

فتغيرت لهجة المترجم وارتفع سموته اكثر من ذي قبل
ثم قال تسألني ماذا يكون مني يا سعادة الوزير بعد ان تبين
لسعادتك صدق حجتي فيما أقول ؟ أنصرف من حضرتك
وأذهب الي اخواني فأقول لهم ان الجالس علي كرسي نظارة
المعارف نسي الابوة ولم تكف سعة علمه ونزاهة نفسه وطهر
أخلاقه في تحويله عن شيء اتضح له الخطأ فيه فهل تعد اعتقاد

جماهير التلاميذ في سعادتك صحة ما أقول لهم شيئاً قليلاً ؟؟ انه غير قليل . قال هذا بلهجة الجد وتحويل غضباً يريد الانصراف وكان سعادة الوزير وهو يسمع من المترجم هذا الحديث يشعر في نفسه بهزة انشراح وافر وقد أعجبه طلاقة هذا اللسان وثبات ذلك الجنان . فأمر في الحال بتغيير القرار واعادة نظام الامتحان الى ما كان عليه من قبل وقال له : « اذهب الى اخوانك وقل لهم ان أباكم الذي لا يجب اساءة الظنون به ويحرص على تفعمكم كل الحرص قد اقتنع بأنكم مظلومون وقد أعيد النظام الي ما كان عليه وألغى ذلك القرار »

فتقدم المترجم باسمه وسلم على سعادة الباشا ووجهه طافح يبشر الظفر وانصرف يجد السير حتى اذا وصل الى المدرسة انتهز فرصة الفسحة فاقترح غمارهم باسمه مستبشراً فالتفتوا حواليه اذ عرفوا أنه عائد من حضرة الوزير . فألقى عليهم كلمات ضمنها خلاصة الرجاء والتظلم وخلاصة القبول ؟؟ فضج التلاميذ بالاستحسان وأقبلوا عليه يشكرون له احسان السفارة بينهم وبين الوزير ويهتفون بذلك الظفر الكبير ويعجبون

بجرأته وشجاعته التي تقست عنهم الكرب ووردت اليهم من
سنى حياتهم سنة كادت تضيع هباءً متشوراً
وقد نهت تلك الضجة ضجة الاستحسان والشكران
التي قوبل بها المترجم وهو ينهي الى اخوانه تلك البشري
حضرات الأساتذة فتطلع بعضهم يستكشف الخبر فلما انتهى
اليهم استدعوا المترجم فاعاد عليهم ما قال وما قيل له مما
يختص بالقرار المذكور فزادوا به اعجاباً وله حبا
وكانت هذه الحادثة ونحن لانعلق عليها شيئاً اعتماداً على
ذكاء القارئ كافية في تعريف طلاب المدارس جميعاً بهمة
المترجم ونشاطه وشجاعته الأديبة الفائقة وفرط حرصه على
مافيه خدمة للمصلحة العامة وغيرته على الحق والعدل . وقد
أذاعت له اسما عاطرا بين الذين سمعوا بها وكانت ترجمانا
فصيحا يعرب للناس عن عظم هذه النفس التي لا تصدها عن
سبيلها المصاعب ولا تردها عن الاماني المخاطر ولا يقف
في وجهه شيء مهما كان بل كانت الحادثة المذكورة مجالا
لظهور تلك الهمة الشائقة وميدانا لتجلى تلك العظمة الفائقة

وانما الامم الأخلاق

ثم انتقل الى الفرقة الثانية (السنة الثالثة الآن) واستهل فيها طالعه السعيد بتأسيس جمعية أدبية وطنية سماها « جمعية الصليبية الادبية » وقد اختار لها الاعضاء من بين أصدقائه الذين يتوسم فيهم المقدرة والذكاء والفضل وكانت « جمعية الاعتدال » حينئذ تعقد جلساتها الاسبوعية في مدرسة الامريكان فكان المترجم يزورها ليقع التعارف بينه وبين من فيها من الافاضل والشعراء وأهل العلم وذوى الحشيات ليحجب اليهم زيارة جمعيته . ولم يمض على تأسيسها اكثر من ثلاثة شهور حتى كان فيها نحو سبعين عضواً ليس منهم الا التلميذ النبیه أو العالم الفاضل أو الشاعر المجيد أو المنشىء البارع ومنذ ذلك الحين تعلق جنانه بالشعر وأحب الشعراء وصبا الى الأديبات فكان يتف في الجمعية خطيباً في مساء كل جمعة مرتجلاً مما تملي عليه البديهة الحاضرة والباصرة الذاكرة ما يملك الأسماع والقلوب . وأول خطبة خطبها كانت في « فضل الجمعيات في العالم » وكان اذ ذاك في الخامسة عشرة من سني

حياته المباركة

وقد أحس في هذه السنة أنه انسان كامل ذو كرامة
وسمعة يجب أن يتضوع عبيدهما على أفواه الناس وفي صدور
الأسفار فكان يتكلم بتؤدة ويكتب بتؤدة ويعطى من
يستشيره الرأي الثاقب بلا مداجاة ولا اخفاء وهو يفيض
صدره بآيات الغيرة والحماسة حتى لم يكن يستطيع أن يتصور
أن في الناس من يصبر على المهانة والضميم وكأنما كان ينظر
من وراء حجاب الغيب الى قول شاعر الشرق أحمد شوقي بك:
أقبل أن يستعبد الضيم مهجتي وما خلقت الا لتتضى على الضيم
لولا أن العزة كانت طبعاً في نفسه لا يتكلفها ولا ينظر فيها الى
مثال يجتذبه أو نموذج يحكيه
ومما يذكر بهذه المناسبة أنه كان مرة واقفاً في الصف
اخلفي في طابور الظهر والضابط ينادي أسماء الكسالى الذين
توانوا في حفظ دروسهم أو ارتكبوا مخالفات مدرسية كما
هو المتبع الى الآن فصدرت كلمة من أحد التلاميذ حسبها
تهكما عليه واستخفافاً به وحسب أن قائلاً هو المترجم خيال

في الطابور وضرب صاحب الترجمة بعصا في يده علي ذراعه
اليسرى ضربة مؤلمة وشتمه شتما قارصا بصوت عال
فأشماز التلاميذ جميعاً من هذه المعاملة القاسية التي اختص
بها الفقيد العزيز من بين الجميع ولم يرتكب اثماً ولم يبد منه من
قبل ما يؤخذ عليه. واقتضى هذا الاشمزاز أن يقع في الطابور
هرج ومرج وخرج أكثر التلاميذ من صفوفهم وأحاطوا
بالبضابط وهموا أن يهينوه فهام صاحب الترجمة
وأبدى رغبته في الكف عنه فأذعنوا له فتركهم بعد أن أخذ
عليهم الميثاق أن لا يبدو منهم ما يدل على الحق والانتقام.
وقصد من فوره نظارة المعارف العمومية ليقابل المرحوم
علي باشا مبارك ولكنه لم يجده هناك فولي وجهه شطر بيته
في الحال ولما واجهه تلقاه الوزير بالبشر والابتسام وسأله
عما جاء به فأنهى اليه المسألة ولما سمعها الوزير غضب وتغير
خاطره ثم كشف موضع الألم من ذراعه اليسرى فاشتد خنقه
من سوء ما فعل الضابط المذكور. فترك ما كان بين يديه
من الأعمال وركب العربة والمترجم الى يساره وما زالت تهيب

الأرض نهياً حتى وقفت أمام باب المدرسة . فصعد الى غرفة
الناظر ويد صاحب الترجمة في يده والناظر اذ ذلك المرحوم
المبرور (تنظيم بك) ثم أمر فدق الجرس واصطف التلاميذ
طابورا منظما في ساحة المدرسة ثم مر به صفا صفا وسأل
التلاميذ واحدا واحدا عن حقيقة ما وقع لأنه كان قد رابه
أن المترجم في هذه المرة لم يتكلم كثيرا وانما اكتفى ببسط
الشكوى وعززها بأن حسر عن ذراعه فتبين موضع الألم
منها . فبعد أن شهدوا جميعا بكل ما وقع مثبتين براءة المترجم
من أى ذنب يمكن أن يؤاخذ عليه سأل الناظر عن سيره
وأخلاقه مع المعلمين جميعا فزكت شهادته ما كان يعتقد الوزير
في حسن أخلاق المترجم وشرف تربيته وجدده ولين جانبيه
وأدبه مع الجميع

فلما سمع ذلك استشاط من الغيظ على الضابط وأمر
بفصله من المدرسة لسوء طريقته في معاملة الطلبة وتهوره
ومخالفته للعدل والقانون . وما زال ذلك العالم الفاضل المرحوم
ناظر المدرسة يستعطف الوزير المغفور له علي الضابط المذكور

ويطلب من سعادته الصفح عما وقع منه حتى رضى وغير أمره
على شرط أن يطلب الصفح من الطالب الذي أساء إليه أساءة
كبيرة على غير ذنب ولا جريرة. وأن يكون طلب الصفح
والاعتذار على مسمع ومرأى من جميع التلاميذ فكان ذلك ولم
يضمن المترجم على الضابط بالعفو وقبول العذر حبا في بقاء
عيشه متصل السبب بالمدرسة. وإلى هذا الصنع تنهى مكارم
الأخلاق وينبسط به المرء نفسه بين الرفاق

وقد كان الأساتذة قبل هذه الحادثة يرون فيه تلميذا
باهر الذكاء متوقدا الجنان كريم الاخلاق عظيم النفس مقبلا
على طلب العلم بكل حواسه حتى كان نجاحه الباهر مدعاة
الاعجاب به والاكبار له ولكنهم بعد ذلك رأوا فيه فوق
ما تقدم شخصا محترما وانسانا موقرا وكذلك نصيب من
يضع نفسه في المركز الذي يحس فيه بأنه ذوكرمة عالية وأن
له عقلا مفكرا وذهنا مدبرا وأخلاقا فاضلة وارادة قوية عاملة
إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هو أنا بها كانت على الغير أهونا
ففسك اكرمها وان ضاق مسكن عليك بها فاختر لنفسك مسكنا

وكذلك جاز امتحان هذه السنة واثقل الي السنة
الرابعة . وهي السنة التي يكمل فيها التعليم الثانوي فأصبح
ذا شأن عظيم بين أعضاء جمعيتي « الاعتدال » و « العلم
المصرى » وأجلوه اجلالاً كبيراً واكبروا مقامه في العيون
والصدور وكان يحضر اجتماعاتهما ويخطب فيهما فيدهش
السامعين باقتداره على التأثير وبلاغة قوله وصدق نظراته فيما
كان يتناول الكلام فيه من الشؤون والمواضيع ولا يقطع عليه
سيل الفصاحة المنهر من لسانه الا التصفيق الحاد الذي
تدوى به أئحاء كل من الجمعيتين كلما ارتجل البيان
أما « جمعية الصليبية الأديبة » فقد انحلت لأن أغلب
أعضائها كانوا من أسر اتسكن الريف وجاءت عطلة الصيف
فسافر كل من لم يكن متوطناً في القاهرة الي بلده وبقي قليل
من الاعضاء فاستولى عليها الفتور وخامرها الضعف وازدادت
تانكم الجمعيتان الاخريان ثباتاً ورسوخاً فضلاً عن قدم عهدهما
وعدم انقطاع أعضائهما وتضلعمهم من العلوم والمعارف . زد على
ما تقدم من أسباب فتور تلك الجمعية وضعفها اشتغال من بقي

من أعضائها بالاستعداد لاداء الامتحان لنيل شهادة الدراسة
الثانوية

وفي هذه الاثناء زار المرحوم على باشا مبارك المدرسة
التجهيزية واختبر في اللغة العربية تلاميذ الفصل الذي كان فيه
المترجم امتحانا دقيقا في القواعد والمطالعة فسر من اجابتهم
كثيرا. ثم سأل الاستاذ العلامة التقى الشيخ هارون عبد
الرازق أن يقدم له أقدر تلاميذ الفصل على اجادة الانشاء
فأشار الى المترجم مينا لسعادة الوزير مالم يكن يجهل من براعته
في هذا المطلب لميله اليه بفطرتة فابتسم له الباشا وطلب منه
أن يرتجل خطبة فيما يريد أن يصنع بعد نيله شهادة الدراسة
الثانوية

فوقف ثابت الجنان والأيمان قوى الحججة والبيان ثم
ثر على الأسماع بين يدي سعادة الوزير مامعناه :

« سألتني يا سعادة الوزير الخطير سألت الله لك الرفعة
والارتقاء أن أقول كلمة فيما أريد أن أصنع بعد نيل شهادة
الدراسة الثانوية فأنا أكل هذا الأمر الى ارادة الخالق

فلتكن مشيئته تعالى بيد أنى استتجت مما كان يرويه لى
المرحوم الوالد من أحاديث كبار الرجال وما درسته على
أستاذى العلامة المفضل (أحمد بك نجيب) معلم التاريخ
من سير الفاتحين الأبطال ما أيقنت معه أن أعظم الرجال
شأننا من محرر بلاده وينقذ أمته من ربقة الذل والاسترقاق،
وأنا سأكون ذلك المحرر الذي يكتب ويخطب وأضرب
الأمثال للناس كما كان يصنع أستاذى مبشرا بما فى الحرية
من العزة والحياة ومنذرا بما فى الذل من الموت والصغار
والله تعالت حكمته وجلت قدرته يوفقنى الى ذلك» - (تم قال)
وحبذا لو أذنت لنا نظارة المعارف بالاجتماع كل أسبوع مرة
بالأفتياترو لتباحث وتناقش فيما يجب التكلم فيه وتعود
علينا نتأجه بالنفع العميم «

فأكبر الباشا ما سمع وكان يتبسم ويمش لكل فقرة
من هذه الفقر ويومئ برأسه مؤمناً على ما يقول المترجم .
ثم تقدم منه قليلا وقال له :
هل كان أبوك خطيباً ؟

فأجابه — بل كان طلق اللسان بيد أنه لم يخضب في

الجموع

قال — ماذا كانت وظيفته ؟

فأجابه — أنه كان مهندساً مثل سعادة الوزير

قال — ما اسمه رحمه الله لقد أنجب حقيقة ؟

فأجابه — المرحوم علي أفندي محمد

فلما أن سمع سعادة الوزير هذا الاسم تذكر المسمى ثم

ترحم عليه وقال له علي مسمع من الجميع ما معناه :

أن رجلاً كما بيك المرحوم كان معيدا على وأول مدرسته

في عهد المغفور له محمد علي باشا الكبير ليس كثيرا عليه أن يكون

ابنه مثلك . اني كنت مرتاحا لاجابتك الى طلبك أولا عند

ما حضرت الى النظارة وشكوت من مسألة النقل من سنة

الي سنة اعلى بمتوسط ست عشرة درجة وثانيا عند ما قدمت

الي منها مسألة ذلك الضابط الذي آلمك بلاحق . واليوم

يسرني كثيرا أن أمنحك لقب « امريء القيس » اذانا

بنجابتك وبلاغتك

ثم خرج الوزير واللقب المذكور علم على المترجم بين اخوانه.
وبعد يومين دعاه ناظر المدرسة المرحوم المبرور نظيم بك وأبلغه
ان النظارة ربت له مائة قرش صاغ كل شهر مكافأة تصرف
له مع أساتذة المدرسة المدة الباقية ريثما ينال شهادة الدراسة
الثانوية فأثنى عليه المترجم وأبلغ شقيقه سعادة حسين بك
واصف الأمر فقال له أن هذه المكافأة وذلك اللقب اللذين
منحكهما الوزير يحتمان عليك مضاعفة جدك واجتهادك حتى
تجوز الامتحان وتفوز على الاقران

وحل في صميم فؤاده من ذلك الوقت الاحترام التام
والاعجاب العظيم بالمرحوم على باشا مبارك لأنه ظهر أمامه
بمظهر الأب العادل الذي لا يريد الا اصلاح أمر أبنائه
فضلا عن هذه المنة الكبرى التي وجهها اليه . فكان في
أنديته ومجالسه وفي كل مجتمع علمي أو أدبي لا يطيب له الا
ذكر المرحوم على باشا مبارك

حدثنا حضرة الفاضل يوسف بك عرفي قال « كنت
في مجلس المرحوم الوزير يوماً واذا بالمترجم دخل علينا وهو

تلميذ في المدرسة الثانوية فبعد ان سلم بصوت جهورى علينا جميعا وييده على الباشا جلس بجانبه وأخذ يناقشه في مسائل عدة وبعد زمن قليل جاءت الجريدة فأخذ المرحوم يقرأها بطلاقة حتى أتم ما فيها فشكره الباشا شكراً متواصلاً وأوصاه ان يحرص على صحته

كل هذا حصل وأنا مندهش من جرأة هذا الصغير وقد لاحظ ذلك على المرحوم مبارك باشا فقال لى « لا تدهش فان من يقرأ أمامك هو ابن المهندس الكبير المرحوم على أفندى محمد الذى كان معيداً على في المدرسة وأنت تعرفه جيداً واسم هذا الابن « مصطفى كامل » فشكرت الباشا وترجمت على والد المرحوم وخفت على صحته من شدة ذكائه » بعد ذلك استأنف العزيمة وضاعف الهمة وأخذ يصل بأطراف النهار آناء الليل مع أربعة من اخوانه وحرّم على نفسه الكرى والراحة أو يظفر بطلبته تلك حتى اذا آن أوان الامتحان وقد قطع من مرحلة العمر ستة عشر عاماً ميلادياً تقدم ليجوزه شيئاً ما بقاء الضنى من جسمه الضئيل ضعيفاً من أثر الكد والتعب

فأخذ من الدرجات العالية ما سمح له بنيلها فأنزأ باعجاب
ممتحنيه وأكبار اخوانه وعارفيه

وبعدئذ سافر الى الاسكندرية للاستراحة بعد ذلك
الجهاد الشاق والتعب المتواصل وكتب الى وأنا اذذاك ضابط
في مدينة طوكر بالسودان الشرقى كتاباً بهذه صورته :

بلاستغناء عن الله تعالى

من خلقهم على قدر قوتهم

بسطه عليهم ايع الرفع يجب ايروا شره ان هفبه بغيره انما كانت امانه
الدرسه الثابته قدره من اناس صفة من بعد ان اتمت جميعها لا سيما
والله اعلم ولكن اذ من ان تعود الى القوس لو ارضى الله من الحقوق الخيرية فقد
عزمت على ان اتمتها في صفوفها لا في غيرها بل في الخلاء ومعرفة حقوق

مؤثره والامر

وانت تعلم ان اهل الدنيا كثيرا وعرفت الذين علمنا ليس جميعهم سيما
جميعه احبنا لولم يكن " وهاهنا هفت من قدام هذا الضمير الذي فعله في
هذه الفرسا به ولكن اعتماد على امر وعلم نفس اكب ضمانا لتمامها
وامم الحقوق في اقوام سبيل

استا اهل العزرة (عزراة) و لا شفاء عمدا وفي صدرهم سبنا
الرفع البار حيا فدون الاهدوك الفشلوم
ورادني حليمه برحمتك انه لو يكون شديدا على بهما التود فانهم اصل عده
ويكلمون الضيفه وانما خبر من عيسى ومحمد لهما من مفضلك مع
رحمتك
والله اعلم



التَّعْلِيمُ الْعَالِيُّ

انتظم رحمه الله في سلك الطلب بمدرسة الحقوق وهو
في السادسة عشرة من عمره كما ذكرنا بعد أن أدي الامتحان
ودفع المصاريف ونال أمنية من أنعم أمانيه الممهدة له الطريق
وظفر بأمل من كبار آماله يدني منه منال الفوز الأخير
دخل هذه المدرسة وهو علي ماتقدمت الإشارة اليه
من الضعف في اللغة الفرنسية ولكنه كمل هذا الضعف بقوة
عزيمته تكميلاً وأخذ يفرغ وسعه ويبدل مجهوده لسد هذه
الثلمة فلم يكن يترك لحظة من وقته ولا ساعة من ساعات
فراغه ألا أتفقها علي اتقان هذه اللغة ودراستها دراسة محكمة
للاحاطة بدقائقها وأسرارها احاطة تمكنه من فهم كل
ما يقرأه بها فهما جيداً وكتابة ما يريد أن يكتبه بها كما يكتب
البارعون من صفوفه الناطقين بها

وكان رفيقه الذي يخالطه كثيراً في المنزل والمدرسة

والغدو منهما والرواح اليهما حضرة الهمام الفاضل فؤاد بك
سليم (سكرتير الحزب الوطنى الآن ونجل المغفور له الوطنى
الكبير والعالم الشهير لطيف باشا سليم تعلمده الله برحمته
ورضوانه) وقد تعرف به لأول مرة عند تأدية الامتحان
للالتحاق بالمدرسة المذكورة فتعارفا وتآلفا وتصافيا وتآخيا
وقد زاد ذلك الاخاء مكانة ومثانة اقتراب البيتين أحدهما من
الآخر فكانا يخرجان معا ويذهبان الى المدرسة كذلك
ويعودان منها متأبطا كل منهما ذراع صاحبه . واشتدت
أواصر هذه الصداقة المكيئة وتوثقت عراها الى حد أنه
لم يكن يطيق واحد منهما البعد لحظة عن أخيه ثم وقعت
بينهما مناقشة في يوم من الايام فى شأن ما نختمت بما
كانا يتحاشيانه

ختمت تلك المناقشة بشجار تسبب عنه أن أصدرت
المدرسة أمرها بحرمان كليهما من الحضور اليها أسبوعا كاملا.
فاستاء كل منهما من هذه النتيجة التى أفضت اليها بالرغم عنهما
كيفية تلك المناقشة شديد الاستياء ولم يرد فؤاد بك أن يرجع

الى المدرسة بل أُلحق بمدرسة الحقوق الفرنسية التي كانت
تأسست في ذلك العهد . أما المترجم فقد رجع اليها بعد أن
انقطع عنها سبعة أيام واستمر في الدراسة بمدرسة الحقوق
الخدوية الى آخر السنة وهو لا يخاطب صديقه الحميم وصديقه
الحميم لا يخاطبه

عمل المترجم كثيرا في تلك السنة بجمعيات « الاعتدال »
و « الهدى » و « العلم المصري » وهذه الجمعيات هي التي
أسسها جماعة من صفوف فضلاء المصريين أدبا وعلماء وجاها
ومكانة وأكثرهم من خريجي المدارس العالية لاسيما مدرسة
دار العلوم كما ذكرنا

وكان للمترجم عند المناظرة جولات صادقات في الجدل
والمناقشات حتى ظهر على اخوانه كافة من أعضاء هذه الجمعيات
بما أوتيته من طلاقة اللسان ومتانة البرهان وخلاصة البيان وثبات
الجنان فأخذت شهرته في عالم الأدب تبعد شيئا فشيئا وأخذ
عبير سمعته الطيبة يذوع في الآفاق قليلا قليلا وكان جم
الميل الى شهود مجالس خاصة الأُدباء كما كانوا هم كذلك

شديدي الميل الى حضوره بينهم يستجلون فيه عوالي المهم
وغوالي المكرمات والشيم

وقد تعرف في تلك السنة بأديب زمانه العلامة الكبير
الشيخ علي الليثي الذي أحبه حب الوالد الشفيق لولده البار
أو الأخ الكثير العطف للأخ الكثير الحنان فقربه منه ورفع
مكاته عنده . لأن المرحوم الشيخ الليثي كان من آحاد أهل
الأدب المشهورين وخيرة رجال العلم المعدودين وقد عاش رحمه
الله مائة عام قضاها وهو يحضر مجالس الامراء ويتصدر محاضر
الفضلاء وتشهد اليه من أنحاء مصر مطايا الشعراء وله من
النوادر المأثورة في الأدب ما يزرى بالكنوز ومن الشعر العربي
المحكم النسيج البليغ الاسلوب ما يحقر في جانبه الدر الثمين
والفضل يعرفه ذووه . فلا جرم اذا كان هذا الفاضل من أعرف
الناس بقدر الفقيه وأحرصهم على اذاعة فضله عند من لم يكن
قد عرفه بعد . ولهذا تعرف به كثيرون من أهل الجلال
والكمال والوطنية الصادقة والفضل الغزير أمثال المرحوم أمين
باشا فكري مدير الدائرة السنية سابقا واسماعيل باشا صبري وكيل

الحقانية سابقا ومحمد مجدى بك أحد مستشارى محكمة الاستئناف
الاهلية ومحمود بك سالم القاضى بالمحاكم المختلطة الى كرماء
في الوطنية آخرين ورجال من صفوة أهل البلاد غابت عن
الذاكرة أسماؤهم وما غابت عن الوطن أياديهم وآلؤهم .
ولا تنس أنه كان يجتمع فوق اجتماعه بهؤلاء النابغين الفضلاء
بالمرحوم على باشا مبارك الذى كان مجلسه كعبة يحج إليها
الألباء وساحة لاتضيق بأهل العلم والأدب الكرماء بل
كان مجلسه السامي نعمة لرواد الآمال وشرعة لوراد الفضل
والجلال . وقد كان رحمه الله يعز المترجم ويحبه حبا جما ويحيل
عليه قراءة ما يريد أن يسمع فى المجلس سواء من الجرائد
أو من الكتب كما ذكرنا

على هذا المثال . وفى هذا الوسط المنعش للآمال . كان
المترجم يقضى أوقات الفراغ . فجمع الى الرقى العلمى الرقى
الأدبى وأضاف الى معارفه العالية معارف من أولئك
الأوفياء الأبرين بأمتهم وبلادهم . وانتقل المترجم من السنة
الأولى الى السنة الثانية بنجاح باهر . وفى صيف ذلك العام

(عام ١٨٩٢) قصد مدينة الاسكندرية لتغيير الهواء فاجتمع
بالمأسوف عليه الطيب الذكر بشارة تقلا باشا صاحب الاهرام
وقد تعرف به بواسطة صديقه الحميم الكاتب البليغ الشهير
والشاعر النابغة الكبير خليل أفندي مطران فأجله واكبره وفتح
له صدر جريدته لنشر ما يبعث اليه به من الرسائل الوطنية الحكيمة
والمقالات العمرانية الرشيدة والفصول العمرانية المحكمة

وشعر المترجم أن في رأسه فكرا يمثل له في اليقظة
والمنام بل كان ذلك الفكر يغشى عنده دائرة الخيال ويملاء
فضاء التصور وأن في يده قلما سيالا ينفث السحر وفي عزيمته
مضاء لا تستهين به المصاعب وبالجملة شعر أن لديه من الأدوات
ما يستطيع به أن يخدم البلاد خدمة صادقة عظيمة فأخذ ينظر
في الوسائل ويحبر الرسائل ويبعث بها الى جريدة الاهرام
متحلا في كل رسالة امضاء يستتر وراءها ويقف ازاءها
فتارة كان يمضى « مصرى صادق » وتارة « مصرى أمين »
وأخرى « مصرى »

وقد أجهد نفسه في هذا العمل فوق الطاقة فبدت عليه

علائم التعب ومرض مرضا شديدا خيف منه على حياته .
وكان العذل لا يزيدہ الا تعلقا بالكتابة وصبرا على مشاقها
وثباتا على سلوك خطها . ولكن طيب الأسرة وهو
حضرة النطاسى البارع المفضل الدكتور على بك شرمي وحمو
الأخ حسين بك نهاه عن الكتابة بعد أن وصف له العلاج
وشدد في وجوب تناوله في الأوقات المعينة . فامثل مكرها
وبعد أن أبل من مرضه وافى ميعاد الابتداء في الدراسة
للسنة الثانية . وفي شهر اكتوبر سنة ١٨٩٢ تقابل مصادفة
بصديقه القديم والاخ الوفي الحميم فؤاد بك سليم بعد ذلك
التقاطع الذي أغضبهما كليهما

فعاد الود الى أمكن وأمتن مما كان ورجعت الصداقة
الى أقوى وأفضل مما كانت عليه . وقد بذل هذا الصديق
من المساعي ما بذل ليحمل المترجم بالترغيب والتشويق على
تتميم دراسته في مدرسة الحقوق الفرنسية ليكونا معا فاستشار
المترجم أخاه وسأله أن يأذن له بالانتقال الى هذه المدرسة
لسبيين وجيهين وهما أن المدرسة المذكورة مدرسة الحرية

وكفى على ذلك دليلاً أنها من صنع فرنسا والثاني أنه يجب أن
تزداد قوته في اللغة الفرنسية وانتظامه في سلك الطلب
بهذه المدرسة من أعون الذرائع وأنجع الأسباب للبلوغ إلى
هذا القصد

فأراد أخوه أن يدرس في كلتا المدرسة ليحصل
في الحقوق عند انتهاء الدراسة على شهادتين أحدهما من مصر
والأخرى من فرنسا فصعد بهذه الإرادة الكريمة وهو
جدلان مستبشر . وقدم طلبه إلى مدرسة الحقوق الفرنسية
وصار أحد طلاب السنة الأولى فيها واستمر في المدرستين
بحيث كان يقضى سحابة النهار في المدرسة الأميركية ويدرس
في المساء في المدرسة الفرنسية إذ كانت الدراسة تبدأ فيه أقبيل
الغروب يوماً بساعتين

وقد حدثت في ٢٠ يناير سنة ١٨٩٣ مظاهرة وطنية من
طلاب المدارس وفي مقدمتهم طلاب مدرسة الحقوق وفي طليعة
هؤلاء صاحب الترجمة وقد هجموا جميعاً على إدارة جريدة
المقطم لأنها أظهرت ضد الوطنية المصرية وروح النهضة

الاهلية التي انتشرت بين طبقات الامة على أثر تولية سمو
الخدوي المعظم عباس حلمي باشا الثاني: عداء غريباً. وكان المترجم
وهو في طليعة المهاجرين كما قدمنا يخطب في التلاميذ فيشير
في الصدور حماسة تدك الجبال وتزلزل عروش الاقبال ومن
تلك الساعة استولي سلطانه على قلوب اخوانه وأصبح يشار
الى الوطنية في شخصه المحبوب

وفي هذه السنة المكتبية الداخلة في سنتي ١٨٩٢ —
١٨٩٣ اكثر من كتابة المقالات ونشرها في جريدة الاهرام
وقد نشرت أول مقالة في العدد ٥٤٥ في يوم السبت ١١ فبراير
سنة ١٨٩٣ وهذا نصها

نصيحة وطنية

« ايه ياسمسة السوء ايه يا أعداء الانسانية ايه يا جراثيم
الفساد لقد والله تماديتم في البغي وقد تدانيتم من كل أم قصي
الام تسعون في الارض بالفساد وحتام تعظمون الصغير
وتصغرون الكبير وكم هذا الارعاد والتهويل وما هي الغاية

{ B.A.
M.A.
L.L.B.
L.L.M.
L.L.D. //

B.

265

التي تسعون اليها من زرع بذور الفساد واضرام نار الفتنة
بالاختلاقات الواهية والاشاعات الكاذبة والمصرى أعظم
مكانة من أن تؤثر فيه عوامل المفسدين وأرزن من أن
تحركه يد الغايات المصرى مشهور بالصبر معروف بالسكينة
موصوف بالثبات فردوا سهام إذاكم في نحوركم وانفخوا في
رماد الفساد ما شئتم أن تنفخوا فلا والله لن تروا منه حركة
الا بالسكون ولن تنالوا غرضا ولو بعد العناء

ورحمك أيها المصرى ما أشدك على حمل النوائب
وما أصبرك على فساد المفسدين وطوباك ما أكثر حذرک من
العواقب وأظهرک على المغترين :: هذا العالم ينظر اليك الآن
بمنظار الانتقاد فيرى المفسدين يجوسون خلال ديارك
وسامسة السوء يدسون عليك الدسائس ويعملون على ضررك
وأنت مع ذلك ثابت الجأش قوى الجنان غير مصغ الا لنداء
الثبات ولا ملتفت الا الى مصلحة وطنك لكن مع السكينة
والحزم وبذلك يعلم العالم انك انما اتهمت بما أنت براء منه
ورميت بما أنت بعيد عنه فيعود بالملامة والتأنيب على من

رام اغتصاب حقتك بحجة ليس عليها دليل الا الباطل وينصفك
ممن حاول سلب استقلالك لمجرد تعلقك بحب أميرك العزيز
ووطنيتك الصادقة

فاصبر أيها المصري فان الصبر من حزم الامور واياك
التهور مع دسائس المفسدين بقول أو فعل بعد ما ظهر منك
من الوطنية والثبات. فوالله لسكوتك في مثل هذه الظروف
أشد على أعدائك من ضرب الحسام وأنت من كل نكايته
وهم انما يتذرعون بك اليك فصدحهم لكن بالحزم وردهم
لكن بالتأني وكن مع مواطنيك من الغربيين الذين
يقاسمونك السراء والضراء كما أنت عليه من الحب الدائم
والالفة الثابتة فانما مواطنك ووطنك ومشاطرك الخير
والضر صفيك واعلم أن سياسة السوء يتربصون بك
الشر والمحتلين ينظرون الى وطنيتك بعين الغدر حتى اذا
رأوا منك شررا جعلوه نارا يوقدون بهامصايح التهويل
في ظلمات الباطل ليجعلوك فريسة الاغراض فتأبر على الثبات
والانقياد لاميرك بكل حركة وسكون وكن منه ومن رجال

حكومته الطاهرين محل الثقة والأمان فلا والله لن ينالك
سوء بعد ما ظهر منك ومن أميرك من الوطنية والحزم ما جعل
العالم الاوروبي ينظر اليك بنظر التبجيل ويثق منك بكفاءة
تحولك حرية الاستقلال. والانسانية تنادى قاتل الله القسوة
والاستبداد ما مسهما بشرف أمة الحرية وما أشرا عاقبتهما من
عاقبة على نابذى اليهود وهم قيودها وناكسوا لو عودوهم
معززوها فلقد كشفوا عن غايتهم الغطاء وأظهروا للعالم
المتمدنين ما تكنه ضمائرهم من السوء فجلبوا على أنفسهم الضرر من
حيث أرادوا النفع فبهيات هيهات أن تقاد لهم بعد ذلك
الرجال أو ينظلي لهم ولا نصارهم على العقول محال

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

فما علينا بعد هذا الا المثابرة والاجتهاد على دفع غاية
المغرضين لكن مع السكينة والثبات والمؤازرة لا ميرنا المحبوب
الذى نرجو الله تعالى أن يوفقه لكل ما فيه خير الوطن وبنيه
ان الله كريم مجيب «

وهذه مقالة ثانية نشرت في العدد رقم ٤٥٥٠ تحت

عنوان :

الحق يعلمو ولا يعلمى عليه

« لما كانت أفعال الانسان غير مرتبطة بقوانين طبيعية وقواعد ثابتة تتمشى بها على وتيرة واحدة فانها لا تسلم من التغيير والتبديل حسب ارادة الفاعل ونمايته لما انها أفعال ارادية صادرة عن قصد وكما صدر عن قصد فهو بالطبع قابل للتغيير فانك بينما ترى، زيدا كريما حسن الخلق محبوبا من الناس اذ تراه أصبح ضنينا فاسد الخلق مذموما من الناس والعكس بالعكس وليس الغرابة في ذلك بل الغرابة في كيف ان الانسان مع اتصافه بالعقل والارادة وتمييزه بين الحسن والقيح يقبل على نفسه الاتصاف بالبخل بعد الكرم والذم بعد الكرامة!! ذلك ما تريد معرفته والوقوف على سببه فان قيل انه مرفوع الى ذلك بحركة اضطرارية بدون قصد ولا ارادة فيقال هذا ينافي اتصافه بالارادة وأفعاله عن قصد و ارادة

كما مر والا لكانت خالية عن كل تمييز والواقع بخلاف لما أن
قوة التمييز حاصله لديه وهو قادر على أن يميزها بين المتضادين
فكيف اذن يقبل التحول من الحسن الي القبيح ومن النافع
الي الضار وهو يعلم أنه كذلك . هذا مانسأل بيانه خصوصا
ممن كان بالامس ينفع الوطن والاسلام بقلمه ولسانه فأصبح
على الضد من ذلك قائما بترويج المقاصد الانكليزية شاحداً
غرار قلمه بنشر الفصول الطوال المزخرفة بعريض الكلام
وطويله مملوءة بألف دليل مجسم بقلب الغرض يظهر لدى
أدني تأمل أنه صورة مجردة الباطن عن روح الحقيقة وجوهر
الصدق مغشاة بسفاسف من القول بقصدتها الاستدلال
على حسن مقاصد المحتاين وسلامة تيجتها على المصريين خلافا
لما قام عليه البرهان الحسى لدى العالم أجمع من انها مقاصد
ليست من السلامة على شىء بدليل ما هو مشاهد من حركات
الحكومة الانكليزية وأعمال رجالها في هذا القطر
واحاطتهم بدوائر الحكومة الملكية والعسكرية احاطة
السوار بالمعصم واستشارهم بمصالح الاهلين استشار من غلب

على طبعه الطامع وتولاه الغرور ثم اجتهادهم في أمارة كل عنصر
حتى مصرى وتعويضه بعنصر انكليزى تطلعا للسلطة المحلية
التي كادوا يتوصلون لجعلها سلطة انكليزية فعلا مصرية
اسما كل ذلك بحجة الاصلاح وتسترًا باسم المحافظة على الامن
والحقوق ولنا بحادثة الوزارة الأخيرة وتطاولهم لسلب حقوق
الحضرة الخديوية لو لم يحل دونهم حزمها العظيم شاهد عدل
يؤيد ما هم عليه من فساد المقاصد وسوء النية ويدحض
ما يأتيه أنصارهم من الترهات الأمر الذي أيقظ المصرى
من غفلة طول الأمل ونبه فيه عواطف الوطنية بعد الذبول
فتحركت فيه روح الشهامة تحث على الرزاة والسكون لتعزيد
أميره العزيز الذى أحيى فى قلوب المصريين عنصر الأمل
وأوقف تيار الغايات الانكليزية بنهضته الشريفة - ودرايته
العظيمة حتى قامت بين الانكليز قيامة الايهام والتغريب
وسلكوا فى هذه المسألة من تلوين الأفعال والأقوال
كل مذهب كى لا يفتضح بين الدول أمرهم ولا ينكشف
لعالم الانسانية على مسرح القسوة والاستبداد سترهم وهم

يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره
اذ ظهرت لدى جميع الدول نتائج ما تكنه السياسة الانكليزية
للوادي النيل واتضح الحق لقوم يبصرون والحق يعلو
ولا يعلي عليه. فأقامت الدول ذات الشأن على حكومة
انكلترا النكير وأرسلت عليها من أفواه الحق أعظم نذير
فأخذها من ذلك المقيم المتعد حتى قام رجالها في مصر يطالبون
جرائدكم المصرية اسما والانكليزية صبغة بحق المدافعة المبتاعة
منهم بالأصفر ذي الوجهين فتقدموا اليها بأن تطلع في الظلمة
شمسا وتلبس الحق بالباطل لكي يسندوا حججهم من مصرية
تلك الجرائد الي برهان يفررون به الافهام ويننون عليه
حسروح الاوهام ولكن هيهات هيهات فقد عرف المصري
بعد طول التجارب عدوه من صديقه فلا ينطلي عليه محال
المدلسين ولا تغريه سفاسف الاقلام وسببت دول أوروبا
حقيقة المسئلة فهي في غنية عن أخذها من مصادر الباطل
وتلقياها من سماسة السوء

وعسى أن يكون ذلك كله عبرة لآولئك المدلسين الذين

يعلمون ان الحق حق وان الباطل كان زهوقاً فيسلكوا
السبيل الأ حوط للذمة والشرف ويخدموا الوطن خدمة
صادقة تغنيهم عن التطفل على موائد الانكليز والتسول من
أيدي الغريب ولكن رحم الله من قال

واذا ضلت العقول على عا—م فماذا تقوله النصحاء

مع أنه وأيم الله لا يضيع عند المصري جميل وهو احفظ
الناس على من حفظه وأحبهم لمن أحسن لوطنه كما أنه أبعدهم
عمن أراد به بسوء

وبالاجمال فلا يفيد الحكومة الانكليزية بعد هذا
كله الا العدول عن سياسة العنف وسلوك سبيل الانسانية
بقيامها بحق الوعود المتكررة بالجلاء عن مصر لكي يندمل
جرح المصريين فيكونوا جميعهم لها من الشاكرين فقد رأيت
من النهضة المصرية والحزم العباسي ما يدحض القول بأن
لا رجال في مصر ويقطع دون اهتمام حقوق المصريين كل
رجاء فلا سبيل بعد ذلك لغير معاملتهم بالجميل والله الموفق
في كل حال «

كتب هذه المقالة رحمه الله في وقت اشتدت فيه لهجة
جرائد الاحتلال على أثر التناف الشعب حول سمو الخديوي
الذي ظهر بمظهر الوطنية العالية فرفع صوته الشريف كامن
شعور الأمة فذابت قلوب الأعداء فأخذوا يحملون حملاتهم
التي لا أثر لها اليوم

وفي أوائل تلك السنة ألف رسالة « أعجب ما كان في
الرق عند الرومان » وهذه الرسالة على صغر حجمها كفلت
لقارئها بيان حقيقة الاستعباد الروماني المبينة لما جاءت به
شريعة خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .
ولما كانت هذه الرسالة قد تقدت طبعتها على فرط حاجة
المستفيدين الى الانتفاع بما ضمته من التحقيق الوافي في هذا
المطلب التاريخي الخطير آثرنا أن نشرها هنا برمتها ضنا
بأثر جليل مضى عليه ستة عشر عاماً أن يطلبه القراء اليوم
ولا يجدونه وينشده طالبوه ولا ينظرونه . وهذا هو نصه
بعد الفأحة :

القدمة

وجد والدا البشر آدم وحواء في مبدأ الخلقية وحيدين
في وسط الأرض كوان الشاسعة والاراضى الواسعة لا قوت
يسد رمق جوعهما ولا غطاء يقيهما تأثير التغيرات الجوية غير
التغذى بما تخرجه الأرض من الحشائش والاستتار بأوراق
النبات والاقامة في المفاوز والمغارات حسب الهام الخالق
لها وهكذا استمرا على هذه الحالة حتى تزايد عدد أبنائهما
شيئا فشيئا وتمكنوا جميعا من التعاون والتعاقد على تحصيل
ما يقوم اعوجاج الحياة وأول ما فكروا فيه هو أمر الغذاء
والغطاء الذي أرشدهم الرحمن اليه باستعمال الصيد اذ صاروا
ياكلون لحم الطيور والحيوانات ويلبسون جلودها حتى
ألهموا حفظ بعض أنواع الحيوانات النافعة كالبقرة والغنم وما
شاكلها لوفرة نسلها والاستغناء بنتاجها ودرها عن مكابدة
اتعاب الاتتناس ولكنهم لذلك الحين كانوا مكتفين غذاء
بلحمها وألبانها وكساء بصوفها وجلدها ولم يزالوا عاكفين
على تربية الحيوانات النافعة والاعتناء بامرها حتى تنبهوا

لحرارة الأرض ومن ثم تشعبوا وانقسموا الى قبائل يرأس كل واحدة منها رئيس لم يكن له في مبدأ الأمر من السلطة الا تقسيم الأعمال بين أفراد عشيرته أو قبيلته فمنهم مخصص للحرث ومنهم للسقي ومنهم للصيد الذي لم يقصدوه وقتئذ الا للتغذية الاضافية وكل ماينجم عن عمل أحد الأفراد يكون ملكا للعائلة بأكملها ليس لأحد منها ان يستغله دون الآخر ذلك هو مبدأ تكوين العائلات الذي لم ينتج الا بعد أدوار كثيرة تدريجية تورد لنا حالة تاريخ مدينة رومة الشهيرة التي وجدت قبل المسيح بنحو سبعة قرون ونصف وقبل الهجرة النبوية بثلاثة عشر قرنا تقريبا وهي تقص علينا تاريخها انها كانت مكونة من عائلات تمتاز كل واحدة منها باسم مخصوص يرأس كل عائلة رجل هو رب البيت وحاكمها الوحيد صاحب التصرف المطلق في حياة أفرادها وأملاكهم. وكانت العائلة مكونة من ذرية رب البيت وذرية ذريته وهكذا وعبيده ونسل عبيده ونسل نسلهم الخ (الذين كان يصل عددهم أحيانا الى خمسمائة أو ألف) وحشمه وخدمه مع أملاكه

الخصوصية وأملاك هؤلاء الأولاد والأولاد فكانت بذلك
أشبه شيء بحكومة أو أمانة المتصرف الشرعي فيها رب البيت
الذي قد حرم على غيره أن يتصرف في شيء من أملاك
العائلة بمعنى أن جميع الأملاك معتبرة له دون سواه

والعبيد وإن كانوا كأولاد رب البيت إلا أن معاملتهم
خرجت عن حد التصور والوصف فيباع العبد ويشري
ويستخدم ويؤذى ويقتل ويرمى ولا رادع في ذلك لسيده
فكان بأمره يضارب الوحوش ويقا تل السباع لتعليم أبناء
الرومانين الحماسة وكانت تقطع يداه ورجلاه إذا أذنب أحد
الأبناء لتفهمهم كيفية عقاب المذنبين (ولا ذنب لصاحبنا إلا
أنه في الغالب أجني قد أسر)

غيري جني وأنا المعذب فيكم فكأنني سبابة المتندم
وقصارى القول أن العبد كان معتبراً كآلة في يد سيده
يديرها كيف شاء وإن معاملته الموالى للعبيد وإن تحسنت
قليلاً في عصر الرومان الأخيرة لا تزال موضوع وحشية
وهجية تصور لنا اجتماع النقيضين واتحاد الضدين (التمدن

والتوحش (كما سيظهر جليا

نبذة تاريخية

قسم علماء القانون الروماني أدواره الى أربعة
الدور الاول - يتدبىء من تأسيس مدينة رومه
المنسوب الى رومولوس لغاية سنة ٢٤٤ منه (أى من سنة ٧٥٣
الى ٥١٠ قبل المسيح ومن سنة ١٣٥٦ الى ١١١٢ قبل الهجرة
المحمدية) وفيه كانت منصة الاحكام بيد البطاركة ثم الملوك
الايثريين . والقانون الروماني كان عبارة عن نصوص
مكتوبة على اثنتى عشرة لوحة مع اتباع العوائد الجارية وأشهر
متشرعى هذا العصر هو بايروس

الدور الثانى - يتدبىء من سنة ٢٤٤ لرومة لغاية ٧٠٩
لها (٥١٠ الى ٤٥٠ قبل المسيح - من ١١١٢ الى ٦٤٧ قبل
الهجرة) وكانت المملكة فيه جمهورية وأشهر متشريع
سيرون

الدور الثالث - (ويسمونه بالعصر المدرسى) يتدبىء

من سنة ٧٠٩ لغاية ٩٧٨ من تأسيس رومة (٤٥ قبل المسيح
الى ٣٢٤ بعده - ٦٤٧ قبل الهجرة الى ٢٧٨) والحكومة
فيه كانت في يد قيصرية تعبد الاصنام وهو أم الاعصر
بالنسبة للقانون الروماني حيث نشأ فيه من المشرعين عدد
يزيد بكثير عما نشأ في غيره وأشهرهم جوليان وجايوس واولييان
الدور الرابع - يتدى من ٩٧٨ الى ١٢٤٠ من تأسيس
رومه (٣٢٤ الى ٥٦٥ بعد المسيح - ٢٧٨ الى ٣٧ قبل الهجرة)
كانت فيه السلطة للقيصرية المسيحية وهو الدور الذي نشأ
في آخره جوستينيان الذي بدل وعير ومحا وأثبت كثيراً في
قانون الرومانيين ومن بعده أخذ في الاضمحلال

الباب الاول

في الرق والعبيد

(الفصل الاول)

قواعد تهيدية

(انقسم الاول)

الرق وما كان عليه عند الرومان

الرق هو حال المملوك لا آخر وحالته عند الرومان
تختلف حسب الاعصر والادوار في الازمنة الاولى كان
العبد معتبراً ككائن حي لا حق له مطلقاً (أى منقولا
يتكلم) ولا رادع لتصرفات سيده فيه الا ان هذه السلطة
المطلقة قد أوقفت عند حد في عهد القياصرة (بعد ان رأى
العبد ما لم تره عين بشر) اذ صدرت في أيامهم أوامر شتى
بخصوص تقييد سلطة السيد والوقوف بها عند حد منها :

١ لا يجوز للسيد ان يبيع عبده لاحد لا يشتريه الا

لمضاربة الوحوش

- ٢ العبد الذي يتركه سيده لمرض أو لشيخوخة يعتبر حراً
- ٣ من قتل عبداً مريضاً أو هرماً ليستريح منه يقاص
- ٤ كل من خصى عبده أو قتله بلا ذنب أو باع أفراد عائلة عبد متفرقين يعاقب

وفي جميع الأزمان الرومانية كان زواج العبد معتبراً غير شرعي وبذلك ليس له على أولاده سلطة أبوية ولا علاقة بينه وبينهم إلا من حيث تحريم زواج البنت (أى ان العبد لا يتزوج ابنته وهو تمييز بين العبيد والحيوانات العجم) وما يرتكبه العبد من الاثام والجرائم يعاقب عليه ان كان ضد الهيئة الاجتماعية وأما اذا كان ضد فرد من الافراد فلا يحاكم الا بعد عتقه وان أضر العبد فلسيده ان يطالب الضار بتعويضات كما يفعل ذلك ان أتلف له شيء

﴿ القسم الثاني ﴾

اعتقاد الرومان في حل الرق

ان الرومانيين كانوا يقيمون دعائم حل الرق على دليلين:

الاول : ان الغالب له الحق في قتل مالديه من الأسرى
(كما هو معنى الاتفاق الدولي اذ ذاك) وعليه فلا استعباد عمل
خير وبر

الثاني : ان الغالب يعد مالكا لأسراه ولا أموالهم
والمالك له ان يتصرف في أملاكه كيف شاء وعليه فله حق
استخدامهم واستعبادهم

﴿ الفصل الثاني ﴾

(الوقوع في الرق)

تمهيد

اعلم ان للرومانين قانونين الاول أحكامه تسرى عليهم وعلى
الاجانب على السواء ويسمونه قانون الكافة والثاني أحكامه
خاصة بهم ويسمونه القانون المدني (كالحق المخول لرئيس
العائلة ان يقتل أى تابع له) وللوقوع في الرق أحكام خصوصية
في كلا القانونين :

(القسم الأول)

الاستعباد بقانون الكافة

يقع الانسان في الرق : أولاً بالولادة — ثانياً بالاسر
الولادة — تتبع الرومانيون قاعدتين في الرق بالولادة وهما:
(١) كل ولد ولد من زواج شرعي يتبع حالة أبيه في الحرية
(٢) تعتبر حالة الاب عند مبدأ الحمل فقط وتعتبر حالة
الأم وقت الولادة

وبما ان زواج العبد عندهم غير شرعي فنسله يتبع حالة
أمه ولكنهم قد خالفوا القاعدة الثانية في منفعة المولود حيث
قرروا ان الولد الذي لبثت أمه بعض الزمن (ولو دقيقة)
حرة وقت الحمل به أو وقت الولادة يولد حراً
الاسر — لاجل الوقوف على حقيقةه الوقوع في الرق

بالاسر يلزم معرفة تمييز الاجانب

يعتبر الرومان الاجانب قسمين : (١) المتبربرون
(كسكان الغاله وجرمانيا وقتئذ) وهم قوم لا تتبع الرومان

نحوهم الا قانون الاقوى وأسراهم عبيد سواء أسروا في السلم
أو في الحرب

(٢) أجناب يسمونهم في زمن السلم بريجرين (Pèrègrins)

وفي زمن الحرب هو ستيس (Hostis) التي معناها (عدو)
ويتبع الرومان نحوهم قانونا ثابتا ولا يؤسرون الا في الحرب

(القسم الثاني)

الاستعباد بالقانون المدني

يختلف الاستعباد بالقانون المدني باختلاف أدوار

القانون الروماني

ففي الدور الاول كان يقع في الرق :

(١) كل روماني يرفض الخدمة العسكرية

(٢) كل من لم يكتب اسمه في دفتر تعداد الاتفس (وهو

دفتر لا يوجد الا في رومه اسمه السنس (Gens) تكتب

فيه أسماء الرومانيين كل خمس سنين)

(٣) المدين الذي لم يسدد ما عليه من الدين في المدة التي

عينتها المحكمة في حكمها الصادر بهذا الصدد

(٤) اللص الذي يضبط متلبساً بالجناية

وفي العضر المدرسي دخلت جميع هذه الاسباب في

خبر كان

وفي عهد السلطة الملوكية كان يقع في الرق :

(١) من زنت من الرومانيات مع أحد عبيد الغير بالرغم عن

ثلاث اذارات من سيد العبد تقع تحت سلطة ذلك

السيد هي وجميع أموالها ومن حملت به أو ولدته من

الاولاد قبل وقوعها في الرق يبق حراً

(٢) من أتى بجرمة عقوبتها الوقوع في الرق

(٣) كل من قابل سيده من المعتوقين بضد ما يستحق

(كأن يقبض يده عن ان يعطيه الغذاء والسيد فقير)

(٤) قد يقع في بعض الاحيان ان رومانيين نصابين يقيم

أحدهما الآخر كسيد له نبيعه وبعد تمام البيع وقبض

الثن يهرب المعتبر كعبد (وهو حر نصاب) ويرجع

لرفيقه (الذي عمل سيده وقت البيع) حيث يقاسمه

في الثمن ويأتي المشتري بعد ذلك يطالب البائع بالمبيع
فان كان ثريا رده دراهمه والا فيملك المبيع (أي الحر)
النصاب الذي يبيع باسم عبد) الا ان ذلك يستلزم
ثلاث شروط

- (١) أن يكون المشتري جاهلا حقيقة الامر أي عالما بان
المبيع عبد حقيقي والبائع سيده
- (٢) ان يكون البائع والمبيع على عكسه أي لم يعمل ذلك الا
بقصد النصب
- (٣) ان يكون سن المبيع فوق العشرين سنة

الفصل الثالث

في حالة العبيد ومعاملتهم

ان حالة العبيد تختلف حسبما تكون بالنسبة للسيد أو
بالنسبة للاجتماع الروماني
(معاملة السيد لعبد) ان القاعدة القديمة الرومانية هي
ان العبد وما ملكت يدها لسيدته بمعنى ان لكل سيد سلطة

تامة على شخص العبد وما له ولكن هذه السلطة قيدت في
الاعصر الرومانية الاخيرة تقييداً جعلها وقفت عند حد
لا تتعداه

(سلطة السيد على شخص العبد) - كانت هذه السلطة
في بادىء الامر مطلقة لاحد لها ولكن مع الزمن وتقدم
الامة الرومانية في الحرب تعاضم عدد العبيد في المدينة وزاد
سوء تصرف الاهالي في هؤلاء المملوكين حتى أصدر
انتونيان الملقب بالصالح أمره بان كل سيد قتل عبده بلا
سبب يعاقب بالاعدام أو بالنفي وكذلك كل من عامل
عبده بقسوة يلزمه بيعه (وقصد الشارع بذلك أنه ربما يملك
لسيد شقوق) هذا مع حفظ ولاية التأديب للسيد فضلاً
عن أنه حر في بيعه ورهنه وتركه ان شاء .

سلطة السيد على أموال عبده - ان سلطة السيد على
المال بقيت بحالة واحدة زمناً مديداً أي ان الأعصر لم تغير شيئاً
من تصرفات السيد في أموال العبد واعتبارها له كلها فالسيد
في كل الاوقات مالك لجميع أموال عبده وله ان يعطيه شيئاً

من المال يتصرف فيه وله استرداده منه متى أراد (وهذا ما يسمى Pécule)

ولما كان كل ما يمتلكه العبد لسيدده صح ان ينوب عنه في عقد العقود التي يكون السيد فيها دائناً لا مديناً العبيد في الجمعية الرومانية

ان زواج العبد في الاجتماع الروماني معتبر غير شرعي كما قدمنا ذلك في أول الرسالة فلا يتوارث به الزوجان. والعبيد وان اعتبروا كمنقولات تتكلم الا ان الجرائم المرتكبة من الاجانب نحوهم تسبب للمذنب عقاباً. تختلف شدته حسب الأعرس. وهم ان ارتكبوا ذنوباً ضد الهيئة الاجتماعية يعاقبوا أشد العقاب

وغير ما ذكر من العبيد يوجد نوعان يخالفان الاحكام السابقة وهما:

أولاً - عبيد الكافة وهم ملك الحكومة ولهم ان يتركوا اجزاً من أموالهم لا يتجاوز النصف لاولادهم في وصيتهم.
ثانياً - عبيد لاسيد لهم وهم نوعان

- (١) - عبيد عوقب سيدهم عقوبات قاسية
(٢) - عبيد تركهم أصحابهم وهؤلاء الأخيرون يسهل
عتقهم حيث لا موالي لهم

الباب الثاني

﴿ في الاحرار ﴾

(تمهيد)

ينقسم الاحرار الى قسمين: احرار نشأوا كذلك و احرار
كانوا عبيداً ثم عتقوا . ولهذا التقسيم يطلق على بنى النوع الاول
(احرارا) وعلى بنى النوع الثانى (معتوقين) ويستثنى من
ذلك . اولاً ان الحرية التى لها علاقات داخلية مع عبداً جنى
برضا سيده تعتبر معتوقته . ثانياً من كان حراً (رومانياً)
أسر عند الاعداء ثم عاد لرومه يرجع حراً أى يكتسب
ما يسمونه حق العودة

وأعظم الاحرار قدرا هو رئيس العائلة لان له من

الحقوق أعظم مما لغيره فله حق الحرية والمدنية والعائلة وأما غيره فأما لا يملك الا الحرية فقط دون المدنية والعائلة (وهذا لا يعتبر رومانيا لانه فاقد للمدنيه). واما يملك الحرية والمدنيه. ومن يفقد حق الحرية يفقد المدنية والعائلة ومن يفقد حق المدنية يفقد حق العائلة دون حق الحرية

﴿ الفصل الأول ﴾

عتق العبيد

يعتق العبد :

أولاً - بسيدده

ثانياً - بالمحاكم ان ترى لها ذلك

ثالثاً - ان أعلم بقاتل سيده أو رفع عنه مضاراً جسيمة

رابعاً - بمضى مدة تختلف بين العشر والعشرين سنة على

قول بعض المؤلفين

وجميع هذه الحالات سهلة ظاهرة غير ان اولها تحتاج

الى بيان وزيادة توضيح

عتق السيد لعبده

يلزم لذلك أربعة شروط :

أولاً - رضا السيد بالعتق ويكون ذلك بتصرّحه في حياته

أو بذكره في وصيته

ثانياً - أن يكون السيد مالكا لعبده ملكا حقيقياً

ثالثاً - أن يكون السيد قادراً على العتق أي لا يكون قاصراً

رابعاً - أن يكون السيد هو المالك الوحيد لأنه لو كان له

شركاء وعتق العبد بلا رضاهم لا يعتبر هذا العتق في

العصر الأول لاغ لأن الحرية لا تتجزأ ولكن

جوستينيان اعتبره جائزاً على شرط أن يدفع السيد

العائق لبقية الشركاء من المال قيمة أنصبتهم في العبد

طرق العتق

تختلف طرق العتق على حسب العصر الرومانية

(طرق العتق في العصر الأول) - للعتق ثلاث طرق

على حسب مانص قانون الاثنتي عشرة لوحة : الفنديكت ودفتر

التعداد والوصية

(١) طريقه الفنديكت (Vindicta) هذه الطريقة هي أهم الطرق واقدمها وكيفيتها ان يأتي العبد والسيد ومعهما شخص ثالث أجنبي فيقدم هذا الاجنبي العبد أمام القاضي ويقول «هذا العبد حر» فأما ان يصادق السيد عليه أو يسكت فيحكم في الحال القاضي بحرية العبد ومن هيئة هذه الطريقة نرى انها علي شكل قضية تخيالية

(٢) دفتر التعداد — ان هذه الطريقة قاصرة على كتابة اسم العبد في دفتر تعداد الأتق

(٣) الوصية — وهي اما ان تكون موجبة للعبد مباشرة أو للورثة وفي هذه الحالة الأخيرة يوضح فيها الوصي عتق العبد بعد موته

وللعبد الحق في رفع الامر للحاكم اذا عضل الورثة في عتقه. تلك هي طرق العتق في بلاد الرومان في أعصرها الاول وهناك فرق بين العتق باحدى الطريقتين الأوليين والطريقة الثالثة وهو ان العبد في الطريقتين الأوليين يحفظ

ما أولاده سيده من المال (أى يحفظ ما يسمى *pécule*) وفي
الطريقة الثالثة بالعكس. وفضلا عن هذا فإن العتق في الحالة
الأولى لا يكون معلقا على شرط وفي الحالة الأخيرة يتأتى
أن يكون معلقا على شرط كأن يقول السيد فى وصيته أعتق
عبدى فلانا بشرط أن يبنى لورثتى بيتا مساحته كذا مثلا

(طرق العتق فى العصر المدرسى) - فضلا عن طرق
العتق المستعملة فى العصر الأول فإنهم أضافوا إليها فى العصر
المدرسى صحة العتق إذا أوضح السيد حرية العبد امام الجمهور
أو أرسل له خطابا يظهر له فيه أنه أعتقه وما خالف هاتين
الطريقتين يعتبرونه غير شرعى ويسمون العبيد المعتوقين بهذه
الصفة لاتان جونيان (*Latins-Juniens*) وهذا النوع يفقد الحرية
بموتة أى أنه حر فى حياته وعبد بعد مماته

(العتق فى عهد جوستينيان) - قد أبطل جوستينيان
العتق بدفتر التعداد واكتفى فى العتق بالفتديكت باظهار
رغبة السيد امام القاضى وقرر ان السيد يمكنه اظهار رغبته
بخطاب يرسله لعبده وعليه امضات خمسة شهود كما انه يصح

ان يعتق عبده امام خمسة بان يخطابه (يابني) أو يقول انه تبناه

﴿ الفصل الثاني ﴾

الموانع الشرعية للعتق في زمن الجمهورية

لما ازداد عدد المعتوقين في أواخر أيام الجمهورية الرومانية
وكان أكثرهم غير جدير بان يصير حراً قرر أغسطس في سنة
٧٥٧ لرومه :

أولاً . من نال من العبيد عقاباً يخذش الشرف لا يملك بالعتق
الا حق الحرية فقط .

ثانياً لا يملك العبد المعتوق الذي يبلغ من العمر أقل من
الثلاثين سنة الا حق الحرية دون غيره

ثالثاً لا يجوز للسيد الذي لم يبلغ من العمر عشرين سنة
ان يعتق عبده الا اذا كان مربيه (وفي هذه الحالة
يحصل العتق بقرار من مجلس مخصوص مكون من أعضاء
مجلس الشيوخ ومندوبي الامة)

رابعاً لا يجوز للمدين ان يعتق عبده الا ان كان مكث

عنده عشرين سنة على الاقل

تلك هي القاعدة الاصلية وليس لها استثناء الا في حالة ما
اذا كان السيد لا وارث له فيجوز له ان يعتق عبداً واحداً
من عبيده بوصية لكي يرثه

وبعد هذا القرار بثلاث سنوات أصدر أغسطس قراراً
آخر يتضمن ان السيد لا يعتق في وصيته زيادة عن مائة عبد
ويجب عليه ان يبين أسماءهم وألقابهم الا ان هذا القرار لم
يبق له أثر في عهد جوستينيان

﴿ الفصل الثالث ﴾

معاملة المعتوقين

ان معاملة المعتوقين تختلف في العصر الاول لرومه وفي
عصر جوستينيان عما كانت عليه في العصر المدرسي . ففي
العصر الاول كما في عصر جوستينيان كانت المعاملة لجميع
المعتوقين واحدة وأما في العصر المدرسي فكان المعتوقون
ثلاث طبقات ولذلك اختلفت معاملتهم

الاولى - المعتوقون المدنيون أي الذين ملكوا بالعتق حق الحرية والمدنية وهم الذين عتقوا حسب الشرائط الشرعية المتقدمة ولم يقع منهم وهم عبيد ما استوجب عقابهم الثانية - الديدكتيس (Didictices) وهم المعتوقون الذين عوقبوا في زمن استعبادهم عقوبات قاسية بسبب ما ارتكبهوه من الجرائم

الثالثة - اللاتان جونيان (Latins-juniens) وهم معتوقون أصلهم في الغالب من البلاد المجاورة لرومه يكونون طبقة متوسطة بين الاولى والثانية حقوق السيد على معتوقه

ان للسيد على معتوقه حقوقا وواجبات ترثها اولاده بعد موته بالسوية ان لم يخصصها لواحد منهم وهي :
(١) يجب على المعتوق أن يكرم سيده وينغذيه ان كان فقيراً

(٢) يجب عليه خدمته

(٣) للسيد حق الوصاية والوراثة

(١) حق اكرام السيد — ان هذا الحق يجعل المعتوق
بعيداً عن ان يقيم ضد سيده قضية الا بأذن من
الحاكم فضلا عن أنه يرجع عبدا ان لم يعطه الغذاء
الضروري ان كان محتاجا له وللسيد ان يتزوج
بمعتوقته ولو بغير رضاها

(٢) حق الخدمة — على المعتوق ان يخدم سيده متى
دعا لذلك

(٣) الوصاية والوراثة — ان السيد هو الوصي الحقيقي
على أولاد المعتوق المتوفى كما أنه الوارث الشرعي
نهاية حقوق الموالاة

موت السيد أو المعتوق ينقص من حقوق الموالاة دون
ان يمحىها فبموت السيد تحفظ أولاده تلك الحقوق على
معتوق أبيهم وبموت المعتوق يحفظ السيد ماله من الحقوق
على أولاد ذلك المعتوق الميت
ولا تنقرض حقوق الموالاة الا اذا وقع السيد أو
المعتوق في العبودية

المعتوق في الهيئة الاجتماعية

لا جيل معرفة حالة المعتوق بالنسبة للحقوق العمومية
كحق الانتخاب والتوظف بالوظائف العمومية والحقوق
الخصوصية كحق الزواج والسلطة الابوية والهبة والوصية
وغير ذلك معرفة جيدة يلزم التكلم على مال كل نوع من
المعتوقين :

الديداكتيس — بما أنهم أدنى أنواع المعتوقين واحطهم
قدرا قرر الرومان أنهم لا يطاقون أرض رومة ولا ماجاورها
على بعد مائة ميل والا يقعون في العبودية مرة ثانية وهم
مجردون عن الحقوق العمومية والخصوصية

اللاتان جونيان — هم أحرار في حياتهم وعييد بعد
موتهم مجردون من الحقوق العمومية وليس لهم من الخصوصية
الاحق الهبة والوصية ولكي يتحصلوا على باقي الحقوق
يلزمهم عتق جديد مع بقاء حقوق الموالاة

المعتوقين المدنيين — ان المعتوقين المدنيين كانوا ممتعين
من الحقوق العمومية بحق الانتخاب وبكل الحقوق الخصوصية

وكانوا يسمونهم أصاغر القوم في مقابل الرومانيين (الذين هم رجال المجد والشرف) وهم أهل للاستيلاء على المناصب العالية ان رضى السيد بذلك

المعتوقون في عهد جوستينيان

قد سوى جوستينيان بين جميع المعتوقين فما بقي لاسم الديداكتيس واللاتان جونيان في عصره من أثر وانتهى به الامر الى ان ساوى بين الرومانيين الاصليين وبين المعتوقين المدنيين

الباب الثالث

عبيد الخراثة

لما كانت أمة الرومان أمة لا اشتغال لها الا بالحرب والأسر ولا ساعد لها الا السيف والرمح أهملت في جانب ذلك خدمة الأرض وكثرت بنصراتها العبيد حتى أصبح أقل الرومان مقاماً يملك العدد العديد منهم ولهذا الحال تنبه

القوم حيث صرفوا بعض عبيدهم نحو حرّاة الارض وزارعها
مع اعطائهم قليل من الحرية تنشطهم على العمل فتمتعوا بالحقوق
الخصوصية وشرطوا عليهم ان لا يعقدوا أى عقد الا برضاهم
ومنحوهم فى مقابل خدمتهم الأرض أجراً. ولكنهم مع
كل ذلك لم يزالوا تحت سلطة الأسياد (التي تكاد ان تكون
مطلقة). فهم فى الحقيقة يكونون طبقة بين العبيد والاحرار
وتلازم عبد الحرّاة هذه الصفة مادام رقاً.

منشأ عبودية الحرّاة — يصير الانسان عبد حرّاة :

(١) بالولادة « أى يرث هذه الصفة عن أبيه »

(٢) بنص قانوني « الذى يجعل فى بعض الاحيان أمة
كاملة عبيد حرّاة »

(٣) بالاختيار « كأن يطلبها حر »

(٤) بمضى مدة قدرها ثلاثون سنة ومثال ذلك اذا

استمر حر يحرث أرض غيره هذه المدة فانه يصير

عبده هو ومن يولد من اولاده بعد ذلك

نهاية عبودية الحرّاة — تنتهى عبودية الحرّاة :

- (١) بالعتق
 - (٢) بالترقى الى درجة الاسقفية
 - (٣) بمضى مدة قدرها ثلاثون سنة
- وقد محاجوستينيان هذه الثالثة

﴿ تم ﴾

الجزء الاول من السنة الاولى يوم السبت ١ شعبان

سنة ١٣١٠ الموافق ١٨ فبراير سنة ١٨٩٣

المستشرق

جريدة علمية تهديبية

تصدر في اليوم الاول من كل شهر عربي

الا في شهري محرم وصفر فلا تصدر

بديرها وبمحررها ﴿مصطفى كامل﴾

قال حكيم (حبك مدرستك حبك اهلك ووطنك)

قيمة الاشتراك سنويا ثمانية قروش مصرية تدفع سلفاً
ومن يزيد الاشتراك فليبرسل القيمة مع اسمه ولقبه وعمل اقامته

﴿طبع بمطبعة المحروسة﴾

وفي يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣١٠ — ١٨ فبراير
سنة ١٨٩٣ أصدر الجزء الأول من مجلة المدرسة وهي
مجلة أدبية تهذيبية وطنية علمية تصدر في غرة كل شهر عربي
وقد صدرها بهذه الجملة الشريفة المغزى وهي :

حبك مدرستك حبك اهلك ووطنك

وكان يديرها ويحررها كلها أولاً بقلمه ثم تطوع بأقلامه
كثير من الكتاب المجيدين في ذلك العهد لمعاونته في هذه
الخدمة الشريفة بما كانوا ينشئون من الرسائل والمقالات .
ومجلة (المدرسة) هذه أول مجلة أصدرها طالب علم في مصر .
وكان يطبعها في مطبعة المحروسة وهناك تعرف بالمكاتب
الشهير المرحوم السيد عبد الله نديم الذي كان يطبع مجلته
الشهيره (الاستاذ) هناك

ويلدنا كثيراً على حد قولهم « وأعز آثار الغنى أثر
الصبا » أن نذكر شيئاً من المعلومات عن هذه المجلة وتتبعه
بفصول منتخبة من أجزاءها فنقول :

بلغ عدد مشتركى هذه المجلة ٢٤٠٠ مشترك في مدة
ثمانية أشهر فقط وأكثر هؤلاء من طلبة المدارس الابتدائية
وقد اشتركت نظارة المعارف في هذه المجلة بخمسين نسخة
وقيمة الاشتراك السنوي فيها ثمانية قروش صحيحة .
وكانت تصدر عشرة أشهر وتحتجب شهرين في العام ليأخذ
صاحب الترجمة محررها ومديرها حظه من الراحة . أما
الفصول التي كانت تنشر فيها فبعضها وطنى وبعضها علمي
خلا ما هنا لك من الاناشيد الوطنية التي تضرب على الاوتار
الحساسة من القلوب والفصول الرائقة التي تبحث في نظام
الهيئة الاجتماعية والشذرات العلمية والملح الادبية والطرائف
الفكاهية والمحاورات الادبية وما شا كل من المباحث
والاغراض التي تنطوى تحت لفظة « خدمة الوطن العزيز »
ولم يعقه اصدار هذه المجلة عن حفظ دروسه والاهتمام
بشؤونه الخاصة . وقد كتب الى عند ما أنشأ هذه المجلة كتابا
هذا نصه بصورته بخط يده :

مجلة المدرسة

(بغداد)

الواحد في ٩ آب ١٩٢٤

افني وروحي خفف على صدري فهي ورسايم
قبل وحينئذ انفا واهديك احد كتابي العلمي
استهوا لوالده في عهد صغرة وانتم عافية فريدية تحيات
انتم قلبك في الوجود . كذلك الانشغال وفي
مقتدرهم الاب البار حينئذ
الوقت اليك في هذا البريد صحتك الطهارة التي نبتت
لكنه انما نشأه لا يدرى وانتم به . وان ارجو
انه تصدق على رايين في
وارحونك رسولك منفرقا عند سارخ او طهرم سوار
اصحمتي فهي حيت ولا يفيض الامت هديك
حركية الوطنية قضا غطر جدا يارطل . وفي الختام
قبل وحينئذ وارتت لاصيدك المنفذ
والله اعلم

هذا ولما كان ما صدر من أعداد هذه المجلة لا يتجاوز التسعة أعداد بسبب ما أتت به من المرض رأينا ان نذكر أهم ما جاء فيها حتى تكون مثالا لأعماله في صباه . وفقنا الله الى ما يحبه ويرضاه

منتخبات مجلة المدرسة

﴿ الجزء الأول ﴾

(يوم السبت ١ شعبان سنة ١٣١٠ - ١٢ أُمشير ١٦٠٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدير الأعمال . في مدارس الكمال . على محور الاعتدال . موهب الانسان . القلم واللسان . المعبرين عما في الجنان . والصلاة والسلام على نبيه محمد روح مدرسة المعجزات الباهرة . وصاحب الأخلاق الطاهرة . مدينة العلم والكرم . ومصدر الفضل والحكم . ﴿ وبعد ﴾ فلما كانت عموم الجرائد على اختلاف مشاربها . وتنوع مذاهبها .

لاتقيد الا الآباء . دون الابناء . من تثقيف عقولهم .
وتنمية أفكارهم . أمر من أهم الامور الشريفة . وغاية نوالها
من أكبر المزايا المنيفة لأنهم عماد دولة مستقبل الزمان .
ومتى صلح المبدأ صلحت الغاية في كل آن . (من يزرع الشوك
لا يجني به عنباً) رأيت ان أهدي أبناء جلدتي . وصغار بلدتي .
جريدة على الأخص تهذيبية لما في ذلك من النفع والسداد .
والهداية الى سبيل الرشاد . تصدر في كل شهر مرة واحدة
الا في شهرى محرم وصفر (زمن الصيف في هذا العام) فلا
تصدر لما يحيط بكل من الاشتغال بالراحة وتبديل الهواء .
بعد طول العناء . وقد جعلت قيمة الاشتراك فيها سنوياً
رجاء للنفع العام (والله علي ما أقول شهيد) ثمانية قروش
صاغاً حتى يسهل للجميع تناولها وتم بذاك فوائدها ولنا
الامل الوطيد في مساعدة حضرات نظار المدارس الابتدائية
لنا في هذا المشروع لأنهم جميعاً رجال همهم عالية . وغاياتهم
شريفة سامية . لا يتغنون الا بنجاح بلادهم . وعلو شأن أوطانهم
في ذلك العصر الزاهر عصر أميرنا المحبوب حامي حمى الديار

المصرية ورافع شأنها .

﴿ عباس باشا حلمي ﴾

من أصبح شكر جنابه المستطاب أسمى من شكر
الرياض لبنت السحاب حفظه الله ورجاله الكرام وأهله
وذويه الفخام آمين .

لماذا انشئت المدرسة

مأنشأت المدرسة الا لكي تكون مركزاً لجمع درر
فرائد الاستاذ ومنهلاً غزيراً لاتحاف التلميذ بأئمن الفوائد
وأسمائها . وأبهج اللطائف وأسناها . فيهدى الاول من محاسن
معارفه مايجود به علينا . ويهدى الثاني من حلال العلم والأدب
مانورده وما يرد الينا . وما عليه الا استقبال تلك الجريدة
العصماء . والمجلة العذراء . بالترحيب والاجلال . والتردى
بما تهديه له من أثواب التهذيب وطيب الاعمال والتقاط ما تحفه
به من المسائل السنوية الثمينة . والنفائس النفيسة المكيئة . وان
تعر عليه الوقوف على أصل كلاة أو معنى جملة أو حسن خريدة

فما عليه الا الرجوع بها الي محل ثقته وسنده القديم صانع جواهر
فكره أستاذه العليم فيستفسر منه عما أعتته معرفته وما تعذر
عليه نيله واياه اياه ان يقصر في السعي وراء التعليم والتهذيب
وقد سهل الله عليه كل أمر مريب فأهداه جريدة تباع اليه
بشمن بخس ما أخاله الا حقيراً وأمره عند الالباء يسير ليس
عسيراً

فعليك أيها الصبي المجد ان تستطلع أسرار تلك الجريدة
التي لم تسطر الا لمنفعتك وخيرك وسعادتك وبرك وتعني
كل الاعتناء بأمرها فسوف يأتي يوم تسلم اليك فيه مقاليدها
وتعطى من مديرها زمام أعمالها فتشرد اذ ذاك بالاتفاق مع
رفقائك صغار اخوانك وضعاف أبناء بجدتك فتصفحها الآن
وقف على حقيقتها وأنت صغير حتى تهدي غيرك فيما بعد
وأنت كبير والله يهدينا جميعاً الى طريق الرشاد وما فيه خير
البلاد انه سميع يجيب دعوة الداعي اذا دعاه

﴿ شرف الاستاذ ومجد التلميذ ﴾

اعلم ان الناس على اختلاف مراتبهم وتفرق درجاتهم
بين عالم وجاهل أى محصورون جميعاً في طبقتين عليا وهى
طبقة العلماء وسفلى وهى طبقة الجهلاء وكلاهما فيه أقسام
عديدة فمن العلماء من تبحر في الفاسفة ومنهم في الفقه ومنهم
في النحو ومنهم من هو أعلم من الآخر كما ان في الطبقة
السفلى من هو أجهل من أخيه ولا شك ان المرتبة العليا أشرف
كثيرا من السفلى في الآخرة والدنيا « قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون » كيف لا وهم هم العلماء دون غيرهم
أهل المعارف والكمال ورجال المجد والفخام اذ عرفوا
خواص ما يحيط بهم من الأجسام فاستخدموها أحسن
استخدام ووقفوا على دقائق خواص المخلوقات فزادوا برهم
وثوقاً ولأن نبياهم تصديقا ولله من قال . العلماء في الأرض
كالنجوم في السماء ولولا العلم لكان الناس كالبهائم
العلم فيه جلالة ومهابة والعلم أنفع من كنوز الجواهر
تقني الكنوز على الزمان وصرفه والعلم يبقى دائما في الاعصر

وعليه فالناس بعلومهم لا بزيمهم واحترامهم متوقف على
علومهم لا على ملابسهم واعلم ان العلماء قسمان قسم علم وعلم
وقسم علم وما علم ولا مريّة (لا شك) في ان القسم الاول
أشرف من الثاني بكثير وهو لا يشمل على الاخص الا
الاساتذة الكرام والمعلمين الاعلام فهم على ما بينا أشرف
الناس على الاطلاق وأعظمهم مجداً وأرفعهم قدراً يهذبون
الروح وهو أمر لو تعلمون عظيم ولا يفرنكم معشر التلامذة
قلة ما لهم أو عدم بهائهم فهم الذين على أيديهم تبلغون غاية
عظمى ونخطون في مدارج الكمال خطوة كبرى

إذا علم مامر من القول وتأملتم قليلا الى حالتكم عند
الدخول بالمدرسة وعند تميم دروسها والخروج منها وقارنتم
بين الحالتين لرأيتم فرقا بينا يوضح لكم انكم عند الدخول
بالمدرسة كنتم في ذيل طبقة الجهلاء وعند خروجكم منها
(وهي مهد تعليمكم وترييتكم) تعدون من طبقة العلماء بمعنى
ان المدرسة هي التي تنتشلكم من حضيض الجهالة الى أوج
المعارف والنجاح فاياكم اياكم ان تعدلوا عن السير في منهج

الكاملات بل عليكم عليكم ان تجهدوا كل الجهد في سرعة
الاتقال من مستوى الجهلاء الى مستوى العلماء الذين قد
شرفهم الله والناس كما أنه يجب عليكم ان تحترموا الاساتذة
جميعا فقد صرفوا كل عنايتهم في تنقيف عقولكم وتربية
أفكاركم وسعوا كل السعي في تقدمكم ونجاحكم واتعبوا الآن
في تحصيل العلوم وأنتم أهل لذلك قبل ان تمر الفرصة فتأسفوا
على ما فات ولات حين مندم

﴿ فيما يجب ان يتبع في مطالعة الدروس ﴾

كثيرا ما نرى بعضكم معشر التلامذة يطالع الدروس
لا لقصد الوقوف على حقائق الاشياء بل لتحصيل نمرة
أو لنيل درجة يفتخر بها على اخوانه فيجهد بكل الاجتهاد
في حفظ ما بالكتاب على قلبه دون ان يبحث في معناه أو يدقق
في مبناه فيصير بذلك كالبيغاء بل أضل سبيلا فلو لاحظنا
أغلب التلامذة في مطالعة علم التاريخ مثلا لرأيناهم تجنبوا المنهج
القوليم وعدلوا عن الصراط المستقيم وذلك لكونهم يحفظون

مدة حكم الملوك ويعرفون أعمالهم ووقوع الحوادث حفظاً قليلاً
لاروية ولا تدقيق فيه ولو سألت أحدهم سؤالاً رأيت أنه إما أن
يجاوبك بسرعة بحيث لو أوقفته في طريقه لعطل عن الإجابة
أو أجابك بجواب آخر غير الجواب الحقيقي فيصير
بذلك شبيهاً برجل مرضت رجله فلقنه الحكيم أن يضع عليها
لبخة عيش ففهم أن اللبخة هي الدواء الوحيد لكل الأمراض
فصار في كل مرض يحيط به يضع اللبخة التي ربما أتت
بمصيبة أكبر من الدواء

ليس الغرض من دراسة التاريخ مثلاً حفظ مدة حكم
الملوك وتاريخهم بل التبصر في سياستهم وفي حقيقة الأعمال
قري مثلاً أن هذا كان مجاً لوطنه غيورا وذاك خائناً لئياً
ففتدى بالاول ونبغض ماشا كل الثاني هكذا تكون الدراسة
الحقيقية والافليس في قدرة أحد منكم معشر الابناء ان
خالف هذه الخطة ان يطبق العلم على العمل ويكون تبعه
بلا فائدة ان لم نقل قد ضيع حياته دون ان يجنى شيئاً
فعليكم جميعاً ان تطالعوا علومكم مطالعة الباحث المدقق

وان تعسر عليكم فهم شيء فاسئلوا معلمكم عنه فهم يرشدونكم
الى سواء السبيل

﴿ محاورة بين الاستاذ والتلميذ ﴾

التلميذ - أستاذي الأعظم وملاذي الأكرم

الاستاذ - ماذا تطلب يا ولدي العزيز

التلميذ - ان عندي بعض أسئلة أوقفتني معرفتها وفي

ظني أنها تفيدني كثيراً

الاستاذ - سل عما تريد

التلميذ - رأيت البارحة بيد أحد اخواني جريدة

علمية اسمها « الفتاة » فأخذتها منه وعند ما قرأت ما على الغلاف

علمت ان سيدة تديرها فتعجبت من ذلك جداً أهل للمرأة

قدرة على الانشاء والتحرير كالرجل

الاستاذ - اعلم يا ولدي ان المرأة مثل الرجل لها مقدرة

على الفهم والانشاء وطالما رأينا جرائد وكتب من انشاء

سيدات شقيقات وعرييات

التلميذ - اذا كان الامر كذلك فهل يمكن ان النساء

يستخدم من بالمصالح مثل الرجال
الاستاذ - ان قواعد الشرع والادب تقضى بضرب
الحجاب على النساء (بوضع البرقع على الوجوه) فليس لمن
ان يستخدم من بالمصالح كالرجال وانما يكفي انهن يدبرن شؤون
المنزل ويهذبن اولادهن
التلميذ - لك الشكر يا سيدي تلك مسألة علمتها وأريد
السؤال عن شيء آخر

الاستاذ - سل يا بني رعاك الله

التلميذ - كنت مجتمعا مرة مع بعض اخواني نتحدث
في مسائل علمية وبيننا تلميذ يبلغ من العمر عشر سنوات
يظهر عليه انه من بلاد الصعيد تلوح عليه علامات النباهة
ويذمنا نحن بالمجلس وقد صعب علينا حل مسألة رياضية اذ قام
ذلك الشاب وشرع في حلها ولم يلبث ان نطق بجملته الاولى
محي أسكته اكبرنا بقوله :

(اسكت أيها الفلاح أنت مثلنا متمدن أما محمد الله
على وجودك معنا) فبهت الشاب وسكت وعند ذلك أخذتني

الشفقة عليه متعجبا من شكل احتقار الفلاح أليس مصريا
مثلنا وعزمت في الحال على توبيخ ذلك الكبير الا اني
استحسننت تأخير السؤال اليك حتى أعلم الخطاء من الصواب
واعمل الخير واجتنب السوء

الاستاذ - خيراً ما فعلت يا ولدي وشراً ما عمل صاحبك
الكبير لأنه لا فرق بين الفلاح والاسكندري والدمهوري
والنياوي والاسيوطي فالجميع مصريون ملكهم واحد وقانونهم
مشترك لا تميز بين هذا وذاك

التلميذ - اذا كان الأمر كذلك فهل يتأني ان أحد
الفلاحين يستخدم بدواوين الحكومة

الاستاذ - لاشك في ذلك أما رأيت ان أعظم الاساتذة
والنظار والرؤساء وأغلب الامراء من بلاد الفلاحين

التلميذ - أبقاك الله لنا قد فهمت المقصود وامكن
بما ان الجميع مصريون هل يكون من الصواب ان يقول
الانسان ان الحمار وسائق العربية والعالم والجاهل في درجة
واحدة

الاستاذ - هم في المعاملة القانونية على حد سواء الا ان
بين العلماء والجهلاء من جهة الاحترام والشرف فرق كبير
التلميذ - ولم الجهلاء جهلاء والعلماء علماء
الاستاذ - ان سبب ذلك هو التعليم فالجهلاء أهمل أمر
تربيتهم وتعليمهم والعلماء بالعكس
التلميذ - حفظك الله لنا سنداً قويمًا ووقانا من شر
الجهل آمين

﴿ مكارم الاخلاق ﴾

ان مكارم الاخلاق هي جميع الصفات الجليلة التي تجعل
الانسان عظيمًا موقرًا محترمًا محبوبًا عند الخالق وعند الناس
وقد اتصف أشرف الامم وروح الفضائل والكرم سيدنا
ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعموم مكارم الاخلاق
فكان رقيق الطبع لطيف المعاملة شديد العزم يأمر أصحابه
وأُمَّته على لسان شريعته بالاتصاف بتلك المكرمات التي
ذكرها أحد الشعراء بقوله
ان المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشيها
وهاهي نوردها لك على الترتيب :

(١) العقل

اعلم أن العقل هبة (هدية) من عند الله سبحانه وتعالى
وهبها للإنسان لكي تدير أعماله وترشده إلى طريق الهداية
فمن الناس من خالف عقله فخرس وندم ومنهم من اتبعه وخالف
اتباع نفسه (النفس من طبعها ميالة للشر تأمر الإنسان
باتباع شهواته فمن خالفها نال خيراً ومن وافقها نال شراً)
فربح وحمد ربه

فالعقل هو الذي يهدي المرء إلى طيب الأعمال وما
هو إلا جوهرًا حاله كحال الفضة والمعادن النفيسة إن ترك
وأهمل أمره ضعفت قوته وتأكسد وإن اعتنى به بالتربية
والتهديب نما وعظمت فائدته وهو مصدر مكارم الأخلاق
على الإطلاق فبإتباعه يتبع الإنسان دينه الذي هو أشرف

المكرمات (انظر في العدد الآتي الكلام على الدين وما
تأمر به الشريعة من الصفات المطهرة)

وللعقل أمور تؤيده وأخرى تضربه فالمؤيدة له هي
مشاورة العلماء وتجربة الامور وحسن التثبت والمضرة به هي
الاستبداد والتهاون والعجلة . فالمشورة هي صفة جليلة بها
يهتدى الانسان بأراء من هو أعلم منه الى الصواب ولا يخفى
ان فوق كل ذي علم عليم فاذا اقتصر الانسان على رأيه يعد
جاهلا . وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد الذي هو
أكمل الناس جميعا لكي يعلمنا فوائد المشورة . (وشاورهم
في الأمر) وقد قال حكيم عربي . المشورة عين الهداية وقد
خاطر (دفع نفسه في الخطر) من استغنى برأيه

و ضد المشورة الاستبداد بالرأى وهو أمر قبيح (كما
يظهر من محاسن المشورة) نعوذ بالله منه .

وتجربة الامور هي صفة حميدة تعلم الانسان ما ينبغي
اتباعه في صغير المسائل وفي كبيرها فلا يخفى ان الدهر لا يبق
على حالة فتارة يكون الانسان غنيا وأخرى فقيرا فمن جرب

الامور عرف دواء الفقر بعمل الاقتصاد (التدبير والتوفير) في زمن ثروته حتى يعيش كذلك هنيئاً في زمن فقره والتهاون أمر ذميم يبعد الانسان عن طريق الخير لان عمل الاشياء في أوقاتها ممدوح (وهو ما يسمونه بانتهاز الفرصة) فان تأخر أحد عن ان يعمل شيئاً ما في زمنه لا يمكنه ان يتحصل على الفائدة المقصودة

وحسن الثبت أمر جليل لا تنجح الامم الا به ومن تركه كان معرضاً لكل أذى لانك اذا كنت رئيساً لجيش بلادك مثلاً وقت دفاعك عنها وقد أقبل العدو بعسكره لملاقاتك وتركت اذ ذاك الثبت في الامور وخفت الخطر على نفسك فهربت وتركت جيشك فقد سلمت بيدك قطارك وبلدك للهلاك وغير ذلك من الاحوال العديدة التي تأتي للمرء (وربما لاهله وبلده) بأعظم سوء

وكما ان الثبت ممدوح فالعجلة مذمومة وخير الامور الوسط فلا يجب عليك ان تكون متهاوناً ولا عجولاً بل كن منتبهاً للفرص مثبتاً في الامور لتنال الخير والسعود

شدرات

﴿ أسهل طريقة لقياس ارتفاع الاشجار المغروسة ﴾

(في سهل من الارض)

لقياس ارتفاع أى شجرة ظلها في مستو من الارض
يغرز بجوارها مع التوازي عصا تم يقاس ظل الشجرة وطول
العصا وظلها وبمعرفة هذه الثلاثة المعلومات يعلم طول الشجرة
بمعنى اننا لو فرضنا ان طول العصا ٧٥ سنتيمترا وطول ظلها
متر واحد وطول ظل الشجرة عشرون مترا نقول : اذا كان
متر واحد ظل ٧٥ سنتيمترا يكون العشرون مترا ظل لعدد
من الامتار يساوي $20 \times 75 = 1500$ أى ١٥٠٠ مترا بمعنى
ان ارتفاع الشجرة خمسة عشر مترا (أى ان المسئلة تصير
قاعدة ثلاثية بسيطة)

(نتائج شرب الدخان)

قد ظهر بالبحث الدقيق في احدى مدارس أمريكا الكلية

فرقا عظيما بين نمو صحة من يشرب الدخان ومن لا يشربه
من التلامذة فقد شوهد بين تلميذين في الاصل متساويين في
الطول والحجم متحدين في المزاج والطبيعة تعود أولهما شرب
الدخان والآخر بقى علي حالته الاصلية (أى أنه لا يشرب)
ان نمو صدر ثانيهما أعظم من نمو صدر الاول (أى شارب
الدخان) بمقدار الربع تقريبا وكذلك نمو القامة و ثقل الجسم
أكثر بنحو الخمس فتجنبوا شربه لعلكم بكمال الصحة تتمتعون

﴿ محاسن الاقتصاد ﴾

حسب علماء الاقتصاد بالتقريب أنه لو وضع من يوم منشأ
العالم الى الآن صلدى واحد (مليان تقريبا) في تجارة
تربح سنويا عشرة في المائة (أى بفرض ان المائة غرش تربح
عشرة) وأضيفت الارباح السنوية على رأس المال لحصلنا
اليوم على مبلغ من الجنيهات يكفي لعمل طبقة رقيقة من
الذهب تغطى سطح الكرة الارضية بأكملها فتأمل

(مستعمرات أوروبا في أفريقيا)

ان مساحة قارة أفريقيا التي تبلغ احد عشر مليوناً
تقريباً من الاميال المربعة (الميل المربع يساوى ١٦٠٩ متراً)
لم يبق منها ملكاً لاصحابها الا ٢٠٠٠ ر ٥٠٠ ميلاً مربعاً
والباقي ٣٤٠ ر ٣٣٠٠ لفرنسا و ٤٤٠ ر ١٩٠٠ لانكلترا
و ٦٢٠ ر ٠٣٥ لالمانيا و ١٠٠٠ ر ١٠٠٠ للمالك الكنفو
الحررة و ٧٧٤ ر ٩٩٣ للبرتغال و ٣٦٠ ر ٣٦٠ لاطاليا و ٢١٠
لاسبانيا

(خطة المدرسة)

لما كانت جريدة المدرسة لا مقصد لها الا تهذيب
التلامذة المبتدئين وترغيبهم في العلوم والمعارف قد أخذت
علي نفسها ان تخصص ثلاث مكافئات سنوياً لمن يجيد ما تكلفه
به من المواضيع وسيعلن عن مكافئة جليلة في العدد الآتي

الجزء الثاني

يوم الاحد ١ رمضان سنة ١٣١٠ - ١١ برمهات سنة ١٦٠٩

الموافق ١٩ مارس سنة ١٨٩٣

﴿ المكرمة الثانية ﴾

﴿ الدين ﴾

اعلم ان الله سبحانه وتعالى خص من بين عباده رسلا يهدون الامم الى طريق الخير وانزل عليهم الشرائع لاتباعها في سائر الاحوال فمن الناس من صدق هؤلاء الهادين في دعوتهم فرضى الله عنه وحباه من لدنه جنة وحريراً ومنهم من خالف ذلك فكان من المغضوب عليهم وتعتت حاله وليس الواجب ان نصدق النبي في قوله دون ان تتبع احكام شريعته بل يجب علينا وجوباً حقيقياً ان تتبع شريعته فنأتي بما أمرنا به الله على لسان نبيه . على ان في اتباع الشريعة المطهرة من الفوائد الدنيوية والاخروية مالا يمكن حصره مطلقاً كيف لا وهي التي تأمر بالمعروف وتنهى عن

المنكر وهي التي تجلب رضا الله على العبيد ورضا الناس
على بعضهم وهي التي تأمر بمكارم الاخلاق جميعها فتأمرنا
بالتقوى والتعاون والصبر والحلم والعدل . الى غير ذلك
مما ستراه بأوضح بيان

ومعلوم ان اتباع الشريعة أمر سهل هين لان نتائجها
من أشرف الامور وأجلها لانحصار السعادتين الدنيوية
والاخروية في اقتنائها وهما كمعشر الابناء شهر الصيام قد
أقبل خيوه أجل تحية بالصيام والصلاة وفعل المبرات فهو أمر
في طاقتكم لأنكم ان قمتم به في الصغر تعودتموه في الكبر
وصبغتم أنفسكم بصبغة الدين فتحفظون بخيرى الدنيا والآخرة
وتنالون من لدن ربكم مكانة علياء وكونوا على وفاق تام في
سائر الامور فقد قال الخالق جل شأنه وتعاونوا على البر
والتقوى وقال أيضاً انما المؤمنون أخوة

(الجواهر السنية)

« في نظام الهيئة الاجتماعية »

ذلك اسم لكتاب عزمنا على تأليفه (لم يؤلف بعد) في
النظامات العمومية للهيئات الاجتماعية تأتي هنا على خلاصته
افادة للمبتدئين

(الباب الاول)

« أصول أوليه »

لو تأمل الانسان قليلا الى أهله وذويه واخلائه
وأصدقائه وقومه ومن يحيط به من كل جانب ثم التفت الى
الحيوانات العجم وحالها واجتماعها واتحادها وائتلاف كل
فريق منها ونظر بعد ذلك لصغار الدواب وتعصبها واتحادها
في السير وجلب الغذاء وتوحيد المسكن للكثير لشاهد من
خلال ذلك حكمة بالغة وسرا عجيبة للخالق في مخلوقاته الا
وهو الاجتماع ذلك الامر الذي لا يتأتى انما لال عراه أو
انقسام جبل اتصاله لان كل المخلوقات الحية في حاجة عظيمة

اليه وعدمه مستحيل لان كل حي خلق ضعيفاً لاسيما الانسان
الذي بمفرده لا يمكنه ان يقوم بعمل أي شيء ولذلك يقول
أغلب الفلاسفة (الانسان مدني بالطبع) أي انه طبع على
حب المدينة أي الاجتماع مع أبناء جنسه للتعاون والتعاقد
في المعاش

ولكن لما كان من أصعب الامور ان ذلك الاجتماع
لا يخلو عما يكدره من النزاع والخصام والسلب والنهب
والقتل الى غير ذلك دعت الحاجة الى تقسيم الناس الى قسمين
حكام ومحكومين أي هيئة حاكمة وهيئة محكومة وأعضاء
الهيئة الحاكمة يجب أن يكونوا من ذوي الفضل والذكاء
حتى يمكنهم ان يحسنوا ادارة الاعمال . ولكن ربما يقول
بالفكر في هذا الموضوع ان تكوين هيئة حاكمة وهيئة
محكومة اجحاف وظلم لما ان عموم الناس متساوون لا فرق
بينهم في الحقيقة . لكن نقول انه لو تركت الناس لاحادكم
يحكمهم ولا رئيس يفصل بينهم عند الخصام لتلاشى البشر
وانقضت دعائم الاكوان لما يقع من سفك الدماء بين

الناس وحب الانتقام وتغلب القوي على الضعيف والغنى على
الفقير

من ذلك كله نرى ان وجود هيئة حاكمة ضرورى جدا
والا تكون نتيجة الاجتماع خراباً بادل ان تكون عمرانياً
وتلك الهيئة الحاكمة التى روعى فيها الصدق والامانة
تنقسم الى قسمين قسم يضع القوانين والاصول التى يجب
اتباعها وقسم ينفذ تلك. فالاول يسمونه (القوة التشريعية)
أى التى تضع الشرائع والثاني يسمونه (القوة التنفيذية) أى
التي تنفذها وذلك القسم الثاني يشتمل على قسمين قسم يحكم
بين الناس وهو المحاكم (أى القوة القضائية) وقسم يدير
الاعمال وينفذ أحكام تلك المحاكم وهو (القوة الادارية)
اذا علم كل ذلك بقى عليك ان تعرف ان هذين القسمين
العظيمين (القوة التشريعية والقوة التنفيذية) وفروعهما
محكومان بسلطة رجل واحد هو أمير القوم أى رئيس الشعب
(الامة) وهو فى حكومتنا المصرية سمو الخديو المعظم. واعلم
ان الخديوية المصرية وراثتها لا كبر فالأكبر من أولاد الامير

﴿ محاورة بين الاستاذ والتلميذ ﴾

(ملاحظة مهمة - من يضع لنا من تلامذة المدارس
الابتدائية المشتركين في جريدتنا هذه المحاورة في قالب مقالة
تقع لدينا موقع الاستحسان ترسل اليه مكافأة تقيسة جداً
وإذا تعددت الرسائل على شرط ان لا تتأخر عن الثامن عشر
من هذا الشهر يخصص ثلاث مكافئات لثلاثة من أوائل
المجيدين

أما التلامذة الذين لم يشتركوا لكنهم يودون ذلك
فيكون لهم الحق في هذه المكافأة الجليلة ان أرسلوا طلبات
الاشتراك مع القيمة قبل الخامس عشر من هذا الشهر)

الاستاذ - هل قرأت جريدة (المدرسة) يا أحمد

التلميذ - قرأتها ياسيدي

الاستاذ - هل قيمت ما بها

التلميذ - فهمته جيداً إلا انه تعسر علي فهم جملة مكتوبة

على الغلاف

الاستاذ - ماهذه الجملة

التلميذ - هي قول الحكيم (حبك مدرستك حبك
أهلك ووطنك)

الاستاذ - لم لم تفهمها

التلميذ - لاني لا أعرف لكامة الوطن معنى

الاستاذ - وما يظهر لك من وضع هذه الجملة على الغلاف

التلميذ - يظهر لي أنها جملة مهمة

الاستاذ - واذا كانت مهمة فلماذا تأخرت عن أن

تسألني عنها

التلميذ - قد عاقني عن ذلك مرض أحد أقاربي والا

فاني مولع بمعرفة كل الاشياء لاسيما المهمة

الاستاذ - لك العذر يا أحمد هذه المرة ولكن أوصيك

ان لا تتأخر مطلقا عن أن تسألني فيما يصعب عليك فهمه

وها أنا أعرفك الآن معنى كلمة الوطن فأقول

تعلم جيدا يا ولدي ان لك عائلة مكونة من أهلك وأهلك

واخوتك واخوانك وأقاربك وخدمك يعيش الجميع معا كما

ان لكل شخص في الدنيا عائلة مثلك غالباً يعيش فيها مجموع
تلك العائلات على اختلافها التي في القاهرة والاسكندرية
ودمياط ورشيد والمنصورة وطنطا وأسيوط وسوهاج الخ
وفي البلدان والقري والى غير ذلك يكون القطر المصرى الذى
هو وطنك والذي يجب عليك أن تحبه أكثر مما تحب عائلتك
التي تعيش فيها

التلميذ - وهل لكل شخص في الدنيا وطن مثلى
الاستاذ - نعم لكل شخص وطن فيقال زيد من الناس
عربي أي أن وطنه بلاد العرب وخالد تركى أي أن وطنه
بلاد الترك وعمر سودانى أي ان وطنه بلاد السودان ... الخ
التلميذ - واذا كانت بلاد مصر وطنى فلماذا يجب عليّ
أن أحبه واذا لم يكن بد من حبه فكيف يكون ذلك
الاستاذ - يجب عليك ان تحبه لانه كأم تحنو عليك
وعلى غيرك من أبنائه جميع العائلات المكونة له تستنشق
هواء متحدا وتأكل غذاء واحدا وتشرب ماء كذلك واحدا
وهو ماء النيل السعيد فهم كاخوة أهمهم الوطن ومعنى

حبك له ان تسعى في نفعه وجلب الخير اليه
التلميذ - وماذا يحصل لو أهمل اثنان أو ثلاثة محبته
وتركوه وراء ظهورهم

الاستاذ - يحصل ضرر عظيم لانهم يكونون بمثابة
داء تنتشر عدواه الى غيرهم فضلا عما عساه يحصل للوطن
من النفع ان لم يهملوا محبته

التلميذ - عظيم ولكن ربما تأتي محبته بضرر جسيم للانسان
الاستاذ - لا بأس بذلك الضرر فإنه عند محبي الوطن الذ
شيء لانهم ينفعون آلافا مؤلفة من الناس في جانب ضرر
شخص أو شخصين أو عائلة

التلميذ - لقد ظهر لي ياسيدي من كلامك ان محبة
الوطن من أعظم الواجبات الانسانية واني أعتبر من الآن
من يقصر في محبة وطنه أكبر خائن وأعظم مجرم وكيف
لا يكون أعظم مذنب وهو منكر للجميل عاص لوالديه
الكبرى التي ربه في المهدي صبيا؟ ولكن كيف يمكن الانسان
ياسيدي ان يخدم وطنه خدمة صادقة جداً

الاستاذ - أما الكبير فيجب عليه ان يقوم بما عهد اليه
من الخدم بالذمة والصدق وان يسعى في نشر المعارف
وتعميم التربية والتهذيب بين الامة والدفاع عن الوطن بقدر
ما يمكنه وأما الصغير فيجب عليه ان يعمل بقول الحكيم
(حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك)

التلميذ - أي يحب مدرسته

الاستاذ - نعم

التلميذ - وكيف يكون ذلك

التلميذ - يكون بالمواظبة والاجتهاد في الدروس والطاعة

والامثال لرؤسائه ومعلميه

التلميذ - ولم ذلك

الاستاذ - لانه متى كان كذلك أمكنه أن يخدم وطنه

في الكبر بمعارفه ومعلوماته التي حصل عليها في الصغر

التلميذ - وهل المواظبة والاجتهاد والطاعة كافية في حب

الوطن

الاستاذ - نعم كل ذلك مع حب الفضيلة والحقيقة

والسعى في اتقان معرفة اللغة الشريفة العربية
التلميذ - وما معنى حب الفضيلة والحقيقة
الاستاد - معناه أن يكون الانسان منزه النفس بعيداً
عن الاغراض غير الشريفة على الهمة يقول الحق متى وجد
اليه سبيلاً مراعيًا في كل ذلك الآداب
التلميذ - وهل يا سيدي يجب علي أن أتقن معرفة اللغة
العربية أكثر من غيرها واذا كان فلم ذلك
الاستاذ - نعم يجب عليك اتقانها أكثر من غيرها
لأنها لغتك الشريفة التي أنزل بها القرآن المعمول بها في البلاد
التلميذ - واذا اتقنت معرفتها يجب علي أن أتكلم بها دائماً
الاستاذ - ولم لا
التلميذ - كيف ذلك واني أرى أغلب الناس يتكلم
باللغة الدارجة

الاستاذ - ان تكلم الناس باللغة الدارجة لا يمنع من
تكلمك أنت ورفقاؤك باللغة العربية الصحيحة
التلميذ - لكن اذا تكلمت باللغة الفصحى مع العوام

ربما لا يفهمها أحد

الاستاذ - كيف تقول ذلك وأنت تعلم يا ولدي ان البلاد
المصرية قد انتشرت فيها الصحف والجرائد العربية انتشارا
عظيما وكلها مكتوبة باللغة الفصحى وأغلب الافراد تقرأها
كل يوم وتفهم ما بها جيدا

(التقاريط المقدسة لفضل المدرسة)

وردتنا قصيدة غراء وخريدة عذراء تحت هذا الاسم
من نظم حضرة الشاعر المجيد عبد الله أفندي فريج من تغنى
شهرته عن ذكر مهنته قال في المطلع

لله أبهى مدرسة ترعى الحقوق مقدسة
قامت على أس العلي فيها العلوم مؤسسة
حوت الفنون كأنها فيها اليها فهرسة

وفي التاريخ

فيها تواريخ شدت نظما بشكل الهندسة
بالتفخر عن صفو سما فضل لآل المدرسة

(أغرب الجرائد)

يوجد بأمريكا بعض جرائد تطبع على قماش بحيث انها
تصلح بعد القراءة لان تكون منديلا ونوع آخر تعهدت
ادارته ان ترسل الطيب والدواء لمن يمرض من مشتركها كما
انها تدفع مصاريف دفنه ان مات . وأخرى تأدب لعموم
مشتركها مادبة سنوية مفتخرة

(أبسط وسيلة لقطع الثلج)

ان أبسط وسيلة لقطع الثلج هو ان يوضع سن ابرة
على النقطة التي يراد قطع الثلج منها ثم يضرب بيد مديّة على
رأس الابرة فتتقسم في الحال قطعة الثلج الى قسمين متساويين
لغاية الانتظام

(زهر مثلث الالوان)

قد اكتشف من عهد سنة تقريبا بجوار برزخ تيهو
اتيبيك زهر لونه في الصباح أبيض وفي الظهر أحمر وفي المساء

أزرق ولا تشم له رائحة الا وقت الظهر أى عندما يكون أحر

الجزء الثالث

يوم الثلاثاء ١ شوال سنة ١٣١٠ و ١١ برمودة سنة ١٦٠٩

الموافق ١٨ ابريل سنة ١٨٩٣

﴿ الجواهر السنوية فى نظام الهيئة الاجتماعية ﴾

(الباب الاول)

(أصول أولية - تابع ما قبله)

ذكرنا لك فى العدد الماضى تقسيم الناس الى قسمين
هيئة حاكمة وهيئة محكومة وقسمنا لك الهيئة الحاكمة الى
قوتين قوة تشريعية وقوة تنفيذية ولعلك تسأل الآن عن
انطباق هذه الحالة على جميع البقاع وسائر الجهات وتشفع
ذلك بالسؤال عن تاريخ وجود هذه الحالة وهل ابتدأت من
النشأة الانسانية أم ابتداؤها قريب العهد بنا فتدعونا الى
التكلم عن تاريخ الاجتماع والعائلات بعبارة مختصرة وما كانت

عليه من قبل وما هي عليه الآن فنقول:

اعلم ايها القارىء رعاك الله ان الهيئة الاجتماعية أساسها
العائلة والعائلة هي اجتماع بعض أشخاص تجمعهم جامعة
القرابة او الالفة للتعاون على نيل المآرب في هذه الحياة الدنيا
فلو تأمل كل فرد منا في هذا التعريف ونظر الي عائلات
المجتمع الانساني لرأى انها تتكون في الغالب من أب وأم
واجداد و اخوة وأخوات وأقارب وخدم ولو نظر بعد ذلك
في اساس هذه العائلة لشاهد أنه الزواج الذى هو اجتماع
ذكر وأنثى على حسب قواعد الشريعة المطهرة بقصد التعاون
في المعاش والنسل لتكوين عائلة فمن ثم نرى أن الزواج
اساس الاجتماع الانساني كله ولذلك كان من اعظم العقود
البشرية ووجب على المرء أن يعتنى بامرءه كل الاعتناء فيلزمه
أن لا يتأهل الا بزوجة شريفة أحسن أهلها تربيتها بدون
مراعاة الثروة أو علو الصيت لانه لو راعى ذلك وترك اعتبار
التربية والتعليم لوقع في أكبر المصائب وأضر بنسله ضررا
فاحش حيث يشب قليل الادب جاھلا حسب ما عودته أمه

في الصغرى في مدرسته الاولى التي هي أجل مدارس الحياة
هذا ما يجب على الزوج قبل الزواج اما ما يجب على
الزوجين في آن واحد فهو الصدق والمساعدة ولطف المعاملة
بينهما فعلى الزوج ان يحمى ويساعد زوجته وعلى الزوجة
الامثال لاوامره وعلى الاثنين ان يعتنيا أشد الاعتناء بتربية
أولادهما ويكون ذلك باللين والرفق لا بالعنف والشدة وعليهما
ان يبعدا عن الخسائس والرذائل ويقربا من الفضائل
والكمالات وان يغرسا في قلوبهم من الصغر محبة أوطانهم
والذب عنها وعليهما ان يبادرا بادخالهما المدرسة متى جاءت السن
التي فيها يتعلمون

وخلاف تربية الاطفال يجب على الزوج ان ينظم المعيشة
على قدر ما يكتسبه سواء كان ذلك الكسب يوميا أو أسبوعيا
أو شهريا وعلى الزوجة ان تنظم المنزل وتستعمل التوفير
والتدبير غير المضر

وفي كل حال يلزم أن تعادل المصروفات المتحصلات
دون أن تفوقها ولا بأس من أن تكون أقل منها :

إذا فهمت مامر وعلمت أنك ستكون يوماً من الأيام
رئيس عائلة ورب بيت وجب عليك أن تعرف واجبات
رئيس العائلة وهي :

يجب على رئيس العائلة أن يكون دمث الاخلاق يعامل
جميع افراد عائلته باللطف والحسنى وان يؤدي ما عليه من
الحقوق نحو أبويه وزوجته وأبنائه وان يصرف في المنزل
مكسبه (لان الرجل الذي يصرف ما يكتسبه في اللهو خارج
بيته جبان غبي) وان لا يسيء معاملة زوجته

هذا ما يجب على رئيس العائلة وامام ما يجب على الولد في
العائلة فهو أن يخلص في محبة أقاربه وان يحترمهم ويطيعهم
وان يظهر لهم فرحه وترحه ويقر لهم بغلطاته وهفواته ان وقع
منه شيء من ذلك وان يساعدهم في كبره ان احتاجوا
للمساعدة وان يحب اخوته وأخواته وان يحسن اليهم ويلاطفهم
وان يحافظ على شرف عائلته ما استطاع وأن يتجنب النزاع
والخصام بينه وبين أفراد العائلة

هذا نظام العائلة وواجباتها وحقوقها والآن بقي علينا أن

نشرح لك تاريخ العائلات والاجتماع

﴿ محاوره بين صديقين ﴾

عبد الخالق - كيف حالك أيها الصديق العزيز أمسرور
أنت من المدرسة ومعلمها

محمود - والله يا أخي ان حالى أسوأ حال لانه لا يمر
على يوم أو يومان الا وأوبخ وازجر من الاساتذة والضباط
امام جميع التلامذة

عبد الخالق - وما السبب في ذلك

محمود - ان السبب كما يدعون هو عدم حفظى للدرس

عبد الخالق - ولم تحفظ دروسك وأنت كما أرى ذكى نبه

محمود - انى أحفظها جيدا ولكن المعلمين والضباط

يكرهوننى وبودهم أن ألقى في شر المصائب

عبد الخالق - يا للعجب أتبغضك يا أخي الاساتذة والضباط

بلاسبب؟ لا بد أنك مسيء الأدب معهم أو مقصر في حفظ

دروسك

محمود - وهل تصدق اننى سيء الأدب أو مقصر
في حفظ الدروس

عبد الخالق - واذا كان يصعب عليك ان أصدق انك
سيء الادب أو مقصر في واجباتك أفلا تستعظم انى أنسب
للاساتذة والضباط الظلم والاجحاف

محمود - ان من البيان لسحرا لقد أوقفتنى بحجتك القوية
عن ان أجيب

عبد الخالق - ان من المقرر فى الازهان ان الذى يلفق
القول ويطي الأمور بطلاء الخداع والبهتان لا بد أن يكون
كاذباً غير صادق محتملاً على بلوغ أمر وأنت قد نوعت
الكلام ونسبت المعلمين والضباط للظلم وهذا أمر خطير
فقل لى بالله عليك ما ذا تقصد وما تنوى ??

محمود - لقد أجبرتني يا صديقي بما نطقت به على ان اظهر
لك ما يمكنه ضميرى وما ينطوى عليه فؤادي فاعلم انى أود
الخروج من المدرسة والانضمام الى احد مكاتب المحامين
لأتمرن على الاعمال وبعد ذلك افتح لى مكتباً مستقلاً واكون

مدرها (محاميا) واحتال على ضعفاء العقول فاسلب أموالهم
وأصبح من كبار الاغنياء

عبد الخالق - اعوذ بالله مما نويت عليه لعمرى انى لم
اسمع من مجنون احمق فى حياتى قولاً مثل قولك لانه كاه
مبنى على الغش والدناءة. وانى اخشى عليك من تنفيذ افكارك
فتصبح أسوأ الناس حالاً مع انك لو اتبعت نصائحى أيها
الصديق لبلغت المرام ولكن اخاف ان أجهد نفسى فى القول
ولا اجد منك اذناً صاغية وقلباً واعياً
محمود - قل تجدني لك مطيعاً

عبد الخالق - اقسم

محمود - بمن اقسم

عبد الخالق - اقسم بالوطن العزيز فالقسم به عظيم
محمود - اقسم بوطنى العزيز وبلادى التى لها على اهل
فضل انى متبع نصيحتك يا أخى

عبد الخالق - اعلم ان الطريق السهل يوصل الى المرام
بسهولة لا كالطريق الوعر فانه يوصل بعد تعب شديد بصعوبة

وأنت قصدت طريقاً يضر بك أكثر مما ينفعك وهو أنك أردت أن تستعمل في الحصول على المعيشة طرق الاحتيال والخداع (وهي لعمرى أقبح الطرق) عوضاً عن أن تستعمل طرق الشرف والذمة على أنك عازمت أن تكون محامياً وهي مهنة شريفة جليلة لا يقرع بابها الا كل فاضل أديب طاهر الذمة شريف المقاصد . لانه يناضل عن الحق لا عن ضده . هذا وانى على ما أرى أن التلميذ الذى يتم دروسه فى المدارس ثم يتجه الى أى مهنة شاءها ينال الخير ويبلغ أقصى المراتب العلية

محمود - كلامك كله حكم ودرر ولكن قل لى يا عزيزى قد عزرتنى بالقول وشدت علي فى ذم استعمال الاحتيال بدل الشرف أليس القصد هو الحصول على المعيشة بآية طريقة كانت عبد الخالق - كيف ذلك يا أخى أترضى تفسك أن تحصل على معاشك بطرق الاحتيال بحيث أنك ترى غيرك يحصل على معيشته بطرق الشرف أيتساوى عندك سارق محتال وقاض جليل

محمود - كلا

عبد الخالق - اذا كنت تقول كلا فما بالك بعدت عن

الحق وزغت عن الصدق

محمود - دعني من التأنيب وقل لي نصيحتك التي تحم

على سماعها والعمل بها

عبد الخالق - أن من رأيي أن تعمل وتجد وتستمر في

المدرسة وتداوم على طاعة الرؤساء والمعلمين . ومتى تمت

الدراسة ونلت شهادة الحذاقة الثانوية (أي شهادة البكالوريا)

تدخل في أي مدرسة عالية ترغب فيها

محمود - لك الشكر يا أخي على ما أبديت من النصائح

الجليلة الصادرة عن عقل وحكمة . وكن على ثقة من أنني سأتبعها

وعن قريب تراني التلميذ الاول من فرقتي ان شاء الله تعالى

﴿ صغائر الامور تولد كباثرها ﴾

لو تأمل الانسان في المخلوقات وحالتها وأصلها يل وفي

سائر الامور وكنها وأسبابها علم أن للخالق في الكون

أسراراً وحكماً يبعد فكر المرء عن أن يحيط بها وتقتصر المذكرة
الانسانية عن أن تدركها بأسرها منها أن صغار الأشياء تولد
كبأرها ودليل ذلك كل ما في العالم ألا ترى أن الانسان
كسائر الحيوانات كان في المبدأ نطفة ثم علقه والنبات كان
بذراً صغيراً والجماد منشأه ذرة حقيرة . ذلك ابن آدم الذي
يعمل الاعمال الجسيمة ويشيد المباني العظيمة ويتسلط على
سائر الحيوانات والدواب فيستخدمها اني شاء ومتى اراد بل
ويكون طوع يديه كل ما خلقه الله من غير جنسه الانساني:
أصله نطفة . وتلك الثمار اللذيذة والفواكه الجميلة والخضر
وأنواعها الاصل فيها بذرة حقيقية لا قيمة لها . وهذه القصور
الهائلة والدور الشاهقة التي يقطن بها ابن حواء وقومه أصلها
حجر واحد بل ذرة واحدة . ومع هذا لو نظر الانسان الى
الأشياء الخارجية لرأى ذلك السر وتلك السنة فيها جارية على
محور الانتظام بلا اختلال . فرب رجل واحد كان سبباً في
حقن دماء ألوف مؤلفة من أكابر الفرسان ورب نزاع بين
صغيرين يسبب قتالاً بين قبيلتين ورب قطعة من الصوفان

تسبب حريقاً هائلاً تقومه آلاف من الدراهم ورب باب
مفتوح ينشأ عنه سرقة منازل شتى الى غير ذلك مما لا يدخل
تحت حصر وعد. والعاقل العاقل من يعتبر بتلك الحكم الباهرة
ولا يجعل التواني له خليلاً ولا التقصير زميلاً لئلا يقع في
مهاوى الخسران ويندم حين لا ينفع الندم

(مقياس الحرارة)

مقياس الحرارة (ويعرف عند الفرنسيين بالترمومتر)
هو آلة تصلح لقياس درجات الحرارة الطبيعية او الصناعية
وهو يتركب من أنبوبة من الزجاج قاعدتها عبارة عن
مستودع يملأ بالزئبق وتقسم الانبوبة الى درجات آخرها
درجة ٨٠ او ١٠٠ وأولها الصفر فتأثير الحرارة (اذا كان
الجو حاراً) يتمدد الزئبق ويرتفع في الانبوبة الى درجة ٢٠
أو ٢٥ مثلاً فيقال عند ذلك أن درجة الحرارة ٢٠ أو ٢٥
وبتأثير البرودة (اذا كان الجو بارداً) ينخفض الزئبق في
الانبوبة الى درجة ٣ أو ٢ أو الصفر مثلاً وربما انخفض تحت

الصفرة اذا اشتدت البرودة جداً فيقال عند ذلك أن درجة
البرودة ٣ أو ٢ أو الصفرة أو تحت الصفرة بدرجة أو درجتين
حسبما يكون

(أسئلة متنوعة)

(١) في أى بلد وفي أى سنة اخترع السكر من البنجر
وما السبب في اختراعه

(٢) أى الخلفاء تولى يوم مات والده الخليفة وولد ابنه
ولى العهد من بعده

(٣) ما اسم المكتشف لبلاد اليابان وفي أى سنة اكتشفها

(٤) أى القارات يمتد منها من الشمال الى الجنوب سلك
واحد تليفرافي

(٥) كيف يستخرج الملح

(٦) من المكتشف جزائر كناريا وفي أى سنة اكتشفت

(٧) يوجد بقفص عدد من الديكة وآخر من الأرانب

بجهول غير انه معلوم ان بالقفص خمسة وثلاثين رأساً وأربعة

وتسعين قدما فما عدد الديكة وما عدد الارانب
(تنبيه) - من يرسل لنا أجوبة شافية عن جميع هذه
الاسئلة ترسل له الجريدة مجاناً سنتين كاملتين ومن يجب
عن أكثر من النصف وأقل من الكل ترسل له الجريدة
مجاناً سنة واحدة

(الزمن نفيس)

لقد عمل سكان احدي المدن الاجنبية بهذه النصيحة
حيث أسس بعض أفرادها جمعية في السنة الماضية لاضاءة
المدينة بالنور الكهربائي فلم يمض من يوم تأسيسها ستة أيام
الا وقد أضيئت المدينة بأربعمائة مصباح

(ألوان الازهار)

لقد شاهد أحد العلماء بالتجربة أن في كل ألف زهرة
تقريباً يوجد ٢٨٤ بيضاء و٢٢٦ صفراء و٢٢٠ حمراء و١٤١
زرقاء و٧٣ بنفسجية و٣٦ خضراء و١٢ برتقالية و٤ سمراء
و٢ سوداوان وشاهد عالمان آخران ان في كل ٤٠٠٠ زهرة

يوجد ٣٨٠ فقط ذات رائحة منها ١٨٧ بيضاء و ٨٥ حمراء
و ٧٧ صفراء و ٣٠ زرقاء و واحدة سمراء

(الرسم على الفواكه)

لأجل الرسم على الفواكه يكفي أن يلصق بالصمغ ورق
مكون لذلك الرسم على فاكهة خضراء كتفاحة مثلا . فبتأثير
الضوء والشمس تستوي الاجزاء الظاهرة من الفاكهة أي
الخالية عن الورق والاخري تبقی خضراء فيظهر الرسم بعد
النضج مكونا للاجزاء الخضراء على الفاكهة الناضجة ويلزم
أن يكون الورق غير نافذ منه الضوء

(سكان المعمورة وأمواتها)

على حسب أدق الاحصائيات علم أن سكان الدنيا يبلغ
عددهم ١٤٦٩٢٧٩٠٠٠ نفسا منهم في آسيا ٨٢٦٠٠٠٠٠٠ وفي
أوروبا ٣٥٧٢٧٩٠٠٠ وفي أفريقيا ١٦٤ مليوناً وفي أمريكا
واستراليا ١٢٢ مليوناً

وعلم أيضا انه يموت سنويا في العالم بأسره ٣٣ مليوناً

أي ٩١٥٥٤ يومياً و ٣٧٣٠ كل ساعة و ٦٢ كل دقيقة

الجزء الرابع

يوم الأربعاء ١ ذى القعدة سنة ١٣١٠

و ١٠ بئس سنة ١٦٠٩ الموافق ١٧ مايو سنة ١٨٩٣

﴿ أدوار الحياة ﴾

للحياة البشرية أدوار مختلفة يقضيها الانسان باشكال متنوعة وأعمال متميزة يمكن حصرها تحت أربع وهي الطفولية والشبية والرجولية والكهولة

فدور الطفولية هو الدور الأول الذي يتدىء من يوم ولادة الانسان وينتهي في السنة الرابعة عشرة من عمره فيكون فيه صبياً ثم غلاماً ثم يافعا حتى اذا صار حزورا انتقل من هذا الدور الى تاليه

ودور الطفولية هذا هو الدور الذي عليه تدور سعادة المرء أو شقاؤه ففيه التهذيب المبدئي والتعليم الأولى الذي متى

أتقن وأحسن نشأ الطفل وقد تأهل لتلقى العلوم السامية
ودرس الاخلاق الكاملة . وهو دور ليس على الطفل فيه
واجب بل كل الواجبات على والديه فهما المنوط بهما تربيته
أكمل التربية الجسمية والعقلية فالجسمية بمراعاة الصحة والنظام
في الغذاء والعقلية بعدم مخالطته الأوباش الذين يعودونه
النقائص والقبائح كأن يوحوا اليه أن سب هذا ولا حرج
عليك اليوم فانت صغير فينشأ الطفل قليل الأدب عديم
التربية يسب كل من قابله ويفوه بأسفل الأقوال وأهله
ضاحكون مرتاحون حتى اذا حان وقت ادخاله المدرسة
تهاملوا في الامر تحت حجة صغر سنه فيشب ويشيب جاهلا
قليل الحظ سيء الحال لا يجد من نفسه رادعا ويسرى الداء
منه لأولاده فيكون رئيساً لعائلة أعضاؤها في الجهل يرتعون
هذا اذا تهامل الاهل في تربية الولد . ذلك الامر الذي
هو قوام سعادته ودعامة حسن مستقبله . وأما ان اهتموا به
وأعاروه جانب الالتفات فقد أعدوا لنسلهم بذلك مستقبلا
حسناً وحظاً وافراً بل ولنسل نسلهم وسائر الذرية

وغاية القول ان هذا الدور هو أهم الادوار وأجلها لماله
من عظيم الأهمية وجليل المزية

ودور الشبية يتدىء من غاية الدور الأول وينتهي
في ما بين الثلاثين والاربعين وهو الدور الذي فيه يتعلم
ما أعد له من فن أو صناعة أو حرفة تخدمه لمعاشه ولمنفعة
أهله وبلاده والشاب منوط به فيه الطاعة والامثال لاوامر
أولياء أمره الذين عليهم نجاحه وفلاحه كما أنه يجب عليه أن
لا يقصد فيه الا العلم والعمل والكد والجد في تحصيل نفائس
المعارف وذخائر العلوم والآداب وقد يتم التلميذ في الغالب
دراسته في منتصف هذا الدور الزاهر ويقضى النصف الآخر
في تحصيل معاشه بنفسه فيعمل بما تعلم في مدارس التهذيب .
وأغلب الشبان تم هذا الدور بالزواج ولا يفوتك ما ذكرناه
في العدد الماضي من وجوب الاعتناء بذلك الامر وحسن
انتقاء الزوجة

أما دور الرجولية فييتدىء من غاية السالف وينتهي
بين الخمسين والستين وهو دور الشغل والعمل الذي يعيش

فيه الانسان أما هنيئاً ان كان قضي الدورين الاولين خير
قضاء وأما شقياً ان كان قد قام بضد ما يجب وفي هذا الدور
يوهب الأ نسان غالباً النسل والذرية ونقصه بذكر ذلك
أنه ملزم فيه بمزيد تربيتهم كما قدمنا

وهذا الدور هو الذي يتسنى للإنسان أن يقدم فيه
أجل الخدم لوطنه العزيز ولا نقصد بذلك أن غيره من
الأ دوار خال عن هذه الغاية بل أنه دون غيره أكثر
استعداداً لتأدية هذه الخدم

وآخر الأ دوار دور الكهولة وهو الدور الذي يبلغ
فيه المرء من الكبر عتياً فيستريح فيه من الأعمال ويقضيه
في معالجة أمراض الشيخوخة حتى تأتيه المنية فينتقل الى
الدار الآخرة هنيئاً بما فعل ان كان خيراً وعليه غضب من
الرحمن ان كان شراً والسلام

﴿ الجواهر السنية في نظام الهيئة الاجتماعية ﴾

(الباب الأول)

« أصول أولية - تابع ما قبله »

وقد استمرت كل عائلة منفصلة عما سواها عائشة بنفسها
زمناً مديداً قضته في الصيد أولاً ثم في حفظ الحيوانات
النافعة والقيام بخدمتها تانياً حتى دعته الضرورة للانضمام
وتكوين قبائل لكل واحدة منها رئيس مخصوص . وكان ذلك
الانضمام عنواناً على تشكيل الحكومات الذي ابتداءً بعد هذا
الحين بقليل . والمعاملة في ذلك العهد كانت عبارة عن مبادلة
الحاصلات الموجودة عند بعض القبائل والمفقودة عند البعض
الأخر ببعضها وتشكيل الحكومات استغرق اجيالاً طويلة
لا يهمننا الآن تاريخها بل غاية ما نعلمه أن الحكومات تنقسم
في هذه الأيام الى ثلاثة أقسام جمهورية وملكية مقيدة
وملكية مطلقة . فالجمهورية هي ما كانت الهيئة المحكومة
فيها منتخبة للهيئة الحاكمة من أولها لا آخرها وفيها القوتان

التشريعية والتنفيذية

والملكية المقيدة هي ما كانت القوتان التشريعية والتنفيذية فيها خاضعتين لسلطة الملك ومنصبه في الغالب وراثي أي ينتقل الملك من الأب الى الابن ومن الابن الى ابن الابن وهكذا

والملكية المطلقة هي ما كان الملك فيها مطلق التصرف مصدرا للتشريع والتنفيذ

ولكل نوع من هذه الانواع أحزاب وأنصار يميلون اليه ويفضلونه عن غيره وأكثر الأنواع انتشارا وأحزابا هو الثاني منها وهو الذي جرى عليه نظام حكوماتنا الاسلامية بمقتضى شريعتنا المحمدية من يوم ما أنزلت الى الآن. وحقيقة ان الإنسان لو تأمل في الحكومة الجمهورية لراها عرضة للاخطار ان تقدمت خطوة تأخرت خطوات وان ارتفعت بصعوبة انحفضت بسهولة كما ان الحكومة التي فيها السلطة مطلقة للملك تكون مركزا للظلم ومحطا للاجحاف بخلاف التي استحسناها فانها مجلبة لعدل وموضع

التقدم والنجاح

واعلم أن حكومتنا المصرية هي من الحكومات التي
منحت الشورى . ويرأسها أمير جليل هو خديويها وسيدها.
تتبع دولة اسلامية عظيمة اجاه قوية حصينة الا وهي الدولة
العلية الخافق على نواحيها العلم العثماني الجليل
(الى هنا انتهى الباب الأول من الكتاب وسنتدىء
بالباب الثاني في العدد الآتي وينحصر الكلام فيه على القوة
التشريعية)

﴿ محاوره بين صديقين ﴾

(أولهما صغير وثانيهما كبير)

حسن - (بعد السلام) قد مضت مدة طويلة

لم أتمتع فيها بمشاهدة سيدي وصديقي الاجل

عبد الفتاح - لقد كنت مسافراً بالبلد لقضاء بعض

مصالح خصوصية

حسن - الحمد لله على سلامتك يا أخي . أيسمح لك

الزمن أن تتحدث معي قليلا

عبد الفتاح - اني في خدمتك مدى الايام
حسن - حفظك الله وحرصك . لقد سمعت بالامس
بعض الناس يقول (لقد فتح معرض شيكاغو يوم الاثنين
أول شهر مايو الجاري ولا بد أنه سيكون في غاية الحسن
والجلال مزدحماً بالافاضل من كل جانب) فاندشت من
سماع هذه الجملة لشدة غرابتها على سمعي فقل لي رعاك الله
ماهي شيكاغو وما هو المعرض ولماذا سيكون مزدحماً بالناس:
اني غاية ما أظن انه مولد كمولد بلدتنا

عبد الفتاح - ان المعرض هو عبارة عن محل تعرض فيه
الاشياء فمعرض شيكاغو هذا هو معرض اقامته الحكومة
هناك في هذا العام تعرض فيه أغلب مصنوعات الدنيا
ويشاهد فيه عجائبها ولذلك ذهب الكثير من أعظم الامراء
لمشاهدته

حسن - اذا هو عبارة عن سوق عظيمة تعرض فيها
الاشياء

عبد الفتاح - نعم انها سوق عظيمة كثيرة الشوارع

والنواحي تعرض في كل ناحية من نواحيها مصنوعات
مملكة وفيها مندوبون من كل حكومة تنوب عنها

حسن - وما هي شيكاغو

عبد الفتاح - ان شيكاغو هي احدي مدن امريكا

الشمالية

حسن - اني لا اعرف امريكا الشمالية ايوجد غير مصر
وبلاد العرب والتركية (تلك البلاد التي درسناها في المدرسة)

بلاد اخرى

عبد الفتاح - نعم يا اخي يوجد بلاد اخرى كثيرة

حسن - اذا كان الامر كذلك فارجوك ان تعرفني

بما هي هذه البلاد

عبد الفتاح - اعلم ان الدنيا خمسة اقسام (اي خمس قارات)

افريقيا التي منها وطننا العزيز (مصر) وبلاد تونس

وطرابلس والجزائر ومراكش

واوروبا التي منها الدولة العلية والروسيا وفرنسا

واسيا التي منها بلاد العرب (وهي مسقط رأس سيد

حسن — في ستة أيام . . . ان ذلك زمن يسير ولكن
لم لم يخلقها الله في لحظة واحدة مع انه يقول للشيء كن فيكون
عبد الفتاح — خلقها في ستة أيام ليعلم الانسان أن
التأني في الامور محمود وأن العجلة عاقبتها وخيمة

حسن — لله هذه الحكمة البالغة . ولكن قل لي
يا أخي لماذا تعمل حكومة الولايات المتحدة معرضاً مثل
هذا يكلفها أموالاً جسيمة

عبد الفتاح — انه ان كلفها أموالاً جسيمة فانه سيكسبها
أكثر من ذلك لانه بسببه تروج تجارتها وتربح فنادقها
وأسواقها بالنزلاء المتفرجين والاجانب المدعويين فضلاً عن
أنها تظهر للعالم بأسره تقدمها وعلو شأنها فيسمو قدرها بين
الدول وترتفع كلمتها

حسن — لله ما أقدرك على خدمة اخوانك وما أحبك

لنفعهم

عبد الفتاح — اني رهين اشارتك لا أتأخر ولا أستقدم

متى دعوتني لاي أمر مهم

حسن - جزاك الله عنى الجزاء الحسن

(زينة الباطن خير من زينة الظاهر)

لله قائل هذا القول الحق فانه حكيم متبصر نطق
بالصواب وفاه بحكمة لو عمل بها الانسان في هذه الحياة
الدنيا هدى الصراط المستقيم وسلك الطريق القويم وقليل
من يعمل بها من بنى آدم . فالعدد العديد منهم يغتر بالظواهر
وهو لا يدري ما تطويه السرائر . فكم من رجل لس الحرير
وتقمش بأنخر القماش وأمن الملابس فاغترت الناس بزیه
وأضحت طوع اشارته وهو مع ذلك على جانب من الضلالة
عظيم . وكم من خادع استظهر بمظاهر المتقين بغية نيل
مقاصده وحباً فى بلوغ أوطاره وهو لا يصدق بربه ونبيه .
وكم من فاضل العلم شعاره والأدب وشاحه أضاع الناس
قدره لقلة ما له وعدم بهائه . والشواهد على ذلك كثيرة
ينقلها لنا التاريخ وتقصها القصص وتحكيها حكاية الطفل الذى
كان يتنزه على شاطئ البحر صعبة والده فشاهد من بعد

شراع مركب وقد راقه شدة بياضه وأعجبه حسن منظره
فاظهر لوالده عظيم ارتياحه من هذا الشراع فتبسم الوالد
دون أن يجيبه بشيء حتى اذا اقتربت الباخرة منهما اندهش
الطفل من استمرار لون الشراع الذي شاهده من بعد في
أبهى أثواب البياض فلما رأى منه والده هذه الدهشة قال له
لا تغتر يا بني بظواهر الامور واعلم أن زينة الباطن خير من
زينة الظاهر والله من قال

السبع سبع ولو كات مخالبه
والكلب كلب ولو بين السباع ربي
وهكذا الذهب الابريز خالطه
صفر النحاس فكان الفضل للذهب
لا تنظرن لأثواب على أحد
ان رمت تعرفه فانظر الى الأدب
فالعود لو لم تفتح منه روائحه
لم يفرق الناس بين العود والخطب
فخير الناس معاملة من اعتبر أن شرف العلم والفضل

فوق كل شرف وأن توب التقي أشرف الملابس وراعى أن
السعادة الحقيقية في طهارة السريرة وحسن الطوية لا في كثرة
الاموال وعلو المقام بين الرجال

﴿ الانشاء والتحرير ﴾

لا يقصد بالانشاء تنميق العبارة وتحليتها بالنثر والنظم
بل القصد الأصلي هو وضع عبارة عربية صحيحة سليمة
يفهمها القارئ ويقف بها على قصد الكاتب . ولما كانت
موضوعات الكتابة شتى كان من الواجب على الكاتب أن
يستعمل في كل موضوع طريقة مخصوصة في الموضوعات
العلمية يجب عليه أن لا يراعى غير سلامة العبارة من التعقيد
وفاسد التركيب لا السجع والتنميق وفي الرسائل والخطابات
لا بأس من استعمال السجع وغيره من المحسنات بشرط أن
يكون بدون تكلف في العبارة . نقول ذلك لا ننا طالما
شاهدنا الكثير من التلامذة وغيرهم من حاملي القلم يدعون
أن الاجادة استعمال السجع لوضع ألفاظ لازوم ولا معنى لها

وبذلك تصير عبارته ساقطة خلوا من الذوق السليم وفي كل
الاحوال فالكتابة الطبيعية أى الخالية من التكلف أعظم
الكتابات مقاماً عند أرباب الاقلام

وللكتابة آداب يجب على الكاتب مراعاتها بمعنى أنه
لو كتب لأمر يلزمه استعمال العبارات اللازمة لذوى المقامات
العالية وان كتب لصديق يلزمه استعمال عبارات النظير وان
كتب لمن هو أقل منه مقاماً فان كانت الكتابة على صورة
أمر يلزمه أن يستعمل ما يلزم من كتابات الرؤساء للمرؤوسين
وان كانت بصورة ودية لزمه أن يكتب له ما يكتبه الى صديقه
ومن أعظم ما يلزم مراعاته في التحرير الاجابة على
خطاب المرسل اذا دعت الحاجة لذلك أى أنه لو خاطبك
شخص « ولو كان أقل منك مقاماً » في أمر يدعو للاجابة
أو طلب منك ذلك المرسل الاجابة لزمك أن تجيبه في كل
الاحوال والا تعد قليل الادب خارجاً عن دائرة المدنية
وأهلها فان المرء الذى يظن فى نفسه أنه عظيم وما عداه حقير
يكون فى الحقيقة جاهلاً لئما قليل التريسة وان كان فى أعلى

المناصب وأجلها لأن الأدب والتواضع يجعلان الإنسان يعتقد
في نفسه أنه أقل الناس مقاما وأصغرهم قدراً

ومما يلزمنا أن ننبه عليه هنا إفادة لآخواننا التلامذة
أن بعضهم (وإن كان نزرأ يسيراً) يستعين في الكتابة بغيره
وهو أمر قبيح وفعل رديء يحط من قدر الإنسان وينقص
من معلوماته ويسبب له التقهقر على حين تقدم غيره وما
أحسن قول القائل

وإنما رجل الدنيا وواحدھا

من لا يعول في الدنيا على رجل

(أجوبة الاسئلة المندرجة في العدد الماضي)

(١) ان السبب في اختراع السكر من البنجر هو انه لما
اشتعلت الحرب بين فرنسا وانكلترا أيام حكم نابليون الأول
انقطعت المواصلات بين فرنسا ومستعمراتها وكانت تستمد
منها معظم سكرها فلما اشتدت الحاجة اليه أصدر نابليون
الأول أمره بأن كل من يكتشف طريقة لاستخراج السكر

من النبات يكافىء فتوصل العلامة شابتال الى استخراجه من
البنجر فى سنة ١٨٠٧ ميلادية ومن ذلك نرى أن السبب فى
الاختراع هو الاحتياج غالبا

(٢) تولى أمير المؤمنين هارون الرشيد يوم مات أخوه
المهادى وولد ابنه المأمون

(٣) أن جماعة من النورماندين البحرىين تحت رئاسة
رجل ماهر اسمه جان دى بيتنكور اكتشفوا جزائر كناريا
سنة ١٤٠٢ وأسسوا بها مملكة ولوا رئيسهم عليها حيث استمر
حاكما مدة اربع سنوات وبعد ثلاثين سنة من افتتاحها
دخاها البرتغاليون

(٤) لم يتكلم لنا تاريخ العرب عن تفصيلات تجول تجارهم
البحريين مما يجعلنا فى شك من زيارتهم لبلاد انيابان وأن ما
ذلمه هو أن أحد مشاهير السواحل المدعو ماركو بولو
اخترق فى القرن الثالث عشر آسيا حتى وصل الى بكينغ ثم
أقام بالصين عشرين سنة وبعد ذلك اكتشف بلاد اليايان
وكان اسمها وقتئذ (زيبانجو)

(٥) أن أستراليا يحترقها من الشمال الى الجنوب سلك واحد تلغرافي واصل بين مدينتين بورداردين وآديلايد وقد مد في سنة ١٨١٧ ميلادية

(٦) يستخرج الملح اما بتبخير المياه في الاحواض الملحية واما من الصخور الملحية

(٧) يوجد بالقفص ١٢ أرنباً و٢٣ ديكاً

وقد وردت الاجوبة عن أغلب هذه الاسئلة من بعض تلامذة المدارس الابتدائية ولم يفز من بين المحبين الاحضرة خليل افندي عفت التلميذ بمدرسة السويس الاميرية

(أسئلة أخرى)

(١) ما اسم النهرين المعروفين قديماً باسم سيمواس وسكامندرا اللذين يصبان في بحر الارخبيل وكانت بينهما مدينة ترواده الشهيرة

(٢) أى الحيوانات يمثل شكل الرقص والموسيقى والرسم في آن واحد

- (٣) كيف يميز ذئب صغير من ثعلب صغير
(٤) لماذا يقولون أن آسيا مصدر الوباء
(٥) يوجد بقاعة ذات أربعة أركان أربع هرات كل
واحدة منها في ركن وتبصر أمامها ثلاثاً فما عدد الهرات
الموجودة بالقاعة
(تنبيه) من يجب على هذه الاسئلة نهد اليه كتاب
(أعجب ما كان)

شذارت

(عدد ٣٧)

أن لعدد ٣٧ خاصية عجيبة وهو انه لو ضرب في التسع
مضعفات الاولى لعدد (٣) (أى في ٣ و ٦ و ٩ و ١٢ و ١٥ و ١٨
و ٢١ و ٢٤ و ٢٧) لنتج من كل حاصل ضرب عدد أرقامه
متساوية

وبهذه الخاصية يمكننا أن نكلف أي شخص بان يكتب
أي رقم من الارقام التسعة البسيطة وأن يكرره ثلاث مرات

بمعنى أنه يكتب عدداً مكوناً من ثلاثة أرقام متساوية ثم
يقسم هذا العدد على مجموع الأرقام فيكون الناتج ٣٧ دائماً
ونحققنا من معرفته يجعلنا نحكم به في كل الأحوال

(اليابانيون في التشخيص)

ليس من عادة اليابانيين إذا حضروا تشخيصاً ولم يعجبهم
ما رأوه أن يهملوا كما يفعل الأوروبيون بل أنهم يديرون
ظهورهم إلى المرسح فينزل الستار

(الذئب في نروج)

كانت بلاد نروج في السنة الماضية محط رحال الذئب
فقد تعاظم عددها حتى أنها ابتلعت ٥٠٠ ر ٢٠ حيواناً منزلياً

(أعظم كلب في الدنيا)

اشترى أحد الأميركيين بمبلغ ١٩٠٠٠ دولار (يساوي
الدولار مبلغ عشرين غرشاً مصرياً تقريباً) كلباً طوله متر
و ١٠ سنتيمتر و ثقله ٢٤٧ رطلاً واسمه اللورد بوت

(اليهود في العالم)

لا يزيد عدد اليهود على أصح الروايات عن ٦٥٠٠٠٠٠
أغلبهم في أوروبا

الجزء الخامس

يوم الخميس ١ ذى الحجة سنة ١٣١٠

٩ بؤونه سنة ١٦٠٩ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٩٣

(بأى كتاب نقدي وبأى دستور نهدي)

نقدي بكتاب مجيد ودستور فريد شرعه لنا فاطر
السموات والأرض وما فرط فيه من شيء . كتاب شريف
وقرآن منيف . الحق يقدمه والنور يحيط به من كل جانب
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . كتاب يكفل
لنا السعادة الدنيوية والأخروية ويحقق لنا ان اتبعناه رضاء
الخالق والناس والسريرة الانسانية علينا . كتاب آياته بينات
وبالحق ناطقات . تنشرح لقراءتها الصدور وينقل بتلاوتها

من في الظلمات الى النور . كتاب أنواره ساطعة وأحكامه
باهرة . تأخذ بلب من رآها حتى أن أعداءه الكافرين وحساده
الخاسرين أقروا بأنفسهم أنه الدستور الجدير بأن يتبع والقانون
الكافل للمعاش والمعاد . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين

ألا ترى أيها القارئ النبيل كيف أن فئة قليلة من العرب
تحت قدوة الطاهر الشريف سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة
والسلام غلبت فئات قوية وأدخلتها في ذلك الدين الحنيف القويم
ألا ترى كيف ان المسلمين في صدر الإسلام ملكوا
الأرض من مشارقها الى مغاربها وتفردوا بالكلمة وتوحدوا
بالسلطة حتى علا مجدهم الفرقدين وغدت أنوار الشمس
لا تغيب عن أملاكهم تلك الاملاك الشاسعة والأراضي
الواسعة والقصور الشاهقة والمباني العالية والحصون القوية
والقلاع الحصينة مما لم تستطع أية دولة من أعظم الدول قوة
واقتمداراً أن تجارى دولة الاسلام فيه

كل ذلك باتباع القرآن الشريف الذي يأمر بالمعروف

وينهي عن المنكر . فما بالناس معشر المسلمين لا تتبعه وقد علمنا
أنه عنوان سعادتنا وقائدنا الى طريق مجدنا . فلنجمعه نبراساً في
أعمالنا وسراجاً وهاجاً في حركاتنا وسكناتنا ولا نكون كمن
غره السراب فهو يغتر بأقوال الخسرة الموهين والكفرة
الخاسرين الذين يقولون ان القرآن أنزل لعصر لالكل
الأعصار وتقوم لالكل الأقسام بل لنعلم حق العلم أن
في اتباع القرآن الوصول الى أعلى منائر الحضارة والمدنية .
كيف لا ونحن لو نظرنا لأي أمر من أوامره أو نهى من
نواهيه لرأينا منه حكماً جليلاً وفوائد جمة عظيمة . ولو أمعنا
النظر في تحريم الخمر مثلاً لرأينا في ذلك من المنافع مالا ينكره
الاكل عدو للحق عتيد فالخمر تسلب الشرف والصحة والمال
تلك الأشياء التي عليها تدور رحي حياة الانسان

وكذلك الزنا فان في تحريمه حفظاً للشرف والعرض
والآداب العمومية ومحافظة على عدم اختلاط الانساب وفساد
الاخلاق الى غير ذلك

وفي جانب هذا لو نظرنا الى الفرائض لشاهدنا فيها

من المنافع الدنيوية والاخروية ما يعجز اليراع عن حصره .
ففي الصلاة مثلا التي طالما يتأخر الكثيرون عن القيام بها فوائدها
جسدية ودنيوية واخروية فهي التي تجعل الانسان مخلصا في
محبة الخالق ومتواضعا لكل اخوانه يفرح لفرحهم ويتكدر
لكدرهم طاهر الجسد والثياب فضلا عن انها تنشط الجسم
وتقوى العضلات مما يعلمه كل من واطب عليها. هذا ما أردنا
ذكره اليوم في هذه النبذة الصغيرة حتى لا يفتر الناس عن
عبادة الله واتباع كتابه الكريم وسنة نبيه الهادي . والله
يهدي من يشاء الى ما يشاء

﴿ المحاورات التهذيبية ﴾

ان المحاورات التهذيبية فضلا عن كونها شديدة التأثير
على النفس قوية المفعول ينشرح الفؤاد لقراءتها . والقارىء
يميل لها أكثر من ميله لغيرها ولذلك كانت طريقا سهلا
يسلكه أعظم الواعظين والنصحاء حبا في الوصول الى بث
الفضائل في النفوس ورغبة في نشر الحقائق بين الامم . وقد

علمنا ذلك حق العلم فاتبعنا طريقة هؤلاء القوم الافضل
وتشبهنا بهم طمعاً في الحصول على ضالتنا المذشودة فملاًنا
أعداد جريدتنا بالمحاورات المختلفة التهديبية وقد رأينا بأنفسنا
شدة ميل القراء اليها وانكبابهم على مطالعتها. فبذلنا الجهد في
الاعتناء بها أكثر من سواها واليوم نهديهم محاوره جليسه
عثرنا عليها في بعض الكتب النفيسة الاجنبية فعر بناها مع
بعض التصرف حتى غدت ملاءمة لمشرنا المصرى الوطنى

﴿ محاوره بين الجد والحفيد ﴾

وقعت هذه المحاوره فى يوم جمعه عقب الصلاة بقاعه
الجد حيث كان فى راحه وقد رأى حفيده لوحه مكتوبه
عليها (حب الوطن من الايمان) فابتداً بالقول :

الحفيد - ما معنى كلمه الوطن يا جدى الجليل

الجد - هل تريد أن أفهمك معنى الوطن

الحفيد - نعم أريد ذلك

الجد - اذا كنت تريد ذلك فقل لى أولاً من ذا الذى

خدشك في وجهك

الحفيد - هو هر

الجد - قل الحق اني لا أظن ذلك

الحفيد - اني تشاجرت بالامس مع حسن

الجد - لماذا ؟

الحفيد - لانه سب والدي

الجد - اذا أنت تحب والدك وتدافع عنه

الحفيد - لاشك في ذلك

الجد - أظنك لا تحب غيره

الحفيد - كلا بل أحب أيضاً والدي وجدتي وأنت

يا جدي العزيز وشقيقي الاكبر على

الجد - أنت تحبنا حينئذ

الحفيد - كيف لا وأنتم أهلي

الجد - اذا كان الامر كذلك فأظنك كنت مسرورا

عندما تعينت قاضياً

الحفيد - أجل وقد كنت بك معجباً ومن شدة فرحي

في هذا اليوم حفظت دروسى جيداً وأديت ما عليّ من
الواجبات بكل همّة ونشاط

الجد - ولما تعين أخوك ضابطاً هل نالك من الحبور
ما نالك يوم تعينى قاضياً

الحنيد - نعم اني كنت منشرح الخاطر يوم ما ترقى
ووددت ان أكون مثله لابس تلك الملابس البهجة

الجد - قد ظهر يا ولدى العزيز من أجوبتك أنك
تفرح لفرحنا ولكن هل لوألمت بنا مصيبة تشاركنا في
الكدر

الحنيد - أما نظرت يا والدى الا كبر ما كنت عليه
من الكدر وسوء الحال يوم مرض والدتى

الجد - اذا أنت تحبنا وتفضل أن تعيش معنا عن أن
تعيش مع غيرنا

الحنيد - لاشك في ذلك

الجد - اعلم يا ولدى العزيز أن اجتماع أناس متحايين
يفرح الواحد منهم لفرح الآخرين ويتكدر لكدرهم ويدافع

عنهم ادا هاجهم العدو ويفضل أن يعيش سيء الحظ عن
أن يراهم يتألمون من مصاب ومتحداً معهم قلباً وقالباً يكون
ما يسمى بالعائلة

الحفيد - نعم - ولدي الأعرز ولكنك لم تعرفني لأن
معنى كلمة الوطن

الجد - اصبر قليلا لا تعجل ولنقرأ خطاباً تي من أخيك
قبل كل شيء

« سيدى وجدى الأجل

اني أتأسف كثيراً لمفارقة عائلتي التي نشأت فيها ولكني
لحسن الحظ وجدت مع زمرة من الأوفياء الذين لا قصد
لهم الا خدمة الوطن العزيز تلك الأم الشفيقة التي ربنا
وعلمتنا صفارا وهدبتنا حتى صرنا أهلاً لخدمتها كباراً وأنا
في موضع نهاجم فيه الأعداء وندافع عن الوطن والأهل
والأحباء . الضباط رفقاؤني هم كاخوتي وقائد الجيش كوالدي
وخدمة أوطاني نبراسي وأخلاصي لأميري قدوتي فقل
معي لتعش مصر »

الحفيد - لتعش مصر

الجد - ان مشاهدتي يا ولدي العزيز لمصرى نبيل تبهج
ناظري ورؤيتي لوطنى نشيط تأخذ بمجامع القلب و النفؤاد
كما أن مشاهدتي لا تار آباءى وأجدادى العطاء تجعل فى قلبى
محلا للفرح ومحلا للترح فافرح لان تلك الأعمال أعظم من
أن يأتى المعاصرون بمثلها وأتكدر لما أرى أنامعشر المصريين
الحاليين لم تتبع خطهم ولم نجر على منوالهم فأنا والحق يقال قد
قصرنا فى واجباتنا فيجب عليكم أنتم معشر الناشئين أن تقوموا
بأجل الخدم لبلا دكم التى ربيتم أنتم وآباؤكم وأسلافكم فيها
وتمتعتم بخيراتها

الحفيد - حقاً ما تقول ياسيدى المكرم

الجد - الآن بما أنك فهمت قولى وعلمت أنك مدين
لبلا دك بأشياء كثيرة ينبغى أن تكون التلميذ الاول من
فرقتك

الحفيد - لا يمكننى ذلك لانه يوجد من هو أعلم منى
الجد - ومن أسبوع الى أسبوع تصير التلميذ الأخير

متي ثبت في ذهنك أنه يوجد من هو أعلم منك أما تدرى
ان لاشيء على الانسان بعسير

الحفيد - ولكنى لو اجتهدت وصرت الأول أخاف
أن الذين هم قبلى الآن يعادوننى ويكرهوننى
الجد - لم ذلك أنت تكره من يتقدم عليك

الحفيد - نعم

الجد - ان هذه صفة قبيحة يجب عليك أن تتركها وأن
تحب للناس ما تحب لنفسك واذا تقدم عليك أحد فكن
مسرورا مادام مصريا واجعل محبة الوطن نصب عينيك آناء
الليل وأطراف النهار وثبتها في فكر من لم يعلمها حتى تنجح
على أيدي أمثالك البلاد وتعيش في هناء واسعاد

(الاقتصاد)

الاقتصاد أو التدبير هو تنظيم المعيشة وجعلها مناسبة
لحالة الانسان وهى صفة جليلة حميدة العواقب تحمى المرء
من نكبات الدهر وملهاته ولا يقصد بها التضيق فى المعاش

كما يفهمه البعض بل ترتيبها ترتيباً منتظماً به تفوق الحاصلات
المصروفات بمعنى أنك لو كنت رب بيت مثلاً وتكتسب
في شهر ك مبلغ كذا يلزمك أن توفر منه الثلث على الأقل
حتى ترجع إليه عند الحاجة لأن الدهر خوان إن سالم يوماً
عادي أياماً وإن أقبل وقتاً أدبر أوقاتاً فهو سلاب للنعمة لا يعلم
وقت غدره ولا ساعة جفائه . لا يردعه عن بغيه إلا الاقتصاد
الذي هو سلاح يقاتل حادثات ذلك الزمان الخوون والـ
فإن حسبته بخلاً ونبذته ظهرياً كنت العوبة في يد أيامك
(أجوبة الاسئلة المندرجة بالعدد الماضي)

(١) إن نهر سيمواس القديم يعرف الآن باسم دميرك

ونهر سكامندر يعرف باسم منديريس

(٢) إن الحيوان الذي يمثل شكل الرقص والموسيقى

والرسم في آن واحد هو الضب المصبر

(٣) يميز الثعلب الصغير من الذئب الصغير بالحدقة العينية

فإنها عند الثعلب عمودية كحدقة عين الهر وعند الذئب

مستديرة كحدقة الكلب

(٤) يقولون ان آسيا هي مصدر الوباء لأنه طالما زار
بلاد العجم

(٥) يوجد بالقاعة أربع هرات
س لم افتتح التعليم بالحروف الأبجدية وما معنى أسماؤها
ومن الواضع لها محمد الصاوي مدرس

بمدرسة التقدم

بالقازيق

شذرات

(أطول نهر في الدنيا)

علم ان نهر مسيسيبي الموجود بأمريكا الشمالية هو
أطول أنهار الدنيا فان طوله يبلغ ٤١٠٠ ميل ويليه نهر النيل
السعيد الذي يبلغ طوله ٣٧٠٠ ميل

(طلبات عمال الانكيز)

تنحصر طلبات العملة الانكيز في كل هيجان يعمالونه

في أربعة أمور « أولاً » تحديد ثمان ساعات للشغل .
« ثانياً » ثمان أخرى للراحة « ثالثاً » ثمان للنوم . « رابعاً »
ثمانية شلنات كل يوم « نحو أربعين غرشا صاغا »

(متوسط العمر في العالم)

دلت الاحصائيات الدقيقة على أن متوسط العمر في

العالم هو ٣٨ سنة

(التجارة في فرنسا)

قد تقدمت التجارة في فرنسا تقدماً عظيماً حتى بلغ عدد

التجار فيها عشر الاهالى

الجزء السادس

﴿ ربيع الاول سنة ١٣١١ ﴾

(العود احمد)

عادت الجريدة الى الظهور بعد أن غابت شهرين قضينا

جزءاً عظيماً منهما ومن سابقهما في فرنسا بقصد تمضية

الامتحان ومشاهدة عجائبها وتمدينها وما عليه أهلها من
الاخلاق والعوائد وأحوال المعيشة العمومية وخصوصاً حالة
الصانع والمزارع والتاجر الذين عليهم حياة أوروبا الحقيقية
الى غير ذلك من المسائل الادبية التي هي أسمى في الحقيقة
من الماديات بكثير . وبعد ذلك عرجنا على ايطاليا مارين بام
مدائها مروراً وقتياً لم نعدم فيه جنى بعض الفوائد كحالة
الاهالي والحكومة المالية التي علمنا بالمشاهدة أنها متفجرة
من جميع الوجوه . ثم عدنا بالسلامة الى الاوطان بعد أن
أخذنا الشوق اليها أكبر مأخذ ولذلك رأينا أن نجعل أول
كتابة لنا على ما شاهدناه الاحساسات والتأثيرات التي
تستولى على المسافر عند مبارحته الوطن خصوصاً لأول مرة
ثم نعقب ذلك في الاعداد الآتية ببعض ما يفيد القراء من
المسائل الأدبية المهمة

(فراق الوطن لأول مرة)

ما ابتعدنا عن ميناء الاسكندرية حتى خيل لنا أننا

فصلنا من الوجود وفارقنا الحياة لما استشعرنا به من احساسات
الأسف وشدة التعلق بالوطن وعظيم الحنين الى المعاهد فما
أشبه المبتعد عن وطنه بطفل فصل من أمه . وقد كادت شدة
الاسف تجعل البكاء مدراراً رغماً عنا ولكننا تجلداً خشية من
ضحك الأفرنج علينا وهم الذين يترقبون صغيرة لنا فيعظموها
رغبة في نيل ما ربهم . وما ابتدأت احساسات الاسف تقل
بارشاد العقل بان الغاية حميدة والقصد شريف والعود سريع
حتى ابتدأت الباخرة تلعب ذات اليمين وذات الشمال
واحشاؤنا تلعب معها بالتبعم كما يتحرك الرضيع في أرجوحة
اهتزازية . ولم نزل كذلك مدة عايننا فيها مرضين كلاهما
عظيم : مرض فراق الوطن ومرض البحر الا أن الاول منهما
أقوى وأعظم إذ أن آلامه في القلب وحده وأما الثاني
ففي الاحشاء

وقد بقي البحر على هذه الحال مدة ست ساعات حتى
وصلت الشمس الى الربع الرابع من دائرة الافق فعدنا الى
الوجود بعد أن قاسينا أهوالاً لم نر لها شكلاً من قبل ولما

استشعرت برجوع القوة والنشاط الي علوت سطح المركب
وهي تحت السماء وفوق الماء لاستنشق الهواء فرأيت من
الركاب عدداً عديداً بين الفرنسيين والانكليز والاطليانيين
والسوريين وغيرهم ولم أر منهم الا ستة من المصريين الذين
لا قصد لهم الا تمضية الامتحان بفرنسا والعود ثانية وهنا
ظهرت لي حكمة النيل العجيبة وخاصيته التي ليست في غيره
وهي أن جودة أرضه تمنع أهله من التغرب عن الاوطان
ولذلك ترى أكثرهم لا يغير مقره وان ضرب عليه الذل
وخيمت على منازلهم المسكنة ولعمري الحق لتلك مسألة كادت
تكون وراثية على أن كثيراً من سكان المعمورة يتنقل ليرى
أحوال غيره فيتعلم حيل العيش

ولقد رأيت أن في وجودي مع هذه الاجناس المختلفة
فرصة عظيمة للوقوف على بعض أخلاقهم ولذلك قد خالطتهم
فعلمت أن الفرنسي منهم رقيق الطبع لين المعاشرة حسن
التكلم يراعي في خطابه كل الادب الا أنه قليل الثبات فتراه
إذا مررنا بجزيرة كان يكثر من الاشارات والانتقال والتكلم

عن تاريخ هذه الجزيرة كانه يلقي درساً ما . وأما الانكليزي
فهو غايظ الطبع مبتعد عن الناس كثير العزلة ولذلك كان لا
يرى للانكليز وجهاً في أغلب الاحيان الا وقت الاكل وأما
الطليان فهم قوم لا رشاة لهم كثير والوساخة يوافقهم مرض
البحر كل الموافقة

وأما السوريون فاعلهم كان من ركاب الدرجة الرابعة
التي ينام أهلها على سطح البحر وهم يتكبدون المصاعب
ويتجشمون المشاق لنيل المعاش وجل ما يبغى السورى منهم
نيل الدرهم وشرب النبيذ . وأما أخلاقهم فعنوانها الحماسة
الشديدة وأغلب الذين كانوا معنا كانت غايتهم الذهاب الى
معرض شيكاغو

قلنا أن البحر سكن روعه بعد الغضب وقد استمر كذلك
ليلته ونهاره ثم أخذ يرينا بطشه وقوته تارة ولطفه وترحيبه
بنا تارة أخرى ولا غرو اذا كانت تنطق أمواجه بانه رب
البطش والقوة وصاحب العظمة فهو ذلك البحر الذي وهب
العالم بأسره التمدن وتقلب السعادة على سواحله وهو هو

البحر الابيض المتوسط . ولم نزل كذلك بين عناء وهناء مدة
أربعة أيام حتى وصلنا مساء الخميس ٢٢ يونيه الماضي ميناء
مرسيليا ولا تسل عما لحق العموم من السرور وخصوصاً
الفرنسيين منهم فأنهم كادوا أن يطيروا فرحاً وبعد وصولنا
بساعتين ركبنا قطار الاكسبريس الى باريس مباشرة حيث
وصلناها مساء اليوم التالي وقد يرى المسافر من المناظر الجميلة
وحسن الترتيب وكمال النظام في جميع الاعمال ما يسره كثيراً
أما ما كنا نستشعر به في باريس فاحساسات مختلفة
فتارة نسر لوجود قبائح لم توجد في وطننا العزيز وتارة نأسف
على بلدنا عند ما نرى شدة نشاط القوم وجدهم وسعادة الامة
والحكومة وشرف الصانع وغير ذلك من الامور التي
امتازوا بها

ولا تسل عما كان يحيط بنا من السرور عند ما نقرأ في
الجرائد الفرنسية ذكر الاجلال الذي قوبل به أميرنا
المحبوب عند سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين
بل ولا تسل عن فرحنا (بالمؤيد الاغر) عند ما تأتي

أعداده كل يوم جمعة متحلية بحقائق الزيارة العباسية
ولا تسل أخيراً عن كبير حبورنا عند ما غادرنا فرنسا
وايطاليا وركبنا البحر عائدین الى الوطن العزيز عند ما سلمتنا
أمواجه وحيانا النسيم وأهدانا القمر طيب ضوئه في ليال
كان فيها مستكماً ثم جئنا الاسكندرية فجراً فرأينا أمامنا
زينة العباس ونورها بل رأينا نوره في البحر أسطع من ضوء
القمر حيث لبثنا هنيهة نتمتع بمنظر المدينة وهي تتلألأ كأنها
عروس الحي كل ذلك والباخرة لا يهدأ لها قرار فتراها
تذهب حيناً للامام وآونة للخلف كأنها تظهر علامات اشتياقها
لدخول البوغاز

ولم نلبث بهذه الحالة الا قليلاً حتى جاء رئيس البوغاز
وقاد الباخرة بمهارة حيث وصلنا الميناء ودخلنا المدينة فرأينا
مجامع الزينة الباهرة فكان الفرح فرحين والسرور سرورين
اللهم احفظ لنا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ناصر الدين
والاوطان ومتع اللهم مصر بالعباس أميرها المحبوب انك
على ما تشاء قدير

﴿ نور الاسلام في الآفاق ﴾

الدين الاسلامي هو أشرف الاديان على الاطلاق
وأجلها مقاماً وأعظمهم قدراً لانه مكون من حقائق يقبلها
العقل بكل سهولة وملائم لكل زمان ومكان ما عملت به أمة
من الامم الا وأصلحت أحوالها وانتظمت أمورها وتم لها
الفوز والنصر وعلت لها الكلمة بين سائر الامم

وأعظم شاهد على قوة نور هذا الدين الخفيف أنه ما ظهر
بين الامة العربية الا وملاً نوره الآفاق وانتقلت تلك الامة
البدوية من الجهالة التامة الى درجة من العلم لن ترى ولا ترى.
ذلك أمر عجيب وسر غريب وتلك حكمة عالية ومعجزة
تدهش الالباب

أمر سهل ليس بالمشكل ولا بالمظلم فهم تلك الحكمة
العالية وادراك ذلك السر العجيب فقليل من التبصر يوصلنا
الى الحقيقة : ان فهم القرآن وادراك معانيه الخطيرة يوصل
الى معرفة علوم شتى فالعرب يفهم هذه المعاني الرفيعة وصلوا

الى الوقوف على علوم عديدة جعلتهم اعلم الناس طراً وأشرف
الخلق جميعاً

وقد أخذ ذلك الدين الاسلامي من يوم وجوده يبعث
أنواره في الآفاق حتى اهتدت أغلب الناس اليه وماترك اعتناقه
الا من عميت بصيرته وعشق عقاب الآخرة

وقد يخطيء أعداء هذا الدين الخطأ الجمل عند ما يقولون
أنه اذا كانت مبادئه حقيقية فلم لم ترتفع للمسلمين في هذه الايام
كلمة ولم سبقهم الا فرنج الى التقدم ويضيفون على ذلك ان
العرب لم تصل الى ما وصلت اليه الا بقوتهم وشجاعتهم لا بنور
دينهم وعظيم علومهم

فنجيبهم على هذا القول الفاسد والادعاء الباطل بأن
العرب قبل الاسلام وبعده هم العرب لم يتغيروا وقوتهم ثابتة
لم تتحول فلم لم يصلوا الى الرفعة وعلو الشأن قبل الاسلام
لاشك ان بلوغ هذه المكانة التي بلغوها ينسب الى تأثير هذا
الدين الجليل وأما السبب في عدم ارتفاع كلمتنا في هذه الايام
فهو لان أكثرنا ترك قواعد الدين فعلاً لا اعتقاداً وأهمل

أمر التربية الإسلامية .

ومهما بلغ الضغط على المسلمين في البلاد فإن نور الإسلام منتشر لا يمنع ما منع أما ترى نور الإسلام في ليفربول تلك البلدة التي كانت من عهد قريب محط رحال رؤساء الديانات المغايرة . أما ترى الإسلام في أمريكا وماتأسس هنالك من الجمعيات الإسلامية المعضدة من أغنياء مسلمي الهند الذين سيتركون بلادهم ويرحلون إلى هذه البلاد ليهدوا الناس وينيروا العقول ولا يبعد أن نرى أغلب اخواننا الموثرين الذين لا غرض لهم في الوجود إلا رفعة الإسلام يقتدون باخوانهم أهل الهند . نسأل الله أن يصلح الأحوال ويهدي الضالين من أبناء آدم وان يعيد عزة المسلمين انه بالاجابة جدير

والمرء ما لم تقم تقعا اقامته

غيم وجمي الشمس لم يمترو ولم يسر

من يتأمل في معنى هذا البيت وما حواه من الحكمة الباهرة يرى ان ناظمه الفيلسوف ابالعلاء المرعي قد وهبه

من بحر علمه الخضم فكرة تنطبق على الحقيقة كمال الانطباق
فيفهم منه ان من واجبات الانسان في المجتمع ان يأتي بعمل
يعود على ذلك المجتمع بالنفع والا فوجوده بين أفراده يعد
ضرراً ويعتبر ذلك الشخص كسحابة حجبت ضوء الشمس
فلا هي أمطرت حتى تفيد الناس ولا هي سارت حتى تترك
ضوء الشمس وحرارتها يفيدان بفوائدهما الوجود

وبديهي ان هذا القول حقيقي اذ ان كل فرد يعيش
في مجتمع يجب عليه ان يؤدي لذلك المجتمع نظير ما يكتسبه
منه من الغذاء والشرب والملبس والغطاء والاقامة بين الامن
والهناء خدمة تعادل تلك الخدمة الجليلة التي يؤديها له المجتمع
فاذا قصر هذا الفرد عن القيام بهاته الخدمة المتحتمة عليه كان
وجوده بين أفراد المجتمع ضرراً عليهم اذ انه يكتسب منه
ما يجب ان يقسم بين الافراد الآخريين الذين يؤدون للمجتمع
خدمات صادقة

وانا لو أردنا ان نطبق هذه القاعدة الصائبة على المجتمع
المصرى بل وعلى سائر المجتمعات الشرقية الحالية لرأينا ان

الهيئات الحاكمة في هذه المجتمعات هي القائمة وحدها
بالاعمال وهي الساعية دون غيرها في تقدم الشعوب ومن
النادر ان ترى بين أفراد الامة من يقوم فيعمل عملاً جليلاً
يعود علي المجتمع بفائدة أو تقع

وغير خاف أن الامة في كل هيئة اجتماعية هي التي عليها مدار
العمران وهي أصل التقدم وروح السعادة وبيان ذلك أنه اذا
كانت الهيئة المحكومة جاهلة والهيئة الحاكمة عالمة واقفة
علي واجباتها فانه لا تقوم للمجتمع قائمة اذ يصعب علي الهيئة
الحاكمة قيادة الهيئة المحكومة لان ما تراه هذه صواباً تراه
تلك خطأ نظراً لانها سها في الجهل فضلاً عن أن الهيئة
المحكومة تفضل أن ترى من بين أفرادها الجهلاء هيئة
حاكمة غير الموجودة وتسقطها وترفع غيرها ولو نظرنا الى
عكس ذلك أعني اذا كانت الهيئة المحكومة عالمة مستنيرة
بالافكار الصائبة والهيئة الحاكمة جاهلة لرأينا أن المجتمع
يعيش سعيداً ويبقى عيشه رغداً وذلك لان الهيئة المحكومة
لا تتأخر عن اسقاط تلك الهيئة الحاكمة الجاهلة وتعويضها

بهيئة عالمة تنتخبها من بين أفرادها ومصداقاً لقولنا هذا قال
أحد كبار العقلاء الذين رسخت عندهم هذه الحقيقة كل
الرسوخ (ان الهيئة المحكومة هي سيدة الهيئة الحاكمة ولا
عكس) اذا علم هذا القول ونظرنا الى حالة بلادنا المصرية
التي هي واد عزيز عميم الخيرات كثير البركات قد خصه الله
بمزايا لم يختص بها غيره حتى أصبح مأوى للغرباء ومقرراً
للنزلاء الذين قد نضبت بحار خيرات بلادهم عن أن تسد
حاجاتهم الضرورية ونظرنا الى ما اكتسبناه منه من الخير
الجزيل والبر الجليل والى ما أديناه له من النفع نرى اننا لم نأته
بذرة مما أتانا هو به فانه قد أصابته الأمراض وحاقت به
لادواء واشتد أذنبه وبكاؤه ونحن عن كل ذلك لاهون لانسمع
اقوله ولا نلبي نداءه وليس بيننا الا نفر قليل يقوم بخدمته
أليس من الواجب علينا عموم المصريين ان نتحد قلباً
وقالباً في الاخلاص الوطني وان نترك الحقد والحسد من
بيننا وان نعمل جميعاً على تقدم البلاد وراحة العباد ؟
أليس من الواجب على أغنيائنا خصوصاً الذين قد

أفادهم ذلك المجتمع السعيد أكثر مما أفاد غيرهم بكثير ان
يؤسسوا المدارس التهذيبية ويشكلوا الجمعيات المفيدة ويصرفوا
أموالهم في خدمة وطن قد خدمهم أكبر خدمة وأنالهم
أكبر منة ؟

لا شك اننا اذا جعلنا الائتلاف والاتحاد وخدمة الوطن
خدمة صادقة مبدأ لنا وصلنا الى أسمى مقصدنا وأدركنا
ضالتنا المنشودة

فيجب علينا عموماً ان نفتدى بأعمال أميرنا الجليل الذي
قد غبطتنا أحبابنا وحسدتنا أعداؤنا عليه وان تجعل الكبار
في مقدمة مبادئهم الائتلاف والمحبة وتهذيب الابناء وان
تنشأ الاحداث على هذه المبادئ الشريفة وليعلموا علم اليقين
ان عليهم حياة البلاد وانهم رجال المستقبل وان زمنهم تقيس
فلا يصرفونه الا فيما يجد يهم تفعا والسلام

(تلميذ مقدم)

نعنى بذلك « جول واكبير » ابن أحد الصناع

الفرنساويين المولود في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ بمدينة لنداس
واحد تلامذة مدرستها العمومية الآن
نشأ هذا التلميذ على الشهامة والاقدام وحب النفع العام
فانه قد خاطر بنفسه مرتين متواليتين لنجاة شخصين كادت
المنية ان تغتال حياتهما لولاه ولذلك قد أتت احدي الجرائد
الفرنساوية الفخورة بشهامة أبناء جلدتها على صورته متقلداً
النيشانين اللذين أهدتهما اليه حكومته جزاء طيب أعماله
محيطة تلك الصورة بذكر هاته الافعال الحسان واليك
ملخص ماجاء بها بعد الترجمة :

« منذ كان واكبير في العاشرة من عمره « أي منذ
سنتين » ذهب مع أربعة من أقرانه الى محل كثيف الثلج
بقصد اللعب فيه ومذ كانوا في بحر اللعب غارقين اذ وقعت
قطعة عظيمة من الثلج من تحت قدم أحدهم في هاوية كانت
تغطيها ولم يلبث الشاب ان هوى معها حيث كان يهدده الموت
من كل جانب لولا ان واكبير المقدم ألقى نفسه بسرعة عجيبة
في الحفرة وأخرج رأس خليله من الماء حتى أتت جماعة من

المارة واتشلتها من هاوية الهلاك

وفي الثالث من شهر مايو الماضي رأى عند خروجه
من المدرسه عربيه سريعة العدو كادت أن تدهس أحداً قرانه
الذى كان يسرع السير بقصد مقابلة قريب له فأنجاه من الموت
بخطه لا مثيل لها بعد ان اعتقد الجمهور كمال الاعتقاد ان تلك
اللحظة هي آخر دقيقة في حياة الاثنين)

هذان العمالان الجليلان قد صاغها يد تلميذ لم يبرح
مشتغلاً بالدراسة الابتدائية ولم يتجاوز السنة الثانية عشرة من
عمره فهو جدير بان يكون قدوة حسنة لأمثاله فانه يرى في عمله
هذا خيراً كبيراً فان نجح فيه فقد حفظ حياة وان خاب فقد
مات شهيد الشفقة والرحمة والانسانية ولذلك فان الحكومة
الفرنساوية قد كافأته باهدائه : نيشانى الانقاذ الخطيرين.

﴿ الأناشيد الوطنية والتهذيبية ﴾

لقد اصبح من الامور البديهية المسلم بها عند جميع العقلاء
انه لا بد ان يكون التعليم مخلوطاً بالتهذيب بل يلزم تفضيل

هذا عن ذلك لانه عليه قوام الامور واصلاح الاحوال .
والتاريخ أعظم شاهد على ذلك فان العالم اذا كان غير مهذب
يكون ضرره عظيماً جداً على الامة التي يشغل بين افرادها
مخلاف في ادارة الامور ولذلك اتفق جميع الحكماء والفلاسفة
على ان ضرر الجاهل اقل بكثير من ضرر العالم العديم التهذيب
ولما كان اسمى غرض لنا هو تهذيب الاحداث فقد عزمنا
على أن ندرج في كل عدد من أعداد جريدتنا نشيداً أو
نشيدين على نمط السلسلة والتهذيب التام حتى انه بعد مضي
خمسة أو ستة أشهر يمكننا أن نجتمعها في كتاب نضم اليه
بعض الشذرات والمحاورات المفيدة يكون قاعدة اساسية
لتهذيب الابناء وانا لا نعدم في ذلك العمل مساعداً الفضلاء
والادباء والشعراء

والى القراء نشيداً جادت به القريحة نعهه با كورة لهذا العمل
هلموا يا بني الاوطان طراً لترجع مجدنا ونعز مصرنا
هلموا كي نوفي القطر حقاً نسيناه فضع بذاك قدرا
هلموا وادركوا العليا حتى تنال بلادنا عزاً ونخرا

هلموا واتركوا الشجاء منكم
أليس يشيننا ترك المعالي
ونحن رجالها وبما لديها
نسبنا البر للنيل المفدى
فعار أن نسى الذل عزاً
وعار أن نعش بغير مجد
وعار أن يكون لنا وجود
فقوموا واطلبوا للنيل عزا
وسيروا نحو هذا القصد حتى
تسادوا أجمعين بعز مصر
وكونوا أوفياء فذاك احرى
تباع بغير وادينا وتشري
من الاسعاد والخيرات أدرى
وخلنا أننا جئناه خيرا
وعار أن نسى الشح برا
ونبصر في السما شمساً وبدرا
ويحظى غيرنا فوزاً ونصرا
ولا تبقوا بذل كي يسرا
تسادوا أجمعين بعز مصر

شذرات

﴿ النصب العلمي ﴾

أتينا في أحد الأعداد السابقة على طريقة للرسم والكتابة
على الفواكه وقد جاءنا في الأسبوع الماضي خطاب من
الصعيد يقول فيه كاتبه أن فئة من الناس تستعمل طريقة الكتابة
على الفواكه سبيلا للتعيش فانهم يكتبون عليها بعض آيات

قرآنية وأحاديث نبوية وجمل ذوقية يرتاح لها الخاطر مثل
(لك الجنة يا مالكي . عش سعيداً يا صاحبي) ويموهون
على عقول السذج بان هذه الفاكهة من الجنة ويستدلون
على ذلك بما هو مكتوب عليها من الكتابة الخضراء وبهذه
الكيفية يبيعها المحتال بثمان باهظ جداً ويحرص عليها المشتري
أشد الحرص . فليتأمل القراء الى سبك هذه الحيلة والى
شدة مفعول الجهل بعقول البسطاء

﴿ النقود في أشهر الممالك الاجنبية ﴾

تختلف النقود باختلاف البلدان ففي فرنسا وايطاليا
وبلجيكا واليونان وسويسرة النقود السائرة هي النقود
الفرنسوية وهي البنتو وأجزاؤه والبنتو يساوي عشرين فرنكاً
(أي ٧٧ غرشاً مصرياً وكسور المليم) والفرنك يساوي مائة
سنتيم والسنتيم ليس له وجود حقيقي بل ان كل خمس سنتيمات
تكون ما يسمى صليدياً

والنقود الانكليزية تنقسم الى ثلاثة أقسام ذهبية وفضية

وبرونزية فالذهبية هي الجنيه الانكليزي واجزأؤه وهو
يساوي خمساً وعشرين فرنكاً وربعاً أي (٩٧ر٥٠) غرشاً مصرياً
والفضية هي الشلن وهو يساوي ما يقارب الخمسة غروش
مصرية والبرونزية هي البني وهو يساوي نحو الاربع مليمات
والنقود الالمانية كلها فضية وهي التالر ويساوي ١٣ غرشاً
مصرياً والمارك ويساوي ما يقارب الخمسة غروش مصرية
والنقود الاميركية قسماً فضية وبرونزية فالفضية هي
الدولار وهو يساوي نحو ٢٠ غرشاً مصرياً والبرونزية هي
السان ويساوي المليمان

والنقود الاسبانية كلها فضية وهي الدورو ويساوي
نحو ١٨ غرشاً مصرياً والبزتا ويساوي الاربعة غروش مصرية
تقريباً والريال ويساوي القرش الصاغ تقريباً

والنقود الروسية قسماً فضية وبرونزية فالفضية هي
الروبل ويساوي نحو الخمسة عشر غرشاً والبرونزية هي
الكوبك ويساوي مليمماً ونصفاً تقريباً

والنقود النمساوية قسماً ذهبية وفضية فالذهبية هي

الدوكا ويساوي ٦ غرشاً مصرياً والفضية هي الفلورين وتساوي
٩ غروش مصرية وغير ذلك يوجد قطع ذهبية تساوي أربعة
أمثال الفلورين وقطع أخرى تساوي ثمانية أمثالها

الجزء السابع

﴿ ربيع الثاني سنة ١٣١١ ﴾

﴿ اتحاد الوطنيين في الاغتراب ﴾

أجارتنا انا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب
ما كان أشدنا تمثلاً وتمسكاً بهذا البيت مذكنا في بلاد
الغربة فاننا كنا جميعاً كعشاء عائلة واحدة تم بين افرادها
الاخلاص والوفاء فكل فرد منا كان لا يدع ساعة من زمنه
دون أن يقابل اخوانه فيها ولو ألم باحدنا شيء مكدر وان يكن
خفيفاً كنت ترى الجميع قائمين في خدمته لا يألون جهداً
في تأدية كل ما يحتاج اليه الا أنه مهما تقوت عرا الائتلاف
والاتحاد بيننا ومهما اشتدت روابط الاخلاص فلا يعد ذلك

في تلك البلاد أمراً مستغرباً ولا شيئاً مدهشاً كما يقع في بلادنا اذ ان اتحاد الغرباء هنا أمر ظاهر مجسم لانه واقع في وسط التنافر فيه متغلب على الاتحاد أما في البلاد الاجنبية فما كنا نرى في الاتحاد فرقا بيننا وبين من يحيط بنا من الاجانب فانهم أجمع كرجل واحد ومهما اختلفت مشاربهم وتباينت آراؤهم فانهم في خدمة الوطن متحدون قلباً وقالباً ولا يختلف في ذلك اثنان

ومن ينظر الى هذا الامر لا بد أنه يستشعر باستغراب عظيم وبدهشة كبيرة اذ ان الوطنيين هنالك والاجانب لا يختلفون في اتحادهم وأما هنا فالفرق ظاهر والبون بعيد ولا شك ان من يبحث في سبب التباين بين البلاد الشرقية والبلاد الغربية في هذا الامر يدخل في دائرة الحيرة من حيث انه يعلم ان الاتحاد لازم ضروري فكل جماعة يقيمون في بلد اما ان يكونوا وطنيين أو اجانب فان كانوا وطنيين وجب عليهم كل الوجوب الاتحاد والائتلاف في خدمة بلادهم وان كانوا اجانب لزمهم ذلك أيضاً لوجوب

عملهم بقول الشاعر

أجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب
وعليه فكل شخص أهمل خدمة وطنه الذي أنشقه
طيب هوائه وغذاه لذيذ غذائه وسقاه حلو مائه يعد عديم
الوطنية بعيداً عن ان يسمى وطنياً أو أجنبياً ومثل هذا يعيش
كثيلاً حزيناً عليه غضب من الرحمن ولعنة

﴿ الصناعة والصناع ﴾

كل من له اطلاع على تواريخ الأمم وسيرهم وماجريات
الأحوال في البلاد يعلم ان الصناعة والزراعة والتجارة هي
أهم عناصر التقدم وأول أسباب السعادة وان كل أمة قطعت
سبيل الحضارة لم تصل الى ما وصلت اليه الا بهذه العناصر
الشريفة فهي من أهم الاسباب التي أوصلت الامة الاسلامية
في الازمان السالفة الى التقدم وعلو الشأن فقد كان لها بين
افرادها أعظم مقام وأسمى احترام وتلك آثارهم قائمة في كل
البلاد التي سكنوها تدل على ما كان لهم من عظيم الاعتناء

بالصناعة والتاريخ يميل على مطالعته تقدم الامة الاسلامية فيها
وفي الزراعة والتجارة

ولم يزل للآن هذا الناموس عاماً وشاهدنا على ذلك
تقدم هذه العناصر الثلاث في البلاد المتقدمة فلها بين أهالي
تلك البلاد اهتمام عظيم وعناية كبرى ولم تضع الناس قدرها
الا في البلاد الشرقية على انها أولى من غيرها بالاعتناء بها
يظهر مما سبق ان مجد الصناعة والزراعة والتجارة
ملازم لتقدم الامة متعلق بارتفاعها وعلو شأنها

أما الزراعة فمعنى بها في بلادنا اعتناء شديداً نظراً لان
القيام بها أقل تعباً من القيام بأحد العناصر الأخرى ولان
البلاد زراعية بطبعها

أما الصناعة والتجارة فغير معتنى بهما وان كنا نرى لهما
وجوداً فهو ضعيف جداً في جانب الواجب

ولما كانت الصناعة في مقدمة هذه العناصر أحياناً ان
نخصص للكلام عليها في جريدتنا بعض الاسطر فنقول:
الصناعة لها في الوجود فضل ظاهر ومجد واضح لا ينكره

الاكل غير جاهل فضروريات الحياة التي هي الماء والاكل والمشرب
واللبس والسكن قد صاغت اكثرها يد الصناعة فلها اذاً على
كل موجود فضل بين يحملة على اعلاء شأنها واحترامها
واحترام كل من قام بها والا فكل من خالف ذلك يكون
قد نسي واجبا نعه سامي القدر خطير المقام وحقيقة فان
الصناع الذين هم رافعوا لواء الصناعة جديرون بالاحترام
حقيقون بالتجلة والاعتبار وقد علم ذلك أهل البلاد المتقدمة
علما حقا فاحترموا الصناع واعلوا من شأنهم حتى أصبحوا
في مقدمة المبجلين وطليعة المحترمين وأما سكان البلاد المتأخرة
فقد طرحوا احترام الصناع خلف ظهورهم ولم يكنفهم ذلك
بل انهم أهانوه واحتقروه وعدوه أقل الناس شرفا وأحطهم
مجدا وقدرنا والسبب في ذلك ظاهر كما قدمنا وهو ان احترام
العناصر الشريفة ملازم للتقدم والتمدن

ففي البلاد المتقدمة وعلى الخصوص في الولايات المتحدة
للصناع شرف باذخ ومقام خطير فقد بلغ الاعتناء بهم ان
أسست هنالك جمعية مؤلفة من أعضاء عديدين الغرض الاصيلي

منها وضع الحوادث اليومية المهمة الواقعة في العالم في قالب روايات صغيرة تباع بأبخس الأثمان حتى تكفي الصانع مؤنة البحث والمطالعة في الجرائد . وكيفية ذلك ان أعضاء الجمعية تنقسم الى جملة أقسام : قسم ينتقى الحوادث الواقعة أمس يوم العمل التي يمكن وضعها في قالب روايات وقسم ثان يختار الأهم ويترك المهم منها وثالث يضع الحوادث في قالب روايات ورابع ينتقها وخامس يجمعها وسادس يصحح مسوداتها وسابع يطبعها وتامن مجلدتها وتاسع يفرقها على المكتبات والباعة . والخ ولا يزيد ثمن الرواية الواحدة عن سان واحد أي مليمين وبذلك يشتريها الصانع بثمان بخس وبتلاوتها يتقف على ما وقع أمس يومه في بلاده وفي غيرها من الحوادث المهمة هذا مثل من أمثال الاعتناء بالصناع يدلنا على غيره ومن يتأمل في هذا الاعتناء يرى ان احترام الصناع واجب على كل فرد صغيراً كان أو كبيراً

﴿ محاوره بين صديقين ﴾

شوقى - عم صباحاً أيها الخل الوفى والصديق العزيز
فهى - أنعم الله صباحك سيدى ومحبى الكريم
شوقى - قد مضت الاجازة ولم نعلم أحوالك وما أنت
مشتغل به وقد كان يمنعنى عن مكاتبتك عدم وقوفى على حقيقة
عنوانك فما السبب فى عدم مخاطبتك اياى
فهى - ان السبب الحقيقى الذى منعنى عن مخاطبتك
هو السبب الذى منعك عن مخاطبتى
شوقى - ولعلك تكون اشتغلت بشىء مفيد فى هذه
المدة الطويلة

فهى - نعم اشتغلت بمطالعة بعض الكتب السيمياوية
وتعلمت منها كيف يحول الانسان النحاس الى فضة والفضة
الى ذهب والى غير ذلك مما سيجعلى من أكبر الناس ثروة
وأكثرهم مالا

شوقى - وأظنك تعلمت أيضاً تحويل الذهب الى ماس

فهى - ان طرق تحويل الذهب الى ماس موجودة
فى كتاب آخر غير الموجود عندى وان شاء الله سأشتريه
عن قريب لكى أقف على كل أسرار العلم
شوقى - وهل حولت شيئاً من النحاس الى فضة أو من
الفضة الى ذهب

فهى - انى لم أشتغل الا بالعلم وأما العمل فاشتغل به
فى مدة الدراسة

شوقى - اعلم يا أخى هداك الله ان قولك مملوء بالغرور
خال عن الحقيقة والدليل على ذلك ان النحاس والفضة والذهب
وغيرها هى معادن طبيعية وليست صناعية ولو امكن عملها لكان
سبقك الى تطبيق قواعد علم السيميا كثير من أمثالك الذين
أولعوا بحب الدنانير

فهى - اننى لنى غاية الاستغراب من قولك هذا فان
قواعد علم السيميا معقولة مقبولة

شوقى - ليس فى الامر ما يحير الفكر أو يدهش البال
فان كل مسألة سهلة كانت أو معضلة يحكم فيها العقل الذى

وهبه الخالق لنا ليهدينا الى اقوم سبيل فاذا حكمنا العقل
في هذه المسئلة وصلنا الى النتيجة التي قدمتها لك وهي أنه
لو كانت قواعد علم السيميا صادقة لاستعملها الكثير طمعاً
في جمع المال فضلاً عن أنه لو صدقت هذه القواعد السيمياوية
لاختير غير معدني الذهب والفضة للتعامل بين الناس اذ ان
هذين المعدنين لم يختارا للتعامل بهما الا لندارتهم
فهى - لقد أجبرتني بقوة برهانك وصحيح دليلك
على تصديق قولك وان كان في نفسى بعض الاعتقاد بالقواعد
السيمياوية

شوقى - لا يجب عليك ان تعتقد بقواعد السيميا اذ انها
مخض تفتيق و آخر دليل اذكره لك على قولى أنه الى الآن
لم يحصل أحد من الذين اغتروا بهذا العلم واشتغلوا به على
درهم واحد بل ان أغلبهم فقد القناطير المتنطرة من المال
فهى - حقاً لقد صدقت يا ايها العزيز

شوقى - اذا كنت صدقت قولى وتركت اعتقادك
بالسيميا وخرافاتها لزمنى تماماً للفحص ان أسألك سؤالاً

واحداً فهل لك ان تسمعه وتجيبنى عنه

فهى - سل عما تريد تجدني لك مجيباً بقدر ما أعلم

شوقى - وما بغيتك في ان تكون ذا ثروة

فهى - لكي أعيش عيشة راضية

شوقى - وهل تظن ان العيشة الراضية في الثروة

فهى - نعم

شوقى - وماذا تريد أن تعمل لتكون ذا ثروة

فهى - بما انك قفلت امامي باب السيميا فليس لي

حيلة الا ان أختلس متى توظفت

شوقى - انه لا يسعني الا ان أظهر لك اني آسف على

أفكارك هذه التي أبديتها فانها أسوأ الافكار وأدناها وقد

توصلك الى حضيض الذل ان قت بتنفيذها

فهى - اني لا أرى في أفكاري الا صواباً فان كنت

ترى انها خطأ فارجعي عنها بدلاً تلك القاطعة كما أرجعتني عن

اعتقادي السابق واظهر لي الطريق المستقيم

شوقى - اعلم يا أخى ان السعادة الحقيقية ليست في

جمع الاموال ولا كنز الدنانير بل هي في راحة الخاطر
وارتياح الضمير فرب ذى مال كثير لا ينام من الليل ساعة
لاشتغال أفكاره بأمر أمواله وأملاكه وما عليه وما له
ورب فقير ذى خصاصة ينام الليل مرتاح البال ساكن الخاطر
لا شاغل يشغله عن عبادة الله والقيام بواجباته

إذا علمت ذلك وأضفت الى علمك هذا ان راحة
الضمير وسكون السريرة لا يكونان الا بطاعة الخالق والعمل
بأوامره وترك نواهيه ومعاملة الناس بالرفق واللين والقيام
نحو الاهل والوطن بالواجب كل هذه الامور التي أرشدنا
اليها الدين القويم رأيت انك مخطيء أولاً في قولك ان السعيد
هو من جمع الدنانير وثانياً في عزمك على الاختلاس ذلك
الامر الذي لا يقبله الا كل من فسدت أخلاقه وخلع شعار
الدين والشرف

فهى - لقد تبين لي من قولك هذا يا أخى ان أعظم
هاد للانسان في حياته هو الدين الشريف الذى جمع من الحكم
فاوعى فهل لك ان ترشدني الى مبادئه الشريفة حتى يمكننى

ان أعمل به حقيقة وبذلك تنال الاجر العظيم وأنال سعادة
الدارين دار الدنيا ودار الآخرة

شوقى - بما أنك قد اهدت الى طريق الصواب
فسأوقفك فى كل مقابلة على بعض ما يهيك من المبادئ
الشريفة وعلى الله التوكل فى كل الامور

﴿ المطالعة فى الطريق ﴾

قد رأينا الكثير من تلامذة المدارس الابتدائية
يطالعون دروسهم حال ذهابهم صباحا للمدارس ولما كان
فى هذا الامر ضرر عليهم أردنا - سباق النصيح لهم حتى يعلموا
اضراره فيرجعوا عنه :

تعلمون جميعاً معشر التلامذة أن ساعة ذهابكم للمدرسة
صباحاً هى الساعة التى يهرع فيها أغلب الناس بحثاً على معاشهم
ويكثر فيها سير العربات والمارين زيادة عن غيرها ولذلك
وجب على كل ماران ينتبه فى سيره خوفاً من لحاق الضرر به
وكلكم يعلم أن العقل هو سلطان الجسم ورئيس الحركة

ومدير الافعال الانسانية التي لا يمكنه القيام بها كلها مرة
واحدة بل يدبر الامور أمراً أمراً ولذلك فهو عاجز عن
أن يفهم الدروس ويتنبه للطريق مرة واحدة فينتج عن ذلك
أن الاشتغال بالمطالعة في الطريق أمر يضر كثيراً ويلزم تجنبه
وزيادة على ما ذكر فاننا لو نظرنا الى السبب الذي
يحمل التلميذ منكم معشر الابناء على المطالعة في الطريق لعلمنا
انه عدم مذاكرته ليلا وكسله واشتغاله باللهو واللعب وهذا
ما لا يصح وقوعه من امرىء رغب المعالي وطلب شرفاً
رفيعاً وقصارى القول انه يجب عليكم أن ترجعوا عن هذه العادة
وأن تعملوا بقول الشاعر

بمقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلاسهر الليالى
يفوص البحر من قصد اللالى ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلامن غير جد أضاع العمر فى طلب المحال

﴿ باب الاناشيد الوطنية ﴾

(النشيد الثاني)

أهل المودة والسنن هيا لكي نعلي الوطن
ونعيد مجداً قد دفن وتغوز بالنصر المبين
هيا بجد واجتهاد نسعى لتدرك ذا المراد
هيا ولا تبغوا العناد فالوقت جاء ولا معين
أنتم بنو النيل السعيد ذي العز والخير المديد
فاحموه بالجد المزيد فبكم بنيه يستعين
أنتم بنوه فما لكم لا ترفعوا ما قد هدم
وعزيز (مصر) أمامكم (عباسنا) الحصن الحصين
هذا الامير بجمده وبجبهه لبلاده
قد نال كل مراده وغدا على (مصر) الامين
فتشبهوا يا قومنا بفعال روح بلادنا
كيا نكون جميعنا لثياب عز لابسين

فالحر لا يرضى المقام بمكانة فيها يضم
والذل تأباه الكرام والعز للعليا رهين
فاسموا بمصر الى العلا لننال ما قد أملا
ونسود من بين الملا وتفوز بالنصر المبين

شذرات

﴿ حوت ﴾

﴿ ثمنه مائتا الف فرنك ﴾

جاء بجريدة « طرابلس » الغراء تحت هذا العنوان
ما يأتي :

« اشترى أحد مستخدمي زيت السمك في مرسيليا
حوتا من أحد الصيادين بقيمة سبعين فرنكا وبعد ان نقله الى
محل شق قلبه فوجد فيه عظم انسان مع سوار ذي قيمة فاخذه
وحفظه مدة ثم باعه بقيمة ٧٠ الف فرنك الى أحد الصاغة
فأخذه المشتري وتوجه به الى باريس وعرضه على الجوهريّة

فدفعوا له قيمة مائة وعشرة آلاف فرنك الا انه تردد بقبول
هذه القيمة لاعتقاده بأنه يساوي اكثر منها ثم عرضه على
جوهري آخر وساله عما يساوي من المبالغ وبعد ان فحصه
جيداً ودقق به قال انه يساوي مائة الف فرنك الا انه تبين
له بأن ناقل هذا السوار يجهل قدره وان له سرّاً خفياً أو انه
لا بد ان يكون مسروقاً فعرض الامر لنظارة الضابطة
(الداخلية) فاستحضرتة واستنتقتته عن هذا الامر فعرض
المسألة كما هي فما اكتفت بذلك بل راجعت فيود البسابور
(البسابور هي كلمة فرنساوية معناها تذكرة التصريح بالسفر
خارج مينا القطر) تذاكر المرور وفهم من ذلك بأن حرم
المسيو اسميت أحد أصحاب البنوكة في أميركا كانت اشترت
هذا السوار بقيمة مائة وستين ألف فرنك بمعرفة زوجها
فعرضت المادة تلغرافياً على زوجها فورد منه الجواب بأنه
حضر الى باريس مع زوجته وخادمتين لاجل زيارة معرض
١٨٨٩ وبعد ان أقام أسبوعين في باريس قضت عليه أشغاله
ان يعود بسرعة الى أميركا فترك زوجته في باريس وسافر

هو الى أميركا وان زوجته بعد ان أقامت شهرا ونصفا في
عاصمة الفرنسيين سافرت الى مرسيليا لأجل العود الى
أميركا وعند ركوبها الوابور أشعرت زوجها تلفرافيا بتوجهها
وقد غرق هذا الوابور في أثناء مسيره وهكذا غرقت حرمة
مع خادميتها

ولدى التحقيق ظهر ان هذا هو السوار الذي اشتراه
السيو اسميت الى زوجته ولا شك بأن العظمة التي وجدت
في جوف الحوت هي من عظم امرأته وقد طلب مشترى
السوار مع العظمة بقيمة مائة وخمسين ألف فرنك لأجل
ان يكونا عنده تذكارا لحرمة فدفع ثمن السوار مائة وخمسين
ألف فرنك الى الجوهري ودفع خمسين ألف فرنك الى ذلك
التاجر الذي اشترى الحوت وأما ذلك الصياد المسكين فما
أصابه ربح من صيده الا $\frac{1}{7}$ من قيمة الحوت

الجزء الثامن

(جمادى الاولى سنة ١٣١١)

﴿ الجواهر السنية ﴾

في نظام الهيئة الاجتماعية

سبق لنا ان نشرنا بالعدد الثاني والثالث والرابع ملخص
الباب الاول من كتاب (الجواهر السنية) تأليفنا وبعد
ذلك لم نكتب منه شيئاً في العدد الخامس والسادس والسابع
فظن الكثير اننا عزمنا على عدم كتابة ملخصه في الجريدة
كما وعدنا بذلك في العدد الثاني الا انه اجابة لطلب العدد
العديد من الافاضل ونظراً لكوننا لم نتفكر أبداً في عدم
نشره بالجريدة قد شرعنا في درج بقيته شيئاً فشيئاً ولذلك
فانا نخصص الكلام في هذا العدد وتألييه على القوة
التشريعية فنقول

﴿ الباب الثاني ﴾

(القوة التشريعية)

علم القراء مما ذكرناه سابقا ان الهيئة الحاكمة تنقسم الى قوتين قوة تشريعية وقوة تنفيذية وان القوة التشريعية هي أم القوتين لانها هي التي تسن القوانين واللوائح وهي التي تضع نظمات الحكومة الداخلية وبمعنى آخر نقول ان القوة التشريعية تعد كأمر والقوة التنفيذية كما مور يجب عليه اطاعة أوامر أمره

وليس للقوة التشريعية في البلاد شكل واحد فهي تختلف باختلاف الممالك وعلى كل حال فهي تابعة لدرجة حضارة الامة فمتى فازت الامة من الحضارة بالقدح المعلى كانت قوتها التشريعية مستقلة كمال الاستقلال متمتع بقوة التشريع الحقيقية لاراد لما تسن وتضع وبالعكس هذه الامة التي عم الجهل أبناءها وتحكم الفشل بين أفرادها ترى حكومتها حكومة مستبدة طاغية وملكها ملك يديه كامل التشريع

والتنفيذ فهي بالطبع أمة محرومة من قوة تشريعية مكونة
كغيرها من بعض أفراد تنتخبهم الأمة بأسرها. ولقد قال
في ذلك أحد فلاسفة اليونان ما معناه (ليس لأمة من
الأمم أن تعد نفسها أمة إلا أن كان لها مجلس ينوب عنها في
وضع اللوائح والقوانين التي تحكمها)

ولما كانت الأمة المصرية أمة لم تبلغ من الحضارة ما بلغه
الأمم الأخرى الأوروبية والأمريكية كانت قوتها التشريعية
أقل في الاختصاص من قوى هاته الأمم التي عمت الحرية فيها
جميع الأفراد فلها الحق كبقية القوى التشريعية في وضع لوائح
وقوانين ومشروعات إنما لا تكون تنفيذية إلا بتصديق
مجلس النظار وسمو الخديوي عليها

والقوة التشريعية عندنا شرعت بالقانون النظامي المصري
الصادر بسراى عابدين في ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٠٠ هجرية
الموافق أول مايو سنة ١٨٨٣ أفرنكية وهو يشتمل على
تشكيل ثلاثة مجالس

أولا مجالس المديریات

ثانياً مجلس شورى القوانين

ثالثاً الجمعية العمومية

وسنتكلم على كل مجلس من هذه المجالس على الترتيب
حتى اذا ماتم الكلام عليها توجهنا بكيفية انتخاب أعضاء
كل منها

﴿ الفصل الأول ﴾

﴿ في مجالس المديرية ﴾

(اختصاص مجالس المديرية) يختص كل مجلس من
مجالس المديرية بالنظر في جميع الامور التي يكون من ورائها
فائدة للمديرية التي هو مجلسها

فلمجلس المديرية ان يقرر رسوماً فوق العادة لصفها
في أشياء تعود على المديرية بالفائدة انما لا يكون قراره تنفيذياً
الا بعد تصديق الحكومة عليه

ويجب أخذ رأى مجلس المديرية في المسائل التي تتعلق
باتجاه طرق المواصلات براً وبحراً والاعمال المتعلقة بالرى

وباحداث أو تغيير أو ابطال الموالد والاسواق في المديرية
وما أشبه ذلك

ويجوز لمجلس المديرية ان يبدى رأيه في عمليات الطرق
والملاحة والرى وفي مشترى أو بيع أو ابدال أو انشاء أو ترميم
المباني والاماكن المخصصة للمديرية أو للمجالس أو للسجون
أو لمصالح أخرى خاصة بالمديرية وفي تغيير استعمال تلك
المباني أو الاماكن وله أيضا ان يبدى رأيه في جميع المسائل
التي تتعلق بتقديم المعارف العمومية والزراعة

وأخيراً يجب على مجالس المديريات ان تنتخب أعضاء

مجلس شورى القوانين كما سيبين فيما بعد

(السام مجالس المديريات) لا يلتزم أى مجلس من مجالس
المديريات الا بمقتضى أمر من الحضرة الفخيمة الخديوية
يصدر بناء على طلب المدير ويتعين فيه ميعاد الاجتماع ومدته
ويجب انعقاد مجالس المديرية مرة في كل سنة بالاقل وفي
اليوم المحدد لاجتماع مجالس المديرية يتلو المدير عليه أمر
الانعقاد ويحلف أعضاء المجلس المستجدون امام المدير يمين

الصدقة للحضرة الفخيمة الخديوية والطاعة للقوانين
والمدیر هو رئیس المجلس وله رأى معدود فى مداولاته
ويجب على باشمهندس المديرية الحضور فى جلسات المجلس
وله رأى معدود أيضاً

وجلسات المجلس غير علنية أى سرية ولا تعتبر المداولة
فيه قانونية الا اذا حضره أكثر من نصف أعضائه . ولا
يجوز لای مجلس مخابرة غيره من المجالس فى تحرير أو نشر
محاضر أو منشورات

(فض المجلس) لا يكون فض أى مجلس الا بأمر من
سمو الخديوى ومتى فض يشرع فى انتخاب جديد يكون
فى الثلاثة شهور التالية لفض المجلس

(تشكيل مجالس المديریات) — تتشكل مجالس
المديریات من عدد من الاعضاء يختلف بين ثمانية وثلاثة
حسب كبر المديرية .

فمجلس مديرية الغربية يتشكل وحده من ثمانية أعضاء
ومجلس مديرية أسسيوط من سبعة وكل من مجلس مديرية

المنوفية والدقهلية والشرقية من ستة والبحيرة وجرجان خمسة
والجيزة والقليوبية وبنى سويف والمنيا وقنا واسنا من أربعة
ومجلس مديرية الفيوم يتشكل من ثلاثة أعضاء فقط

(شروط عضوية مجالس المديریات) لايجوز انتخاب

أحد لعضوية مجلس المديرية ما لم يكن بالغاً من العمر ثلاثين
سنة كاملة على الأقل وله معرفة بالقراءة والكتابة وممن يدفعون
مالا مقرراً على عقارات أو أطيان في نفس المديرية قدره
خمسة آلاف قرش سنوياً على الأقل ويكون دفعه لهذا المال
من منذ سنتين بالاقبل ويلزم زيادة عن ذلك ان يكون اسمه
مندرجاً في دفتر الانتخابات منذ خمس سنوات بالاقبل وان
لا يكون موظفاً بالحكومة ملكياً كان أو عسكرياً وان
لا يكون عضواً في مجلس مديرية آخر

(مدة العضوية) تعيين أعضاء مجالس المديریات هو

لمدة ست سنوات ويصير تغيير نصفهم كل ثلاث سنوات
ويجوز تكرار انتخابهم ويكون تغييرهم بالقرعة

الى هنا انتهى ما يتعلق بمجالس المديریات وموعدنا

بمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية العدد الآتي

﴿ اهتمام بعض الناشئين بالانشاء والتحرير ﴾

يسرنا ان بعض الناشئين مهتم بالانشاء والتحرير كثيرا
ومن هؤلاء الناشئين تلميذان نجيبان أحدهما أسيوطي وثانيهما
دمياطي فقد أرسل لنا أولهما بمحاوره بين نسيب وأديب
وثانيهما بمقالة عنوانها « آفة التريية » وقد رأينا ان ندرجهما
على الترتيب كما اننا لانضن على غيرهما بهذه المزية متى أرسل
الينا شيئا من منشآت

والى القراء محاوره حضرة النقيب المثقف محمد أفندى
قدرى التلميذ بمدرسة أسيوط الاميرية :

« النسيب » - انا الفتى المحترم أنا الحسيب المحترم
اننى بنسبي مشرف عن جميع الشبان وبحسبى محترم فى جميع
الأكوان

« الأديب » - أخى لا يفرنك هذا الكلام واسمع
منى ما أقول لينفعك مدي الايام : ان الفتى بدون علم غير

معتبر والعالم بدون غنى بعلمه مفتخر فاسمع من قال وأجاد
حياة الفتي والله بالعلم والتقى إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته
فكيف تتفخر بعناك وحسبك ونسبك
« النسيب » — أستاذي النبيه وسيدي الغير السفيه

مافائدة العلم

« الأديب » — أيها الشاب النبيل ان فائدة العلم تنوير
أذهان طالبيه فهو المؤنس في الوحشة والمحدث في الخلوة
تجالس به الملوك والامراء وهو حلية المرء وكنز لا يفنى بعكس
كنزك فإنه يفنى وقد قيل

لكل شيء زينة في الوري وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بأدابه فيناوان كان وضع النسب

وقال نبي الرحمة نبينا عليه الصلاة والسلام (خير الدنيا
والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل)
العلم أنفس شيء أنت ذاكره

من يدرس العلم لم تدرس مفخره

أقبل على العلم واستقبل مقاصده

فأول العلم اقبال وآخره

« النسيب » — دعني أيها الاستاذ من العلم ومحاسنه
فانه لا يحتاج اليه انسان مثلي غني فاني أتمتع بمالي وأتفقه على
خدمي وأتباعي ولا ينفعك اليوم الا اجنيه الرنان الذي تجلس
به في أي مكان وتقضى به مصالحك في كل الايام ويرتفع به
صيتك بين الانام واصغ لمن قال :

حيالك من لم تكن ترجوا نحيته لولا الدراهم ما حيالك انسان
فاترك العلم واجعل فعلك مطابقاً لفعل

« الأديب » — قاتلك الله جهلت ولم تدر انك جاهل
كيف تفضل النار على الجنة ولكن اذا اراد الله بعبده خيراً
ألهمه الطاعة وألزمه القناعة واذا اراد به شراً حجب اليه المال
وشغله بدنياه والله در من قال :

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متي ما ضحكت في يومها ابكت غداً تباً لها من دار
كيف تجالس الامراء في مجالسهم اذا تباحثوا في علم

وأنت لا تعرف الخطأ من الصواب وكيف تدبر أمور أموالك
ومعيشتك وأنت غر جاهل . عليك عليك بالعلم فإنه حلية
العقلاء ووشاح الفضلاء

« النسيب » — حقيقة حقيقة ان ماقلته هو عين الصواب
واني من الآن فصاعداً سأطلب العلم والادب وأعتني بعموم
فروعها خصوصاً باللغة الشريفة العربية حيث أنها لغة
أجدادى فأرجوك دوام الحضور عندي لاقتبس من نور
علمك مايفيدني

« الأديب » — الآن قد حصص الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقاً نعم ان العلم شريف للغاية سامي
القصد فعلينا معشر الاخوان بالاجتهاد في تحصيل العلوم
والآداب لننال ما ناله آباؤنا القديماء من الشرف الجليل
والمجد الاثيل

(المدرسة) نلاحظ على كاتب هذه الرسالة وكثير من
أمثاله ان الكاتب اذا تكلف السجع يكون قد قتل ذوق
عبارته بنفسه وأمات بهجتها بقلمه كما اننا نستلفت أنظار القراء

الى الكلمات المخطط تحتها ونصح الناشئين بأن لا يلتزموا
السجع في كتاباتهم

الجزء التاسع

(جمادي الثانية سنة ١٣١١)

(منابع النيل)

اطلعنا في العدد الثامن من جريدة « المهندس » الغراء
على نبذة تحت هذا العنوان للعلامة المفضل سعادة علي باشا
ابراهيم ناظر المعارف العمومية سابقاً تأتي بها هنا افادة للقراء
الكرام واثباتاً لما يقوله كل وطني صادق من أن مصر
والسودان توأمان حقيقيان في انفصالهما ضياع لمصرنا العزيزة
قال حفظه الله

ان نهر النيل يتكون من نهري نهرين آتين من أقصى بلاد
السودان وبلاد الحبشة وهما النيل الابيض والنيل الازرق
ويجتمعان عند مدينة الخرطوم ويصيران نهراً واحداً يجري

من الخرطوم في بلاد النوبة الى مصر فالبحر الابيض المتوسط
ويصب فيه

وينقسم نهر النيل الى ثلاثة أقسام أحدها يسمى بالنيل
الاعلى أو نيل السودان والحبشة وهو من منبعه الى الخرطوم.
ثانيهما يسمى بالنيل الاوسط أو نيل بلاد النوبة وهو من
الخرطوم الى جزيرة بلاق المسماة جزيرة فيله وقصر أنس
الوجود وهي جزيرة في النيل قبلي شلال اسوان بنحو ١٠
دقائق - ثالثها يسمى بالنيل الادنى أو نيل مصر وهو من
الجزيرة المذكورة الى البحر الابيض المتوسط. أما النيل
الاعلى فيتكون من نهريين كبيرين يجتمعان عند الخرطوم
ويقال لاحدهما النهر الابيض وثنانيهما النهر الازرق ويسمى
كلا منهما بحراً عند أهالي الجهات المارين بها. فالنهر الابيض
يعتبر كأنه الاصل الحقيقي للنيل وهو يخرج من بحيرة كبيرة
في جنوبي بلاد السودان تسمى بحيرة (أو كيريفي) على
حسب ما تحقق من الاكتشافات الحديثة وهذه البحيرة
تسمى نيازا أيضاً أي الماء العظيم عند أهالي البلاد المارة بها

وسميت فيكتوريا نيازا باسم ملكة الانكليز عند اكتشافها
بمعرفة القبودان سبيك الانكليزي سنة ١٨٥٨ ب.م. وحدها
الجنوبي في ٣١ درجة من الطول الشرقي و٧ درجات من
العرض الجنوبي ويصب منها في هذا الحد فرع متكون من
السيول كثير الاوحال . وعرضها في الجزء الجنوبي منها من
١٢٠ الي ١٤٠ كيلو متراً وطولها يمتد الى شمال خط الاستواء
ويتضح من الاكتشافات الحديثة ان النهر الابيض يخرج
من البحيرة المذكورة بثلاثة فروع ثم تجتمع في فرع واحد يتجه
نحو الشمال الغربي ويكون شلال (جاربو) ويروى بلاد
« باري » ويمر بعد ذلك بغابات وأجمات يتفرع فيها جملة فروع
ويصب فيه جملة فروع آخر متكونة فيها السيول وأهمها
(كيلاك) الآتي من غربي السودان الوسطي بعد انصباب
بحر الغزال فيه و (صوبات) الآتي من شرقي بلاد الحبشة .
وطول مجرى النهر الابيض من منبعه الى الخرطوم حيث
يجتمع مع النهر الازرق يبلغ أكثر من ٢٣٠٠ كيلو متراً
وأما النهر الازرق فنبعه بين الثلوج المحيطة بجبال القمر

بلاد الحبشة ويتجه نحو الشمال الشرقى ويختلط بجملة نهيرات
متكونة من السيول فيزيد حجمه ثم يدخل بحيرة دنبعة من
جنوبها ويخترقها ولسرعة جريانه لا تختلط مياهه بها وبعد
خروجه منها يكون شلال (الاطه) ويمر غربي بلاد (سنغالا)
ويقطع ثلاث شلالات حتى يصل الى جهة ستار فيروى بها
سهولا واسعة وهناك تنصب فيه عدة مجارى . وهذا النهر
مع ما ينصب فيه من المياه لو لم يتصل به النهر الايض لكان
ضعيفا وربما كان لا يصل الى أرض مصر بل يضيع في الرمال.
فان مياه النهر الايض تبلغ ثلاثة أضعاف الازرق
وأما النيل الاوسط فيجري مستقيما من الخرطوم مخترقا
معظم بلاد النوبة الى قرية (جبرى) ثم يرسم قوس دائرة
وينتهي الى جزيرة (مقراط) وفي شاطئه الشرقى بالقرب
من قرية (ضامر) أو (دامر) ينصب فيه نهر (اطبرة)
أو (عطبرة) ثم يجرى من جزيرة (مقراط) الى الجنوب
ثم ينعطف الى الشمال الشرقى راسما قوس دائرة الى جزيرة
(بلاق) أو (فيله) المتقدم ذكرها مخترقا بلاد دنقلا

وبلاد النوبة تكثر فيها الشلالات المعطلة لسير السفن
الجارية في النيل المتوسط . فمن (رشيدى) الى (أم دراس)
ثلاثة شلالات ومن (أم دراس) الى ناحية (ضال) سبعة
شلالات ومن (ضال) الى (وادى حلفا) تسعة شلالات
وأكبر هذه الشلالات شلالات (وادى حلفا) .

وأما النيل الادنى أو نيل مصر فيتدىء من جزيرة
(فيله) المذكورة سابقا حيث مبدأ مصر الاصلية . وعلى بعد
ثلاثة آلاف متر تقريبا من هذه الجزيرة جهة الشمال شلال
اسوان وهو آخر الشلالات ومن اسوان يجرى النيل عموديا
تقريبا على مجراه الاصلى حتى يصل الى دندرة ثم منها الى
القاهرة وينعطف انعطافات كثيرة ويمر بمدن متعددة وقرى
جمه ويروى جميع أراضي مديريات الوجه القبلى الى نهاية
مديرية الجيزة مباشرة أو بواسطة الترع الخارجة منه وينقسم
عند القناطر الخيرية الواقعة في شمال القاهرة على بعد خمسة
فراسخ الى فرعين أحدهما وهو الغربى يصب في البحر
المتوسط تحت مدينة رشيد والآخر الشرقى وهو الاكبر

يصب في البحر المتوسط تحت مدينة دمياط ويخرج من هذين
الفرعين ترع كثيرة لرى جميع أراضى الوجه البحري .

ويتكون بين الفرعين المذكورين مع ساحل البحر
الايض المتوسط بين رشيد ودمياط مثلث متسع قاعدته ستون
فرسخا وارتفاعه خمسون فرسخا . وهذا المثلث يسمى باسم
دلتا عند الاوربيين . وأول من سماه بهذا الاسم اليونان لمشابهة
شكله لحرف دلتا اليوناني وهو حرف الدال . وهو مكون
من مديرتى المنوفية والغربية الآن .

وأما سبب فيضان النيل وزيادته فنزول أمطار دورية
ببلاد الحبشة والسودان فاذا لم تنزل الامطار فى سنة من السنين
بكثره نقص فيضان النيل فيها بالنسبة لما نقص من الامطار .
وتبتدىء الامطار الدورية المذكورة من شهر ملرت لكن
لا يظهر أثرها فى نيل مصر الا فى شهر يونيه الا فرنجى وهو
شهر بؤنه القبطي . ومنشأ هذا التأخر طول المسافة التى يقطعها
الماء وما تبتلعه الرمال بحافته التى يمر فيها الى أن يصل مصر .
ويرى المصريون ان النيل يأخذ فى الزيادة عند نزول النقطة

ليلة ١١ من شهر بؤنه القبطى . ويبلغ النيل بحسب العادة الى نصف زيادته فى نحو ١٥ من أغسطس و ١٠ مسرى ويستمر فى الزيادة الى نحو ٢٠ سبتمبر و ١١ توت وتنتهى الزيادة عادة فى يوم ١٧ توت وهو يوم الصليب ويستقر على ذلك نحو سبعة عشر يوماً تقريباً ثم ينقص بالتدرج وينحصر فى مجراه الاصلى مدة شهر نوفمبر الموافق بابه ثم يستمر فى النقص الى شهر مايو من السنة التالية ثم يبقى على الحالة التى هو عليها تقريباً الى الانقلاب الصيفى .

وأحسن زيادة للنيل فى العادة نحو ٧ أمتار و ٥٥ سنتيمتراً تقريباً فوق عادة انحطاط الماء فإذا كانت الزيادة كثيرة جداً تسبب عنها الفرق وإذا كانت ضعيفة جداً حصل منها الشرق وقد نتج من تحليل ماء النيل بالطرق الكيماوية فى وقت نقصانه أنه يشتمل على مقدار يسير من موريات الصودا وهو خفيف جداً وطعمه لذيذ ولذلك فهو أنقى من ماء نهر السين يباريز خمس مرات

﴿ الاسلام في أمريكا ﴾

ما انتشر خبر اسلام (الكسندر روسل وب) الذي كان قونصلا من طرف دولته (الممالك المتحدة بامريكا) في منيلا من جزائر فيليبين من أعمال الهند حتى كثر القيل والقال وذهبت الناس في شأنه مذاهب شتى فمنهم من يقول انه يريد باظهار اسلامه ان يدس دسيسة للمسلمين ومنهم قائل انه قد اختل شعوره وغير ذلك مما يحاكي هذه الارجيف التي لا يصح القطع بها مطلقا وقد استمرت الناس تحبب في هذا الامر خبط عشواء حتى قام من المسلمين حضرة العلامة الفاضل صاحب الهمة المشكورة الميرزا عبد الرحيم أفندي الآلهي التبريزي الأهرلي وتوجه الى أمريكا حيث ألقى عصاه بمدينة نيويورك التي بها القونصول المهتدى وأقام بها مدة ثمانين يوما تباحث فيها معه كثيرا ومع من أسلم غيره وبحث ودقق البحث في أحواله ونواياه حتى علم أنه على هدى من ربه وأنه مسلم يجاهد كل جهده في نشر دين

الله الحنيف بعالم التمدن الحديث

وبعد ان بلغ مراده حضرة الميرزا من سفره السعيد
عاد الى مصرنا العامرة وكتب رسالة أتى فيها بما يؤيد صحة
اسلام القونصل وأنه يجب على كل مسلم ينطق بالشهادتين
ان يساعده على قدر استطاعته

ولما كانت رسالة حضرة الميرزا الفاضل في غاية الاهمية
وواجب على كل من له أدنى الملم بالقراءة والكتابة ان يطالعها
رأينا ان نتحف القراء بخاتمها لما فيها من الفوائد الجملة . قال
أكثر الله من أمثاله :

(أيها المؤمنون الذين تعلمون أوامر الله فيعملون بما
أمرهم الله به والذين لا يليهم تكابر الزخارف الفانية عن ربهم
ولا يشغلهم التفاخر بما سيفنى ويزول عن نصره دين الله
واعلاء كلمته اعلّموا وفقم الله ان أرباب الهمم فتحوا لكم
أبواب بيت معالم دينكم وسبل نشر معالي شرعكم فسارعوا الى
نصرة دينكم على حسب وسعكم وقدرتكم فمن يقدر منكم على
مساعدة اخوانه هؤلاء بالمهاجرة الى تلك الاقطار فليساعدهم

بالمهاجرة اليهم ومن لا يقدر عليها فليساعدكم بالمال ليستعينوا
به على نشر دينكم وان بخلتم ببذل قليل من أموالكم في سبيل
رضاء رازقكم وخالقكم فعلى الاقل عاونوهم بابكار أفكاركم
فارسلوا اليهم مقالات ورسائل تحتوى على أصول دينكم
وتكشف القناع عن وجوه ربات حجال شريعتكم الزهراء
حتى تستنير بأنوار الاسلام قلوب تلك الاقوام الذين لم يعلموا
من ديانتم الامادس لهم أرباب الغايات ووسوس لهم أعداء
الحق ولا تقولوا قد ذهب أربابه اذ (كل من سار على الدرب
وصل) . يا اهل الغيرة والحمية ان كنتم لا ترون بعيون بصائركم
الجنة وما فيها من نعماء الله الباقية والجحيم وما فيها من نقمات
الله الدائمة ولا ترجون تلك ولا تخافون هذه فلا جرم ترون
بأبصاركم المكاتب والمطابع الدينية التي قد أسست في بلادكم
وتسمعون دوى المبشرين المنتشرين في مدنكم كاتشار الجراد
في الحمى وتقرءون الجرائد والرسائل الشهرية والاسبوعية
المؤسسة لبث النصرانية بينكم وتشاهدون الجمعيات الدينية
وتظاهروا في نشر ديانتهم وهم لا يؤثرون أموالهم على ذلك

بل يفتدون أنفسهم في سبيل نشر دينهم حيث يهاجرون من
قطر الى قطر ومن بلد الى بلد متكبدين مشاق الاسفار راكبين
مهاوى الاخطار فرحين نشيطين غير مملين فكم لله من قوم
مجاهدين وهم أيقاظ وكم لله من أناس قاعدين وهم رقود .
عباد الله المسلمين اعلموا ان الشيطان يعدكم الذل والخيبة
ويلقى في قلوبكم اليأس ويملاً صدوركم من الوسوسة لكي
يخمد حرارة ايمانكم فتعدوا عن نصره دينكم الحق واعلموا
ان قد جعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا
فلا تتبعوا خطوات الشياطين ولا تكونوا عن نصره دينكم
قاعدين . أيها المسلمون العاكفون على باب اليأس والظنون
أليس الله قد وعدنا النصر أليس الله يقول (ويأبى الله الا
ان يتم نوره) أفليس وعد الله هو الحق . ألا ترون انه قد ظهر
جل ما أخبرنا الله به بلسان نبيه نبي العدل والرحمة . هل
نسيتم الا كاسرة وشوكتهم والقياصرة وقدرتهم فكيف فتح
الله تعالى أبواب قصورهم الشاهقة وحصونهم الشائخة المشيدة
على المسلمين . والمنافقون كانوا يظنون على رسولهم ظن السوء

حينما أخبرهم بذلك حيث كانوا يرونه بقياساتهم الباطلة

كالمستحيل والله على ما يشاء قدير

فيا أيها المؤمنون بآيات الله لا تكونوا من الذين يؤمنون

ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه واعلموا أن دينكم الإسلام

سيحيط بأقطار الأرض وتنسبط أنواره على البسيطة (ولو شاء

ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) وما ذلك على الله

بعزيز. فلا تلقوا أسماعكم إلى الذين يصدون عن سبيل الله

ويدعون المؤمنين إلى القعود ويمنعونهم عن نصرته الدين ويظنون

في الله ظن السوء ولا يقولون إلا بالظن ويضربون لرحم

أمثالاً ما أنزل الله بها من سلطان ويبحثون عما لا يعلمون.

فيا أيها الخواني هلموا لنصرة دينكم ولا تغيروا ما بأنفسكم من

المجاهدة في إعلاء ألوية الدين ببذل الأموال والآنفس حتى

لا يغير الله ما بكم من الشوكة والعظمة والقدرة والسيادة

ولا تنقضوا عهد الله حتى لا ينقض عهده تعالى شأنه (وأوفوا

بعهدى أوف بعهدكم) فاتفقوا في سبيل نشر بساط دياتكم

ما استطعتم (وجاهدوا فيه حق الجهاد واستمعوا قوله تعالى

في المجاهدين (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون
وأديا الا كتب لهم ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون)
واعلموا وتيقظوا ان خالقكم جلت عظمته وعظمت قدرته
يقول (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم) والسلام على من اتبع الهدى والباقيات الصالحات
خير وأبقى والعاقبة للمتقوى

﴿ آفة التربية ﴾

(لحضرة النبيه الليب حسن افندي شاكر التلميذ)

(بمدرسة دمياط الاميرية)

قد استعصى تدليل أو ابد السعادة الابدية والحياة
السرمدية وانحلت قوى الاستعداد لعدم انطباع صور الحقائق
في صحف أفكار أبناء الزمان حيث ضلوا عن طريق أهل
التحقيق والعرفان فاحتجبت عنهم الفضائل والمعارف وانعكست
أنظارهم في مرآة الرذائل وذلك لما استحدثوا بسوء التصرف
في تربية أولادهم على المنهج القويم فاصبحوا وقد بثوا روح

الضلالة في عقول الاحداث حيث الآباء تتنافس في البحث
على أعظم المدارس الا فرنجية سواء كانت في داخل البلاد أو
خارجها ويدخلون فيها أولادهم قبل أن تركز في مخيلتهم
قواعد الكتابة العربية التي تعلموها في زمن الطفولية فما
يلبث الطفل زمناً غير بعيد حتى يرتد وتضمحل أفكاره
فليعلم كل انسان عاقل أن التربية في الصغر رأس مال
الانسان واليهما يرجع ادراكه ومنها يلتمس الفضيلة في جميع
ما أشكل عليه من أموره ولذا نرى الانسان الذي تربى على
مبادئ فاضلة وتغذى بلبان المعرفة الحقة والاصول الصادقة
ونشأ في حجر الادب والمكارم وتحقق بحقائق الدين وبني
بنيان عقله على أساسه المتين وعول في كافة أحواله على ما
حكى به وأجازه وأباحه وأجهد نفسه في العبارات القولية
والفعلية يكون انساناً كاملاً مهذب الروح عظيم القدر رفيع
الشأن ومتى أتم معرفة العلوم الفقهية لا بأس من اشتغاله في
العلوم الطبيعية والفلسفية وغيرها باحثاً عن وقائعها وأسرارها
فياخذ منها ما يراه حسناً ويترك ما يخالف مبادئ دينه

الشريف ولا غرابة في أن كل ما خالف مبادئ الدين فهو
قيح وضلال محض ومتى سار على هذا الطريق الحميد يعيش
حينئذ مهناً البال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وحينئذ يقال انه قد تمهدت له سبيل الهداية وتمت له السعادة
وبلغ ذروة المجد والسيادة

وأما من تربى على المبادئ الفاسدة واشتغل بالرسوم
العاطلة فانه متى شب يشب فاسد الاخلاق عديم التهذيب
تسول له نفسه أن يعمل كل قبيحة ويأتي كل رذيلة فاذا سمع
ولو من بعد ان أناساً متمسكون بأطراف الدين ناهجون في
كل أمورهم منهج اليقين رشقهم بنبال ملامه واستفزع الامر
واستقبح أحوالهم وندد بأعمالهم وربما جاهر لهم بالعداوة
وانا نسوق القول في هذا الموضوع ونحن في أمل أن
ينتبه أولو البصائر الى تربية أبنائهم على مبادئ الدين الخفيف
وتثقيف عقولهم بأحكامه الشريفة وحكمه المنيفة والافهم يكونون
سبباً حقيقياً في خسرانهم طول حياتهم ولا بد أن يتقرر عند
الآباء أن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره نفيسة

ساذجة خالية عن كل شيء قابلة لكل ما ينقش عليها فان
نقش الخير عاش الصبي سعيداً موفقاً للخير وان نقش الضلال عاش
عيشة الضالين المضلين عليهم غضب الآله الى يوم الدين والسلام

﴿ باب الاناشيد الوطنية ﴾

مظهر الاوطان مجد	وعلاء ونخار
وزمان النيل سعد	ورخاء ويسار
رفعت مصر محلا	هو للشرق منار
وتحلت وتجلى	لمعالها نهار
قامت الآثار فينا	بعد ان طال السرار
كشفت مجداً دفيناً	ليس يعلوه غبار
يا بني الاوطان نخراً	فمعالكم كبار
وتلقوا العصر حرا	لكم فيه اشتهار
جازت النجم الارياك	وعلا التاج ازدهار
أنت عباس المليك	كيف لا ترقى الديار
لك مصر يا عزيز	ولك النيل مسار

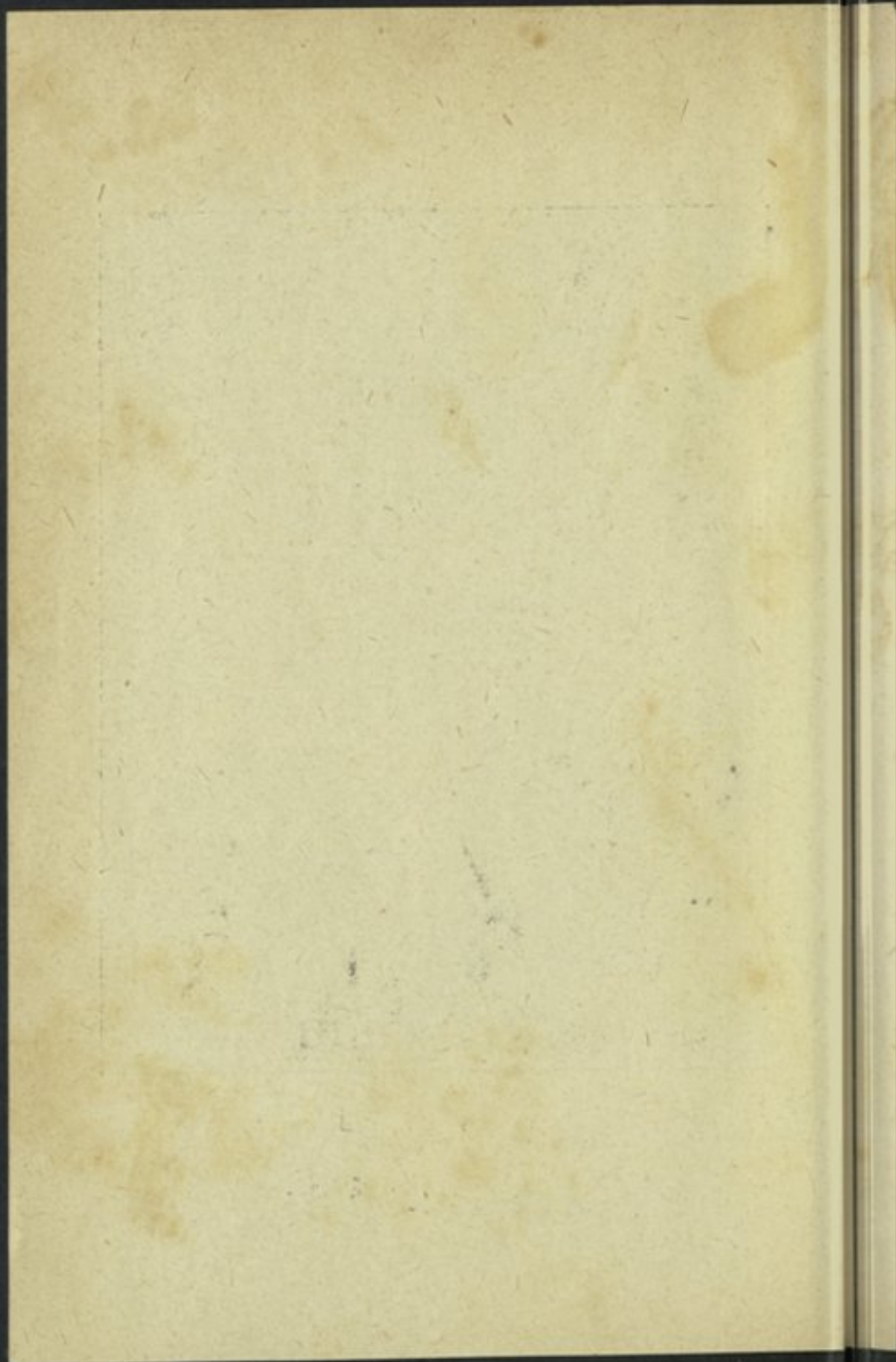
أنت بالله عزيز لك بالله انتصار

(نشيد الحدود)

وهو نشيد وضعناه قبل سفر الجناب العالي الى الحدود
ولحنه الموسيقى هنا وضربته وأنشدته العساكر في كروسكو
عندما شرفها ركابه السعيد

السعد أقبل والمنا	مذ زارنا عباسنا
والبشر قد وافى لنا	بركابه السامى المقام
شرفت يا بدر السعود	فاستبشرت أهل الحدود
وبدا على وجه الجنود	فرح يدوم مدى الدوام
فاكرم بجندك يا أمير	فلامرك السامى أسير
ولقطره أسمى نصير	واهناً به يا بن الكرام
واحكم عبيدك والبلاد	بالعدل دوماً والرشاد
واسلم ودم ياذا السداد	واسعد بمصرك فى سلام

﴿ تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى ﴾





﴿ مصطفى كامل باشا ﴾

﴿ في الثامنة عشرة من عمره ﴾

مُصْطَفَى كَامِلِ ابْنِ شَيْبَانَ

فِي ٣٤ رُبْعًا

سِيَرُهُ وَأَعْمَالُهُ مِنْ خُطْبٍ
وَأَحَادِيثٍ وَمَسَائِلٍ

شَيْئًا نِسِيَّةً
وَعَمْرَاتِيَّةً

« أحرار في بلادنا
كرماء لضيقنا »
سيد الفقيه

الجزء الثاني

﴿ الطبعة الأولى ﴾

﴿ ثمن كل جزء ثمانية قروش صاغ ﴾
« حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كان المرحوم مع تحريره مجلة المدرسة واشتغاله بالتأليف وقيامه خير قيام بتأدية واجبه المدرسي لا ينثنى له عزم ولا يتأخر لحظة عن نشر المفيد من رسائله الفائضة غير المملوءة بحكمة في جريدة الاهرام الغراء فقد كتب مقالة في عددها الصادر في يوم الجمعة ٢٤ فبراير سنة ١٨٩٣ هذا نصها :

الملكنية وتعمير التعليم

« مهما بحثنا في تواريخ الامم ونظرنا في آثار الانسان لانجد أمة عظيمة قامت على الارض وتوفرت لديها وسائل القوة والنجاح الا بالعلم ولا نرى أثرا جليلا الا ونبينا عما لصاحبه من القدرة وما كان عليه من علو الهمم . هذا المشرق لقد مضى عليه في عهد شببته وزمان زهوه ونضرته أجيال

تدرجت في مهدها المدنية حتى بلغت أشدها من الكمال
وقامت فيها للمعارف والعلوم سوق تزاخم فيها الشعوب
الشرقية تزاخم الورود على الماء الزلال فاستكملوا أسباب
الترقى ومهدوا سبل العمران فتوفرت لديهم وسائل القوة
والنجاح فشيّدوا الممالك وعمروا الامصار وأقاموا للتمدن
بقوة الحياة الادبية دعائم ما كانت لتقوى على هدمها
عاديات السنين والايام لو لم يكن النقص مقارنا للكمال
والدهر لا يستقيم على حال

اذا تم شيء بدأ نقصه ترقب زوالا اذا قيل تم

حيث عبثت بهم بعد ذلك يد الاستغراق في نعيم الرفاهة
والتلهي عن المعارف والعلوم بالتحاسد الذميم فتطرق الى نظامهم
الخلل وأخذت عوامل الانقسام والتقهقر تتوالى على الشرق
وما زال يضعف نوره وتتراخي قواه حتى ظهور الاسلام وقيام
الامة العربية بخدمة المدنية والعلم خير قيام . اذ عاد مظهر
المشرق وقتئذ بمظهر جديد ودبت في عناصره روح الحياة
فاستقامت له الاحوال وتحلى من المدنية بحلل البهاء والكمال

اذ لم يترك الخلفاء في عصرهم وسيلة من وسائل تعميم التعليم
الا اتخذوها ولا طريقة لبث أنوار المعارف الا سلكوها
فشيدوا المدارس ورتبوا لها المرتبات وتقدموا لاهل الفضل
بترجمة الكتب العلمية من جميع اللغات ورغبوا الناس في الاقبال
عليها والاقتباس من فوائدها فراجت سوق العلوم وأينعت
رياض الفنون وكثرت التأليف والتصانيف فعمت الرغبة
في العلم وتوفرت بذلك مواد القوة للخلفاء فدوخوا الممالك
وعمروا المسالك وأصبحت الامة العربية في أقل من جيل وقد
ملأت الخافقين دينا ولغة وعلما وأدبا وسياسة وغير ذلك من
الامور التي هي نتيجة تعميم التعليم ومشاركة الخلفاء على بث
روح المعارف والعلوم بين الناس واتقائهم لترويج مقاصدهم
وادارة مهام الاعمال خيرة الرجال وأفاضل الناس ومشاركتهم
في كل عمل لقطا حل العلماء ومشاهير الفضلاء حتى كانت الممالك
العربية في أيام زهوها محنوفة بأهل العلم مشيدة على دعائم
النجاح مشرقة بأنوار الفضيلة والفضل

نعم ذلك لم يدم للشرق لكن لما طرأ عليه من العوارض

الكثيرة حينما تغيرت الاعمال وساءت نيات الرجال فتقلص
ظل العلم الا لدى الخاصة الذين استعملوه لغير وجهته وحملوه
على غير محمله فشوهوا وجه الفضيلة وكانوا سببا لتداعي
أركان العلم وزوال صولة الملة فتلاعبت بالأمم الشرقية من
ذلك الحين أيدي التفريق وعم بينهم الجهل وما زالت بهم
الحال بين ادبار واقبال حتى قضى على بقية مالديهم أو كاد
بقيام الامم الغربية وظهور المدنية الاروية التي تأسست
على قواعدا حفظ لثباتها وأضمن لاستمرارها وأهم تلك القواعد
تعميم التعليم بطرق سهلة ووسائل مقبولة كافلة لحسن مستقبل
الشعوب الغربية حتى كان من نتائجها التدريجية ما نراه الآن
من انتشار المبادئ العلمية بين جميع طبقات الناس من
أولئك الشعوب ومشاركتهم للهيئة الحاكمة في كل عمل مقتضاه
جر المنفعة للوطن أو دفع الضرر عنه ولا يخفى ما يترتب على
ذلك من الأهمية التي أقلها مراقبة أعمال الهيئة الحاكمة
والزامها بالسير على طريق السلامة في جميع الاحوال لئلا
يحدو بها استئثارها بالعلم الى جعل الهيئة المحكومة آلة صماء

تضعها يد الاغراض حيث شاءت
اذ من المقرر أن كل هيئة حاكمة لا بد ان تكون
عالمة والعلم اذا لم يكن مقرونا بالفضيلة أو العمل يؤدي
بصاحبه الى استعماله في غير وجهته في كثير من الاحيان فاذا
استأثرت الهيئة الحاكمة بالعلم دون الهيئة المحكومة وكان علم
أفرادها غير مقرون بالفضيلة وهو الاغاب يتصرفون بمصالح
الرعية تصرفا لا يحتمل اتيانه بنتيجة حسنة قط
وأما اذا كانت مبادئ العلوم عامة بين أفراد الهيئة
كما هي لدى الهيئة الحاكمة فلا يمكن للاولى ان تستعمل علمها
باية وجهة يتأني عنها ضرر الثانية مادامت مشاركة لها في العلم
ورقية عليها في كل عمل الا في بعض أحوال خفية ربما يتعذر
وقوف العامة عليها

ولا يستغرب قولنا (وهو الاغلب) اذ قل ان تجتمع
الفضيلة والعلم الا بما استثنى منه أفراد يعدون على الانامل
في كل هيئة حاكمة مهما تنوعت أشكالها ولا حاجة بنا الى أن
نستدل علي صحة ذلك باكثر المسائل الاختلاسية الراهنة

كالمسألة البانامية في فرنسا ومسألة مصارف التوزيع في ايطاليا
ومسألة السلاح في المانيا فانها جميعا لم تصدر الا عن أعظم
رجال تلك الامم المتصدرين في الهيئة الحاكمة الذين لم يتوصلوا
الى المناصب العالية التي وسدت اليهم الا بشهرتهم بالعلم
وكفاءتهم للرئاسة ومع ذلك فحيث تحرر علمهم عن الفضيلة
فعملهم كان مخالفا لها أيضا الا أنهم لما كانوا في هيئة حاكمة
لم تستأثر بالعلم دونه الهيئة المحكومة فقد افتضح أمرهم
وكشف الحق سترهم فجوزوا بعملهم حين لم ينفعهم علمهم
ولو صدر عنهم ذلك في شعب عم فيه الجهل وانقردت حكامة
بالسلطة والعلم فاستعملوهما في سبيل الغاية لما أصابهم شيء
من ذلك مهما تمادوا في سلب الامة وخراب البلاد

ومما اعتبر من أركان المدنية الغربية وأهم أسباب
انتشار المعارف لدى الشعوب الاوروبية حرية المطبوعات
وأخصها الجرائد سياسية كانت أو علمية فانها قامت بخدمة
المدنية والعلم خير قيام وكانت هي الوصلة الحقيقية بين الحاكم
والمحكوم لبث الاولي لانوار الفضيلة والعلم بين الناس ومراقبة

الثانية لا أعمال العمال في الهيئة الحاكمة لا يقاومهم عند حد الواجب
وتطهيرهم من درن الغرور فتراهم محاسنين بسببها على كل
ما يصدر عنهم من الأعمال متوخين طرق الحكمة في كل
حركة وسكون فلا يتجرأ أحدهم على أي عمل يخالف مبدأ
الاستقامة ويضر بصالح الشعب والمملكة مادامت الجرائد
الصادقة معدة صفحاتها لقياد أعماله ونقد أفعاله خدمة للحق
وقياما بالواجب حتى تبودلت الثقة لذلك بين الهيئتين
الحاكمة والمحكومة فتساعدتا على كل ما من شأنه جلب المنافع
العمومية والاستمسك بواجب الحقوق الوطنية وأصبحت
الجرائد لدى الشعوب المتقدمة من أمم ما تدعو إليه الحاجة
وتقوم به حياة الشعب الادبية وتدور عليه رحي السياسة فهي
مجري أقلام الكتاب ومطمح نظر الساسة ومنعكس أشعة
أفكار العلماء وبها تعلن جلائل الأعمال وتشهر مناقب الرجال
كما ان فيها تعدد الحسنات وتخصر السيئات فهي لذلك
مصباح الاسترشاد ومرقاة الافكار وداعية الرهبة والتهذيب
والباعثة على الرغبة والنشاط

وبالاجمال فما ذكرناه هو أقل ما ترتب على تعميم التعليم
وحرية الجرائد في أوروبا فضلا عما نتج عن ذلك من توسع
الشعوب الأوروبية في جميع الفنون العلمية وترقيتهم من
المدنية الى درجة جعلت الشرق بعد ذلك المجد الباذخ في حاجة
للغرب حتى بالضروريات الحيوية وهذا العمر الحق انذار
كان لنا

واننا ليسرنا معاصر العثمانيين ما نراه من جلاله مولانا
أمير المؤمنين الذي أحيى في قلوب الأمة الضعيفة الأمل وأعاد
للشركيين أيام الخلفاء الأول من الاهتمام بهذين الأمرين
العظيمين وأخصهما تعميم التعليم وتوجيهه العناية الفائقة بإنشاء
المدارس ونشر العلوم والمعارف في جميع أنحاء السلطنة السنية
حتى اننا لندى المدارس التي أنشئت في عهده السعيد على
مصرف الحكومة لا تقل مادة التعليم فيها عن مثلها من مدارس
أوروبا وذلك مما يبشرنا بكل مستقبل حسن ان شاء الله تعالى
الا أنه يعوزنا لتدارك خطر المدنية الأوروبية والوصول الى
الغاية المطلوبة سلوك طريق لتعميم التعليم أقرب سرعة

واستعمال وسائل أعم فائدة لما ان الوسائل المتخذة لذلك الآن
سواء كانت جبرية أو ترغيبية غير وافية بفرض أمير
المؤمنين الذي من مقتضى ارادته السامية تعميم التعليم بين
جميع طبقات الرعية بدون استثناء والواسطة لذلك سهلة سنبسطها
برسالة تالية ان شاء الله . وأملنا بالله وبعباية الخليفة الاعظم
أدام الله ملكه ان نرى قريبا من نتائج حكمته ومزيد سهره
علي مصلحة رعيته ما يجعل المملكة العثمانية في مقدمة الممالك
الشرقية في مسابقة الامم الاوروبية بدليل ما هو مشاهد
في جميع العثمانيين من ترقى الافكار وعظيم الاتباه ومارزقوه
من صفاء الخواطر وقوة الضمير ولا سيما وهم في مركز مهم من
الشرق يساعدهم على نيل الغاية أولا بسبب قرب اتصاله بالغرب
وتيسر تلقيه لمواد المدنية مباشرة بدون كثير عناء وثانياً لتوسطه
بين بقية الممالك الشرقية والقارة الاوروبية وكونه بهذه المزية
نقطة الاتصال التجارية بين الجهتين وهو لذلك مركز كانه
من الاهمية في كل جيل من الاجيال ما جعله منبت الرسل
ومهبط الشرائع والوحي ومظهر المدنية ومطمح أنظار الفاتحين

ومقر الأعظم الامم قوة وأسماءها علما ومدنية حتى توالى عليه
من عصور الشدة والرخاء ما لم يتوال على مركز في
القسم المعمور

ولا شبهة في أن الله تعالى سخر في هذا العصر لبقاء
أهمية هذا المركز وسلامة عناصره واحياء شعوبه من وهب
من قوة العلم والحكمة وعظيم السياسة والقوة ما جعل
الابصار شاخصة اليه والقلوب والآمال متعلقة عليه الا وهو
نخر آل عثمان وفريضة عقد السلاطين العظام مولانا السلطان
الغازي عبد الحميد خان أيده الله بايده الاسنى وأمدته بعونه
العظيم وامت الامة وانبلاذ بطول بقاءه وأجرى على يديه من
الخير ما به رفعتها ان الله كريم مجيب



هذا قول الفقيه في المدنية وتعميم التعليم فإذا عسى أن
أقول في شرحه والقول واضح جلي وماذا أقول في التعقيب
عليه وقد أخذ هو الطريق على من يكتب بعده في هذا
الموضوع اذ وصل بين أطرافه أحكم وصل فجاء قوله فيه

القول الفصل ولم يذر بعده مجالاً لقائل ؟

نقول تعميم التعليم . ونكتب في تعميم التعليم . وسمى
تعميم التعليم . والحكومة المصرية التي يجب أن تسمع هذا
الصوت مثل غيرها كأنما في آذانها وقرفي لا تسمع وكأنما على
قلبها قفل فهي اذا سمعت لا تستطيع أن تعقل !!

علمت هذه الحكومة المضروبة مثلاً في الحكومات
أن تعميم التعليم فضلاً عن كونه واجبا على الهيئات الحاكمة
القائمة به قياماً محموداً يعود عليها بأثير الفوائد اذ هو وحده
الكفيل بتقليل عدد الجرائم وتوثيق عرى الأمن وتوطيد
دعائم النظام ولكنها لا تريد أن تقتدى بغيرها من الحكومات
الرشيدة لئلا يأتي عليها قريباً ذلك الوقت الذي تكون فيه
كل الرؤوس عاقلة وكل العيون مبصرة فتبين سيئاتها للناظرين
واذ ذلك تسقط في نظر الرأي العام من على مجدها ويتولى
هو اقامة حكومة عادلة لا تميل مع الالهواء ولا تنى في نشر
لواء العلم في كافة الارحاء

وطالما كتب الكتاب وخطب الخطباء ميينين الجريمة

العظيمة التي ترتكبها هذه الحكومة لا بغل يدها عن تعميم
التعليم كما هو الواجب عليها فقط ولكن بمحاولة تقليل عدد
المتعلمين من المصريين بتلك الضرائب الفادحة التي تضربها
على طلبة المدارس فضلا عن العراقيل التي تقيمها في وجوههم
بضييق نطاقها وأسباب أخرى لا محل لذكرها هنا وهي معرضة
عما يقال لها ولكل أمر غاية ولكل أجل كتاب

وكتب مقالة في يوم الاربعاء ٨ مارس سنة ١٨٩٣
هذا نصها :

الاعمال بمقاصدها

« لست والله ممن يقول كلمة يريد بها جزاء من زيد أو
تقرباً من عمرو بل هو الحق يضييق به الصدر فيعلنه اللسان
وهو ولئن سر قوماً فإنه يسىء آخرين لكن لا سكوت مع
الحجة ولا عي مع البرهان فاننا معاشر المصريين قد مضى
علينا سنون عشر لم نسمع فيها سوى كلمة الصبر ولم نستفد من

المحتلين الا المن علينا بالاصلاح وهو وان حصل في بعض
الشؤون فانما ضرره لا يوازي ما يستفيد منه المصلحون فانما
لو نظرنا الى نتائج أعمالهم التي أجروها في هذا القطر منذ
بدأ الاحتلال الى الآن لا نرى نتيجة أتت بفائدة على
القطر خاصة ما لم تكن أفيد لهم وأعم لمصلحتهم هذا اذا لم
يقابلها من الضرر ما يوازي النفع أو يزيد عنه أضعافاً ولنكتف
الآن بذكر ما ابتليت به جنديتنا والبوليس من ذلك
الاصلاح وما نشأ عن تداخل المصلحين في شؤونها من
الضرر أو النفع لرى ما هي النتيجة التي عادت على القطر من
هذا التداخل والاصلاح فنقول

فاما البوليس فانهم رأوا ان ادخال الاصلاح عليه
وتنظيمه لدرجة أحسن من ذى قبل لا يتم الا بتدخلهم
الكلى في أموره واستبدال نظامه الماضى بنظام جديد موافق
للغرض لا لمصلحة البلاد التي لا تتأنى الا بواسطة رجالها
الخبيرين بأحوالها وعوائد سكانها فسئواله اللوائح المتعددة
ورتبوا النظامات المتباينة وساعدتهم الظروف في التداخل

فشرعوا في عزل من أرادوا من ضباطه الوطنيين واستبدلهم
بضباط انكليز مجهلون أحوال البلاد وعوائد الاهلين وأخذوا
ينازعونه السلطة مع النيابة العمومية تارة والمديرين أخرى
وأخيراً تدرجوا من ذلك الى جعله ادارة مستقلة خارجة
عن سلطة المديرين وضمها لادارة الضبط والربط التي أصبحت
في أيديهم آلة صماء تديرها يد الاغراض كيف تشاء فنشأ عن
عملهم هذا ثلاثة أمور . أولها حصر سلطة المديرين في جباية
الاموال ونزع ما كان لهم من النفوذ بواسطة تسلطهم على
البوليس وناهيك بما ترتب على ذلك من زيادة جرأة الاشقياء
على انتهاك حرمة القانون وعدم تهيب الحكام بسبب ضعف
نفوذ المديرين . وثانيها استحواذهم على قوة البوليس المتوقف
عليها تقرير الامن العام وما ظنك بعد هذا بالامن وما هي
حجة الاحتلال ؟ . وثالثها زيادة الارتباك في الاعمال وعدم
استقرار البوليس على حال من الاحوال لجهل رؤسائه بامور
البلاد ومخالفة نظامه لعوائد الاهلين حتى تسبب عن ذلك
جميعه من الخلل العام في ادارة البوليس وفقدان الامن

الداخلي من القطر بزيادة اللصوصية والجنايات ما لا يحتاج
الى بيان لوقوعه تحت الحس ومشاهدته بالعيان
وأما الجنديّة فانهم منذ الاحتلال أخذوا على أنفسهم
اصلاحها اصلاً موافقاً للنظام والانتظام واشتروا ادخال
بعض الضباط الانكليز فيها ليم بواسطتهم المرغوب كما هو
المعلوم الا أنهم تعدوا مع الاستمرار قاعدة الانصاف في هذا
الامر حيث رأوا انه مع وجود احتلالهم العسكري في القطر
لا لزوم لوجود عسكري مصري يقوده ضباط وطيون
صادقون لوجوه عدة نضرب صفحاً عن ذكرها الآن فجعلوا
يولون على قيادة الفرق من أبناء جلدتهم الضباط الكبار
لتكون الجنديّة طوع أمراً

ثم رأوا أن من الاحوط للمصلحة جعل الضباط الصغار
أيضاً ان لم يكونوا منهم فمن تربوا على المبادئ الانكليزية
أوترقوا بواسطة الانكليز لكي لا يخدموا الحكومة والوطن
بل يخدموا الاغراض فالاول تيسر لهم بواسطة المدرسة
الحرية فالتلميذ الذي لا يحصل على الشهادة في غير مصر

بأقل من عشر سنين يحصل عليها من مدرسة الحرية المصرية
في سنة واحدة أو سنتين . والثاني حصلوا عليه أيضاً بتحويل
مئات من الضباط الخبيرين علي المعاش وترقية سواهم ممن لا
خبرة لهم بأموال الجندية قط حتى انى لاعرف في مصر ثلاثة
اخوة لاب واحد حي كانوا قبل الاحتلال في حالة الخمول لا
يعرفون الجندية فاصبحوا الآن وهم فيها من أم أركان الانكليز
تم لم يكفهم ذلك حتى اشرأبوا الى الحرية فاتاحت لهم
الظروف ان تولوا أمرها وجعلوها انكليزية محضة ثم ناطوا
القيادة العامة (السردارية) ومعاونيها برجال منهم فاصبحت
الجندية المصرية آلة في يديها تديرها كيف تريد وتمحو من
دفاتها ما تشاء وتثبت وتعذف بها تارة الى الحدود وأخرى
تفرقها في أطراف السودان بحجة صد الهجمات السودانية
واطفاء شعلة المهذوية التي لا تخمد مرة الا أثرت أخرى
ومن الغريب استيلاء الانكليز بشراذم قليلة على
الاوغنده وما والاها من الاقطار الافريقية وتوغلهم في تلك
المجاهل لاخضاع برابرتها الاسود لراية الحرية والتمدن

وتمكنهم من ذلك بأقل كلفة سواء كان بالقوة أو بالحيلة
وعدم اقتدارهم مع توالي سنين عشر على اخضاع شراذم متقطعة
قد جعلت الغارة والسلب دأبها على أطراف الحدود المصرية
ولديهم جيش منظم عظيم من شبان المصريين الذين جعلت
دماؤهم الزكية فداء للاغراض بالسودان وهم مع ما هم عليه
من الشجاعة والاستعداد لا يخرجون عن حد قول القائل
وليس بمأسور فترجو فكاكه

وليس بمطلوق العنان فيرسل

ولعمري الانسانية والحق لو ترك الامر في السودان
لحكومتنا المصرية لأصبح الآن لها أطوع من البنان
ولتمهدت فيه سبل التجارة والامن وانتعشت مصر بارتداد
عضوها المنفصول عن جسدها الذي لا تزال ولن تزال تتألم
له اذ والله لو لم يكن للانكليز سيئة في هذا القطر الافصل
السودان عنه لكفاهها ذلك مسودا لبيض أعمالها ودليلا على
نتائج مقاصدها وأفعالها وهي كبيرة لا تغتفر في جانب
الانسانية وجريرة لا أظهر عيبا من صدورها من أمة الحريرة

فان السودان لم تلتحم بهذا القطر الا بدماء رجاله ولم تخضع
للراية العثمانية الا بهمة أبطاله وبذل أمواله وهي هي تلك
الاقطار الشاسعة التي هدرت فيها دماء الشهداء لا لتكون
غنيمة باردة للانكليز بل لتكون مدخرا للمصريين وملجأ
واسعاً لراحة الاهلين ومصدراً لثروتهم ومحطاً لتجارهم
ومورداً لاموالهم خصوصاً في مثل هذه الاوقات التي عم فيها
ضنك الفلاح وقلت مصادر الرزق على الضعفاء فاتخذوا
السلب والنهب حرقهم فعاثوا فساداً في القطر الذي أصبح مههد
الامن داخلاً منهم وخارجاً من السودان
فأينما سرت ركب مركبا خطراً

وان قعدت فلا أنجو من الخطر

كل ذلك نتيجة أعمال الانكليز التي لم تكن الا
بمقاصدها ولا يسرهم وأشياعهم المتردين برداء الخيانة والرتاء
الا ان يروا مصر في حالة الضعف والتأخر والمصريين في
وهدة الفقر والحمول حتى اتنا لتراهم بعد ذلك الاطناب في
مدح أعمال ساداتهم التي زينها دورنا الحديث قد حولوا

مجرى أقلامهم الآن لتغريز المصري بالاستسلام الى عوامل
اليأس والقنوط فجددوا لطنبور الغايات نعمة واختلفوا
لتضليل الاوهام فكرا جديداً وكانهم غفلوا عن ان للمصري
عضداً لا توهن معه قواه ونصيراً لا يغفل عن مصلحته طرفه
عين ألا وهو أميره العباس المعظم ورجال حكومته الكرام
الذين هم أدري بمصالح الامة وأحرص على حقوق البلاد من
ان تمسها يد بسوء خصوصاً ولهم من دولتنا العلية أعظم نصير
بدليل ما هو مشاهد من توثيق روابط الاخلاص بين
أميرنا المحبوب والخليفة الاعظم وما ناله سموه من جلالة
السامية من الالتفات الدال على حرصه أيده الله على المصالح
المصرية وصيانة حقوق الامة والمملكة أعانها الله جميعاً على
ما به رفعة شأن البلاد انه كريم مجيب



جزيت خيراً أيها المصري الصادق فقد كتبت فأبدعت
اذ كشفت الستار عما هنالك وافصحت أبلغ افصاح عن
سيئات الادارة الانكليزية في وادي النيل فلم يبق للكاتب

بعد ان كتبت الا التامين على ذلك الدعاء
أراد الاحتلال في مصر أن يصنع كل شيء بالصيغة
البريطانية ويدخل الانكليزية من كل باب . أو ما تراهم
يحشرون في المناصب التي احتكروها احتكاراً شباناً منهم
حديثي العهد بالخروج من المدارس الابتدائية في لندن وقليل
منهم من نال شهادة تؤذن بالخبرة والدربة اللازمتين لكل
من يتولى عملاً ادارياً بل هم يرموننا من أولئك الشبان بالعلل
الضاربة في كيان النظام وكيان الادارة ولا عجب بعد ذلك
اذا تفشت الجرائم وسادت الفوضى النظامية في كل مكان
قالوا وأعادوا على أسماعنا مراراً وتكراراً انهم لا تتجاوز
مهمتهم في مصر اعداد المصريين للحكم الذاتي فأين بواذر ما
صنعوه من مقدمات هذه المهمة الخطيرة ??

انا نرى و« الاعمال بمقاصدها » أن كل شيء يدل على
العكس من ذلك . فالقابضون على أزمة المصالح والمسكرون
لدهقها ليسوا من الوطنيين ولا نعتز بتلك المناصب الضئيلة
الآثر في اظهار كفاءة الامة واستعدادها للحكم الذاتي فانه

لا ارادة للمصرى فى الغالب فى جانب ارادة الموظف
الانكليزى صغيراً كان أو كبيراً

ان الاعمال بمقاصدها . والمقاصد مما نرى ونسمع سيئة
جداً فافتحوا عيونكم أيها المصريون واعلموا أن الخضم لدود
ونحن أقوياء بما لنا من الحق الذى يجب علينا جميعاً أن نستميت
فى الدفاع عنه الى آخر لحظة من أعمارنا فانه لن يضيع حق
وراءه من يطالب به وسواء أذعن المطالب أو لم يذعن قريباً
فلا بد له فى النهاية من الازعان

وكتب في يوم الثلاثاء ٤ ابريل سنة ١٨٩٣ مقالة
هذا نصها:

الجامعة

من تأمل في المجتمع الانساني وما شتمل عليه من الاجناس
المتباينة والاجزاء المتفرقة وما بينها من التقابل والتضاد
والتجاذب والتنافر ثم نظر الى حركته الدائمة وتلاطمه المستمر
راه كالجسم المركب من أجزاء متعددة وعناصر مختلفة هي
مع بعدها عن المشاكلة وشدوذها عن التآلف متحدة الحركة
متفقة العمل بما يؤول لبقاء الجسم وصيانة حياته حتى انالترى
تلك الجراثيم المنتشرة بالجسم الممزجة منه باللحم والدم مع
ماهي عليه من الحرب الدائمة والنزال المستمر الذي لا ينتهي
بينها الا بظهور القوى منها ودثور الضعيف لم تكن بذلك
الا خادماً للجسم من حيث هي مخدومة منه أيضاً بما أعد لها
فيه من المستقر الهنيء والغذاء المرىء الا ان المجتمع الانساني
وان اتحد حركة باعتبار المبدأ الذي يقصد به جر المنفعة

المشتركة وهي ما به قوام الحياة الادبية وبقاء النوع فقد افترق
غاية فتنفرق باعتبار ذلك الى شعوب عدة لكل منهم وجهة
خاصة هو موليا حتى استلزم ذلك تعدد عناصره ووقوع
التباين بين اجزائه وعدم اتفاقها غاية كما هي عليه مبدأ مما
جعل كل جزء منها قائما بذاته منفصلا عن نوعيته ولما كانت
الغاية التي هي داعية التجزؤ النوعي تختلف باختلاف الشعوب
والقبائل كما تقدم فقد استحال التوفيق بين مقاصد اصناف
الانسان فادى ذلك الى حصول التنافر ووقوع التشاجر
فكان من هذا ان رجحت الكثرة على القلة وغلبت القوة
على الضعف

وهذا مادعا الشعوب الى تطلب المنعة بقوة التضام
والالتمام بالتجائهم الى جامعة عامة تتحد بها الكلمة وتشتد
العزيمة فتقوى على دفع بعضها البعض وكلما اتسع نطاق
الجامعة فتضامت بها حلقات الشعوب المتفرقة كان ذلك ادعي
لحفظ نظامهم الاجتماعي وامنع جانبا من ان تمسه يد المتغلبين
بسوء ولهذا السبب قد يكون من الامم من تتألف من

شعوب مختلفي المذاهب والاجناس وقد دعيتهم ضرورة
الاحتماء بقوة الجامعة الى الانقياد لحكم واحد والارتباط
بكلمة جامعة تمسكاً بوحدة المصلحة العامة التي من مقتضاها
صيانة الحقوق الشعبية والاستئثار بالاختصاصات الوطنية
التي انما تضان في جانب القوة وتعدم في جانب الضعف
وفي هذه الحال يمكن اعتبار الامم كل منها كجسم واحد
ايضا مستقل في نفسه مهما تباينت أجزاؤه وتعددت أعضاؤه
فانه سليم بسلامة تلك الاعضاء ما لم يتعطل عضو منه وينفصل
جزء منه كاليد اذا شلت والعين اذا انغمضت فان لكل منهما
اعتباراً عظيماً بالجسم لقيامهما بأهم الوظائف التي يترتب عليها
جلب المنفعة له ودفع الضرر عنه فاذا فقدتا اضرتا به ضرراً
يكون به الى جانب العجز أقرب منه الى جانب القوة فيقف
بازاء غيره موقف الساكن حركة الناقص عملاً الواهن قوة.
ولا أدنى من الخطر على أمة حاول بعض أعضائها الاتصال
منها أو احتيل بانفكاك بعض أجزائها عنها بداعي تباعد
الجنسية القائلة بتفريق المختلف وجمع المتشاكل فان المصلحة

العامّة القائمة بقوة الجامعة مقدّمة على المصلحة الخاصّة التي
هي في جانب الضعف أقرب الى العدم منها الى البقاء وكلما
اتسعت سلسلة الجامعة بما ينضم اليها من حلقات الشعوب
كان ذلك أحفظ لمصلحتهم الخاصّة لارتباطها بالمصلحة العامّة
التي انما بصيانتها تصان اذولى اذ سلامة الكل سلامة الجزء
ومن نظر في تاريخ البشر لا يجد أمة عظيمة قامت على الارض
ثم تطرق اليها الضعف والاضمحلال الا بعلّة تفريق أجزائها
المتّمة واتصال أعضائها المتحمّة مما تنهت معه قواها
وتنفصم عروة اجتماعها فتقع في الخسران وتعلوبها كفة الميزان
فتخفف من سطوتها وتخط من قوتها فتحجم عن التقدم في
مضمار المسابقة لمن عداها من أمم الارض فيتمكن منها الوهن
حيث يتمكن منها الدخيل وهناك يعز الدواء وتسوء المغيبة وليس
من باعث على ذلك كاله الا تفريق الوحدة الجامعة وتمزيق
السلطة الواعية والعاقل من نظر الى ذلك بعين الاعتبار فاطرح
التعصب الجنسي وتحمّشي الاندفاع مع قوة التجاذب الشعبي
مائلا بكليته الى حيث تصان المصلحة الوطنية المضمونة بقوة

الجامعة التي لا فرق لديها بين تباين الاجناس وتعدد المشارب
في جانب اتحاد الغرض الذي يسعي اليه الجميع الا وهو جر
النفع ودفن الضرر



قال المترجم « من نظر في تاريخ البشر لا يجد أمة عظيمة
قامت على الارض ثم تطرق اليها الضعف والاضمحلال الا
بعلة تفريق أجزائها الملتزمة وانفصال أعضائها الملتحمة » وهو
قول حق يؤيده العقل ويثبته البرهان ويعززه الواقع ولا
بيان بعد البيان

ان الامة التي لا تماسك أجزاؤها ولا تتلاحم أعضاؤها
لا تعيش طويلا ولا تبقى الا قليلا وما بقاء عقد تناثرت
حباته ??

ان الأمة لا تزال بخير مادامت متلاحمة الاعضاء .
متماسكة الاجزاء وكذلك شأن كل شيء . وكما ان الصخرة
العظيمة اذا انحلت عادت ذرات لاقيمة لها فكذلك الشعب
الذي يكون كل عنصر من عناصره منجلا من غيره وكل فرد

من أفراد هذا العنصر لا ارتباط بينه وبين الآخر . ولا تجد
شعبا من الشعوب معرضا للفناء مثل الشعب الذي يضيع
روابطه ولا يبقى على جوامعه . والتاريخ يحدثنا عن كثير من
الامم التي لم يبق لها أثر في الوجود وفي مقدمة العوامل التي
قصرت أعمارها وأذهبت آثارها انحلال الروابط والجوامع
فلتعرف هذه الحقيقة الناصعة كل أمة تحرص على
الحاضر والمستقبل . ولتكن كل أمة محبة للبقاء والعزة والسمو
قوية الجانب بالاتحاد والائتلاف فانه لبقاء ولا عزة ولا
سمو لامة فرطت في جامعاتها بل هي قصيرة العمر وان
طالت عليها الايام

ونحمد الله أن أمتنا المصرية عرفت هذا الواجب منذ
زمان طويل وظهرت فيها آثار الاحتفاظ بالجوامع في كثير
من الشؤون . فنحن نحبي هذه الالفة المكيئة بين عناصر
الامة ونأمل أن تزداد آثارها تجليا وظهورا على مر الايام
وياهنا هذه الامة يوم يحىء عليها اليوم الذي تكون فيه
من الائتلاف والاتحاد كأنها فرد واحد . هنالك يقول كل

مصرى لتحي مصر وليحي المصريون وما ذلك اليوم ان
شاء الله يتعيد

وفي مساء يوم الأربعاء ٢٩ مارس سنة ١٨٩٣ ورد اليه
تلغراف منى حيث وصلت من سواكن مع الاورطة الاولى
البياده الى مدينة السويس فلم ينام ليلة لشدة فرحه وفرط
سروره ببقاء أخيه وزميله الذي غاب عنه سنتين كاملتين كانت
فيهما تمثل صورة كل منا أمام الآخر في كل حال
وما وصل بنا القطار في فجر يوم الخميس ٣٠ مارس الى محطة
القاهرة حتى سمعت من يناديني فتركت الواجب العسكري
لاضمة الي ضمة الذي يستقبل روحه العزيزة وأمنيته المرجوة .
ولم يشأن يتركني وسار معي الى ثكنة الجنود حتى اذا ما تفضت
عن كاهلي ذلك الواجب المقدس عدت معه الى البيت
وقضينا يوما من أحسن أيام الحياة حيث أخذ يسألني عن
طقس السودان وحالة أهله وشهاتهم وعوائدهم وما لقيته
من الاتعاب في مناوشات العدو ثم عرض علي أعماله من

مؤلف ومجلة وآماله في المستقبل واهتمامه بالكتابة والخطابة حتى تخيلت اني لست امام أخى الصغير الذي أعرفه من قبل بل امام بحانة كبير وعلامة خطير . وقد قلت له يومئذ على ما أتذكر « اني أود أن اكون معك في عمالك هذا حتى لا أحرم من رؤيتك و اكون عضداً لك في هذه الخدمة الوطنية الكبيرة » فقال لي « انه سيأتي يوم يكون فيه كلانا بجوار الآخر نعمل باتحاد خير هذه البلاد العزيزة وهذه الامة الكريمة المحبوبة »

كان يزورني المرحوم كل يوم بقشلاق عابدين لقربه من مدرسة الحقوق لتناول الغداء معاً حيث كان يرد الينا من المنزل وكان يناقش الضباط كثيراً في مواضيع سياسية وعمرانية ويضرب لهم أحسن الامثال عن حالة الجندي المصري وما حازه من الفخر في الحروب الاخيرة التي توجت تاريخ المصري بالمجد الدائم وكان يذكر منها حرب الوهايين وكريت وعكة وغيرها وكان اكثر الضباط مناقشة له حضرة اليوزباشى محمد افندي صدقي الطوبجى الذى كان

في ذلك الوقت ياورا لسعادة ناظر الحريية لانه من الضباط
المستنيرين المتمكنين من اللغات الاجنبية الواقفين علي أسرار
كثيرة من أعمال الاحتلال الانكليزي

وقد جاءني يوم ارحمه الله وقال لي ان من أكبر أمانني
ان يكون لي مدرسة أعلم فيها الناشئين لان المجلة لا تكفي وحدها
لهذه المهنة ولذلك قد كتبت هذه المقالة في جريدة الاهرام
ودفعها الي لاقرأها وقد نشرت في عددها الصادر يوم الخميس
٢٠ ابريل سنة ١٨٩٣ وهذا نصها :

المعلمون والتعليم في مصر

ان تعميم التعليم من أهم الاسباب الداعية لنمو العمران
القائمة به حياة الممالك والبلدان خصوصاً في هذا العصر الذي
أصبح التعليم فيه من الحاجيات بعد اذ مرت عليه عصور
اعتبر فيها من الكماليات حتى انالزى الممالك المتقدمة
تتسابق في ميادين المعارف الآن تسابقاً لم نعهد له نظيراً بين
الامم فيما غبر من الازمان لما عاد عليها بسبب ذلك من

المنافع الادبية والمادية التي تعجز عن حصرها العقول وتبتهت
عند النظر اليها الابصار وهو مادعا حكومات الشعوب
المتمدنة الى الآياتركوا واسطة من وسائط اتقان التعليم الا
أخذوها ولا وسيلة ناجحة لبث روح المعارف الاستعملوها
ولما كان حسن مستقبل البلاد متوقفا على أبنائها المتعلمين
ونجاح هؤلاء معقودا بنواصي المعلمين وكما توفرت في المعلم
شروط اللياقة التي تؤهله لان يقوم بتعليم المئين من أبناء
بلاده ازدادت بذلك فوائد التعليم وانتشر بين الاممة نفعه
العظيم فقد رأت تلك الحكومات ان الواجبات الاولية
جعل المعلمين من أفاضل الرجال الذين حنكهم التجارب
وهذبهم التربية فاستكملوا أسباب الفضائل وأهلوا لنيل
هذه الوظيفة المهمة التي يتوقف على استيفاء شروطها في المعلم
الحياة الادبية لالوف من الاحداث حتى اعتنوا لهذه الغاية
بانشاء المدارس الخاصة لصنف المعلمين ليمارسوا فيها الاصول
التي تؤهلهم الى تولي التعليم وتجعل بهم الكفاية للقيام بواجب
التربية والتفهم وكان من نتائج ذلك ما نشاهده الآن من

نجاح الممالك المتمدنة في أصول التعليم ورقى أهلها في المعارف
والعلوم الى درجة لم تنلها الامم من قبل

ولسوء الحظ ان ديارنا المصرية مع كونها في مقدمة
الممالك الشرقية التي أدخل إليها التعليم من عهد المغفور له محمد
على باشا بطلها المشهور وكان من المنتظر أن نرى نتائجها
التدريجية واصلة في هذه السنين الى حد الكمال مشمولة
بعناية الدولة المحتلة التي لم تبين دعائم احتلالها الا على كلمة
الاصلاح نرى الحالة فيها بالعكس لما هو ملم من الخلل
الظاهر بنظام المدارس مما حرم المصريين من الوصول
الى الغرض المقصود منها والتمتع بفوائدها الحقيقية . اللهم الا
ما يتلقاه أبناءهم من بعض اللغات الاجنبية التي أصبحت بها
المدارس المصرية داراً للمناظرات السياسية لاسناد أمر التعليم
في جلها ان لم نقل في كلها الى معلمين يخالفون التلامذة لغة
ومشربا وقد جعلوا عنايتهم بث مبادئ جنسيتهم بين الاولاد
واجتهادهم في تعليمهم اللغة التي ينتمون (أي المعلمون) إليها
دون النظر الى لزوم اتقان بقية العلوم والفنون فكانت المدارس

المصرية لهذا السبب بمثابة مدارس لغات لامدارس علوم
وفنون وهو أمر قد نشأ عنه من المضار ما يضيّق دون ذكره
وتعداده المجال الآن وسنمرد له كلاماً خاصاً ان شاء الله

ولو سئل المصلحون الذين ينظرون لانتشار لغتهم
الانكليزية بين المصريين بعين السرور والابتهاج عن
الاسباب الداعية لوجود معلمين من غير أبناء البلاد يقولون
بعدم كفاءة المصري لتولى أمر التعليم وعدم أهليته له وهو
قول مجرد عن كل عدالة وانصاف اذ الحقيقة تخالف ذلك وهي
ان من ترشح سنويا لوظيفة التعليم من الوطنيين قليل جداً
بالنسبة لحاجة المدارس الوطنية التي تفتح أبوابها اضطراراً لقبول
معلمين من الانكليز وغيرهم مع أنه يمكن تدارك هذا الخلل
بزيادة مدرسة أو مدرستين على مدرستي المعلمين الحاليين
وهما دار العلوم الخاصة بمعلمي الفنون العربية ومدرسة المعلمين
التوفيقية الخاصة بمعلمي العلوم والفنون الرياضية أو توسيع نطاق
المدرستين المذكورتين لدرجة تخرجان بها من المعلمين سنوياً من
به الكفاية للقطر والاهلية التامة لتولى التعليم وانما ذلك يخالف

رغبة المصلحين الذين لو سلمت نيابهم لما كانوا هم الباعث على
اطراد هذا الخلل العظيم بما يلقونه من العثرات في سبيل
تقدم المعارف في هذا القطر وفضلا عما تقدم فان هناك طامة
كبرى على المعلمين الوطنيين وهي جعل رواتبهم قليلة جداً
بالنسبة لرواتب المعلمين من الانكليز الذين
امتازوا بهذه النعم المصرية فقضوا على الوطنيين باليأس من
اجتهادهم والقنوط من مستقبلهم فضعفت فيهم الآمال وتبطلت
الهمم وسرى اليأس لغيرهم فاقعدهم عن الاهتمام بتضيق الوقت
العقيم للاستحصال على وظيفة التعليم والانخراط في سلك
المعلمين كما هي الحال في انكليز أيضاً الذين يفنون زهرة
العمر في سبيل تحصيل العلوم التي تؤهلهم لخدمة الحكومة
وتقع الوطن العزيز وعند ما يقصدون لها باباً يجدون دونه
من الموانع سداً قد أحكمت وضعه يد الغايات فيتولاهم
اليأس ويستولى عليهم الخمول وهذا مما ليس لتلافى ضرره
المحسوس الاهمة مولانا العباس الذي ارانا من حبه لصالح
أمته ورغبته في ترقية شأن المعارف في البلاد ما لا بد معه من

وصولنا ان شاء الله الى الغاية المطلوبة فاننا في عصر نحن فيه
أحوج الناس الى أمير مثله قد وهبه الله من الحزم والثبات
ما تتحقق به آمالنا وتنجح مقاصدنا بمن الله وكرمه



لا تجد بين المواضيع التي تجرى على أسنة أقلام الكتاب
وأطراف ألسن الخطباء وفي خواطر المفكرين موضوعاً
أجدر من هذا الموضوع بالعبارة وأحق بالالتفات . فانه يكاد
يكون الجوهرى بين سائر المواضيع

فانه من الواجب على كل هيئة من الهيئات الاجتماعية
أن تعنى بيت أشعة العلم في الافهام كل العناية . ونحن اذا
نظرنا نظرة عامة في هذا الشأن عندنا وجدنا ما يضحك ويبكى:
وشر البلية ما يضحك

فلماذا لا تستاء كل نفس لما هو مشاهد محسوس من
النظام التعليمى الحاضر؟؟ انا نقول ولا نخشى لومة لائم انه
لولا ما فطر عليه المصرى من الذكاء المفرط بشهادة التاريخ
والخصوم أنفسهم (قال اللورد كرومر) « فطر المصرى ذكى

القواد») لما سمع أن في النشء المتخرجين من هذه المدارس
تابغة واحداً أو متعلماً ذا مواهب عالية ومدارك سامية ..

ونحن لا نريد أن نطيل في بيان مافي هذا النظام من
الخلل والاضطراب الذي لا ينشئ ملكة ولا يعين على ظهور
موهبة فهذا كله ظاهر معروف . ولو جمع ما كتب في هذا
الموضوع أمس واليوم في هذا الصدد لبلغ أن يكون مجلدات
ضخمة . ولكن نريد أن نقول ان هذه الحكومة ستذوق
من فوضى هذا النظام مرارة لا تساغ فاذا شاءت الامة أن
تحسن صنعاً فلتضاعف همتها في تكثير دور العلم ومعاهد
المعارف فوق المهمة الحالية فان الامة التي لا تخدم نفسها
لا يخدمها أحد . وهذه الحكومة التي يقبلها الاحتلال بين
يديه ذات اليمين وذات الشمال محال أن تقترن ارادتها بالخير
والحسنى واذا اقترنت وهذا بعيد لم تجد من نفسها انبعاتا على
تحقيق الآمال . ولا عجب فانه لا تأثر مشترك بيننا وبينها
وانما هي قطعة شلاء لا تحس بما به نحس ولا تتأثر بما به
تأثر

هنا : بعد أن وضعنا تحت نظر القارىء الكريم نموذجاً
من رسائل المترجم فى السياسة وأشرنا الى ما كان يلقى من
الخطب فى الجمعيات التى أسسها وجئنا بنص كتاب له صغير فى
موضوع تاريخى خطير ونشرنا فصولاً من مجلة المدرسة فى
مواضيع شتى نقف هنيهة لنستجلي همامة تلك النفس ونعيد على
الذاكرة صورة تلك المهمة المتمثلة فى ذات والقوة العظيمة التى
أودعت انساناً واحداً ليعرف من يشاء أن يعرف كيف تسنى
لشباب وهو فى السادسة عشرة من سنى حياته أن يؤلف كتاباً
ويؤسس جمعيات ويلقى خطباً ويكتب رسائل وينشئ مجلة
وهو مع ذلك يطلب علم الحقوق فى مدرسة نهائية وأخرى
ليلية ويناقش الخصوم وينفذ الدعاوى ويجمع قلوب أهل
طبقتة على وحدة الهوى ويشغل بتمهيد السبيل لوضع أساس
هذا البناء العظيم

أعد أيها التاريخ على الذاكرة حديث هذه السيرة الفيحاء
فانك أنت الامين على السير وكرر أيها اليراع على السمع
ذكرى تلك المهمة الشماء وأفض فيما شاء الله من العظات والعبر

أعد أيها التاريخ على الذاكرة عهد تلك المقدرة النادرة
والاحاديث العاطرة فان نابتة اليوم تحب أن تستفيد من
آياتك الصادقة وعظمتك الناطقة وكرر على السمع أيها اليراع
ذكرى عظمة أصبحت تتناقل سيرتها الركبان ويضوع غيرها
في كل آن

أعد أيها التاريخ على الذاكرة حديثاً لا يزال عندي
جديداً وان مضت عليه السنون وكرر أيها اليراع على السمع
أعذب ما يروى وأحسن ما يسمع وألطف ما يقال وأفضل
ما يكتب وكن فيما تكتب كما عهدت أولاً وآخراً ذلك الناقل
الأمين فالاحاديث أمانات

أعد أيها التاريخ على الذاكرة ذلك الذكر المحبوب فما
أحلاه عندي وما أطيب وكرر أيها اليراع على السمع كرام
الانباء فان من قارئك كرام الابناء وجل في ميدان الحقيقة
ما تجول فانك والله عليك شهيد ما زلت الصادق المصدوق
أجل : كرر على السمع أيها اليراع وأعد على الذاكرة أيها
التاريخ فالمقام مقام دراية مأمولة الفائدة مرجوة العائدة —

وانه اذا لم يكن في استطاعة الانسان أن يعيد الايام الخالية
بذاتها ليجتلي ما يشاء في مرآتها فان في مقدور البصيرة الباصرة
والذاكرة الحاضرة أن تصور ما فيها تصويرا يقربها من الازهان
ويدني منالها من الافهام الى الحد الذي يعين عليه الامكان
ليت شعري من أى طراز هذه النفس وماذا يقول
الواصف لتلك الهمة وبأى قلم يكتب آسف كاسف البال
يذيب الحزن والحزن يكاد يذيبه ويدعو الماضى والمكرمات
تجيبه وأى كتاب يسم وصف أحاديث تلك المتفاخر والمهم
وأبناء تلك المآثر وغوالي الشيم ؟ ؟

الهم أعنى بحولك وطولك ووفقتى بامدادك واسعادك
عسى أن أستطيع قضاء حق التاريخ فانه المقضى اذا ضاعت
الحقوق ولا حول الا بك ولا قوة الا بعونك

رأى القارىء مما مر به كيف أن مصرياً قتيلاً استطاع
في آن واحد أن يجمع بين أعمال كثيرة كل منها جدير أن
يتعاون على اظهاره وينقطع له اكثر من رجل . نعم ان فى
معاصرنا من شيب وشبان كثيرين يستطيع كل منهم بما أتاهم

الله من قوة العزيمة وقوة النشاط أن يؤلف ويخطب أو يدرس
ويكتب أو ينشئ مجلة ويؤسس خطة ويكون جمعية ولكن
أين من يجمع بين هذه الاعمال كافة في ظروف مثل تلك
الظروف كان فيها كل عمل منها خليقا أن يعاون عليه صاحبه
بضروب التشجيع والاقبال ??

انا نذكر كل ذلك كله فيضطرب القلم بين الأنامل من
لوعة الحزن ونار الأسى وأخيراً نلجأ الى الصبر الذي هو
الدواء الشافي والملاجئ الاخير

نذكر أن الامة التي لا يزال رزؤها بفقد المترجم جديدا
قد فقدت بوفاة بطل أبطال الوطنية المصرية فتى كان في
السادسة عشرة من سني حياته يكتب ويخطب وينشئ ويؤلف
ويضع خطة ويعقد جمعية ويدرس دراستين ليلية ونهارية فكبر
على القضاء هذا المصاب الأليم

ليت شعري ماهذه المهمة التي كانت تملأ ذلك الصدر
الرحب وما ذلك العزم الذي كان مستقرا في تلك النفس التي
كانت لا تكمل ولا تمل ولا تستكبر كبيرا ولا تستبعد بعيدا

ثم ماهذه المزايا السامية التي رفعت صاحبها الى مصاف كبار
رجال التاريخ؟؟

الا ان نفساً تعين صاحبها على اظهار ما تقدم بيانه من
الأعمال في مثل تلك السن التي يكون الشاب فيها أقرب
الى الهزل منه الى الجد والى السأم من العمل أقرب منه الى
الرغبة فيه لنفس ممتازة لا كسائر النفوس واذا لم يتفاضل الناس
بالأعمال التي هي مزايا النفوس وبالهمم التي هي مزايا
القلوب فلم يبق مما يتفاضلون به غير المحتد والمال وما شا كل
قد يخطر لانسان أن يقوم بعمل ويمنى نفسه بقرب
نجاهه ويتعلل بالزمان والمكان والسعة والضيق وما أشبه
وينتحل لنفسه ألف عذر وعذر فيرضيها وترضيه ولكن
الوطن العزيز ليس في حاجة الى من يقولون القول لا يتبعه
فعل بل نحن كما قال الامام علي كرم الله وجهه «أحوج
الى رجل فعال منا الى رجل قوال» وما بالتعللات والاماني
تخدم البلاد ولكن تخدم بالروية والاقدام والنهوض بأعباء
الاعمال الجسام

وما كان في مقدره مصرى أن يصنع في تلك السن
أكثر مما تقدم ذكره بل حسب العامل وقصاراه أن يؤدي
صنفا واحداً من أصناف هذه الاعمال اذ لكل سن دائرة
من العمل قل أن يتخطاها وإنما الموفق من يجوز حدودها
ويجوز معها حدود سواها

ايه يا أعداء مصر وسمعا يا حساد جلالها هذا فتى منها
نهض بالامس والالسن معقودة عن التحرك والاقلام
مضروب عليها ان لا تسطر وانخواطر في أسر من الرعب
ولكنه أطلق لسانه فكان كما قال المتنبي :
ودع كل صوت غير صوتي فاني

أنا الصادح المحكي والآخر الصدى
واخترط قلمه من غمده فكان كما قال القائل :
أيصيبيني صرف الزمان وفي يدي

قلم كتاب الليث حين يضم
وأرسل وهو غض الشباب صوته بين سطور مجلته
ورفعه حتى اخترق نوافذ غرف جمعيته ولم يترك شيئاً كان

ينتظر من مثله الا نهض به ناشط الكاهل وكذلك القوى
الآمل فلا جرم بعد هذا أن كان حجة بالغة على من يهتمون
طبيعة المصري بالكسل والخمود والانصراف عن الجد الى
الهزل وما شاكل من النقائص ولقد قام بين ظهرائنا من
قبل ولا يزال يقوم من بعد من يدلون العالم أجمع على أن
قول اللورد كبرومر الذي هو أخبث عدو وألد خصم للامة
المصرية « فطر المصري ذكي القواد » هو لا غيره في كلامه
القول الصحيح الصريح حتى ولو كان اراده منه في صورة
تشعر بالتهكم وقلب الكلام

سائلوا تاريخ النابغين في الامم الشرقية هل كان حقيقة
عقبا فلم يرد فيه من أسماء الكبراء وعظماء النفوس من
يكادون يبلغون ما بلغ اليه المترجم من العظمة والهمة والدعوة
الى الحياة وبث معانيها في صدور اليائسين ??

لقد حاولوا أنصفنا الله منهم أن يلصقوا بنا كل تهمة
بل هم لم يعفوا من تههم شيئاً في مصر حتى طقسها وطبيعة
أرضها وقد حسبوا أن النيل المبارك لا يظهر تحت سمائه من

يدهش نبوغه الفائق وجلاله المصدوق كل حسود مكابر .
فليقولوا فينا ما يقولون وليكتبوا عنا ما يكتبون فان أمامنا
من تاريخ المترجم وشدة تعلق المصريين بحبه ما ينطق باصرح
عبارة وأظهر قول أننا قوم أهل لكل تكريم

ثم ايه يا مصر لقد نشأ بين ربوعك وظهر وسط
جموعك من كنت حديثه العذب في الغدو والرواح وشغله
الدائم في القيام والقعود وموضع تكريمه كلما كتب مناظلا
او خطب مفاخرأ فمجدي ذكره الى آخر الزمان

أكثر المرحوم بعد ذلك من القاء الاسئلة الكثيرة
على من يعرفهم من الذين سافروا الى فرنسا أو درسوا بها
ليقف قبل سفره اليها على أحوالها حتى يكون مزوداً ببعض
ما يساعده على المعيشة فيها والوقوف على أسرارها حيث كان
موعد سفره اليها قاب قوسين أو أدنى

وقد سافر المرحوم لأول مرة الى أوروبا وهو في الثامنة
عشرة من عمره على احدى بواخر الشركة الفرنسية البحرية

يوم الجمعة ٢٦ يونيو سنة ١٨٩٣ ليقضى الامتحان الاول بمدرسة
الحقوق الفرنسية في مدينة باريس وسافر معه شقيقه سعادة
حسين بك واصف . وقد كنت في جبل الطور وكان أخونا
المرحوم عبد الفتاح افندي فتحى مريضاً اذ ذلك . ولما وصل
الى باريس استقبله على المحطة هناك الكثيرون من أصدقائه
وفي مقدمتهم صاحباً العزة محمد علي بك دولار (مدير ادارة
الاقواق الآن) وكامل بك فيضى (القاضى بالمحاكم حالياً)
وقد رافقاه الى شارع مالبرنش (Rue Malebranche) حيث
نزل في فندق شهير مع اخوانه الطلاب وهذا الشارع من
الشوارع التى يسكنها الطلاب . وقد بعث الى من باريس
بكتاب وصل الى فى الطور (وكنت أود أن أشره برمته
لولا أنه تأكل ولم يبق منه الا القليل) وهذه صورته :
« لم أكتب لك قبل تأدية الامتحان لاني اكتفيت
بما كتبه لسيدى العزيز وأخى البار الرحيم ولاني رأيت
ان أبلغك نتيجة امتحاني فكتبت هذا لا بشرك بنجاح باهر
وبجودة صحتي وكنت أود أن تكون معي في هذه الديار

ديار العلم لترى نشاط القوم ومعدات حياتهم مما أسأل الله
أن يهنيء قومنا وبلادنا الى مثله

انك تعلم أيها الشقيق العزيز أن تعداد الامة الفرنسية
كتعداد أمتنا العزيزة خمس مرات ولكن لو علمت ان عدد
طلاب الحقوق هنا في هذا العام بلغ سبعة آلاف طالب
فرنساوي وعندنا مائة وأربعة وثلاثون فقط لعرفت سر
ارتقائهم وندبت سوء حظنا والسبب راجع الى اهمال حكومتنا
أمر نشر العلم الذي هو ميزة الانسان عن كل المخلوقات
بينما تحتم الحكومة الفرنسية أن يكون التعليم الابتدائي اجباريا
اني تعرفت هنا بطلاب روسيين وبولونيين ويابانيين
فرايتهم جميعا منكين على العلم ولكني أوكد لك ان المصري
أقوام عارضة وأعلام ذكاء ولا ينقصه الا الارادة التي هي
أس النجاح

اني سأعود بمشيئة الله على الباخرة الفرنسية في ١٧
أغسطس المقبل لأكون عندكم في ٢٣ أو ٢٤ منه «

باريس في ٢٩ يوليو سنة ١٨٩٣

عاد رحمه الله من أوروبا في ٢ أغسطس سنة ١٨٩٣ مع
الكثيرين من الذين سافروا معه لتمضية امتحان الحقوق في
باريس وقد حدثنا أكثرهم أنه كان هناك في حياته الاجتماعية
مثال النزاهة والكمال منصرفاً عن اللهو غير ما طرفه الى
مستنكر ضئيلنا بقوته العقلية وقوته الجسمية أن ينفق أقل
جزء منها في غير التحصيل ولم يكن همه بعد أن يفرغ من
دراسته كل يوم الا أن يزور مكتبة أو يتفقد معهداً أو
يحادث ذارأى فيما يتعلق بأمر بلاده وما هو قائم بنفسه
نحوها من الاماني العظيمة والامال الكبيرة وهو في كل
حركة وسكنة ناظر بمنتهى الاعجاب الى تقدم القوم في فنون
الحضارة ورقبهم في المعارف والعلوم متمن لمصر العزيزة
ما ياتمناه لها كل وطني صادق الحب مخلص الولاء مقتبس في
غدواته وروحاته ما كان يأمل أن يفيد به أمته ووطنه فائدة
كبيرة . وكان في أثناء هذه المهاجرة في طلب العلم لا يفتأ
يذكر مصر ويمجد مصر ويدل على شرف مصر وهو اليها
جم الحنين . وفور القسط من الشوق يتعجل الايام ليفرغ

من التحصيل بسرعة ويعود الى وطنه المحبوب فيخدمه بما
أوتي من عزم متين ورجاء مكين

وقد زار على أثر عودته المرحوم علي باشا مبارك وكان
بيت هذا الوزير الكبير كما سلفت لنا الاشارة اليه متجععا
لرواد الفضل وشرعة لوراد الأدب . فلما دخل عليه هناك
بنجاحه الذي اتصلت به أنباؤه ثم سأله في ذلك الجمع المكون
من خيرة رجال العصر قائلا :

ماذا رأيت يا مصطفى في أوروبا ؟ رأيت الناس هناك
يسرون على رؤوسهم وأرجلهم في السماء وهل أرضهم من
تبر وأرضنا ترب أم هم خلق آخر غير هؤلاء الخلق ؟؟

فأجابه المترجم جادا لا هازلا : كلا يا سعادة الوزير - فأنني
رأيت الناس هناك يسرون كما نسير ولعل أرضنا أزكى من
أرضهم تريا وأوفر خصبا وهم من حيث التكوين خلق مثلنا
... وإنما (وأراد أن يسترسل في بيان ما هناك) فقال له
الوزير :

أتعرف اذا لماذا تقدموا هم وتأخرنا نحن ؟؟

ألقى هذا السؤال وقد غمز بظرفه بعض القرييين منه
كأنما هو كان ينبغي أن يسمعهم من حيث لا يتوقعون صوت
المرجم وهو يرتجل القول ارتجالاً ويرسله على البديهة ارسالاً:
فهمض من مجلسه وقال مامعناه :

✱ « تسألني يا سعادة الوزير لماذا تقدموا هم وتأخرنا نحن
وأنت العليم بسبب التأخر عندنا وأسباب التقدم عندهم ??
انهم تقدموا لان الحكومات هناك تشعر بما على عاتقها
من المسؤولية امام الامم فلا تهضم لهم حقاً ولا تخلف معهم عهداً
ولا تضن عليهم بمعونة ولا تستهين بما عليها من الواجبات
وسعادة الوزير يعلم أن الهيئة الحاكمة في كل مملكة من ممالك
أوروبا قطعة من الهيئة المحكومة بينهما تأثر مشترك وحب
متبادل . والحكومة خادمة للشعب لاسيدة عليه وكفي ✱
فالكل هناك يعملون لمصلحة الوطن ووسائل التشجيع
والتنشيط عندهم موفورة فالضمانع المخترع يجازى والزارع المجتهد
يجازى كذلك كما يجازى المؤلف المبتكر والعامل المبتدع وكل
من يقوم بعمل عام . والمكافأة كما لا يخفى على أحد رأس مال

التشجيع عند العامل من أى طبقة كان ولذلك تري كلا منهم
مجتهداً في عمله فلا تشرق الشمس في صباح كل يوم الا وقد
انضجت القرائح اختراعاً أو أقامت الايدي عملاً جليلاً
أو خطت العقول نهجاً صالحاً لمشروع صالح. أما نحن وصبراً
جميلاً يا مصر فكما تعلم اذا طلب أحدنا من الحكومة طلباً
تعادى الطالب واذا رأت فكرة حميدة تشتغل بتحقيقها الامة
خلقت العرافيل وأوجدت الموانع حتى لتكاد هذه الامة
العزيزة أن تختنق بغاز هذه السيطرة الغاشمة ومن شأن السلطة
الاستبدادية أن تقتل المواهب والمكاتب وتخنق روح النبوغ
في الطبقات المستنيرة حتى تحكم خشباً مسندة لا أشخاصاً
يعقلون. وقد اتفرجت مسافة الخلف بين الهيئة الحاكمة
والهيئة المحكومة بهذا السبب وصارت الامة في ناحية
والحكومة في ناحية. ولكن هذه الحالة لن تستمر طويلاً
وان لكل باغ مصرطاً» ❖

قال هذه الجملة الاخيرة وقد ظهرت الغيرة والحمية على
وجهه في صورة تدل على ما قام بنفسه اذ ذاك من الحماسة والتوقد

وقد سر الوزير سرورا كبيرا وأكبر الحاضرون -
وفيهم من لم يكن يعرف المترجم بعد تلك الفصاحة التي كانت
تفيض على لسانه وتلك الغيرة التي كانت تفيض من قلبه فقال
له الوزير :

أصبت يا مصطفى فيما قلت . ولا تنس أيضا أن أمما من
أمم أوروبا لم تصل إلى ما وصلت إليه اليوم إلا بعد أن أهرقت
دماءهم في سبيل الحرية فسرت في الحقول ومنها تغذت
النباتات التي يأكلونها وبها تضحخت الأرض التي يسكنونها .
فذلك الدم الذي يجري في عروقهم سواء كان من النباتات أو
من أصولهم إنما هو دم الحرية المشتراة بالانفس ودم المجد المقدي
بالأرواح . واني يا بني أتمنى من صميم قوادي أن يكون كل
الذين يسافرون إلى أوروبا من أبناء مصر مثلك يفاوضون
على الحقائق ليعودوا إلى وطنهم المحبوب مزودين بها ويطالبون
بمقوق البلاد لا يخشون مستبدا غاشما ولا يخافون مقتصبا ظالما
ثم قال له : هل كان في جيبيك نقود كثيرة عند

ما سافرت ??

فأجابه : نعم . فقد أعطاني أخي الذي يحبني حبا جماً فوق
ما كنت أريد من المال حتى انى عدت ومعى الشئ الكثير
مما أخذت مع أنى قضيت مدة اقامتى هناك فى أحسن
الفنادق وركبت فى زهابى وايايى أحسن البواخر فضلاً عن
انى اقتنيت كثيراً من نفائس الكتب التى تعيننى فيما أنا بصدد
ولم أتفق فى غير ذلك درهما لانى طالب علم وأدب لا عاشق
لهو وطرب

فارتاح ضمير ذلك الوزير الكبير لهذا الكلام العذب
وقص على الحاضرين حكاية تشبه ما سمعوه فقال :
« أرسلتنى الحكومة المصرية فى عهد المغفور له محمد
على باشا رأس الأُسرة الخديوية مع من أرسلت الى أوروبا
لأدرس فنون أركان الحرب وجعلت لى مرتباً شهرياً قدره
أربعمائة فرنك فكنت أحمل فى جيبى مئتين وأبعث الى أهلى
بالمئتين الأخرين ولما وجدت النقود كثيرة فى جيبى ملت
الى رؤية محلات اللهو وكاد الشيطان يوقعنى فى شركها
فقصدت مدير الأرسالية فى الحال وسألته أن ينقص مرتبى

لأن كثرة النقود ربما أفسدت عليّ أمرى فضحك المدبر
وقال : « ان العاقل يغلب الشيطان » فاذا كان جييك مملوءاً
بالنقود و ارادتك قوية بحيث تعصم بها نفسك من الزلل
المعرض له من كان مثلك كنت مثال الكمال أما اذا كنت
مستقيماً وأنت صفر اليد من المال فالفضل في هذه الاستقامة
لجيبك لا لرأسك . ثم لم يكدي يمضي على ذلك شهر الا وقد
زيد مرتبي مائة فرنك في الشهر فأصبح خمسمائة فرنك وقد
أدركت أن الاستقامة أكبر رأس مال . وما أعظم رجلا
يملك مالا وعفة في آن . ثم التفت المرحوم الى المترجم وقال له :
انصح لمن تقابله باتباع ما أنت عامل به من هذه النصائح
الحكيمة وقص على اخوانك حكايتي هذه فانما الحسن من
القصص ما كان محيياً للفضيلة مميئالاً للذيلة : ثم أمر وكيله أن يرافق
المترجم الى مكتبته ا لخصوصية ليختار منها أي كتاب شاء فسار
اليها واختار كتاب (تفح الطيب) وانصرف مثنياً شاكراً
مشيعاً بنظرات الاكبار

أَعْلَى السِّنِّيَّةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

الْإِفْتِخَارُ

١٨٩٤

في هذه السنة والى الفقيه زيارته لصديقه فؤاد بك
سليم بمنزل المرحوم والده في سوق السلاح حيث كان مجتمع
أعضاء الحزب الوطنى لأنه كان من ذوي النفوس الكبيرة
العالية فضلا عن تضلعه من العلوم والمعارف على اختلاف
أصنافها ونظره البعيد فى عواقب الامور الى ما تحلى به من
الصفات الكريمة والمزايا السامية العظيمة ولأنه (أى المغفور
له لطيف باشا سليم) كان يرى أنه لا بد من تكوين حزب
ينظم يعمل لصالح البلاد ويدافع عن سمعتها وكرامتها أمام
أوروبا عامة وفرنسا خاصة . وكان هذا الحزب العظيم يضم
بين أعضائه الصحافى الماهر والخطيب المنفوه والقاضى العادل
والقانونى البارع وكلهم كانوا من خيرة رجال مصر

فانضم المرحوم الى هذا المجتمع العظيم وهو في السنة
الثامنة عشرة فرحاً مسروراً لانه كان لا يزال من طلاب
العلم وأولئك علماء مشهورون فأخذ يكتب في الجرائد
المقالات وينشر الاحاديث وكانت هذه وتلك شغله الشاغل
وتعرف المرحوم ببعض أفاضل المصريين كسعادة
اسماعيل باشا صبرى الذى كان وكيلاً لمحكمة الاستئناف
الاهلية وقتئذ وأصحاب السعادة الغيورين الامائل محمود
بك سالم الذى كان قاضياً بمحكمة المنصورة المختلطة واسماعيل
بك الشيمى الذى كان قاضياً بها اذ ذلك ومحمد بك مجدى
القاضى بمحكمة الاستئناف الاهلية ومحمد بك فريد أحد
وكلاء النائب العمومى (رئيس الحزب الوطنى الآن) وصاحب
الوجاهة محمود بك أنيس وحضرة المربي الفاضل محمد بك
خلوصى وغيرهم من كبار رجال الحكومة وصفوة رجال
الامة . وتعرف كذلك ببعض أعضاء الشورى كالمرحوم احمد
بك الصوفانى الذى كان وكيلاً للمجلس وقد عرفه المصريون
جميعاً كما عرفه الفقيد وعرفناه رجلاً كبير القلب على المهمة

عظيم الامل كريم السجايا جليل المناقب فاضلا غيوراً ووطنياً
مخلصاً وقد حفظ له التاريخ سيرة عاطرة وصفحة مذهبة وله
من المناضلات لمصلحة الوطن في مجلس الشورى ما يشهد له
بصدق الغيرة وبعد النظر . وتعرف كذلك بنجله الوطني
الماجد والسرى الامثل عبد اللطيف بك الصوفاني الذي
يشبه أباه الشبه كله في صفاته الممتازة . كما عرف غير من
تقدم ذكرهم المرحوم حسن باشا عبد الرازق عضو الشورى
عن مديرية المنيا معرفة وثيقة العرى وطيدة الدعاءم واختلط به
اختلاطاً كبيراً وكان يحترمه كثيراً لانه وقف منه على حقيقة
وطنية باهرة . كان يجتمع بهؤلاء الرجال كلهم أو بعضهم كل
يوم ويناقشهم في مسائل عديدة ولسان حال الجميع اذ ذلك
جريدة (المؤيد) التي كانت الجريدة الاسلامية الوحيدة كما
كانت على جانب عظيم من الوطنية وصدق الجهاد والاخلاص
في الخدمة مدافعة عن مصالح الامة لا بأحرف من مداد بل
بأحرف من نار تارة وبأحرف من نور تارة أخرى
وقد أحبه كل الذين عرفوه وعرفهم على حداته سنة

وكان يقول له أديب وقته المرحوم الشيخ على الليثي انك
أوتيت ذكاء يقرب منك البعيد ويظهر لك الخفي وحجة بها
تسكت من ناقشك وتفهم من جادلك ويقص عليه أحاديث
الصبا وسير عدل الملوك في صفائهم وجورهم في غضبهم ونحو
هذا مما حجب اليه التعلق بكبار الاعمال

وعرف أيضا في تلك الاثناء سعادة الهمام المفضل محمود
باشا شكري فالتقت تفساها وتبادل الاثنان الاحترام: فهذا
يكبر في ذلك وقار الابوة وذاك يكبر في هذا نجابة النبوة

وقد رسم المترجم لنفسه أثناء اختلافه الى من تقدمت
معنا أسماؤهم خطة من يسمع ليتعلم فكان يسمع أحاديثهم طويلا
ولا يتكلم الا قليلا حتى اذا درس الامور ومارس ما هناك
أصبح هو المتكلم وغيره السامع. وقد استفاد فوائد جلية
من هذه المخالفة لان ساعة واحدة في مجلس من أمثال تلك
المجالس تفيد المستفيد مالا يصل اليه في سنين

ومن دلائل ما كان يلقاه منهم جميعا من الاحترام
والاجلال انه كان اذا غاب عنهم أياما قلائل قصدوا بيته

لزيارته كأننا كان لهم قريناً في المدرسة أو رصيفاً في العمل
ولا عجب فان الله تعالى اذا أراد تبجيل امرىء وهبه عقلاً
كبيراً وقلباً شريفاً وروحاً عليّة تحبب الناس فيه وتجذبهم اليه
+ ومما قصه علي رحمه الله أنه كان يأخذ الجرائد معه في
المدرسة وينتهز لقراءتها فرص الفسحة وبعض الحصص حين
يحتدم الجدل والمناقشة بين التلميذ والاستاذ . وقد ناداه
مرة حضرة استاذ الكبير صاحب الفضيلة العلامة الشيخ
حسونه النواوي (شيخ الجامع الازهر حالا) ليفسر قضية
من قضايا الشريعة الاسلامية فاعتذر من عدم الجواب
لاشتغاله بما بين يديه من الجرائد اشتغالا عاقه عن الاصغاء
لصوت حضرته فشى الاستاذ الى حيث كان جالسا وراه منكباً
على مطالعة ما معه فقال له أراك تشتغل بالجرائد كثيراً فهل
تريد أن تكون بعد الدراسة صحافياً فسأله المرحوم المعتبرة
+ ولم ينثن عن متابعة القراءة

وقد وقعت بينه وبين المرحوم حسن باشا عاصم بمنزل
المرحوم لطيف باشا سليم قبيل الامتحان العمومي لمدرسة

الحقوق مناقشة تمسك فيها كل منهما برأيه وغضب له فأسر
عاصم باشا في نفسه أن يعاكس المترجم

ولما جاء الموعد أدى الامتحان في كل علم على ما يرام
ولكنه أعطي في ذلك الفرع درجة لا تؤذن لمن يعطاها
بالانتقال من سنة الى سنة أعلى ولا حظ الاساتذة جميعاً أنه
ظلم ظلماً ميبناً. فأبى شمهه الا أن يترك مدرسة الحقوق
الحدوية ويمضى امتحان السنتين الباقيتين له في مدرسة
الحقوق الفرنسية في سنة واحدة وهي سنة ١٨٩٤ لينال
شهادة الحقوق قبل أقرانه طلاب المدرسة الاميرية بسنة
وكاشف أخاه بهذه النية فأقره عليها على ما فيها من الاضرار
بصحته ولكن الارادة القوية تصنع كل شيء ولا تعوق المرء
عن عمله مهما كلفه من ضياع الصحة والنفيس

ثم قصد السفر الى فرنسا فرافقه الى الاسكندرية يوم
الاحد اول يوليو سنة ١٨٩٤ حضرات أشقائه حسين بك
والمرحوم الدكتور عبد الفتاح فتحى وكاتب هذه السطور
ومعنا الكثيرون من الاقربين والاصدقاء وقد أمضينا

ليلة في الثغر وفي يوم الاثنين ٢ يوليو ركب المترجم احدى
بواخر الشركة الفرنسية قاصداً بلاد الحرية فودعنا وودعنا
داعين له بالنجاح والسعادة

كتب رحمه الله رسالة وهو على ظهر هذه البخرة
بعث بها الى جريدة الاهرام وقد نشرتها بعددها ٤٩٦٧
الصادر في ١٤ يولييه سنة ١٨٩٤ وهذا نصها :

الرسالة الاولى

(البحر)

أودع أوطانا يسوء وداعها
وأترك أمصاراً يسر لقاءها
واركب بحراً بره موطن الندى
وأمته عم البلاد سخاؤها
يذكرني منه الصفاء مراناً
بها نفس ذى الآمال تم صفاؤها

ألا أيها البحر العظيم بنا اتشد
فمصر تجلى للعيون بهاؤها

تمهل فمصر موطن العز والندى
ومصر (أخا النعماء) جم هناؤها

بلادى حماك الله من كل غادر
وأبقاك للدنيا فأنت سناؤها

أغادر منك الشجر والقلب شيق
وعيني يجارى هاطل الغيث ماؤها

فرققا بمن في البر والبحر مخلص
يرى مصر شمساً لا يحاكي ضياؤها

عليك سلامى ياديار تحية
تدوم وأشواقى اليك انتهاؤها

لابدع اذا كانت الاسكندرية بجميل منظرها وجليل
مظهرها تستوقف الابصار عند مفادرتها وتخطف الانظار
ساعة الخروج من بوغازها لاسيما أنظارنا أبناء النيل حيث

تسلب عقولنا وتخلب مداركنا عند مشاهدة ديارنا الزاهية
وربوعنا الباهية تغيب عن أعيننا شيئا فشيئا حتى تختفي تحت
حجاب من الماء سميك وينعدم وجودها من بين الصور
العينية بعد ان كانت واقعة تحت المرأى لا يحجبها عن العيون
حجاب لعمري ان اختفاءها مما يدعو لسكب الدمع وضياع
الرشد وباختفائها تختفي عنا أوطان يعز علينا فراقها فيها
نشأنا ومنها ظهرنا وبخيرها تمتعنا واليهما ترجع آمالنا فهي محط
رحالنا ومقصدنا طول الحياة بها أعز أنواع البشر لدينا وأحبهم
الينا هي بلادنا بلاد الخيرات التي لاتعادلها بلاد ولا تحاكيها
ديار عذب ماؤها عزيز برها نقي هواؤها طيب مناخها
تركنها والحنين عام والحسرة شاملة وودعناها حيث
أودعناها فؤادا مخلصا وقلبا صادقا وسألناها ان تبقى دائما
كما عهدناها شفوقة علينا ذاكرة لنا حتى نعود اليها سالمين كما
غادرناها بنعمة منها وافية

احتجبت عنا هذه المواطن العزيزة بعد ساعتين من
خروج السفينة من البوغاز فأجلنا الطرف في انحاء هذه الباخرة

التي تقلنا فاذا هي كما عهدنا مثلتها في السنة الماضية بلد متسع
يبلغ سكانه نصف ألف فيه كل ما يحتاج اليه الانسان من رفيق
موافق وجليس أنيس وكتاب يشفي الهموم ويطرده الاحزان
وما كل ومشرب كما تهوى نفوس الآكلين والشاربين
ومبيت لا يتعب كثيراً فهي أشبه شيء بجزيرة متحركة يصح
ان يطلق عليها اسم جزيرة الجيرونند وعلى من يسكنها أمة
الجيرونند (باسم الباخرة) الا أنها أمة مختلطة يستحيل أن
تربطها رابطة من الروابط غير رابطة دوار البحر ولعب
الاحشاء ولكن الباخرة على كمال استعدادها بها عيب عظيم
وأظنه عاماً في كل الجوارى المنشآت وهو أنها متى
توسطت هذا البحر المتلاطم بالامواج لعبت ذات اليمين
و ذات الشمال كما تلعب الارجوحة بالاطفال وبلعبها تلعب
أمعاء من أقلته من ذكر وأنثى

وليعذرني القارئ الكريم اذا لم أستطع تشيل حالة البحر
في اليوم الاول وفي نصف الثاني فقد كان شديد الموج عظيم
الريح مضطرب الحركة قوى السلطان لم يصف لحظة من

اللحظات بل دام يصعد بالبخارة نحو السماء فلا ترى الاماء
وينزل بها نحو الماء فلا ترى الاسماء حتى أذعن كل السكان
الى دواره وناموا متفرقين بعضهم على السطح والبعض
الآخر في غرف النوم ان رأيتهم حسبتهم سكارى وما هم
بسكارى ولكنهم في بحار الدوار تائهون لا حراك بهم ولا هم
يفقهون

تلك حالة أغلب السياح في اليوم الاول وفي شطر من
الثاني والجارية لا يراها من عوالم الوجود الا عالم الماء والسماء
وما انتصف يوم الاثنين وأخذت الغزالة تبعث أشعتها
العمودية حتى ظهرت جزيرة كريد بجبالها الشائخة المتوجة
بالثلج المستديم الذي يراه الساح وقت الظهر وقد انعكست
عليه أشعة الشمس الذهبية كأنه جبل من التبر الخالص
وقد دنت لنا هذه الجزيرة الغنية بشهرتها وثروتها عن
الذكر فسرحنافها الطرف وأجلنا النظر والبحر بجوارها على
أتم سكينه ونحن في حماها على أكل نعمة
وما احتجبت عن النواظر حتى غربت الشمس بعد

تردها المعهود واحمرارها المشهود وقد استمر ليل هذا
اليوم الثاني مخلصاً في وداده رؤوفاً في معاملته ولم يكفه رعاه
الله لطفه الذي حمدناه عليه الحمد الجزيل بل أوصى علينا اليوم
الثالث فظهر كريم السجايا جميل العواطف رخاء ريحه صحو
جوه ساكن ماؤه يكاد ينسينا ما لا قيناه من شديد التعب
وعظيم النصب

وفي هذا اليوم الذي نعدده نعمة كبرى علينا ظهرت خلائق
كان اخفاها الدوار في غرف النوم وكلها آمنة مستبشرة
آمنة مطمئنة لا شيء يكدرها سوى ذكر اليوم الاول وصبيحة
الثاني ولهذا نرى معنى جواب كل فرد منهم ان سألتهم عما
لقي من النصب

هول شديد مضى ما عدت أذكره

طول الحياة لثيلاً يرجع الكدر
دليل على ما كان من الهول الهائل ولكنه والحمد لله
قد فات ولا شك ان ما فات يدخل في عداد الرفاة لا بعثه
الله ولا أحياه . وهنا يرى الانسان حقيقة جلال هذا البحر

المتسع الارحاء البعيد الانحاء الحقيق بان يسمى صحارى الماء
(كما يسميه أفاضل الشعراء)

وإذا كان شاعر فرنسا الشهير (لامارتين) يسمى البحار
مقلدة الطبيعة لانها من وجهها كالعين من وجه الانسان فلا
شك ان البحر الابيض المتوسط أحق من سواه بان يكون
سواد هذه المقلدة العظمى لانه أعظم البحار أهمية واكبرها
فائدة وتفعلاً لما له من الايادي البيضاء على بني الانسان فهو
رائد التجارة وقائد الامم لطرق الحضارة وأصل شجرة التمدن
الذي يتكرم باهداء ثمرتها النضرة للبلدان التي يختارها حسب
ما يرى عند افراد الامم من نشاط وغيره.

أذكر ذلك وآسف شديد الاسف من أن هذا البحر
العزيز الخيرات صاحب القوة والملك الكبير غضب على وطننا
العزيز غضباً طويلاً فلم يعترف لابنائنا بفضل ولم يشهد لهم
بكمال حتى يهبنا الحربة الحقيقية والمدنية الصادقة ويعيد
لنا مآفات في سالف الاوقات من المجد الكبير والمقام
الخطير ولعلنا ننظر لهذا الداء بعين الاعتبار فنداويه بانحدانا

ولاشك أن الاتحاد مصدر القوة وعنوان الاستقلال
وقد دام البحر هكذا ساكناً هادئاً يرينا من أنواع
السرور ما لم نكن نظن رؤيته قبل هذا اليوم السعيد وقد
توج ليله البهى بعد أن أرانا شواطئ إيطاليا الجميلة بمرورنا
من بوغاز (مسينا) حيث لقينا منه منظرًا بحريًا جميلًا وبوغازًا
خلق على أبداع مثال حليته مدينتان متقابلتان مدينة مسينا
ومدينة (رجيو) يراها المار ليلًا كأنهما عروسان عليهما من
الحلال والحلي ما يبهج الناظرين ويبهر الرائيين وقد ظهرت
تشاطران الخلال وتنافسان في الحسن والجمال تسطم منهما
الأنوار وهي كالدر المرصع أو كالنجوم الزاهرة في السماء
تركناهما بعد أن متعنا النظر برؤيتهما ساعة كاملة كأننا فيها
موضوع الإعجاب بجمالهما الفريد وحسنهما البديع
وأما اليوم الرابع فكانه قام ينافس أمسه ويعاهدنا على
حال أكثر اعتدالا وأعظم جمالا فأصبح لجة من الماء ساكنة
يشقها البخار شقًا ويقطعها قطعًا دون أن تبدى حراكا ولكنه
مهما بالغ في الأكرام وأحسن في الضيافة فالفضل للمتقدم

ولولا الثلاثاء ما رأينا الأربعاء
وأما يومنا هذا خاتمة أيام البحر فمعتدل الهواء صحو
الجو والسماء عديم الموج ساكن الماء ليس بأقل من سابقه
لطفنا وحسنا مررنا في صبيحته من بوغاز (بونيفاسيو)
وشاهدنا شواطئ جزيرتي قورصا وسردينيا
وهانحن الآن امام شواطئ فرنسا البديعة الجمال ولم
يبق الا القليل حتى نهاجر من هذه الجزيرة المتحركة الى تلك
الارض الثابتة التي عرفناها أرض الجمال والبهاء ذات الهيئات
الطبيعية الجمّة والمحسن العديدة

هذه جملة تقدمها للقراء الكرام على البحر وما رأينا
فيه من بؤس وأنس ولم يكن يسلينا فيه شيء آخر سوى
قراءة بعض الكتب ومشاهدة الجزر المختلفة والسفن
المتنوعة التي كانت تمر على مقربة منا

أما منظر شروق الشمس وغروبها فقد كان من أجمل
المناظر التي بهرت السياح في أيام الصفاء
وأما اشتياق الجميع لقراءة الجرائد فهو يفوق كل اشتياق

مما يدل على انها أصبحت لازمة من أم لوازم الوجود التي
لامندوحة عنها وباليت للباخرة جريدة (ولو هزلية) تسلينا
عن مطالعة الجرائد السياسية وقد ابتعدنا خمسة أيام كاملاً
عن أخبار المعمورة بأسرها فلاندرى منها شيئاً ما «

كتب بياخرة الجيروندي في ٥ يوليو سنة ١٨٩٤

(مصطفى كامل)

صاحب جريدة المدرسة

*
* *

ماشرت هذه الرسالة حتى أخذ أصدقاؤه يعجبون به
اعجاباً كبيراً وينتظرون من مواهبه العالية أن يقوم لبلاده
بأعظم خدمة كما ان كل مصرى كان يترقب جريدة الاهرام
ليقرأ فيها رسائله التي فيها معنى الحياة وروح الصدق وقوة
الشهامة ومحبة الاوطان

نبح رحمه الله في ١٤ يولييه سنة ١٨٩٤ في امتحان السنة
الثانية بمدرسة الحقوق وقد جاءنا منه تلغرافا يعرب عن
هذا النجاح فحمدنا الله على ذلك وسألناه ان يهبه من لده فوزاً ميمناً

وقد نشرت جريدة الاهرام نبأ هذا النجاح بمحليات
عددتها ٤٩٧٦ الصادر في يوم الاربعاء ٢٥ يونيه سنة ١٨٩٤
وهذا نصه :

« جاءنا من باريز ان حضرة الاديب البارع مصطفى
أفندي كامل صاحب جريدة المدرسة قد أتم امتحانه الثاني
في علم الحقوق بنجاح باهر يشهد بكائه واجتهاده ويسر جميع
أصدقائه فمننا لحضرتة خالص التهنية »

وقد أرسل لجريدة الاهرام الرسالة الثانية من رسائل
سياحته في هذا الصيف فنشرتها في عدديها ٤٩٧٢ و ٤٩٧٣
الصادرين في ٢٠ و ٢١ يوليه من السنة المذكورة وهذا نصها

الرسالة الثانية

﴿ معرض ليون ﴾

« بلغت هذه العاصمة البديعة مساء السبت بعد ان
تركت البحر في منتصف ليلة الجمعة حيث تركت فيه العناء
والنصب وطلبت الراحة في نزل بلغ من جمال الرونق وحسن

الوضع مبلغاً كبيراً فقضيت فيه الليلة حتى اذا ما اشرق وجه
الارض قصدت المحطة ومنها سافرت على القطار السريع
قاصداً مدينة ليون مركز المعرض الدولي الاستعماري الذي
ذهب من أجله أطيب الفرنسيين عناصر فريسة الفوضى
وقد وصلتها في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة ولبثت
فيها يوماً كاملاً لازمني فيه ما جد من أفاضل المصريين تمكنت
معه من زيارة المعرض زيارة تامة كشفت لي القناع عن بعض
أسراره العديدة التي تطلب للوقوف عليها كلها أياماً معدودات
وقد أعجبنى من هذا المعرض الفريد كل شئ فيه فلم يلح
لي انتقاد ما بل رأيت كاه محكماً في صنعه مرتباً في وضعه يسر
الناظرين ويرضى العارضين

وبما أنني فرضت على نفسي الكتابة في سياحتي وتصوير
ما يراه العيان الى القراء الكرام تصويراً يظهر لهم حالة المدينة
الاوروبية والحضارة الغربية رأيت أن أخصص رسالتي هذه
للكلام على المعرض بغاية الانجاز لان المقام لا يدعو
الى الاطناب

معرض ليون هذا موضوع في حديقة مجاورة للمدينة هي عادة متنزه سكان ليون وفي وسطها بحيرة جميلة يسمونها بحيرة التيت دور (رأس الذهب) فيها جزر صغيرة غاية في البهجة والحسن وقد وضع المعرض بكيفية بها جاءت هذه البحيرة في وسطه فصارت بهجته كما أنها بهجة الحديقة

فمتى وقف الانسان أمامه رأى بابه ضخماً عظيماً مكوناً من عمودين أتقن صنعهما بحيث ان الرأي لهما يحكم قبل دخول المعرض أنه من الاهمية بمكان وبجوار الباب يرى تمثالاً أقيم لآباء نهر الرون (الذي عليه مدينة ليون) الذين أحسنوا الدفاع عن الاوطان في حرب السبعين

ومتى دخل الزائر من هذا الباب العظيم يرى أمامه البحيرة وعلى يمينه سبلا عديدة وعلى يساره شارعاً متسعاً أما جهة اليمين ففيها المعرض الصناعي التجاري الدولي وأما جهة الشمال ففيها المعرض الاستعماري

ولنزرأولاً معرض اليمين ثم تتبع زيارته زيارة معرض الشمال متى جعل الانسان أمامه البحيرة وخلفه الباب رأى على

يمينه كما قلنا جملة سبل بينها طريق متسع عظيم هو طريق
معرض اليمين ولا يلبث الزائر ماشيا فيه حتى يرى من الجانبين
أبنية مرتفعة ومساكن مختلفة أوالوسط فيرى فيه فسقية في
غاية الظرف بها تماثيل مصنوعة تخرج من أفواهها المياه بشكل
بديع ومنظر جميل وهناترى أمامك قبة عالية هي بيت القصيد
بل هي الغرض المقصود بالذات وأماما بقي فزوائد أضيفت كحلية
ولننظر قبل الوصول إليها فيما على يميننا وما على يسارنا
أما اليمين فأهم ما به معرض صيني وياباني صغير به مصنوعات
الصين واليابان ما تعودنا رؤيته في بلادنا من الاقشة البهية
ذات النقوش البديعة المصورة لاهلها آكلين متخاطبين
متزهين وما يشابه ذلك من بدائع الشرق الاقصى
وبجانبه معرض الفنون الدينية وبه من الكتب والصور
والتماثيل ما يضيق العد عن حصره . وخلفه قبة طيارة تصعد
الى السماء بمن يريد من الزوار رؤية المعرض كاه مرة واحدة
ومشاهدة منظره من أعلى . وأما جهة الشمال فأجسدر شيء
بالذكر فيها قسم مدينة باريز ومدينة ليون ونهر الرون

أما قسم مدينة باريز ففيه معرض المصنوعات المدرسية
والاشغال الدراسية ومن جملة العدد والآلات الطيبة التي
بجوارها رجل من الشمع جالس على كرسي وأمامه مرآة
يحسبه الزائر حيا وهو في الحقيقة ميت محنط . وقد زرت
هذا المعرض في الصباح وكنت وحدي داخل القاعة فحسبت
هذا الرجل حارساً للمكان ولكني بعد ان زرت كلما بالقاعة
رأيتة كما هو لا يبيدي حرا كما فأخذت أتقدم منه شيئا فشيئا
وهو لا يتحرك مطلقاً حتى صرت بجواره فسألته بالفرنساوية
عن متوسط عدد الزوار في اليوم فلم يجب فامسته بيدي فلم
يتحرك فعلمت عندئذ انه ليس بحي وانما هو شبه حي فتركته
وخرجت معجباً بقوة التخيط التي جعلتني أحسب الميت حيا
مدة ساعة من الزمان

وأما قسم مدينة ليون ونهر الرون فاحسن ما بهما المعرض
التاريخي للمدينة ومعرض مدرسة الفنون الجميلة المشتغل على
مدرسة العمي والخرس بما فيه من كتب تعليمهم وألواحهم
التي يقرأون فيها وهنا نرى تمثال شاب أعشى يكتب وآخر

واضعاً يده على البيانو

ويلي معرض العمي والخرس معرض الحديقة النباتية
المدرسي لمدينة ليون فمعرض مدرسة الزراعة ومدرسة الطب
فمعرض مدرسة التجارة العليا وتنتهي هذه المعارض كلها
بمعرض مدرسة المارتينيز البالغ من الجمال أحسن مبلغ فترى
باحدي جهاته تلامذة من الخشب في غاية التناسب جالسين
على كراسيهم وييدم الكراسيات يكتبون عليها ما يلقى عليهم
الاستاذ وفي جهة أخرى ترى تلامذة يحضرون الاحماض
والغازات ومدرس الكيمياء يلاحظهم الى غير ذلك مما يسر
الزائر عموماً والمشتغلين بالتعلم والعلم خصوصاً

وبجوار هذا المعرض ترى محلاً لاصحاب الجرائد به
صور المشاهير منهم وخلفه مكتبا للبريد والتلغراف

متى زرت كل هذه المعارض وأتممت زيارة مدينة ليون
ونهر الرون ترى نفسك واقفا امام القبة الكبيرة المشتملة
في باطنها على المعروضات الحقيقية المختلفة الانواع والاجناس
ومتى جعلها الزائر وجهته يري منها صنعا بديعاً يشهد للصناعة

بالخطوة البعيدة والشأو الكبير . فما هذا الرتاج الكبير المحكم
البرقع المتقن الصنع الذي من وراء رؤيته الحيرة العظمى بل
ما هذه القبة العالية البنيان المشيدة الاركان الدالة بأظهر بيان
على مقدرة يد الانسان . قبة فريدة في جمالها وحيده
في جلالها حوت من المعروضات البدائع والغرائب
واشتملت على المعجزات والعجائب فلتفتخر مدينة ليون بقبتها
التي أصبحت تنافس من باريز برج اينفل

ولعمري انها لآية من الآيات التي يعجز قلبي عن
توفيتها حقها وتقديرها حق قدرها

وهذه القبة دائرة محيطها واسع داخلها خمس دوائر
متوازية متناسبة مع بعضها كل التناسب في وسطها فسقية جميلة
يرتفع في مركزها عمود أحسن تشييده يصل الى نصف فراغ القبة
وهي تنقسم الى ستة عشر قسماً في كل قسم منها معرض
قائم بذاته نكتفي هنا بذكر هذه المعارض تاركين التفصيل
لوقت آخر

اول المعارض الجزئية معرض الحرير ولا يخفى

على القارىء اللبيب ان مدينة ليون هي أشهر مدن الدنيا
بمنسوجاتها الخربية فلذلك لا يلزمنى أن أقول ان هذا
المعرض هو أجمل شيء في مجموعة المعرض الليونى او أن
وجود نظيره في معرض آخر من المستحيلات . ويليه معرض
الملابس ومتعلقاتها فمعرض الصباغة فمعرض الاوراق والطباعة
فمعرض الفوتوغرافية والموسيقى فمعرض العجلات والنفولوسبيد
فمعرض انكيميا وآلاتها المتنوعة فمعرض العدد والآلات
فمعرض المعادن فمعرض الميكانيكة العامة فمعرض الاواني
فمعرض الاثاث فمعرض الاغذية فمعرض التقطير فمعرض
الانسجة

هذه هي المعارض الجزئية المشتملة عليها القبة الفريدة
ولا شك أن الزائر يندهش من جسامه هذه المعارض كلها
لا سيما عند زيارته لمعرض الحرير فانه يرى حقيقة أهمية مدينة
ليون وكيف أنها تفوق مدن ايطاليا والنمسا وغيرها في
صناعة الحرير بصناعتها المنفردين بهذه الصنعة الجميلة وآلاتها
المتعددة التي لا توجد في غيرها من المدائن وخارج القبة محل

للموسيقى وجملة قهوات ومطاعم معدة للزائرين
وخلف القبة رأيت أشياء جمّة أهمها معرض (جاكار)
وجاكار هذا هو مخترع آلة نسيج الحرير فهو صاحب اليد
البيضاء على مدينة ليون بل على العالم أجمع يراه الزائر في اول
منظر وهو يشتغل بتحسين آلة النسيج اختراعه ويراه في منظر
ثان جالسا على كرسية يندب ابنه الذي قتل مدافعا عن وطنه
وفي منظر ثالث يراه واقفا والصناع تريد قتله والقائه في
نهر الرون لانه باختراعه آلة النسيج حرّمهم من كسب معاشهم
فبعضهم قابض عليه والبعض الآخر يضربه بالحجارة وبينهم
بنت تريد طعنه بخنجرها وخلف الجميع صديق له يريد تخليصه
من بين أيديهم مما يثبت قول علماء الاقتصاد السياسي من ان
الاختراع تقلل عدد الصناع وان الصناع أعداء الاختراع
وفي منظر اخير ترى جاكار واقفا في حجرته الصغيرة
الحقيرة يستقبل لآزار كارنو الشهير (جد فقيد فرنسا سدى
كارنو أحد رؤساء الجمهورية) مما يبرهن على ان رجال
الصناعة والاختراع هم دائما موضوع التجلة والاحترام

وفي كل هذه المناظر الاربعة الصور مصنوعة من الشمع
المضاء بالكهرباء وغير هذا المعرض معرض المساعدة العمومية
والاقتصاد الاجتماعي ومعرض الالات الزراعية التي ترى بجواره
ملبناً به ثور من غرائب المخلوقات يزن وحده ٣٥٠٠ كيلوجرام
ومما يحاكي هذه المعارض الصغيرة من الالهية معرض
السكك الحديدية وبه ترى الشريط الحديدي والقطارات مختلفة
وكذلك معرض الفحم الحجري ملك شركة (لالوار)
فانه في غاية الالهية ويسر النزول في باطنه ولكنه يتعب النفس
ويوجد غير هذه المعارض معارض أخرى متفرقة حول
القبة الجامعة لم أزرها لضيق الوقت ولعدم أهميتها
ولنتقل الآن الى المعرض الاستعماري . لاشك انه
يحق لأبناء فرنسا عند زيارة هذا المعرض الاستعماري ان
يظفروا بخارهم بأوطانهم ولاغرو ان ازدادت محبتهم لبلادهم
برؤية أملاكهم ومستعمراتهم فهم يرون فيه حقيقة قوتهم
وكبير فتوحاتهم وعظيم نصراتهم كما انه يحق للشرقي عند
زيارة هذا المعرض ان يبكي بلاده وأوطانه ويندب قومه

وعشيرته ويأسف على بلاد ضاعت من يد أبنائها بالحق
والحسد وذهبت غنيمة الغريب بسبب الفشل وحب الذات
المستحکم بين أهلها القائم بقيام الليل والنهار بين أفرادها أقول
ذلك ولا أنكر على القارئ الكريم أسنى وحزني عند رؤية
هذا المعرض الاستعماري وان كنت رأيت منه معرضاً جميلاً
جليلاً حقيقياً بالرؤية والزيارة

وكما ان أبناء فرنسا يفرحون برؤيته وأبناء الشرق
يحزنون لرؤيته فلا عجب اذا اشتركت الفلاسفة مع أبناء
الشرق في حزنهم وأسفهم فهم يرون دائماً في الفتوح جريمة
لا تغتفر وفي الاستعمار اثمًا يبقى مابقيت الساعات والايام

معرض الاستعمار الذي وقفنا امام جسامته ونخامته
موضوع على شارع واحد بحيث يسهل على الزائر رؤيته
بدون تعب وانتقال كبير وأول ما يرى فيه سراى الجزائر
وهي بشكلها العربي الجميل وهيئتها الشرقية البديعة تشمل
على أنواع الصوف والرخام والجلود والابسطة والثمار
والحبوب الجزائرية وعلى ما في هذه البلاد من الاخشاب

المتنوعة النفيسة وتحتوى على الاسلحة العربية والطيور
الشرقية المصبرة والاقمشة البهية . وهذه السراى بنيت على
مثال سراى (مصطفى باشا) أحد حكام الجزائر السالفين
والحاكم العام يقيم بها الآن فى زمن الصيف
وعلى باب السراى رأيت الحرس من الجزائر وقد
تكلمت معهم بالعربية فأول شىء سألوني عنه تقليدنا للافرنج
فى الملابس فأجبتهم جواباً فى الحقيقة غير مقنع وتركتم
وخرجت

وبجوار السراى سوق يبيع فيها بعض الجزائرىن أقمشة
وأشياء متنوعة جزائرية

ويلى هذه السراى سراى المستعمرات الصغيرة وهى
تشتمل على معروضات السودان والكونغو وغينا والجوادلوب
وليس بها شىء مهم يستحق الذكر بل كل ما فيها أمتعة
سودانية كالمعهودة لدينا

وتأتى بعدها سراى تونس وهى عربية الشكل جميلة
الوضع بجوار بابها مأذنة فى غاية الظرف ومعروضاتها الأختلاف

كثيراً عن معروضات سراى الجزائر
وبجوارها خيام عربية بها العرب جالسون وبجانبهم
الجمال كأنهم فى الصحراء
وامام سراى تونس ترى تهوة رقص تونسية زرتها فى
الليل فلم أر فيها الا كل قبيح مستهجن
ويلى السراى التونسية سراى الانام التونكين وهي
سراى حمراء جميلة جداً مرسوم عليها صور القبيلة الضخمة
وحراسها من الاناميين (وهم يختلفون كثيراً فى تقطيع الخلقه
عن الصينيين) ويشاهد الزائر لهذه السراى فى جهة اليمين
المنسوجات والحبوب وانواع العاج معروضه بترتيب حسن
وفى الوسط المكتبة الاستماريه الجامعة لكل المؤلفات
والتقارير المتعلقة بالمستعمرات وقد استفدت من زيارتها جملة
فوائد. وفى جهة الشمال يرى معرض الكمبونج وبه من أنواع
الحرير والدخان وخشب الصبائنه والاسلحة والعاج وأجلة
القبيلة ما يدهش الا نظار ويزيد فى تيار الافكار
وبجوار سراى الانام التونكين يوجد محل اتحاد نساء

فرنسا العام وبه ترى الخيام مضروبة والاسرة موضوعة في
عربات المرضى المختلفة. وعلى جانبه يرى الزائر ثلاث قناطر في
غاية الرونق والبهاء

أولها منظر حرب الليل بين الالمان والفرنساويين سنة
السبعين وبه يرى الانسان القتلى والجرحى مصورين وهم
عديدون والقوم يقتلون كالوحوش وربما قتل الجندي أخاه
الذي من جنسه ظاناً أنه عدوه مما توجه نفس كل امرئ عرف
ماهية الانسانية

وثانيها منظر واقعة دجبا وهي الواقعة الشهيرة التي سالت
فيها الدماء أنهاراً بين فرنساويين والداهوميين وقتل فيها
القائد الطائر الصيت (فوراكس) وبها ترى العبيد وهم
كالوحوش بل أضل منها يهجمون على كل شيء امامهم حتى
على المدافع لا يرهبون النار ولا يخافون الموت والفرنساويون
امامهم لا ييأسون بل يطعنونهم الطعن البليغ في كل جزء
من الجسم والدم يسيل من كل الجهات بحيث ان المشاهد
لهذا المنظر لا بد ان يعترف في الحال بان لامدنية في

الوجود ولا حضارة في المجتمع البشرى مادام الناس هكذا
يفترس بعضهم البعض الآخر

وفي أسفل هذا المنظر ترى يهتزن مصورا في جهة
جالسا على كرسيه ورجاله وأتباعه من حوله وفي جهة أخرى
تراه يقتل أمه لتذهب الى الجحيم وتخبز أباه بأنه سيسلم نفسه
للفرنساويين

وثالثها منظر تتويج قيصر روسيا وهو منظر جميل جدا
ترى فيه القيصر واقفاً والتاج على رأسه وخلفه أعضاء عائلته
الملوكية وأمامه القسيس الأكبر وبجواره عظماء رجال الدولة
والخلق مزدحم والجنود مصطفى بكثرة على أتم نظام مما يمثل
هذا التويج كمال التمثيل

وبعد رؤية هذه المناظر البهية المنارة كلها بالنور الكهربائي
يحسب الانسان نفسه انه انتقل الى الشرق حيث يرى أمامه
قرية عربية وملعبا تركيا يشبه ملعب عبد العزيز كمال الشبه
ويرى بجوارهما مكانا أشبه بسكة تمبكتو وهي عبارة عن شريط
من الحديد على شكل دائرة وعليه عربات كبيرة تجرها أفيال

من الخشب يحسبها الزائر أفيلا حقيقية تجر العربات ولكنها
تسير بفعل الكهرباء

ويلى هذه السكة الحديدية قرية سودانية متى دخلتها
حسبت انك في وسط السودان والاطفال (السود طبعاً)
تأتيك وتسلم عليك بكل لطف وبشاشة ولكنك لا تلبث
قليلاً حتى تندهش عندما ترى الكثير منهم يكلمك بالفرنساوية
وينطقها بمنطق لطيف يستوجب الغرابة لاسيما متى علمت انهم
لم يتعلموا كل ذلك الا في زمن المعرض وعلى يمين هذه القرية
قرى أخرى داهومية وسنغالية وأمامها قرية أنامية وملعب
أنامى لم أسعد برؤيته لأنى زرته وقت الظهر أى قبيل سفري
الى باريز بساعتين حيث كان الاهلون يأكلون وقد شاهدت
أكلهم العجيب لاسيما كل الارز وهو من الغرابة بمكان

الى هنا يقف القلم عن التحرير لان ما ذكر وحده يكفي
لمعرفة قدر هذا المعرض الفريد الناض بالعجائب والغرائب
ولست بدا كرجماله فى الليل وهو مضاء بالكهرباء
من اوله الى آخره ولا عربات الترمواى الجميلة التى تقطعه من

مشرقه الى مغربه ومن شماله جنوبه ولا أزهاره وأشجاره
البيدة المتعددة فان كل ذلك وما يشابهه يدل على نغامته
وعظمته المعروضة للقراء الكرام

ولم أستطع في اليوم الذي أقمته بهذه المدينة التي تعدتانية
باريز رؤية شيء آخر غير المعرض الا مقتل رئيس الجمهورية
فقد شاهدته ساعة سفري ووقفت به لحظة تخيلات فيها الرجل
البريء المحبوب راكباً عربته والشقي كازيريوها جاعاً عليه بخنجره
والدم يسيل منه وهو دم اخلاص الوطن ومحبة الشعب
الطاهرة وهنا سنحت لي فكرة وهي انه ان دام الحال على
هذا المنوال فلا شك ان القرن العشرين سيكون مسرحاً
لفظائع القوضيين ومجالاً لأعمالهم التي رأينا مقدماتها ولسنا
ندري ماذا تكون نتائجها والسلام

ليون في ١٢ يوليو سنة ١٨٩٤ مصطفى كامل «



وقد أعجب الناس بهذه الرسالة الثانية اعجاباً كبيراً
وأخذ اسمه يذكر في المجالس بالاجلال والاعجاب . ومامر

أسبوع آخر حتى نشرت الاهرام الرسالة الثالثة في عدديها
٤٩٨١ — ٤٩٨٤ بتاريخ ٣١ يوليه و٣ أغسطس من السنة
المذكورة وهذا نصها

الرسالة الثالثة

﴿ بلجيكا وعاصمتها ﴾

« بلاد البلجيكا هي من البلاد الصغيرة التي اشتهرت في
الوجود بموقعها الجغرافي الجميل الذي جعلها ميدانا تتسابق فيه
رجال التجارة والصناعة فلذا كانت أول بلاد في العالم مزدهمة
باختلاف حيث فيها مع صغر مساحتها ستة ملايين من الاقنص
أى ما يقرب من سكان القطر المصرى ولتجارتها وصناعاتها شهرة
ذائعة وصيت بعيد وبها من معامل الحديد والقحم الحجرى
والورق ما لا يعد ولا يحصى وبها من أشياء الزخرف
ما زدهمت به سفن التجارة البحرية السابحة بين شواطئها
وشواطئ هولانده والدنمرك وانكلترا

وبالجملة فداخلها مجال المجارة والتسابق فى التجارة

والصناعة وشواطئها مرسى السفن العديدة التي تنقل منها
الى البلاد الاخرى ما اشهر من بضائعها بالحسن والاتقان
وهي كسائر البلاد البحرية ذات حمامات جميلة بل تمتاز
عن جميعها بحمامات أوستند التي ينزل بها في فصل الصيف
أعظم الملوك والامراء وأكبر الموسرين والاعنياء طلباً
للمتعة برياضها ومشاهدة مناظرها الجميلة وحباً في استنشاق
هوائها والترويض في رياضها الفيحاء فهي سلاية للب من
زارها خلاية لعقل من حل وأقام بربوعها وقد عشقها ليوبولد
لاول ملك بلجيكا السابق فبنى فيها قصراً بالغ الكتاب في
وصفه وتبيان وضعه وحسنه

وقد بلغ أهل هذه البلاد البلجيكية من ديانة الاخلاق
ووداعة الطباع مبلغاً ميزهم عن سائر الامم الاوروبية وجعلهم
محبوبين مكرمين بين الجميع فتراهم يعززون الزائر لديارهم
ويبالغون في اكرامه حتى يدفعه حسن الاستقبال الى طول
الاقامة في بلادهم والاستئناس بهم وبمعاشرتهم وهم يتكلم
أكثرهم اللغة الفرنسية ويحبون الفرنسيين حباً يضعهم

في مقدمة المخلصين لحكومة الجمهورية المعترفین بخدمتها للعلم
والاختراع

واني أرى ان حبههم للفرنسيس يعد واجبا من أقدم
واجباتهم فلطالما نصرتهم فرنسا وأعلنت من شأنهم وخدمت
بلادهم في القرون الخالية وفي هذا القرن الحاضر الذي لم تتم
السنة الثلاثون فيه حتى كانت بلجيكا دولة مستقلة ومملكة
منظمة قائمة بذاتها بعد ان رأت من الهولانديين أنواع العذاب
عاشت بلاد بلجيكا دهرا طويلا تحت سلطة الرومانيين
والفرنساويين والاسبانيين وتجزأت مقاطعات صغيرة حينما
من الزمن ثم عادت لفرنسا بعد ثورة ١٧٨٩ ودامت خاضعة
لسلطتها الى ان فصلتها عنها معاهدة فيينا سنة ١٨١٥ وضمها
لهولاندة يحكمها أميرها وتوسطها قوانينها ونواميسها الى أن
قامت عام ١٨٣٠ كما يقوم الأسد بعد طويل نومه وعميق رقابه
وثارت على الظلمة حكاهما مطالبة بحريتها وحقوقها التي سنها
لها ناموس الوجود وقانون المعيشة والحياة
وقد رأت عندئذ من فرنسا العضد القوي والسند المتين

فهي التي سعت لها عند الدول حتى وهبتها الاستقلال التام
والحرية الكاملة وذلك بمقتضى مؤتمر عقد بمدينة لندن عام
١٨٣٠ ومن هذا الحين ظهرت الدولة الباجيكية بين الدول
الاوربية دستورية حيث أصبحت كأتم الدول نظاماً لها مجلس
شيوخ ومجلس نواب ومحاكم منتظمة نبراسها العدالة ووجهتها
الحق والانصاف

ومن يوم ان تم لها هذا الظفر العظيم ابتداء الباجيكيون
في تنظيم بلادهم كما تهوى نفوسهم وقد تم لهم ذلك حتى
أصبحت كل مدينة من مدائنهم قررة النواظر ومسرة الخواطر
وأخصها بالذكر مدينة بروكسل عاصمتهم ومحط رحالهم فلقد
بلغت من النظافة وحسن الرونق مبلغ باريز على عظمها وكبرها
وتفردها بين مثيلاتها بالحسن والجمال ولذلك يسميها أهلها
وأغلب زائريها باريز الصغرى أو بنت باريز

وصاتها بعد ان تركت العاصمة الكبرى بست ساعات
ومعى فاضل من كرام الشبان فرأينا منها عاصمة حقيقة
بالزيارة فسيحة شوارعها متوسطة الارتفاع مساكنها جميلة

آثارها شماء تناطح في علوها السماء بها من الرياض والحدائق
من الشمال الى الجنوب . ومن الشرق الى الغرب خطوط
السكة الحديدية وعربات الترامواي وبالجملة فهي مدينة
بديعة في جمالها رشيقة في حسنها واعتدالها لا يرتاب السائح
ان رآها في انها قطعة من باريز لولا هدوء حركاتها وسكون
تجارتها في أم أقسامها

وهي تنقسم الى قسمين كبيرين أو الى مدينتين متميزتين
الاولى المدينة المنخفضة أو القديمة وفيها مركز التجارة
والصناعة والثانية العالية أو الحديثة وبها مساكن العائلات
الشريفة ومنازل كبار الموظفين وسائر الاغنياء وفي منتصفها
متنزه جميل به فسقتان وخلفه مجلس الشيوخ والنواب وجميع
النظارات وامامه سراي الملك (وهي محكمة البناء متقنة
الصناعة) وسراي مجمع العلوم والتقنون المشيدتان خلف
الساحة الملكية المقام وفي وسطها تمثال (جو دو فر وادوبويون)
الشهير بنصراته في الحروب الصليبية وامام هذا التمثال
فندق (البدفو) الذي اخترناه منزلا لنا مدة اقامتنا لحسن

موقعه من المدينة

وبالبلد آثار قديمة كثيرة العدد أهمها سراي الملك
القديمة ودار المحافظة وهما متقابلتان يدل بناؤهما على حالة
البناء والصناعة في العصور الوسطى ودار المحافظة قاعة عامة
من بناء القوط وأخرى للزواج من الجسامة والرونق بمكان
والآثار الحديثة أجدرها بالذكر البورصة وسراي العدالة
ومعرض عام ١٨٨٠

أما البورصة فيميزها عن سواها من الآثار أنها في
أحسن موقع وأكبر شارع من المدينة تتوارد عليها من كل
صقع الالوف من التجار والسامسة

وأما سراي العدالة فان قلبي عاجز عن وصفها وشرح
جمالها وجلالها فهي سراي ضخمة عالية بها من العمدة
الشاهقة والمسالك الفسيحة والقاعات العديدة مالا يعلم عدده
الا من أعطي الانسان هذه اليد القادرة على خلق مثل
هاتيك الآثار التي تسلب الانظار وتحير الافكار وماذا
أكتب لك عن سراي هي مظهر الجلال والاحترام وموضع

هيبة العدالة ومكان الانصاف سراى مساحتها ٢٦٠٠٠ متر
مربع وارتفاع قبعتها وحدها ٩٧ مترا وتمنحها قدره ٥٥ مليوناً
من الفرنكات بابها فريد في احكام بنائه وعظيم ارتفاعه يرى
الداخل منه على اليمين سلماً بأوله تمثال ليكورغا الشاعر
اليوناني وديمستون خطيبها وعلى الشمال سلم آخر يبدأ بتمثال
أولييان الشارع الروماني وشيشرون خطيبها وفيلسوفها. يصعد
الصاعد من السلمين الى ساحة السراى المشتملة على سبع
وعشرين قاعة مخصصة للجلسات ومائتين وخمس وأربعين
نوظفي المحاكم وأرفع قاعات الجلسات مقاما وبناء وأعظمها
اتساعاً وارتفاعاً قاعة الاستئناف الاولى والثانية وقاعة النقض
والابرام وقصارى القول ان هذه السراى فريدة عقد آثار
بلجيكا اذ انها آية من اكبر آيات الصناعة فى القرن التاسع عشر
وأما معرض عام ١٨٨٠ فموضوع خارج المدينة امام
ساحة الخمسين وهو لا يختلف فى الاتقان عن أعظم الآثار
الجسيمة اقامته الحكومة عام ١٨٨٠ دليلاً على اتمامها نصف
القرن الاول من استقلالها ونيل حريتها

وبالمدن تماثيل حجة أقيم أغلبها لعظماء الرجال الذين
خدموا استقلال البلاد البلجيكية سواء كانوا من أبنائها أو
من غير أبنائها وأشهر هذه التماثيل عمود المؤتمر وهو عمود
مرتفع على قاعدته أربع تماثيل وداخله سلم حلزوني تبلغ
درجته ١٨٤ درجة توصل الى قمة التي يرى منها الانسان
المدينة كلها وقدشيد هذا التمثال تذكراً للمؤتمر الذي عقده
أكابر رجال الثورة البلجيكية عام ١٨٣٠ وأعلنوا فيه
استقلالهم وانفصال بلادهم عن هولانده

ولهذه العاصمة الزاهرة كما لغيرها مكتبة بها من الكتب
المطبوعة ٣٠٠٠٠٠ كتاب ومن المكتوبة ٢٠ ألف

وبها من المتاحف العدد العديد نذكر منها متحف
التصوير والنقش القديم والحديث الجامع لفرائب الصور
العتيقة والحديثة ولكن أغلبها صور دينية متقنة أحسن
اتقان

ومتحف التاريخ الطبيعي وبه عدد كبير من الحيوانات
المصبرة بين كبيرة وصغيرة ومفترسة وداجنة وكلها تحسبها

حية وبها غير ذلك من الاحجار المختلفة والمعادن المتنوعة
ماستلزم رؤيته أياماً عديدة

ومتحف الاسلحة وبه من المدافع والرماح وآلات
الحرب المختلفة ما يقف منه المدقق على ناموس القتال وعدده
في كل زمان ومكان

وأما كنائس المدينة فكثيرة العدد جداً وكلها شاهقة
جيدة البناء . ولا عجب اذا كانت كنائس البلاد البلجيكية
أرفع وأعظم من كنائس سواها فقد اشتهرت بين الامم
المعاصرة المجاورة لها بتمسك أهلها بالدين تمسكاً زائداً

وللمدينة متنزهان شهيران متنزه (لاكن) ومتنزه
(غابة الكمبر) أما متنزه لاكن فموقعه وحيد في المدينة
وهو معتدل الهواء جميل الوضع عليه سراي للملك يقيم بها في
فصل الصيف ولكنه لم يسكنها منذ أربع سنوات لأنها
حُرقت بأكملها ولم يبق منها الا أثر صغير يدل عليها وامام
هذه السراي تمثال ليوبولد الاول أبو الملك الحاكم وخلف
هذا التمثال غيظ الملك ومتى وقف الانسان امام التمثال فانه

يرى من هذا المنتزه بقعة من الارض خضراء بها الاشجار
الجميلة الزاهرة من كل جانب فيحسب انه قد فصل عن هذا
العالم وانتقل الى عالم آخر كله جمال وبهاء ولست بتقادر على
وصف هذه البقعة السندسية كمال الوصف فانها هي الاتقان
أو فوق الاتقان وانى لى بلوغ هذا المبلغ من البيان ولست
في بديع الانشاء بسحبان

وأما غابة اكبر فلا تختلف في صفاتها وحسن نظامها
عن غابة بولونيا بل ان شئت فقل انها غابة بولونيا الباجيكية
وغاية القول ان هذه العاصمة على صغرها تفوق بنظافتها
وجمالها جميع العواصم أوربية وغير أوربية والسلام
بروكسل في ٢٢ يولييه سنة ١٨٩٤
مصطفى كامل «

*
**

في هذه الاثناء أرسل الي رحمه الله كتاباً كما أرسل
كذلك لكل شقيق من أشقائه
وقد قال في هذا الكتاب بعد التحية والتسليم وذكر

مسائل خصوصية عائلية ما نصه :

« رأيت في مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا » وهي
المدينة الزاهية الزاهرة (ولكنها على كل حال لم تكن في
نظري أحسن من مصر الا أن حكومة هذه أهلية تعمل
بقلب أهلي . وحكومتنا مختلطة تعمل بقلب الانكليزي)
كل ما تصبو اليه النفوس الكبيرة من عز وسؤدد لبلادها
ووطن آباءها وأجدادها . وقد علمت بعد الخبرة أن رقي
القوم هنا مسبب عن صفتين لازمتين لكل أمة تريد أن
تنهض بنفسها الى سلم الرقي . وهما حب الاطلاع . والاعتماد
على النفس . فان الناس هنا وعلى العموم في كل أوروبا
يبحثون ليل نهار عن أسرار الطبيعة معتمدين على أنفسهم
(ومن جد وجد) . فسل الله معي أيها الاخ المحبوب ان
نصبح سادة في بلادنا لتعود مصر الى ما كانت عليه من
رفاهية ومجد حتى نقدم للعالم معارض أنخر مما رأته وتنظم
مدائننا نظاما فوق ما شاهدته . ان الله على كل شيء قدير
وفي الختام أرجوك ان تقرأ جريدة الاهرام فتدبعت

اليها برسالة على بلجيكا وعاصمتها . أدامك الله لا خيك المخلص

مصطفى كامل



وما جاء شهر أغسطس حتى كان شقيقنا المرحوم الدكتور
عبد الفتاح فتحى طريح الفراش أثر اصابته بمرض التيفوس
ولما كان شديد التعلق بالمرحوم كثير الحب له كان يكرر
علي كثيراً أن اكتب اليه طويلاً وأن لا أخبره بمرضه
حتى لا يتكدر في غربته ولا يجزع وكان المترجم يسألني
كذلك في خطاباته العديدة عن صحة شقيقه فكنت أتخايل
في كل خطاب على اخفاء مرضه حتى جاء يوم الثلاثاء ٢١
أغسطس فقرأت للمرحوم الدكتور القسم الاول من
الرسالة الرابعة التي كان بعث بها المترجم لجريدة الاهرام على
معرض انقرس فكلفني أن اكتب للمرحوم شكراً من
قبله وأشرح له انه مريض قليلاً فكثبت اليه كتاباً وقد جاء
منه الرد وكاه تعطف أخوى وحنان نادر أما وصف المعرض
فقد نشر بعددي الاهرام ٤٩٩٨ و ٥٠٠٠ وهذا نصه :

الرسالة الرابعة

﴿ معرض انقرس ﴾

« اهتدت أوروبا في العصر الحاضر الى المعارض اهتداءها
لاعلاء شأن التجارة والصناعة وزيادة البحث والتنقيب في
وسائل الارتقاء واطناء الافكار بأنوار العلوم والمعارف
فأنشأتها في كل صقع وواد واقامتها في كل بلد وناد وظهرت
كل دولة من الدول تنافس اخواتها بصنائعها المتفردة بها
وتجارتها المميّزة لها عن غيرها فازدحمت المعارض بالزوار
وضاقت الفسحات على رحبها حتى فازت بالشرف الرفيع
والفخار الكبير فسرّت الامم يبلوغها مرامها من الكسب
وعلو الصيت ونال العارضون مطالبهم من الشهرة والارباح
ونزه الزائرون منهم النواظر في هاتيك المناظر العديدة
الانواع المتسابقة نحو الاحكام والابداع الناطقة بدقة
الصناعة ومهارة الصانع فشأ عن ذلك حب الدأب على
العمل والولوع بالتسابق والمجارات مما زاد أوروبا ارتقاء

وتقدماً وعلاء وجعل أهلها يؤملون دوام الحال بل ازدياد
الفخر والمال ماداموا أصدقاء العلم أوفياء للعمل
كل ذلك في هذا العصر المضيء عصر ازدهار العلم ونمو
الاختراع ولم تعد نحن مانحن عليه من الخمول والسكون ولم
تعد حركة التقدم والفلاح الى قوم العز السالف والذل الحاضر
بل دام النشاط في بنيه يحافظون عليه ويحافظ عليهم ودامت
الدعة في أهلها يرحبون بها وترحب بهم والشرق يبكي الديار
والاوطان حتى هب من مصر الرخاء وبلد الهناء حب الجنوح
الى العمل فقامت الافكار بانشاء معرض وطني انشرفت له
الصدور وان لم يكن بالمعرض المشكور الا انه بداية الخير
وعنوان الرجاء

فليهنأ المصري به وليجتهد في اقامة معرض تفتح له
أبواب المدح والثناء وترتل فيه آيات الحمد والاستحسان حتى
تنشط « مصر » من عقالمها وهي عادة الشرق والغرب وتقوم من
رقادها وهي عروس العلم والادب فتم اذ ذلك الخيرات
والبركات ويقول الشرق لا يام الهناء عدت وعاد الرجاء فليعش

الارتقاء ولتحى العلوم والعلماء

تلك توطئة للكلام عن معرض انقرس الذي سارت
من أجله الركبان وطبق ذكره الممالك والبلدان فزاره من داني
المواطن وقاصيها عدد يفوق عدد سكان انقرس على كثرتهم
وتراجمهم مما جعله أسمى مركزاً من معرض ليون الذي لم
يعبه الا قلة القصاد وان كان يماثل معرض انقرس في اتقانه
بل ربما فاقه في بعض أجزائه

وكلا المعرضين كبير الاهمية عظيم الشأن جم الفوائد
والمنافع لا يكاد يختلف أحدهما عن الآخر في المكانة لولا
وجود مميزات تميز كل واحد منهما فلقد امتاز معرض ليون
بقبة السماء الجامعة لشتات المعروضات وأنواع المصنوعات
وبمعرضه الاستعماري الذي في زيارته دراسة ثابتة لأحوال
الشرق وصنائعه وتجارته مما يتعسر رؤيته في معرض آخر
ومما جعل المعرض الليوني أكثر بهاء من معرض
انقرس البحيرة الجميلة التي جاءت في وسطه تسير فيها المراكب
بالزوار فتزدهم في هذه اللجة البيضاء بعد ان تزدهم

المعروضات بحسبها وجمالها

وأما معرض انقرس فيمتاز بالحركة الدائمة فيه وكونه
في الحقيقة معرضاً دولياً تنقسم مخازنه (التي تشابه من معرض
ليون القبة الجامعة لاحتوائها على أهم الأشياء المعروضة) الى
جملة أقسام في كل قسم منها معروضات دولة من الدول حتى
صارت ككتاب يقرأ الزائر فيه مكان كل دولة أوروبية من
التقدم في التجارة والصناعة فهي تعتبر المعرض نفسه وما
تعداها يعتبر زوائد كزوائد المعرض الليوني

ولهذا المعرض الدولي البلجيكي جملة أبواب منها باب
متسع هو أهمها متى دخل منه الانسان رأي أمامه قبة صغيرة
جميلة الشكل مختلفة الالوان بها باب المخازن الموضوعه بجوار
بعضها تحت سقف من الزجاج محكم الرقع المكونة جميعها زاوية
منفرجة عرضت في انفرجها زوائد المعرض ذات اليمين
و ذات اليسار

وأول شيء يراه الزائر على يساره من هذه الزوائد هي
الترك وحى السوريين وبهما بعض المحصولات التركية والسورية

يبيعها جماعة من أصحابها وبجوارها ملعب (سوري) كما عينا
المصرية يليه منظر خلوات أفريقية الوسطى وبها ترى السائح
الشهير (استانلي) جالسا بين الاعشاب الجملة والاشجار المختلفة
يتحدث مع أمين باشا الألماني في شأن العودة الى مصر
والاهلون منتشرون رجالا ونساء

وعلى يمين هذا المنظر الافريقي ترى ملعبا اناميا كالملاعب
المقام في معرض ليون زرتة في الليل مع رفيق وحضرنا فيه
تمثيل رواية لأضن على القراء بذكر ملخصها الذي وزع
علينا بالفرنساوية وهو (رزق أحد ملوك بلاد الانام بنتا
جميلة أرادها زوجها لاحد أبناء الملوك المجاورين له وكان لهذه
البنت أخ يبغض هذا الملك وابنه فدبر لهما مكيدة ودعاها
لوليمة اختتمها بسجنهما والاستعداد لاعدامهما لولا ان جاءت
أمه واستغفرت لهما عنده وطلبت العفو عنهما فعفا وأقيم
مهرجان الزواج كما أراد زوجها) هذه هي أجل رواية لديهم
يعتبرونها مثالا للبلاغة حضرنا تشخيصها وسمعنا كلامهم
المقطع الذي يجتمع مع لغة الحيوانات العجم في أغلب الحركات

والسكنات

وبعد المعرض الانامى يأتى الشارع المصرى وبه الباعة
المصريون وسائقو الحمير الذين يتعاطون الحشيش فى كل
وقت حتى فى هذه البلاد الغربية وبه غير ذلك قهوة رقص
مصرية رحب بنا أهلها كل الترحيب وان تكن زارتنا الحسرة
من زيارتها ورؤية بناتها

هذه هى مشتملات الشارع المصرى وأما هيئته العمومية
فمصرية لا تختلف عن هيئة أكثر شوارعنا القديمة
ولا شك ان الزائر لهذا الشارع يهزأ بنا ويسخر منا
حيث لا يرى أمامه الا نقيصة تنطق بتأخرنا وتعلقنا بدنايا
الامور مما يجعلنا نستنهض هم كبار تجارنا لتشريف هذه
المعارض المهمة وعرض مصنوعات البلاد وأنسجتها عوضا عن
عرض هذه النقائص الظاهرة للعيان

وامام الشارع المصرى معرض للزجاج وبجواره سراى
شرقية بها قهوة رقص عربية (كأن الشرق لم يشتهر الا
بالرقص) أقيم امامها محل بدوى به بنات عربيات لا يأتين

شيئا آخر غير الرقص والغناء

وبجوار الشارع المصرى قهوة رقص مراكشية امامها
حتى الجزائريين والتونسيين وبه ملعب جزائرى وباعة
تونسيون وجزائريون وفي وسط هذا الحي أقيمت فسقية
كهربائية تضاء كل ليلة

ويأتى بعد حي الجزائر المعرض التاريخى للبلاد البلجيكية
وبه اثنا عشر منظرا يرى منها الزائر ان البلجيكين يعتبرون
مبدأ تاريخهم ثورة عام ١٨٣٠ التي نشأ عنها استقلال بلادهم
وتمتعهم بحريتهم وأهم هذه الصور صورة هياج الناس من
مبدأ الثورة بملعب (المسكوكات) وصورة دخول ليوبولد
الاول ملك البلجيكا السابق الى مدينة بروكسل من باب
(لاكن) وصورة تحليفه اليمين وصورة الاحتفال بالسنة
الخامسة والعشرين من حكمه الى غير ذلك من المناظر التي
تمثل أعظم حوادثهم وأكبر أيامهم
هذا أهم ما يراه الزائر في جهة اليسار وأما جهة اليمين
فاحق شيء بالذكر فيها سراى الاعياد (الموضوع في تجويف

رأس زاوية المخازن) وهي سراى كبيرة جميلة بها قاعة متسعة
معدة للاحتفالات الرسمية التي تقام في المعرض (أقيم
فيها أخيراً احتفال الجرائد) وهي تسع ستة آلاف شخص
وبجوارها مطعم (أو مقضم أو مقشم كما تشاء) هو أكبر
مطعم في المعرض

وامام هذه السراى ترى عموداً مرتفعاً تحقق عليه الراية
البلجيكية كتب عليها بالفرنساوية (كمرينخ) أقامته الشركة
المسماة بهذا الاسم اعلاناً للعموم بانها أول شركة بلجيكية
تستخرج عصارة اللحوم وهذا العمود يبلغ ارتفاعه فوق
الستين متراً وقد علمت ان ما اتفق عليه يكفي لان يكون
رأس مال لشركة مهمة مما يدل على ثروة شركة (كمرينخ)
وانه لا يضرها اتفاق مبلغ طائل كالذى صرفته على اقامة هذا
العمود لتوقف الناس على قدرها وأهميتها

وقد سميت الشركة بهذا الاسم نسبة لطبيب بلجيكي
شهير اشتغل زمناً طويلاً في البحث عن وسائل تحسين
عصارة اللحوم

وعلى يمين هذا العمود الشاهق الارتفاع ترى مكاناً
فسيحاً تباع فيه مصنوعات أمريكية من أدق مصنوعات
العالم الجديد وعلى مقربة منه ترى حى مدينة انقرس القديمة
المعتبر عند البلجيكين أكبر آية في المعرض لكونه يمثل لهم
هيئة مساكنهم وأسواقهم ومطاعمهم وزيهم وشكلهم في
القرن السادس عشر

والداخل في هذا الحى يرى شكل مدينة انقرس القديمة وأبنيتها
المنخفضة الغير المنتظمة وكنائسها العتيقة ومدافنها ومساباتها
(وبرصها) وأسواقها وما يشابه ذلك مما يمثل الايام الغابرة وأهلها
أحسن تمثيل لاسيما عند ما يرى الزائر كل ما بالحى من رجال
ونساء زيهم الزي القديم وخطابهم اللغة القلمنية المهجورة
وخلف هذا الحى ترى منظر جبال الالب وعلى قممها
الثلج المستديم وتحتها الرياض النظرة والحقول المزدهرة مما
يستميل فكر السائح لزيارة هذه الجبال التى يسجد لها منها السحاب
وبعد هذا المنظر البهيج ترى قنطرة نصف مستديرة
تحتها قرية الكونغو وهى قرية سوداء تشتمل على أكواخ

مختلفة ومساكن سودانية عديدة وبحيرة جميلة وأعشاب كثيرة
وكهوف من النقش كبيرة

وعلى يسار هذه القرية بنيت سراى الكونغو وهي
لم تفتح للآن

وعلى يمين القرية ترى متحفا للفنون الجميلة خلفه متحف
آخر لا يمتاز عنه الا بكثرة نقوشه ورسومه المعروضة من قبل
أهم الدول الأوروبية

وتحت المتحف الاول معرض الحيوانات البحرية المختلفة
والاسماك المتنوعة السابحة في المياه كسباحتها في البحار
وخلف هذه المناظر الجميلة ترى قبة طائرة كقبة المعرض
الليوني بجوارها مكان متسع الارحاء والانحاء أقامه أحد
الضباط الامريكان المسمى بويتون وجعله أشبه بالجبال
الروسية من حيث ارتفاع بعض نقطه وانخفاض البعض الآخر
الا أن هناك بركة تسير فيها السفن صاعدة نازلة كأنها
العجلات في جبال الروس

وكل هذه المعروضات والمناظر موضوعة كمعروضات

اليسار بين أشجار دانية ظلها متدلية أزهارها تراها في الليل
وقد انتشرت الاضواء بين أغصانها وتوزعت على فروعها
كأنها عرائس رصعت صدورهن بالدر والمرجان وزينت
بزينة المهرجان فخطفت الابصار بحلها وسلبت العقول بدلا وجمالها
متى زرت كل المعارض الصغيرة (أو المعارضات على
رأى بعضهم) تجد أمامك آخر ضلع اليمين في زاوية المخازن
وبه قسم الآلات والكهرباء وهو أكبر الاقسام اتساعاً قدرت
مساحته : ٢٢٠٠٠ متر مربع ومتى دخلت من بابه سمعت
دويًا اشد من دوى المدافع وشاهدت نوراً وناراً يظهران
من كل جانب ويبرقان من كل ناحية ولا عجب ان كان
هذا القسم أهم أقسام المخازن وأكبرها فانما هو أول قسم
يمثل الصناعة البلجيكية ورجحانها على غيرها وخصوصاً في
سبك الحديد وصناعة الآلات الضخمة

ويلى هذا القسم قسم هولاندا ومستعمراتها وبه عرضت
الشكولاتا وأنواعها واللوز الهندي والهندباء والقهوة والسكر
وما يحاكي ذلك من الاشياء التي تفردت بها البلاد المنخفضة

ثم قسم المستعمرات الفرنسية وبنه معروضات الجزائر
وبعض بلاد الشرق الاقصى

ويأتي بعد هذا قسم أمريكا وبنه من لوازم الاثاث
وأدوات الكتابة والطبع شىء كثير

وعلى يمينه معروضات لسيبيريا والعجم وبلغاريا وعلى
يساره معروضات اليابان ومقاطعة الكسمبرج واسوج
وزوج ويلى كل هذه المعارض التى يضيق المقام عن شرح
معروضاتها قسم السياحة وبنه العدد العديد من الخرائط
والرسوم والاعلانات المتعددة من قبل كافة الشركات البحرية
وبه منظر يشتمل على عشرين صورة تقريبا تمثل صور المراكب
والسياح فيها وقاعات النوم والاكل وصور السفان الكبيرة
والصغيرة وهى فى وسط البحر تلعب بها الامواج وصورها
وهى داخله الميناء وخارجة منه وما يشابه ذلك مما يلذ البصر
ويطرب الفكر

وعلى يمين هذا القسم البحرى ترى قسم اسبانيا والبرتغال
وعلى يساره سويسرا ورومانيا

ويلى كل هذه الاقسام من جهة اليمين قسم النمسا
والمجر وبه غير رسم (فيوم وتريسنو وبحيرة بلاطون) كافة
أنواع الملابس النمسوية (التي تلبس منها) والحلل والجواهر
النفيسة

ومن جهة اليسار قسم الدولة العلية وبه الطبايق الاسلامبولية
الجيدة والمنسوجات التركية الثمينة وبعض المصنوعات
الشرقية

ثم قسم ايطاليا وأخر ما به التماثيل الصغيرة التي من
الرخام الابيض والحرير المختلف الانواع ثم قسم روسيا ويشتمل
على أجناس الفراء الثمينة التي يعتبرها الروسيون أنفوس مصنوعاتهم
وبجوار هذا القسم قسم فرنسا وبه أعظم مصنوعات
مدائنها المشهورة فهو يشتمل على أمتعة المنازل وأشياء الزخرف
والزينة وأنواع التماثيل ولعب الاطفال وبالجملة كل شيء
امتازت به فرنسا عن غيرها ولا تنس الحرير الليوني فانه زينة
القسم وحليته

ويليه قسم بلجيكا وهو موضوع أمام القبلة التي بها

الباب العام لكل المخازن ولا يرتاب القارىء في أن
معروضات هذا القسم أكبر وأعظم من معروضات غيره فهو
حقا المقصود بالذات فلقد تقدم فيه وحده ٤٠٠٠ عارض
وعرضت فيه أنواع الفحم الحجري (ولا يخفى عن القراء ان
بلجيكا تعد في مقدمة البلاد التي يستخرج منها الفحم الحجري)
والمعادن المتنوعة والعربات الجمّة وأمتعة الزينة التي تفوق
الحصر والعد والرواح المقطرة أحسن تقطير وقصارى القول
ان فيه أجمل المصنوعات البلجيكية وأدقها

وفي آخر هذا القسم أمام الباب العام للمخازن أقيم
القصر الهوائي الذي طالما حدثتني نفسي برؤيته والتمتع
بالاقامة فيه ولو بعض دقائق ولكنني عند ما وصلت اليه
تنفست الصعداء وعلتني حسرة وكآبة لعدم فتح أبوابه للآن
فتركته متمثلا بقول القائل « ما كل ما يمتنى المرء يدركه
وسرت في هذه المخازن الهائلة منتقلا من بلجيكا الى
المانيا حيث رأيت فيها مجموعة ما رأيت في غيرها من أحقر
المصنوعات وأخطرها مما يدل على اجتهاد أهل هذه البلاد

وشدة غرامهم بالصناعة

وأمام قسم المانيا قسم انكلترا وهو فائض بالمصنوعات
الحديدية والمعدنية التي نذكر منها أنواع العجلات والقوليسبيد
التي لا توجد في غيرها والتي لا يستعملها في الغالب الا أهلها
وآلات الكتابة ومطابع اليد التي تصدرها لأغلب البلاد
وبه غير ذلك المشروبات الروحية بأنواعها ونخص بالذكر منها
الوسكي المملوء به قسمها وهي مشهورة بصناعته من عهد بعيد
ويلى هذا القسم البريطاني قسم كندا وكل ما به من
محصولات زراعية عديدة الانواع

وتنتهي المخازن كلها بقسم الفنون الحربية الذي يأتي
بعد قسم كندا ويشتمل باطنه على المدافع القديمة والحديثة
والاسلحة والآلات الحربية التي لم تخترع الا للجمع بين
حماية الانسان وسفك دمه . وفي وسطه ترى عموداً من الاسلحة
القديمة على جوانبه تماثيل أربعة فرسان من فرسان
العصور الخالية

وبجوار هذا القسم العسكري ترى منظرًا حربيًا بصور

الجنود في جميع حركاتهم وسكناتهم

هذه رسالتي على معرض انقرس كتبها ليقف القراء على ما بهذا المعرض الخطير من المعروضات ولم أستطع الشرح والتفصيل لضيق الوقت ولأن كل شيء في المعرض يحتاج وحده لرسالة كاملة ولست أقصد في رسائي شيئاً آخر غير ما يراه العيان علي قدر الامكان حتى تكون الرسائل كصور المصور تظهر للرأي من الاشياء مظهرها الصادق قياماً بواجب السياحة الذي يفرض على السائح (كما يقول العلامة بسكال) ان يقرن واجب الرؤية بواجب الكتابة والاخبار

والقارىء لهذه الرسالة الرابعة يرى ان أوروبا تمثل في هذه المعارض الخطيرة اكبر الاعمال وأشرف الخصال الدالة أوضح دلالة على مقام الانسان واما الشرق (وباللاسف وطول الخجل) فلا تمثله الا قهوات للرقص جمعت في باطنها أسفل الناس واوضع المخلوقات والسلام

انقرس في ١٣ أغسطس سنة ١٨٩٤

مصطفى كامل

جاء يوم السبت اول سبتمبر سنة ١٨٩٤ حيث كان
المرحوم الدكتور في حالة تبشر بشفاؤه فتاقت نفسه لمطالعة
جريدة الاهرام فانتظرت وصولها ليلا وأحضرتها اليه وبعد
ان قلبتها رأيت فيها رسالة للمترجم علي « واترلو والمذبحه
البشرية » فقرأتها على المرحوم فاخذ القلم وكتب لاخيه كتاباً
شكره فيه على مشاركته على العمل أما الرسالة فهي بنصها

الرسالة الخامسة

(واترلو والمذبحه البشرية)

« حبيت الي واترلو أن أحدثك اليوم بحديث الاولين
وأبنائك بنبا السالفين وأقص عليك أحسن قصص التاريخ
فاذكر لك حوادث الرجال مع الايام وحوادث الايام مع
الرجال وأشهدك هذه الاعمال الغراء وتلك المآثر السماء التي
فاخرت الشهب والسماء وحفظت لذويها لدى التاريخ ما يحفظ
مجد هذه الايادي البيضاء من أن يراق عليه دم الحسد وانكار
العلاء واطرد معك الحديث الى ذكر نابليون ذلك الرجل

الكبير والطود الخطير الذي اهتزت له الارض من مشارقها
الى مغاربها ولهجت بذكره الالسنه أصغرها واكبرها
فانتفته الحروب فارسها والنصرات نائلها والاطان حامياها
وناصرها وجرت الايام طوع بنانه والحوادث رهين مراده
فلم تستطع مخالفة ولم تقدر على معاكسة بل دام رب السيف
والقلم وامير الممالك والعواصم أمره الامر وارادته الفعل
والنهي وجرت مشيئته كمشيئة الاقدار وبغيته كبغيه الايام
والامصار حتى ظهرت له (واترلو) بوجهها العبوس وميدانها
المشئوم المنحوس تعلقه باقول بدر سعوده وتنذره بغروب
شمس علائه جندت له الجنود والجيوش وجمعت الالسنه
والرماح وقابله مقابله العدو الالذ والخصم الاشد ونظرته
نظرة الدهر لعطاء الرجال وكبار الابطال واحتقرته احتقار
الفيلسوف لرجال الحرب أمشاله ومهرقى الدماء اشباهه
فهزمت منه أقوى الرجال قلباً وأشد الفرسان مراساً وأعظم
العطاء فكراً ورأياً فطأ تلك الساعة رأسه وعلم أنها ساعة
الانقلاب وان الزمن زمان متناقضان زمن السعود والاسعاد

وزمن الشقاء والعناد واستغفر لربه من دم اسالته الاطماع
وأهرقته محبة الفخار فسمع اذذاك من دوى المدافع وصوت
المواقع انه أراد من الشقاء هناء وطلب من الدماء علاء
فاعتدى على الانسان في كل بقعة ومكان حتى شكته لربها
صم الكائنات وصوامت الموجودات فبعث وهو الرحيم على
عباده الي (واترلو) رجالا اسعدوا الامم بانهمزام مشقيها وأراحوا
العباد بالتغلب على متعبها ومباليها فهرب من الفرنسيس رجال
طلما هرب الدهر امامهم وفر من وجوههم خيفة الايقاع
به والاعتداء عليه على أنه مجرى الايام وممر الحوادث

نخسف هذا البدر العالى والكوكب المتلالى في يوم
مشهور كان من اكبر أيام التاريخ وأعظمها فيه فازت أوروبا
المتحزبة بالقدح المعلى على حين انخزال فرنسا على يد رجلها
الخطير وفارسها الشهير الذى طلما نصرها واعلى شأنها ولولا
واترلو لباتت به فرنسا سيدة أوروبا المستعمرة لها النافذة
الامر فيها المتصرفة في أقسامها تصرف المالك الحر فى املاكه
ولقد صدق من قال وأحسن المقال (لم تعرف أوروبا مركزها

الصحيح ولم تدر حقيقة وجودها الا مساء يوم واترلو فان
تلك الساعة الحمراء (ويسمىها الحمراء لاجرار الافق بها)
أوقفت كل دولة أوروبية على أنها كفر نسا مستقلة لا يجسر
ذو أمل مثل نابليون على مهاجمتها)

وبديهي أن أوروبا بعد انهزام نابليون لم تعد تهاب
القتال أو تخاف المذابح البشرية فلقد ختمت جمعاء بمذبحة
واترلو التي سالت فيها الدماء مختلطة ببعضها اختلاط الماء بالماء
ومن ثم اكتسبت واترلو شهرة لا تجارى على أنها
أرض جرداء وان كانت اليوم خضراء فلقد أصبحت ملتحق
السياح يأتونها من كل صقع وبلد بقصد رؤيتها ونظر ساحتها
وقد زاد تواتر الزوار اليها من يوم وصفها الكاتب الطائر
الصيت (فيكتور هوجو) في مؤلفه الميزيرابل (البؤساء)
ولذا عدت زيارتها واجبا لاسيا وبينها وبين بروكسل
مسافة يقطعها البخار في نحو أربعين دقيقة

وصلتها بعد الظهر بساعتين صحبة رفيقي العزيز وقصدنا
ميدانها فاذا هو ساحة كبيرة خضراء في وسطها تمثال ليث

اقامته الحكومة البلجيكية تخليداً للواقعة وتذكراً (لولنجتون)
يصعد اليها بسلم كثير الدرجات صعدنا وشاهدنا الساحة
زمناً مديداً فلم يكن ليدهشنا فيها شيء لانها لا فرق بينها وبين
سائر الفيضان الا أننا تذكرنا غابر الايام وسالف العصور
وتلونا في عالم الاقطار صحف التاريخ فبدت لنا الحرب بابشع
صورها وأقبح مناظرها ووددنا كما ود قبلنا من طلب
للانسان غايات النعيم لو هلكت الحرب وعدم التباغض
وأصبح التاريخ يقص أنباءهما كما يقص نبأ نوح وعاد ولكنها
أمنية بعيدة التحقيق فلقد أمسى هذا البلاء الدائم والشقاء
القائم ذا قانون مسطور وناموس مشهور يقرأه القارىء في
علاقات الدول وروابط الممالك في القانون الدولي فهو قسم
ليس بالشيء اليسير

ولقد لبثنا بهذا الميدان الجدير بأن يسمى (خزان الدماء)
مدة ساعتين ونحن نعيده نظرة ونعير الليث نظرات ثم عدنا الى
المحطة والاطفال تجرى خلف العرببة تطلب الاحسان
(كالشحاذين في طريق الاهرام) حتى اذا ما بلغناها سافرنا

الى بروكسل ومنها عدنا الى باريز والسلام
باريس في ٢٢ أغسطس سنة ١٨٩٤

« مصطفى كامل »

كنا نقرأ هذه الرسالة في تلك الليلة والمرحوم يقيم
في باريس الاحتفال بعيد جلاله السلطان لأول مرة جرى
فيها احتفال من هذا القبيل وقد جاءت تفصيلات هذا
الاحتفال العظيم في رسالة نشرتها جريدة المؤيد والاهرام في
عددتها الصادر في ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٤ كما ان التلغرافات
العمومية تناقلت علي لسان البرق نبأ هذه الحفلة مما كان له
دوى كبير في الدوائر السياسة وهذه تفاصيل الاحتفال

الرسالة السادسة

﴿ الاحتفال بعيد جلاله السلطان ﴾

« قد جئت هذه العاصمة الزاهرة وعلمت اقتراب
موسم عيد الجلوس المأنوس وأنا أفكر في اقامة حفلة خاصة
بالمصريين يحتفلون فيها بهذا العيد السعيد الذي يذكرنا جلوس

خليفة ملك بعد له الرقاب وجمع اليه الافئدة الا وهو جلالة
السلطان الغازي « عبد الحميد خان » اذ لاشك ان المصريين
هم اصدق الائم جميعا للحضرة السلطانية واول المخلصين المقدرين
لحب جلالة الخليفة لوطننا العزيز وخدويونا المحبوب وقد ازداد
تعلقى بهذا الفكر من يوم الى يوم حتى اراد الله اظهاره من
القوة الي الفعل فشاورت جميع المصريين فاستحسنوه كل
الاستحسان واقروا جميعا بأن هذا العمل واجب وانه
لا يلقي من المخلصين عموما والمصريين خصوصا الا رضاء
فشرعت متوكلا علي الله وقلت في نفسي لاشك ان حبنا
لجلالة الخليفة أمر مشهور وان احتفالا مثل احتفالنا سيثبت
لكل انسان ان في المصريين احساسا صادقا يستطيعون
اظهاره للوجود واعلانه للعالم أجمع دون أن يهابوا عدواً ما كراً
أو حسوداً غائراً

ولذا أرسلت لكل اخواني المصريين ادعوتهم لمشاركتي
في هذا الاحتفال السعيد فلبوا الدعوة جميعا بكل سرور
وانشراح مظهرين لي في اجابتهم عن الغيرة الوطنية والحمية

المليّة ماملأ فؤادي سرورا وجعلني أقضى الليل والنهار
في تقبيل كتابتهم وأنضرع لله سبحانه وتعالى أن يكثرفي مصر
من أمثالهم ويبقى روح هذه النهضة الوطنية سمو خديونا
المحبوب

ولما كنا نود ان يحضر هذه الحفلة رجل من كرام
الفرنساويين المخلصين لمصر المدافعين عنها حتى يعلم كل
انسان اننا لا ننسى الجميل أبداً واننا نعترف لمن يحترمنا بمزيد
الفضل دعوت النائب الشهير والمستشرق الفاضل الكريم
الموسيو فرنسو ديبلونكل أشهر مشاهير أعضاء مجلس النواب
المعروف عند الجميع بحبه لمصر وأهلها وشدة دفاعه عن مصالحها
وقد كنت تشرفت بمعرفته من قبل فقبل الدعوة حفظه
الله بكل سرور وامتنان

وقد كان زارني (صاحب جريدة الشرق) عند
حضورى الى باريس وأخبرني أنه سيحتفل في مساء الخميس
٣٠ أغسطس سنة ١٨٩٤ بعيد الجلوس المأنوس كجارى عادته
السنوية وأنه سيدعو كل المصريين فحمدته أطيب الحمد

ووددت لو دام اخلاصه لدولتنا العلية فلم يمض الا قليل حتى
دعا مواطني الذين لم يتأخروا عن الذهاب في الميعاد المحدود
فما جاءت الساعة السابعة الا فرنكية من مساء الخميس
حتى أقبلت علي محل الاحتفال العربات من كل جانب والمصريون
فيها كالبدور يتلأثون نورا وبهاء وهم بلا بسهم الشرقية الرسمية
زينة الحفلة وزهرة الاجتماع ولم نمكث قليلا بعد دخولنا
حتى دعينا للعشاء فدخل النساء ثم الرجال لقاعة متسعة نصبت
فيها الموائد العديدة جلس عليها نحو الثلاثمائة شخص كل في
مكانه المخصص له وقد كنت تأخرت عن الدخول قليلا
لاشتغالي بالتكلم مع أحد رجال المطبوعات فجاء حضرة
الكاتب الشيرالسيوشينيل أحد محرري (الجرنال) وأجلسني
أمامه وكان علي مقربة من يميني « نوري بك » أحد كبار
رجال الدولة العلية وعلي يساري جملة من أصحاب الجرائد
الخطيرة وقد بدىء بالأكل في الساعة الثامنة واستمر لنحو
العاشرة والقوم يتحادثون حديث الحب والوداد وقد شنت
الموسيقى أسمعنا بالسلام العثماني والدعاء المرضي الشاهاني

مرات عديدة نالت فيها الاستحسان التام والتصفيق العام
وما بدىء بالفأكمة حتى ابتدأت الخطابات وقام الخطباء
البلغاء من كل جهة يذكرون محامد الحضرة السلطانية ومكانتها
في الشرق والغرب وما لها من بعد النظر في السياسة متخلصين
من ذلك لذكر روابط مصر الحالية الوثيقة العرا مع الدولة
العثمانية مادحين سمو العباس أحسن مدح مثنين عليه أجمل
الثناء وقد كان في مقدمة الجميع المسيو « ميل فو » أحد
النواب السالفين فقام وحمد الحاضرين وشكر الداعين وذكر
السلطان ذكراً جميلاً وتكلم على مصر طويلاً مما كان له
حسن الوقع عند العموم

ثم أعقبه الواحد بعد الواحد حتى وصات نوبة الكلام
الى وقد كنت أخبرت بذلك من قبل فقام أحد الكتاب
الفرنساويين المجاورين لي وقال « ليصغ الحاضرون خطابة
صاحب جريدة (المدرسة) المصرى » فوقف كل من بالمكان
وصفق تشجيعاً للخطيب ولقد صعدت على كرسي والقيت
خطاباً بالفرنساوية كنت كتبتة من قبل واليك ترجمته

حرفياً :

« ليسمح الحضور لصاحب جريدة مصرى جاء باريس
زائراً أن يظهر بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن كافة مواطنيه
احساسات الحب والاحترام المتبادلة التي تربط المصريين
بالفرنساويين وان يؤكد لكم كل التأكيد ان المصريين
لا ينسون جيلاً بل يذكرون كل ما يؤديه لهم الغير من الخير
وانا معشر المصريين نعد سعداء الطالع لرؤية فرنساويين
يحتفلون بمزيد الانشراح بعيد خليفتنا المحبوب السلطان الجليل
القدر « عبد الحميد خان الثانى »

واني باسم جميع المصريين الذين علقوا بجلالته كل آمالهم
أسألكم أن تشربوا على صحته واني واثق من انكم توافقوني
كل الموافقة اذا سألتكم ثانية ان تعقبوا الشرب على صحة
الخليفة بالشرب على صحة أميرنا الهمام « عباس حلمى باشا »
هذا ما ذكرته أمام العموم وما كنت أتم جملة حتى توضع
الراحة على الراحة ويدوى التصفيق من كل مكان بعلامات
الاستحسان ويعلم الله ان استحسانهم لما أقول حب منهم

لمصر وأهلها وقد أعقبني الكثير من الخطباء المجيدين أذكر
منهم صاحبنا الفاضل محمد أفندي أسعد فإنه موافقة
لرغبة صاحب الحفلة قام وألقى خطبة شائقة بدأها باللغة
الفرنساوية وختمها باللغة الشريفة العربية داعياً لجلالة السلطان
الاعظم والخديوى الاكرم وكذلك قام حضرة الماجد حسين
أفندي صبرى ونطق بمثل هذا المعنى والناس منشرحون
من رؤية المصريين في صدر القوم يظهرون اخلاصهم المنقطع
لجلالة الخليفة ومزید تعلقهم بسدته الشريفة أبقاه الله حجة
للانام وكعبة للاسلام وقد انتهت الحفلة على مايرام بعد ما قام
حضرة الفاضل محمد أفندي أسعد ونادى بصوته العالى « باد
شام جوق يشا » فنطق الكل بما نطق حضرة به مصنفين
له مظهرين الفرح والرضاء

وقد انتقل القوم بعد ذلك الى قاعة أخرى أعدت
للرقص والغناء وهكذا دام الحضور في السرور والانشراح
قائمين قاعدين حتى أشرقت الشمس وتنفس الصباح
وما جاءت الساعة الحادية عشرة من اليوم التالى « أمس

اليوم ٣١ أغسطس « حتى شرفني المصريون بالملابس الرسمية
في داري التي كان يخفق عليها العلم العثماني الجليل فاستقبلتهم
بما يليق بمقامهم من التجلة والاحترام وما جاء وقت الزوال
حتى جاءت العربية المقله لحضرة النائب المفضل « الموسيو
ديلونكل » فاستقبلته من باب البيت وصعدت معه الى قاعة
الاستقبال حيث قدمت له اخواني واحداً بعد واحد فشكرهم
وأظهر ممنونيته من التعرف بهم ثم انتقلنا الى قاعة الاكل
فأجلستهم في المحلات التي أعددتها لهم ودارت أصناف الطعام
ودار حلو الكلام وبينما كنا نتحدث مسرورين من هذا
الاجتماع السعيد واذا برسالة برقية وردت باسمي من حضرة
مواطننا الكامل محمد بك حسنى يكن بالنيابة عن جميع
المصريين المقيمين الآن في ديب واليك تعريتها

« ان قلوبنا معكم ترسل الدعاء للسفارة التركية ومصر

وجلالة السلطان وسمو الخديوى

« بالنيابة عن المصريين »

(حسنى)

فكان لها أحسن تأثير بيننا إذ دلت حقيقة على ان عموم
المصريين وان ابتعدوا عن بعضهم ونأى مزارهم فانهم
متحدون قلباً واحساساً

وما جاءت الفاكهة في آخر الطعام حتى قمت واقفاً
وقلت بلغتنا الشريفة العربية « وحضرة النائب يفهم لغتنا
حق الفهم »

أحبائي الاعزاء

انى أهنيكم وأهنىء نفسى بهذا الاجتماع السعيد الذى
نقاسم فيه سرورنا بمجىء عيد جلوس جلاله سلطاننا الاعظم
على الاريكة العثمانية واني لا أستطيع أن أقدر لكم ممنونيتى
من اجابة دعوتى كما انى لا أقدر السرور الذى يخلج فؤادى
وغاية ما أقوله ان ما تشعرون به من الارتياح والانسراح
هو عندى فالاحساسات واحدة والشعائر متوافقة
لا اختلاف فيها

وليس عيدنا هذا فى الحقيقة عيداً واحداً بل أعياد
متعددة عيد جلوس اعظم الخلفاء العثمانيين وعيد اتحاد

المصريين على الاجتماع وعيد اظهار جبههم واخلاصهم لخليفتهم
وعيد تشرفهم بالاجتماع مع نائب فاضل كامل يكفي قبوله
لدعوتنا على الدلالة بانه من المحبين لنا المخلصين لمصرنا تلك
فهي وحقكم أعياد عديدة ظهرت في شكل عيد واحد اتفقت
فيه الاحساسات وتوافقت الشعائر فلا بدع ان قلنا جميعا «ليحي
الخليفة ليحي الخليفة»

واني أقتصر في هذا المقام على ان أقول لكم اننا معشر
الشبان مستقبل اوطاننا وبيدنا سعادتنا وشقاؤنا وان لمصرنا
حياة ستلبسها بعد قليل من الزمان فان شئتم ان تسعدوا هذه
الحياة فلتتحدوا جميعاً ولتعملوا بسكون وحكمة حتى ننال
بغيتنا ونسعد بلادنا

هذا واني أسألكم ان تشكروا هذا النائب الذي
باجابته لدعوتنا أثبت مكانة جبه لنا واخلاصه لبلدنا وان
تقولوا «ليحي الخليفة لتحي تركيا ليحي العباس لتحي مصر
أبد الزمان»

وما جلست بعد الخطاب حتى قام صديقي الاستاذ

الفاضل الشيخ محمود أبو النصر وألقى خطاباً بليغاً ذكر فيه ما كان للدولة العلية من القوة والمكانة في العصر الماضي وما سيكون لها في آتي الأيام من المستقبل الكبير بهمة سلطاننا وخليفتنا الكريم ثم أثنى على النائب الفاضل وشكره شكراً جميلاً وحمد مصر وشبيبتها ونهضتها ودعا للخليفة بطول العمر والبقاء ولسمو العباس بالحياة الطيبة ونيل الآمال . ثم قام بعده حضرة النائب وألقى خطبة أنعم بها من خطبة أثر بها في قلوبنا وجمع نحوه أفندتنا فهو والحق يقال خطيب مصقع حرم الكل بقوته وعظيم تأثيره واني سأفرغ خطابه رسالة خاصة اذ انه يشتغل الآن بكتابته بهلمه المحيد

وما فرغ من خطابه الرشيق حتى قمت وشكرته بالفرنساوية شكراً يليق به وبمقاله وكذلك شكره حضرة مواطننا الفاضل « حلوه أفندي » وكافة الحاضرين ولما أخذت الحفلة غايتها وجاءت الساعة الرابعة بعد الظهر قمت واختتمتها بالآيات الآتية

لتحى دولة « عثمان » التي بلغت
من السمو مكان الشمس والقمر
وليحى للملك بدر الملك موثنا
« عبد الحميد » حميد الرأى والفكر
ولتحى « مصر » وأهلوها بحكمته
ويبلغ « النيل » ما يرجو من الوطر
وليحى « عباسنا » المحبوب مرتقياً
أوج المعالى بحسن الفكر والنظر
وعلى ذلك تم الاحتفال بين التهليل والتصفيق والسرور
والإبتهاج وعندئذ جاءني أحد محررى شركة هافاس
التلغرافية وأخذ منى كل التفاصيل لنشرها في الجرائد
ولما حان وقت الانقضاء استأذن حضرة النائب
فشيغناه بما يقتضيه مقامه السامى وذهبنا جميعاً الى السفارة
العثمانية فلاقانا حضرة سكرتيرها أحسن الملاقاة وأكرمنا
أجل الأكرام حيث مكثنا بها قليلاً ثم عدنا من حيث أتينا
ولما كان ارسال نبأ هذا الاحتفال الى الاستانة العلية

والحضرة الخديوية واجباً فقد أرسلت بالأمس رسالة برقية
بلغت كلماتها ١١٦ كلمة لمحبة مصر والمصريين « السيد جمال
الدين » ليقدمها للاعتاب الشاهانية واليك تعريبها :

« السيد جمال الدين نيشان طاش بالقسطنطينية

بمناسبة عيد جلوس جلالة مولانا السلطان قد دعوت
عموم المصريين المقيمين في باريس لمأدبة حضرها الموسيو
ديلونكل النائب الشهير المعروف بحبه لتركيا ومصر وقد
مدح جلالة السلطان في جملة مقالات شائقة منها واحدة قالها
الموسيو ديلونكل وهي في غاية الاهمية وقد كررنا جميعاً جملة مرات
لتحيى تركيا . ليحيى الخديوى . لتحيى مصر »

ولما علمت اليوم ان سمو خديونا مقيم بكورفو أرسلت
له تلغرافاً بلغ ١٠٩ كلمات واليك ترجمته :

« سمو خديوى مصر بكورفو

مولاي الجليل

بغية منى في اظهار اخلاصنا للعرش الشاهاني دعوت
أمس بمناسبة عيد جلوس جلالة السلطان اخواني المصريين

المقيمين في باريس لمأدبة حضرها النائب الشهير المسيو دي لونكل
وقد مدح جلاله السلطان في عدة مقالات مدحا
شائقا وقد كررنا جميعا جملة مرات « ليحيي الخليفة لتحيي
تركيا . ليحيي الخديوي لتحيي مصر » وقد أرسلت بذلك
تلفرافا للسيد جمال الدين بالاستانة «

الى هنا يقف القلم ولسان الحال يقول
ما كان في وسعي فقد آتته واعدني أتيت بعض الواجب

باريس في أول شهر سبتمبر سنة ١٨٩٤



مانشر المؤيد في يوم السبت ٨ سبتمبر هذه الرسالة حتى
أخذتها وقصدت المرحوم الدكتور لاقرأها عليه وأشرح
صدره بعمل أخينا الصغير ولما دخلت عليه وجدته في الم من
وطأة المرض فاردت أن أخفي الجريدة لألاطفه ولكن
سألني عما فيها فاخبرته فطلب مني ان أقرأها فابتدأت بقراءتها
وكنت كلما أصل الى نقطة من نقط الوطنية كان يظهر لي
ارتياحا كأن في كلمات المترجم بلسم مرضه

وكان الله أراد أن تكون هذه الرسالة آخر ما يسمعه
المرحوم من أعمال أخيه « مصطفى كامل » حيث فاضت
روحه الشريفة في الساعة الثامنة مساء ذلك اليوم يوم السبت

٨ سبتمبر سنة ١٨٩٤

وقد جاءني الناعي بالخبر فكدت أفارق الحياة لولا
لطف الله وفكرت في الحال في أخي صاحب الترجمة كيف
يكون وقع هذا الخبر عليه وما حسبته قد وقع فانه ما وصل المؤيد
باريس واطلع عليه المرحوم في قهوة السلام (Café de la Paix)
حتى سقط من طوله ولولا عناية اخوانه به وفي مقدمتهم
عمر بك لطفي وأحمد بك زكي لساءت العقبى
أرسل المترجم في الحال تلغرافا لسعادة شقيقه
الأكبر هذا تعريبه

« أصحیح مانشر عن أخینا عبد الفتاح

کامل »

فأرسلنا اليه الرد

« عليك بالصبر »

بجاء منه تلغراف آخر هذا تعريبه
« اني مريض للغاية وفي حالة خطرة وسأبرح مرسيليا
السبت على الباخرة كليوباتره فأصل الاسكندرية الخميس
صباحاً ارسلاوا أخي علياً ينتظرنى

« كامل

فسافرت ليلة الخميس الى الاسكندرية ونزلت بأحد
فنادقها وفي الصباح قصدت شاطئ البحر وسألت عن
الباخرة كليوباتره فقبل لى انها وصلت فى الفجر ونزل منها
كل الركاب فقصدت مكتب سكرتيرها وسألته هل بين
أسماء الراكبين كان « مصطفى كامل » فقال نعم فسألته عن
صحته فقال انه ضعيف جداً فاشتغل بالى به وعدت الى مصر
فلم أجده قد وصل اليها ولكنى استلمت منه تلغرافاً بقدمه
فى المساء فانتظرتة على المحطة وكدت لأعرفه من التغيير
الذى طرأ عليه بسبب حزنه على أخيه . فأخذ يقبلنى وأقبله
وكل منا يبكى بكاء مرآحى استبكيننا الرائين من هذا المنظر الاليم
تركنا المحطة وركبنا الى البيت فلم يخاطب أحدنا الا آخر

في شيء بل قضينا المدة حزناً وأيننا وبكاء ونحيباً
ولما وصلنا الى البيت هدأنا روعه وخففنا عنه ألم
المصاب قليلاً وقصصنا له تاريخ مرض المرحوم ووفاته
أخبرني المترجم بعد ذلك انه كان أخذ على نفسه عهداً
أمام أخيه بأن يمضي الامتحان الاخير في شهر نوفمبر
ولكنه لم يحضر منه شيئاً الى الآن وأنه بين عاملين
يتجاذبانه ومؤثرين يتقاضيانه عامل الحزن الشديد على
أخيه العزيز وعامل الوفاء بما أخذ على نفسه من عهد وقضى
بإنجازه من وعد ولكنه لا بد ان يتغلب على الاحزان ويمضي
رغم المصاعب ذلك الامتحان حتى لا يقال انه تقهقر أمام
ارادة صاحبة كاشفها الكثيرين من اخوانه المصريين
المقيمين في باريس وقد بلغ من ظنهم صعوبة تمثيل تلك الارادة
عملاً محسوساً ان أحدهم وهو حضرة الفاضل كامل بك
فيضي قال له بصريح اللفظ (ان هذا مستحيل) فكانت
هذه الكلمة مؤثرة في فؤاده تأثراً بليغاً
وكذلك ينقلب التحذير اغراء متى كانت النفس من

حسن الاستعداد الفطري أو الكسبي أو من حيث هما معا
بحيث تحدث فيها ألقاظ اليأس واستصعاب الامر ذلك الاثر
فتفعل به انفعالا يجوز بها العوائق ويدني منها منال المقاصد
قابل المترجم سعادة شقيقه وولى أمره وطلب منه ان
يأذن له بالعود الى أوروبا ليحوز الامتحان فرضى بذلك وسافر
ثانية اليها في ٩ اكتوبر سنة ١٨٩٤ بعد ان خففنا عنه الحزن
قليلا ورافقته الى الاسكندرية داعيا له بالنجاح وعند وصوله
الى باريس قدم توالا الى مدير الكلية طلبا لتمضية امتحان
السنة الاخيرة فدهشت ادارة الكلية لهذا الطلب لاعتبارات
كثيرة أهمها ان ذلك مخالف لقوانينها التي لا تسمح لطالب
أجنبي مهما كان جاهه ان يقضى امتحانين لسنتين في سنة
واحدة أمام كلية باريس فضاقت الدنيا في وجهه لما لم يجد
طلبه قبولاً من مجلس ادارة الكلية - ولكن هل قوى اليأس
على فؤاده الكبير ؟

كلا

اكتب « كلا » وأنا معجب بعزيمة أثبتت من الرواسي

الشائعات أمام الالهواء والاعاصير مكبرا ارادة هي العظمة
والقوة بحيث لا تعوقها العوائق ولا تصدها المقادير .
أقول لا مغاليا ولا غرض لي الا الصدق حاكيا ان تلك
المصاعب لو قامت في سبيل تيار زاخر لحولته عن مجراه وصدته
عن مسراه ولكنها كانت أمام نفس ليست من طراز هذه
النفوس . قامت تلك العوائق أمام نفس « مصطفى كامل »
تلك النفس التي لا تنهزم فماذا صنعت ؟ كان موقف المترجم من
أحرج ما يكون اذ اجتمع عليه وعد واجب الوفاء وأمنية محتومة
القضاء وصعوبة تقف بين الحيرة والوجل بنجوم السماء ولكنه
لم يكل ولم يمل فكان مثله مثل القائد الحربي أحاطت به صنوف
البلاء وصفوف الاعداء فلم يكن له بد من أحد موقفين اما
الفرار اذا وجد اليه سبيلا واما التسليم اذ أجده التسليم فتبلا
ولكنه استطاع بمهارته الفائقة وعزيمته الصادقة ان يكتشف
سبيلا للنجاة مما كان محققا به من المشاق والمصاعب . فانه لجأ
الى ذهنه فأعمله فيما هو بصدده فهدته صائبة الآراء الى
استعانته ربه واستمداد معونة استاذيه الكبارين المسيو دروزاس .

ناظر مدرسة الحقوق الفرنسية في مصر والمسيو مولر استاذ
الاقتصاد السياسي بها وشكا اليهما الأمر واستعان بهما بعد
ان شرح لهما مركزه أمام شقيقه الأكبر واخوانه الذين
كاشفهم بعزيمته فأظهرا له عطفًا مشهورا وأشفقا على صحته
ان تمس من جانب نشاطه بسوء فصحاله بأن يؤجل الامتحان
للسنة التالية حتى لا يخالف قوانين الكلية ولا يجهد نفسه
اجهادا لا ينجم عنه الا الأثر السيء في صحته .

لو كانت هذه الصدمة الجديدة صدمت قطعة فولاذ
لاهامة نفس لتأثرت وتصدعت ولكن الصعوبة في بعض
الاحيان تشوق المرء الى اجتيازها لاسيما اذا كان الواقف
أمامها مثل المترجم فإنه لم يئس ولم ينهزم أمام تلك المصاعب
بل أعاد الكرة وألح على أستاذه كل الإلحاح وصرح لهما
بأنه ان لم يكن يؤدي الامتحان في هذا العام فالخطر على صحته
محقق اذ هو لا يؤثر الحياة على العود الى مصر بغير النتيجة
التي قصد باريس من أجلها

ولما رأى استاذاه الفاضلان تمسكه بقضاء حاجته فكرا

في الامر طويلا ثم ساعده امام كلية طولوز فنقل أوراقه اليها أولا ثم عرض طلبه على مجلس ادارتها وقد اشتد الجدل بين مديرها الشرف ومديرها العامل فالاول كان يرى في قبول طلب مصري لم يؤد الا امتحانا واحدا امام كلية طولوز خطأ من كرامة الكلية وعلى الاخص بعد ان رفضت طلبه كلية باريس التي لم تكن أقل من كلية طولوز قدرا . وأما الثاني وهو المدير العامل فقد عضد الطلب تعصيذا كبيرا حيث صودق عليه بأغلبية أصوات مجلس ادارة الكلية .

هنا قاسى المرحوم شدائد هائلة دفعته اليها قوة الارادة والاعتماد على النفس اذ قصد مدينة طولوز بعد ان أجيب طلبه واستأجر مسكنا لم يبرحه مدة عشرين يوما كاملة وهي الايام الباقية علي ميعاد الامتحان وقد بعث الي بكتاب من مدينة طولوز طلب فيه أشياء خاصة وقد جاء فيه مانصه :

« أما مسألة امتحان السنة الاخيرة فقد صادفت في سبيل بلوغها عقبات كادت تودي بحياتي ولولا اني استعنت بالمسيو دروزاس والمسيو مولر ما وجدت لها حلا غير فنائي

لشدة ألمي واعتلال صحتي لأنك تعرف الميثاق الذي أخذته
على نفسي امام سيدي وأخي وكيف أعود الى مصر بلا
نتيجة وأقابله؟ ان هذا لخزي كبير!

رفضت كلية باريس طلبي وبحسن مسعى هذين
الفاضلين حولت أوراقى الى كلية طولوز وقد قبل طلبي
امامها بعد جدال عنيف وقع بين مديرها الشرف بها والمدير
العامل سأحيطك به علما عند وصولي سالما فائزا اليكم

ولذلك تراني لم أعرف من طولوز غير مسكني حيث
أكد لي ليل نهار وقد سقم جسمي ولكني سأغلب بمشيئة
الرحمن على كل شيء للوصول الى بغيتي. وقد عزمتم أن أستمر
كذلك أزود القريحة بما هو مسطور في كتب السنة الاخيرة
لاني شاعر بحرب هائلة سيثيرها المدير الشرف علىّ عندما أقم
بين يديه في الامتحان أو بين يدي من عضدوه في رأيه من
الاساتذة المتحنيين. فادع الله معي وأطلب من السيدة الوالدة
الدعاء الصالح حتى اجتاز هذه العقبة وأعود اليكم بقلب يجسر
يكل شرف ان يقابل ولي نعمته أخاه الاكبر بل أباه الصادق

جزاه الله خير الجزاء

هذا وسأبعث لكم ان شاء الله بتلغراف مبشر بالنجاح
متى تم ذلك والله المعين

طولوز الثلاثاء ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٩٤



انتظرنا بعد ذلك بضعة أيام جفاء منه كتاب آخر كتبه
في يوم الجمعة ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٤ قال فيه :

« ربما ظهرت نتيجة امتحاني في يوم ١٧ أو ١٨ الجاري
فانتظروا مني تلغرافا في مساء أحد هذين اليومين »

ولا تسل عما قام بنفوسنا جميعاً من فرط الشوق لتلقي
أبناء الخير عنه فقد انتظرنا بصبر نافذ ورود التلغراف الحامل
الينا اكرم البشائر وفيما نحن مجتمعون في ليلة بيت سعادة
الأخ الاكبر واذا الخادم يقول « تلغراف بشرى » ..
نخرجت اليه مسرعا واستلمت الرسالة ثم قدمتها الى حضرة
الاخ ففضها ونحن سكوت ثم تبسم معلنا نجاح المرحوم في
امتحان الحقوق الأخير نجاحا باهراً فحمدنا الله على ذلك

حمدا كبيرا وقد اشفق أخوه الأكبر على حالته فكتب إليه
على جناح البرق ان يتروض في باريس قليلا حتى ترجع إليه
صحته وتعاوده قوته قبل ان يعود الى مصر فصدع المترجم
بالامر وسافر الى باريس لاطالبا للرياضة التي كنا نرجوها
له من سويداء القلب خوفا على صحته وتفانيا في حبه ولكنه
قضاها في البحث والتنقيب وراء الكتب التي تشرح المسئلة
المصرية بعد ان وقف على أسماء أشهر الكتاب الذين رسم
في مخيلته وجوب التعارف بهم

لم يمض على تلغراف البشرى بنجاحه أسبوع كامل
حتى وصل الى منه كتاب طويل جاء فيه مانصه :

« واليوم أحمد الله حمدا كبيرا وأشكره شكرا جزيلًا
أن فك قيد أسرى ومن باطلاقي في ميدان الحرية فقد
أصبحت حاملا لشهادة الحقوق . وقد عولت بمشيئة الله على
الانتظام في سلك رجال المحاماة لأدافع عن حقوق الافراد .
ولو أتاح لي الخير وأبلغني ما أتمنى لا كون المدافع عن حقوق
الأمة بأسرها امام العالم أجمع .

لان مصر وهى جنة الدنيا لا تستحق ان يداس شرفها
بالاقدام ونصبح فيها نحن أبناءها الاعزاء ممقوتين غرباء....
وانى أوكد لك انى ماسررت بفوزي في هذا الامتحان
الا لأرضى سيدى البار أخى الرحيم حسين افندى واصف
وسأخبرك بمشيئة الله عند وصولي الى مصر بما لقيته من
المعاكسات أثناء تأدية الامتحان....

دمت لمحبتك المخلص

مصطفى كامل



وما ظهرت نتيجة امتحان طلاب كاية طولوز حتى
نشرت « غازيت دى طولوز » مقالة فى عددها الصادر يوم
الجمعة ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩٤ أثنت فيها على الذكاء المصرى ثناء
عاطراً اذ قالت ما تعريبه :

« بين الذين نجحوا فى كليتنا الحقوقية شاب مصرى لم
يتجاوز التاسعة عشرة من سنى حياته هو « مصطفى كامل
المصري » فقد نال فى الامتحان لأول مرة أربع كرات بيضاء

(لم تكن الدرجات التي تعطى للطلاب في كلية الحقوق
بفرنسا أرقاماً كما هو الشأن في مصر وغيرها بل هي علامات
تسمي كرات وهي علي هذا الترتيب من أعلي الي أدني :
(١) بيضاء (٢) بيضاء حمراء (٣) حمراء (٤) حمراء سوداء
(٥) سوداء (٦) سوداء داكنة :) وهذا الشاب لم يكن
من الذين قيدوا في الكلية من مبدأ دراسة الحقوق بل هذه
أول مرة له فيها . ومن يعلم أنه أمضى في شهر يوليو الفئات
امتحان السنة الثانية أمام كلية باريس بنجاح باهر يدهش
دهشاً كبيراً لهذا الذكاء النادر . ومع ذلك لا يعجب قراؤنا
فان تاريخ مصر يحوي الكثير من النظريات العلمية الكبيرة
التي تدل علي مبلغ تقدم العلوم والمعارف عند المصريين وسمو
مداركهم من زمن بعيد . وهؤلاء اخواننا الفرنسيون الذي
عاشوا في مصر واختلطوا بأهلها وأبنائها بصفتهم أساتذة في
مدارسها قد صنفوا التأليف الكثيرة علي دفائن الذكاء المصري
حتى رفعوه فوق كل ذكاء

والظاهر أن اعتدال الاقليم سبب من الاسباب التي

أوجدت في المصريين هذا الذكاء

فأمة كهذه الأمة لها شهرة تاريخية كبيرة فضلا عن ميل
أبنائها الى فرنسا ورغبتهم الاكيدة في الحصول على العلوم
الحديثة من منابعها الفائضة لا بد وان تسترجع مجدها بفضل
هؤلاء الأبناء الذين نعجب بهم كثيرا ونجلهم اجلالا كبيرا
وانه ليس في وسعنا بعد الذي شاهدناه من ذكاء
« مصطفى كامل » الا ان نهنيء مصر به ونرجو له النجاح
التام في العمل الذي يريد به خدمة بلاده

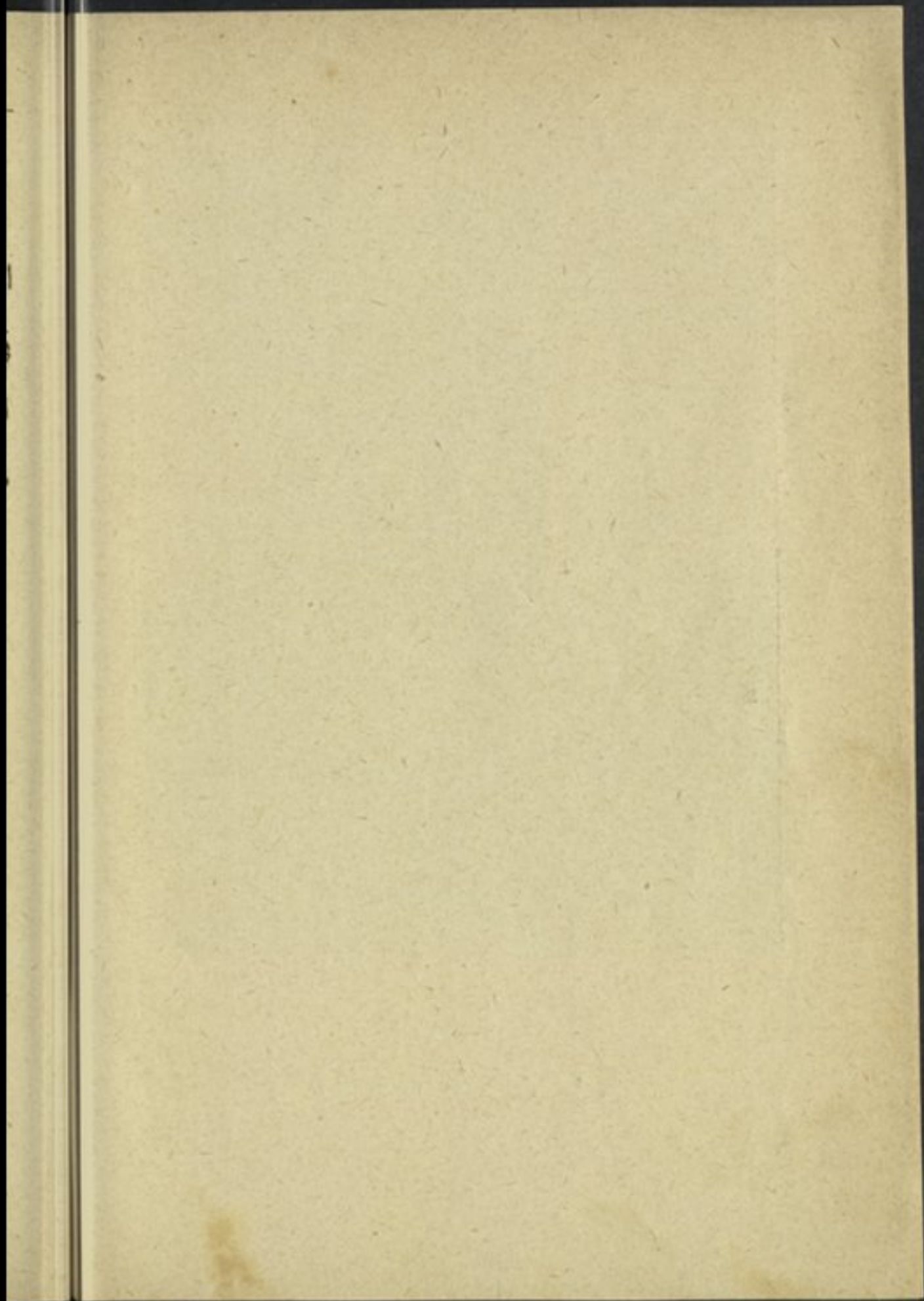
لان الغيرة التي شاهدناها على مجاهد الطلائع التي تشير الى
مستقبله الباهر والتي تدل بأوضح بيان على انه من الذين
وهبوا قوة الخطابة لا بد ان ترفعه الى مصاف مشاهير
الرجال .

ثم لا ينس القارىء انه ظاهر على سيما ومصطفى كامل
الصفاء التام في القول والفعل وان قلبه لا يزال طاهرا كريما
وفوق ذلك فان آدابه الشرقية الجميلة وتحيات نظراته الساحرة
قد هذبت علمه الغربي تهذيباً لم نره في حياتنا الا قليلا

وان مدينة طولوز لتفتخر بأن تسجل في عداد الذين
تخرجوا من كلياتها شابا كهذا الشاب نقي الفؤاد متصفا بكل
ما يزين المرء من علم وأدب ورأى صائب
وان سكان طولوز ليميلون الى معرفة « مصطفى كامل
المصرى » ومحادثته ولكن انعلن انه سافر بعد ان حادثناه فنكتفي
بأن نقدم للقراء صورته هذه



﴿ مصطفى كامل باشا ﴾
﴿ في التاسعة عشرة من عمره ﴾



وها هو الحديث الذي جرى بيننا وبينه :

« وجهنا اليه سؤالاً عن درجة احترام المصريين لنا وميلهم
إلينا - وعن حالة امتحانه الأخير - والسبب في قضائه سنتين
في سنة - وماذا يريد أن يعمل بعد بلوغه مرسى بلده - فقال
لنا بصوت عال وطلاقة نادرة ولغة صحيحة سهلة وسرعة
مدهشة مانصه :

« ان المصريين لا يحترمون أمة من الأمم الاوربية
المسيحية كما يحترمون فرنسا لأنها برهنت في كل أطوارها
التي لها علاقة بتاريخنا أنها بارة بالانسانية لا تريد الا الاخاء
بين الأمم ونشر مصايح العلم فوق رؤس العباد . فقد جاء
إلينا منكم عدد كبير بدعوة من محمد علي باشا الكبير رأس
الأسرة الخديوية فلم يعمل على دس الدسائس وبذر بذور
الشقاق بين أفراد الأمة وعناصرها بل نشر العلم باخلاص
وما زال ينشره الي اليوم بواسطة جمعياتكم . بخلاف الانكليز
فانهم دخلوا بلادنا باسم الخديوى والأمن فانقلبوا الى الضد
محاربين سموه الذي يندر أن يوجد أمير شرقى تعلم كما تعلم

فانه تلقى العلوم في النمسا والصحافة الاوربية تعرف عنه
كل حسن

وقد سألتني عن حالة الامتحان عندكم . فاسمح لي
ياجناب الفاضل أن أشكر لكم عنايتكم بالامتحانات وتمسككم
بالحق في كل شيء وتدقيقكم المحمود في منح الدرجات حسب
كفاءة مستحقيها حتى لا يظهر الخامل على النابه ولو اني شعرت
بتعب من بعض المتحنيين ولعل تألمهم من تمضيي الامتحان
أمام كليتهم بعد أن رفضته كلية باريس قد تغلب فيما يظهر لي
على عدلهم . واني لأصدق اذا قلت اني أستحق درجات كلها
بيضاء . واذا اختصرت في ايضاح هذه النقطة فذلك لاني
لاأود الاسترسال في هذا الموضوع بعد أن طوقت
طولوز جيدي بمنة لا أنساها أبداً

اما السبب في تمضيي سنتين في سنة فهو لاني وعدت
شخصاً أحترمه بذلك ولان ارادتي رغبت في هذا العمل حتى
أخرج من قيد الطلاب الى ميدان العمل . . . لاني متي
عدت الى مصر انضم في الحال الى صفوف المحامين لاني ممن

يحتقرون الحكومة المصرية الحاضرة ويرون التوظيف فيها
أو الاستغلال بظلمها جريمة لا تغتفر وكيف لا يكون الأمر
كذلك والموظف منفذ لإرادة الغاصب لا تمن وأقدس شيء
لديكم وهو الدستور . ولا أبلغ لك إذا قلت ان حراس جهنم
ربما كانوا أخف وطأة على الذين دخلوها من الرؤوس
الانكليزية التي دخلت في مصالحنا وهي جاهلة للغتنا وعوائدنا
وأعمالنا ??



هذا كلام مصطفى كامل المصرى الذي القاه بترو
وتبصرة ولو انه احتد في الجزء الاخير حدة تدل على قوة
الوطنية عند المصريين وانهم استفادوا كثير من الدروس التي
تلقوها على أساتذة منا . . . » اه

مانشرت الغازيت دى طولوز هذا الحديث حتى تناقلته
الجرائد الفرنسية المصورة وغيرها وهذه أول مرة ذكر فيها
اسم المرحوم على صفحات الغرب بهذا الاطناب الذي شرف
جنسنا ورفع ذكاءنا فوق مراتب الذكاء البشرى

وقد ورد الى بعد ذلك خطاب من المرحوم جاء فيه

ما يأتي :

« ربما وصحت الى ثغر الاسكندرية في يوم الاربعاء ٥

ديسمبر المقبل أو يوم الخميس ٦ منه فأرجوك انتظاري به . .

باريس في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩٤ . مصطفى كامل »



فسافرت يوم الثلاثاء ٤ ديسمبر سنة ١٨٩٤ الى الاسكندرية

ونزلت ضيفا على حضرة العالم الفاضل الدكتور حسن بك

حمدي . وكان حضرته يرافقتني الى شركات البواخر كل يوم

لنسأل عن قرب وصول الباخرة التي تقل عزيزنا الغائب

حتى اذا كانت الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس ٦ ديسمبر

أقبلت الباخرة وكان المترجمين ركابها فلحظناه ولحظنا فأخذت

القلوب تتناجى والايدي تتحرك بتحيات اللقاء . وكانت

الباخرة كلما قربت من الشاطيء ذراعاً زادت نار الشوق

اشتعالا فلما رست صعدت اليها مع حضرة الدكتور وتعانقت

أنا وأخي عناقا لأنساه الى الآن . وقد بكيت من فرط

السرور اذ ظفرت بلقيا أعز عزيز على وأسمى الناس مكانة في
عيني وأرسل هو دمعين جالتا فوق صفحتي خده وما عرف
للبياء سبيلا لكنه قضى بهما حق الشوق والحنان

وقد أعانني حضرة الدكتور في نقل العفش وجئنا
بالجمالين فملوه وفيه صندوقان كبيران حافظان بالكتب
القديمة والحديثة في تاريخ المسألة المصرية وسياسات الامم
وفيها عدا هذا وتلك مذكرات بعضها من كبار السياسيين
وبعضها من مكتبة باريس الرسمية وبعضها من نظارة الخارجية
وبديهي أنه كان في ذهني أسئلة عديدة أعدتها لالقيها
عليه فأول ما سألته قبل أن نسير الى البيت عن الحالة التي كان
عليها البحر أثناء قدومه فقال لي انه كان هادئا ساكنا أقل
ضيوفه بالتجلة والتكريم وأهم ما ذكره لك مما كان أنه جرت
محادثة سياسية هامة بيني وبين الكولونيل بارنج شقيق اللورد
كرومر الذي قدم على هذه الباخرة ذاتها وسأشر هذه
المحادثة في جريدة (الاهرام) الغراء

ثم ركبنا العربات وكلانا يريد أن يقص علي أخيه شيئا

كثيرا فوصلنا الى منزل حضرة الدكتور في شارع راغب باشا
وهناك نزلنا في قاعة مفروشة بأتمن الرياش والاثاث. وقضينا
تلك الليلة في ضيافة ذلك الفاضل الشهم الكريم الدكتور
حسن بك حمدي الذي أعد لنا من صنوف التكريم والحفاوة ماهو
خليق بلطفه وكرمه . وقد جلس المترجم في صدر المكان يروي
لنا الاحاديث عن أسرار رقى الغريسين وبلوغهم ما بلغوا
من العزة والسؤدد ويدلنا علي ما في السياحة من الخير
وأتمن الفوائد كشهود آيات الرقى العمراني وغذاء القلوب
بالوطنية الصحيحة وما شا كل . وقد قص علينا تفاصيل
الامتحان الاخير للحقوق فقال مامعناه :

« ان المرء اذا كد واجتهد باخلاص كان له من عمله
اكبر نصيب ولا بد أن ينجح مهما صادف في طريقه من العقبات
خذوا مثلا ما وقع لي في هذا الامتحان الاخير . فقد وطدت
النفس علي نيله مهما كلفني ذلك من المشاق ومهما لقيت في
طريقي من العقبات . فقدمت الطلب الي كلية باريس فرفضت
ولكن هذا الرفض لم يقعدني ولم يدخل اليأس علي قلبي لحظة

بل تمسكت بقدره الله وعنايته وبذلت كل مسعى في سبيل
هذه البغية حتى أتاح الله لي استاذين من اساتذتي فساعداني
على تمضية الامتحان أمام كلية طولوز . ولما كان كل رئيس
يرى من الواجب عليه أن يحافظ على كرامة العمل الذي
يرأسه . لم تقبل نفس الرئيس الشرف للكلية ولا أبأوه ان
أقضى هذا الامتحان في هذا العام لانه عد رفض كلية باريس
له وقبوله من كلية طولوز تساهلا يعد تحقيرا لهذه الكلية
ولكن العناية الالهية التي تريد أن لا تردني خائبا والتي
لا تتبدل سنتها في أى وقت من الاوقات قد نشرت علي
ظلمها الوارف وتقلب الرئيس العامل للكلية على الرئيس
الشرف وتقرر أن أمضى الامتحان

لا يغيب عنكم انه عند احتدام الجدل بين الفريقين
كنت في شغل شاغل وحيرة كبيرة اذا أنا لم أنل بغيتي لاني
عاهدت والدي وأخى الاكبر ان أمضى هذا الامتحان حتى
ان وثوقي من نفسى وشعوري بان الله معى دفعاني الى زيادة
التأكيد له بأني سوء عدي به بكل سهولة

عند ما قررت السكينة قبولي في الامتحان شعرت بأن
عناية الله فوق كل عناية وان شابا مثلي لم يرتكب معصية
ولم يرد بكده الا خيرا للوسط الذي يعيش فيه من بلد
وامة وأهل لن يحرمه الله من ثمرات مجهوده

بعد ذلك أيقنت في نفسي عند ما علمت ان المعارضين في
قبولي أعضاء في لجنة الامتحان انهم سيعا كسونني ليسقطوني
في الامتحان ولو اني كنت أثق بدمتهم لغزارة علمهم وكبر
سنتهم ولكن النفس البشرية مهما ارتفعت فانها أمارة بالسوء
فكرت في هذه النتيجة وقلت ان عقبة باريس قد زالت
بأحالة الاوراق على طولوز وعقبة المعارضين بمجلس ادارة
كلية طولوز قد اختفت امام موافقة الاغلبية والآن توجد
عقبة الامتحان الكؤود واني مهما حضرت الدروس وحفظت
المتون وعلقت الشروح فان الاستاذ الكبير كالبحر الزاخر
لا يستطيع جدول صغير من الماء ان يلاطمه أو يقف امامه
فكرت في هذا كله في وقت اشتدت فيه محاربتى
لشيطان النفوس فهو يريد ان يحل اليأس بقلبي محل الرجاء

حتى يسوء العاقبة وربما قضت النتيجة علي حياتي . ولكن هذا
القلب الصغير (وقد أشار الى قلبه رحمه الله) غلب شيطاننا
رجيما . غلب اليأس والقنوط وتمسك بالرجاء وقوة الحق التي
هي من قوة الله وكان يذكر حكمة القائل « اذا أردت أن
تغلب فأقدم ثم أقدم » . أغلقت بعد ذلك باب مسكني علي
ورسمت لنفسي خطة العمل ليل نهار حتى أزود رأسي بما أوام
معه ان يبذل غضب المعارضين لتأديتي الامتحان صلاحا ورأفة
وقد واصلت العمل حتى اذا جاء ميعاد الامتحان دخلت
اليه ضعيفا نحيفا ضئيلا فلما ذكر اسمي امام القسم الاول من
اللجنة التي كان يرأسها المدير العامل نظر الى جنبه مبتسما
مندهشا قائلا « انك ضعيف يا مسيو كامل » فأجبت بكل
خضوع « ان من يرد امتلاك قلعة عليه أن يضحى شيئا من صحته »
فارتاح لهذا الجواب وبعد أن قضيت الامتحان أمام لجنته في ثلاثة
علوم كنت فيها أري من المتحزين موافقة علي كل جواب ورفقا
في المناقشة وتلفظا في الاختبار انتقلت لتمضية القسم الآخر من
الامتحان امام اللجنة الاخرى فلقيت العكس في المعاملة من

عضوين منها هما الرئيس الشرف وأحد مساعديه في معارضة قبول
طلب تأديتي الامتحان امام كلية طولوز ولما كان مارأيته منهما
ينقل المرء من الحلم الى السخط ومن الرضا الى الغضب فأني
أجد من اللذة ان أقصه عليكم لتعرفوا مبلغ تمسك بعض
أولئك القوم بأرائهم ولتروا كيف انهم متى اعتقدوا اعتقاداً
خدموا ذلك الاعتقاد بكل وسيلة ولو ضحوا في ذلك كل شيء
فقد جلست امام الاول وهو الرئيس الشرف فأخذ
يسألني في القانون الدولي أسئلة كنت أراها سهلة فأجيب
عليها جواب الواثق المستبشر بسرور وانسراح صدر ولكن
كنت قبل ان أكاد أفرغ من الجواب على كل سؤال أجد
من ذلك الاستاذ عتناً غريباً ومغالطة ظاهرة واعتراضاً غير
لائق وتوقفاً يخرج الصدر بل كنت أراه يضرب الارض
بقدميه صارخاً في وجهي مشيراً بكلمات يديه ليغير خاطري
ولكن الله تعالى ألهمني السداد فلم أجبه على عمله ولم أظهر
له تألماً ولا استياء بل صابرة وحاسنة حتى سود علامتي
وانتقلت من امامه الى زميله الذي لم يكن ازائي أقل منه

اتقانا لهذه المعاملة القاسية .

هذا بعض ما لقيته من المعاكسة ولكنها لم تجد تقعا
اذنلت أغلب الدرجات الحسنة فنجحت بفضل الله تعالى وحصلت
على هذه الشهادة التي تعبت في سبيلها تعباً لا يستهان به .
واني أيها الاخوان اذكر لكم أمراً ما كان يدور
بمخدي وما أظنه دار بمخلكم بعد الذي سردته عليكم وهو ان
ذلك المدير الشرف الذي عاملني تلك المعاملة الجائرة رغبة في
المحافظة على كرامة كلية قضى حياته فيها قد بعث في طلبي
بعد ان نجحت في الامتحان وهنأني أحسن تهنئة وسألني ان
أعتبر ما صنعه معي غيرة على سمعة فرنسا وشرف كلياتها .
لأن هذا الاستثناء الذي عوملت به لم يقع قبل الآن لأجنبي
في جميع تاريخ الكلية ثم دعاني لتناول العشاء مع أسرته فلبيت
الدعوة بكل ارتياح وقضينا ليلة لطيفة السمر حضرها أيضاً
ذلك الاستاذ الذي كان منضماً في معاكستي الى هذا الرئيس .
وانكم لو رأيتم ما كان يوجهه اليّ في سهرة العشاء
ذلك الرئيس الجليل من البشاشة واللطف ورقة الحديث

لأنكرتم علي حديث ما صنعه معي من قبل ولكنهم يعتبرون
العمل الاول واجباً علمياً والثاني اعجاباً بالذكاء وتشجيعاً
للعاملين فعمت الاخلاق اخلاقهم وحبذا الحال حالهم»

هذا ماقاله المرحوم في ضيافة حضرة حمدي بك فكرر
له الحاضرون التهنية وأعجبوا به اعجاباً كبيراً وقد كانوا
عرفوه جميعاً من رسائله التي بعث بها الى جريدة الاهرام
في وصف المعارض وبعض مدن أوروبا مما نشرناه في هذا
الجزء

وان القارىء ليرى من الحديث المتقدم عظة باهرة هي
لطف الاحتيال على جلب الآمال بالوسائل الشريفة المشروعة
وفيه عدا ذلك ما يستتجه الفطن اللبيب فلو كان في موقف
الامتحان شخص آخر ورأى مارأى المترجم من الأعنات
والاعتراض وتلك الصيحات والاشارات نخذله نفسه وما
وفي له حسه ولكنه تغاضى عن كل ذلك واضعاً نصب عينيه
غرضاً واحداً هو نيل الشهادة المؤذنة بفوزه ونجاحه لاقياً في
هذا السبيل مالتى من المتاعب والمصاعب والنفوس العظيمة

لا تخفل بأمثال هذه الصفات وإنما هي تنظر الى ما تريد من
كبار الاهواء والمآرب

انا نرى ونسمع كثيراً ان المثين من الطلاب يقفون
مواقف الامتحانات وقد أفنوا أيامهم في الحفظ والدراسة
ولكنهم لا ينجحون واذا استقرينا أسباب سقوطهم وجدناها
في الغالب التهيّب والهلع امام صعوبة الامتحان ولو انهم ثبتوا
قلوبهم وهدأوا روعهم ولم يبالوا بشيء من الصعوبة لفازوا
فوزاً ميبناً

وقد سافرنا في اليوم التالي الذي هو يوم الجمعة ٧ ديسمبر
في الساعة التاسعة صباحاً فودعنا على المحطة ذلك الجمع الذي
كان حافاً من حولنا ثم ركبنا القطار ووصلنا الى العاصمة حيث
كان يستقبلنا بالمحطة جمهور من الاصدقاء والخلان في مقدمتهم
خالنا المرحوم الدكتور محمد افندي فهم وبعد التحية والتسليم
ركبنا الى المنزل فوجدنا الاسرة كلها مجتمعة تنتظرنا كما ينتظر
السارى طلوع القمر وكانت تلك السيدة المنجبة الشريفة
الصالحة التي اختارها الخالق تعالى للدار الآخرة أعني المرحومة

الوالدة تترقب قدومنا وهي في أظهر ما كانت عليه من الحنان.
فلما وصلنا الى المنزل وتبادل القادم من السفر وجميع أفراد
الاسرة فروض السلام وقضيت حقوق الشوق أخذ اخوانه
يزورونه ويزورهم : هم يزورونه مهئين معجبين بنجاحه وفلاحه
وهو يزورهم مثنياً على لطفهم شاكرآ لهم فضل تشجيعهم
وحسن انعطافهم عليه

وبعد ان انتهى من التزاور مدة يومين شرع يضع
رواية كلها دروس وطنية وحكم اجتماعية وقد اختار لها
موضعا وطنيا تاريخيا من اكبر المواضيع وهو فتح الاندلس
وبهذا الاسم وسمت الرواية وقد نشرت في ١٧ ديسمبر
سنة ١٨٩٤

ولما كانت من أم الروايات موضوعا ووضعا ولم يكن
بها عيب الا صغر حجمها صحت عزيمة المترجم على تكبيرها
بما أراد أن يضيف اليها من العبر والعظات ولكنه كان اذ
ذاك مشتغلا بما هو أهم واكبر من ذلك
وقد طلب من المراسح العربية أن تمثلها فتعللت بأنها

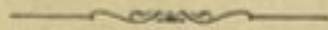
صغيرة والواقع أن العاطفة الوطنية لم تكن قد استيقظت بعد
في النفوس وهذه الرواية تمثل شهامة العرب وشجاعتهم
وخيانة الدخيل للوطن الذي لم يمتزج تبر تراه به بدقائق أجسام
آبائه وجدوده وتبين كيف أن ألا عيب المرأة وخذعتها قد
تكون سببا في قعود أمة وقيام أمة

وقد نسج المرحوم هذه الرواية على منوال رواية للمسيو
كستيني أحد محرري بلجيكا التي رسفت في قيود الذل
والاستعباد تحت النير الهولاندي زمنا طويلا . نعم نسج على
منواله فيها من الوجهة الادبية تماما لان تلك تشرح مقدار
الغبين الذي ينال الامم المستعمرة من الامم المستعمرة لها . وأن
الداخل على الدوام طامع وهو عبد قوله (ليس للطمع من
حد) وقد كان مؤلف الرواية المشار اليها أحد ممثليها الذين
مثلوا بعد ذلك دورا كبيرا في مذبح سنة ١٨٣٠ التي وقعت
بين البلجيكين والهولانديين وانتهت باستقلال بلجيكا

وأما هذه فانها عظة من حقيقة وقدوة من واقعة مشاهدة
ما دعا فيها المرحوم الى ما يخل بالامن لانه كان يعتقد أن

الثورة سيئة المقدمة والنتيجة معا وهي أخطر ما يكون على
الامم والاطوان

ولم يستعن المرحوم في هذه الرواية بقلم غير قلمه بل كل
نثرها وشعرها من نتاج قريحته . وأما ما لقيت من الاقبال
وسرعة الانتشار فقد وزع مناسطة آلاف نسخة في وقت
أهملت فيه آثار العرب وكسدت صناعة الادب
وها هي الرواية بنصها وفصها :



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« المقدمة »

الحمد لله الذي ضرب الامثال للناس وجعلها تذكرة لقوم
يعقلون وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد نبي الحق الصادق الوعد
الامين وعلى أصحابه وأحبابه مصاييح الهداية المرشدين (وبعد)
فلما كانت حاجة الشعوب الي التأليف والصنيف تختلف
باختلاف الزمان والمكان وكان أجدر المؤلفات بالنظر ما يهدى
الأمة منها الى طرق الخير والرشاد ويبعدها عن سبل الفج
والفساد عن لى ان أكتب رواية أظهر لقومى فيها دسائس
الدخلاء على الامم الذين يتردون بردائها ويتخاطبون بلغتها
ويخالطونها مخالطتها ببعضها فيكونون كالسهم فى الدسم بغية منهم فى
اسقاطها من أوج مجدها الى حضيض ذلها . شارحاً غير ذلك
فضائل الأمة العربية وأخلاقها الكاملة وعظيم تمسكها بالمكارم مما
جعلها فى حصن حصين من شرور الدخلاء ومكاييد الأعداء الالاء
وقد اخترت من الموضوعات التاريخية موضوع فتح

الاندلس لانه من أجمل الفتوحات الاسلامية التي فاز المسلمون
فيها فوزاً ميبيناً وقد أحطت في هذا الموضوع الحقيقة بالخيال
غرضاً لاظهار المقصود بكامل مظهره

واني فيما أتيت لست بالاول بل ان كثيراً من كتاب
العرب الاقدمين والغربيين والامريكانيين المعاصرين اختطوا
هذه الخطة ارشاداً لأممهم فكتبوا القصص والحكايات وألقوا
الروايات من تشخيصية وغير تشخيصية وصار لها من التأثير
في النفوس والمنزلة في القلوب ما جعل الناس يختطفونها اختطافاً
ويطلبون تشخيصها المرة بعد المرة حتى يشاهد المقيم وكذلك
السائح في أوروبا أو في امريكا عدة من الروايات بلغ تشخيصها
فوق الالف والالف مرة وهذا عندهم ليس بمستغرب لكثرة
وقوعه بينهم وتواتره من شهر الى شهر وعام الى عام

فهذه يا أفاضل الكتاب وأماجد القراء روايتي التي كتبتها
باحساسى الصادق أقدمها لكم مطبوعة ولم أر ان أقدمها
مشخصة الا بعد قراءتكم لها واستحسانكم لمبدئها وغايتها
واني أرجو كل من طالعها ورأى فيها محلاً للانتقاد ان يرشدني

اليه تعظيماً للأدب ونصرة للعلم والتأليف مصطفى كامل

الفصل الأول

(ملخص الفصل) يظهر في المرسح الوزير عباد (وهو

روى الاصل) وزير الامير موسى

ابن نصير ويغازل بنتا رومية اسمها

(مريم) أتت من بلادها صحبة رجل

اسمه (نسيم) بقصد رجاء عباد في

منع وقوع حرب الاندلس فيأبى

عباد أولاً فتغضب وتخرج من عنده

ثم يأتي نسيم ويتكلم مع عباد الى

ان ينهي الامر برضاء عباد

(متكلم مخاطب)

عباد - مريم

يا زهرة الغرب ان الحب أضنانى

وحسن قدك أعيانى وأفنانى

ملكنت قلبي ففضلت الغرام على
ما كنت فضلته في كل أزماني
لك القواد فجودي بالوصال فما
أحلي الوصال على قلبي ووجداني
لك الحياة وما في الجسم من رفق
ومن ذمء ومن دمع وأشجان
لك الوزير وزير الملك ممثل
فمتعيه بما يمسى به هاني
حسبت أن الهوى يجدي فهمت به
فما أفاد وما للوصل أدناني
فهل ترين وراء الحب منزلة
تدني اليك فان الحب أقصاني
نعم وراء الهوى يا صاح منزلة
تدنيك مني ومن وصلي واحساني
وهي الوفاء لا وطن بها نشأت
آباؤك الغر من فازوا بعرفان

فتجاوبه

مواطن خير ما تهدي البنون لها
دفع لضر واعلاء لبنيان
هذي بلادك يا عباد في خطر
فاحفظ معا هدها من هدم أركان
يرجوك ذوالروم دفعا للحر وب عسى
تطيب اندلس يا عين انساني
فان أجبت فيوم الوصل مقرب
وان رفضت فاني عنك في شان
عباد - مریم . مالك يا حبيبي تخافين على الغرب
وأهله على ان ملك بلادك في
القسطنطينية وهي لاشك بعيدة عن
الضير

مریم - عباد . كيف تقول ذلك وأنت أعلم مني بأن
العرب قوم الطمع أصدق صديقتهم
وحب الفتوح نبراسهم ودليلهم ان
فتحوا بلدا لا يفتقوا عنده بل يتجاوزونه

متكلم - مخاطب . الى غيره ولو كان وراء ذلك أشد

المصاعب وأكبر المتاعب

عباد - مريم . لا تخافى ياسيدتى على القسطنطينية

وكونى آمنة مطمئنة فانى واثق بأن

العرب ان فتحوا الاندلس

لا يتجاوزون جبال الالبه أبدا

مريم - عباد . من ذا الذى يحقق لك هذا القول

والامور مرهونة بأوقاتها

هم يقولون اليوم اننا لنبغى الا الاندلس

ولكنهم سيقولون فى الغد انما نبغى

أن تكون لنا الارض متاعا من

مشارقتها الى مغاربها

عباد - مريم . لا تظنى يا حبيبتي هذا الظن البعيد

واعلمي أن الوليد ابن عبد الملك أمير

المؤمنين الحالى لا يرضى بفتح غير

الاندلس لانه أشد الامراء جبا

متكلم - مخاطب . جنوده وهو يخاف عليهم كثيرا
مريم - عباد . جرد عن فكرك هذه الظنون واعلم
أن هذه الامة الفخمة العالية البنيان
المشيذة الاركان التي أرهبت كل
انسان لا تهاب الاندلس ولا غيره .
تلك أمة كالحديد لا يقطعه الا
الحديد واني لنا بقوم من الحديد
يقدرون على مقاومة رجال هذا
الشعب العظيم . الاولى بك يا عبادان
كنت مخلصا للقسطنطينية ولمريم أن
تتلافى الامر وهو صغير قبل أن
يتسع الخرق على الراقق وتقول يومئذ
عند ما ترى أهلاك واقاربك وبنى
وطنك في السجن يستغيثون ولا مغيث
لهم ويستعينون ولا معين لهم ياليتني
أطعت حبيبتي مريم وسمعت نصيحتها

عباد - مریم. ما كنت أظن ياسيدتي ان الفكر يصل

بك الى هذا الحد وان التأمل يبعثك

عن النظر في مرآة الحقائق فاني

وحقك واثق كل الوثوق بان العرب

لا يتجاوزون الالبة ولا يفتحون غير

الاندلس وأنا أعلم منك بأسرارهم

مریم - عباد. عجباً لك يا عباد ما أحبك للبلاد العربية

وما أشدك وفاء لها وما أعظمك جفاء

لبلادك الاصلية ومواطنك الاولية

التي أنشأت آباءك وأجدادك الاولين

أنسيت يا عباد ان لك أهلاً وأقارب

ترجو ان تمنع حرب الاندلس

وتستغيث بك اما تغيثهم وهم ذوو

القربي وأقرب الناس اليك

وأحبهم لديك أنسيت ان لك دماً

يطالبك بمحقوق كبيرة وواجبات

متكلم - مخاطب عزيمة ألا تؤاخذك سريرتك ويوبخك

ضميرك على عظيم تقصيرك عن اداء

الوطنية حقوقها والجنسية فروضها

وواجباتها. كيف تقول ان القسطنطينية

في مأمن من العدو وانت تعلم اننا ما قطعنا

البوادي والبحار وركبنا متن الاخطار

أنا ومواطني نسيم الا لندعوك لهذا

العمل الجليل الذي يحفظ لك في تاريخ

بلادك أعظم شرف وأكبر مجد ويخذ

لك في نفس كل رومي تذكراً لا تمحوه

الايام وذكراً باقياً لا تنسخه الا عصار

والاعوام

عباد - مريم . لا تغضبني على يا حبيبتي واصفني لما أقول

مريم - عباد . دعني فما كنت اخالك هكذا خائناً بالبلادك

(وتخرج)

(بعد ذلك يخاطب نفسه مندهشاً بين

(وقوف وتمش)

خائناً لبلادي . يالها من كلمة أصابت
فؤادي ألى هذا الحد بلغ كدرها
وتعاضم غضبها تالله لا رضينها وأخلص
بلاد الاندلس من أيدي هؤلاء
الطماعين (ثم يهيم بالخروج ولكنه
يرجع متفكراً ويقول)

آه ولكن هم العرب أسيادي وأرباب
نعمتي وأصل مجدي وسعادتي كيف
اخونهم تالله ان هذا يعد لؤماً كبيراً
ياربي ماذا اعمل . ان قمت للعرب
بالواجب أغضبت حبيبتى مريم ولربما
كان ذلك سبباً لضياع بلادي وهو
مالم أحبه ولا أحبه طول حياتي وان
قمت لاوطاني العزيزة بما يجب علي لها
خنت قوما انزلوني من بينهم منزلة

(متكلم - مخاطب) شماء وأحلوني مكانة علياء وعودوني

بعوائدهم وربوني على اخلاقهم

وفضائلهم ياربي كيف العمل (ثم يتفكر

قليلاً متمشياً ويقول)

ليس لي والله الا ان استعمل الخداع

مع العرب وأقبح لهم الحرب وما

ينجم عنها وأحسن لهم منعها وبذلك

اكتسب رضا الجانبين تبقی دولة

العرب كما هي والقسطنطينية كما هي

(ثم يسكت متفكراً ويقول)

نعم ان هذا هو الرأي الصواب

(بعد ذلك يدخل نسيم وهو الذي

أتى بصحبة السيدة مريم من

القسطنطينية)

أسعد الله نهاري سيدي الوزير الكريم

أسعد الله نهارك أيها الاخ العزيز

نسيم - عباد

عباد - نسيم

كيف حالك ؟

الحمد لله

وكيف ترى البلاد العربية

أراها مشرقة بأنوارك

حفظك الله وكيف تجد أهلها

أجدهم قومًا لا يهمهم إلا إعلاء شأن

دينهم ونصرة بلادهم ولو كان وراء

ذلك الموت الذؤام

أما قابلت السيدة مريم قبل حضورك

هنا

نعم انى قابلتها فى الطريق

وكيف رأيتها

رأيتها مقطبة الوجه خلافا لعادتها

ولما سألتها عن سبب ذلك قالت انك

أظهرت لها عدم رغبتك فى قبول

رجائها وانه لا يمكنك ان تساعد

نسيم

عباد

نسيم

عباد

نسيم

عباد

نسيم

عباد

نسيم

أوطانك وتجيّب دعوة أقاربك
وأهلك فتعجبت لذلك كثيرا وكدت
أن لا أصدقها لولا علمي بصدقها

حاشا لله أن أكون أظهرت لها اني
لا أساعد بلادي أولا أجيب دعوة
أهلي وأقاربي ولكني حققت لها ان

الضير بعيد عن بلادنا فلم تسمع مني
كيف ذلك يا مولاي هب ان الضير
بعيد عن بلادنا أنسيت ما لسكان
الاندلس معنا من الروابط والعلاقات
القومية والدينية

اني لم أنس يا نسيم كل ذلك ولكنكم
قد استعجلتم في طلبكم فاني وحق من
أحب وأهوى لفاعل ما يرضى وطن
أجدادى ويريح خاطركم وخاطر
أهلي وعشيرتي

عباد -

نسيم

عباد

نسيم
انا يامولاي لم نستعجل في الطلب
أبدا لانك تعلم اننا ماغادرنا بلادنا
وتكبدنا هول البر والبحر حتى
وصلنا الى هنا الا لهذه الغاية الشريفة
عباد
كن آمناً يانسيم على بلادك وأذهب
الآن الى السيدة مريم واعلمها اني
ذاهب في هذه الساعة الى الامير
وسأبذل جهدي في منع وقوع
الحرب سهل الله علينا كل أمر عسير
نسيم
سر على التوفيق نبح الله مقاصدك
(يتفارقان وتنزل الستار)

﴿ ملحوظ ﴾

أثناء كل مايجرى في هذا الفصل يمر خاف المتكلمين
رجل متجسس اسمه عارف

الفصل الثاني

الملخص :

يرفع الستار عن الامير موسى بن
نصير أمير المغرب بالقيروان وعلى
يمينه وزيره الاول عباد وعلى يساره
وزيره الثاني حبيب والجنود مصطفة
تدعو له بالظفر والنصر فيسعى لديه
عباد في منع وقوع الحرب فيأبى
ويدعو اليه طارقا ورؤساء فرقه
وقسم من جنوده فيأمره بالاستعداد
للسفر فيجيبه لذلك طارق وتنشد
الجنود نشيداً حماسياً يجيبهم عليه
موسى وبذلك ينتهى الفصل

(متكلم - مخاطب)

الجنود - موسى

عش بالهناء ممتعا * يا أيها الشهم الرشيد
وارفع منار بلادنا * بالعزم والحزم المحيد

(متكلم - مخاطب)

وابلغ منك بعزيمة * تأوى الي رأى سديد
واهلك عداتك انهم * للملك أول من يبيد
وانصر بسيفك ديننا * في ظل مولانا الوليد
أبقاك رب العرش في * عز واسعاد مديد
وأطال عمرك بالغاء * في كل وقت ماتريد
موسى - عباد . هل أجابت الخلافة العظمى والامامة الكبرى
على خطابنا المتعلق بمحاربة لذريق يا عباد
عباد - موسى : نعم يا مولاي قد أجابت
موسى - عباد . بم أجابت
عباد - موسى . أجابت بتفويض الامر الى نظر كم السامي
موسى - عباد . اذاً لنا ان نوقع الحرب أو نرفعها
عباد - موسى . نعم يا مولاي
موسى - عباد . وماذا ترى أنت امن الصواب ايقاعها أو رفعها
عباد - موسى . اني أرى ان رفعها هو الصواب لاننا لسنا واثقين
من ان أقواتنا أوفر من أقوات العدو

متكلم - مخاطب

وان جندنا أشد من جنده فضلا عن
ان الحرب عندئذ لا تكون بيننا وبين
القوطيين (سكان الاندلس) فقط
بل تكون بيننا وبين كل الافرنج
لان غير القوط منهم لا يرضى بوقوف
القوط امامنا وانهم لنا بل لا بد
من ان يمد لهم يد المساعدة حتى
ينصرهم علينا

وانت ماذا ترى يا حبيب
اني ارى ان رفع الحرب خطأ محض
لان فتح الاندلس الآن يعد فرصة
عظمية لاعلاء كلمة الله ومهما تكن قوة
الافرنج في الحرب وثبات جأشهم
في القتال فان جنودنا باخلاصهم لدينهم
وقوة حزمهم وعظيم عزمهم وقويم

موسى - حبيب ،

حبيب - موسى .

(متكلم - مخاطب)

اتحادهم مع بعضهم لا بد ان ينالوا الفوز
والنصر

موسى - ملتفتاً الى عباد . هذا هو الحق الواضح يا عباد انه لا يليق

بنا ان نرفع الحرب بعد ما وعدنا بليان

بفتح الاندلس وتخليص البلاد من

أيدى الطاغية « لذريق » الذى عم

فساده وكثر فسقه واعتسافه كيف

لا وانا لو رفعناها لقاتل الناس عنا

اننا كالأطفال لا تثبت عند رأى ولا

نقف عند مرام . الاجدر بك يا عباد

ان تعدل عن رأىك وان تتبع القائل

لا تكن كالشرار يعلو ويهوى

ويزيل الغبار منه اللهبيا

بل تثبت ان شئت درك المعالى

واجعل الحزم صاحباً وحيبياً

(متكلم - مخاطب)

اني لم أقل برأيي يا مولاي الا حرصاً
عباد - موسى .
منى على حياة جنودنا وشرف بلادنا
وسوف يعلم الامير ان رأيي صائب
متى ذهب الجيش وعاد

سوف يذهب الجيش يا عباد ويعود
موسى - عباد .
بفوزميين . قم وادع لنا القائد الهمام
طارق بن زياد ورؤساء فرقه الاربع
وقسما من الفرسان أتباعه حتى تأمره
امامهم بالاستعداد للرحيل

عباد - موسى .
الامر أمرك (ويخرج)

موسى - حبيب .
حقيقة يا سيد حبيب ان فتح
الاندلس الآن يعد فرصة عظيمة
لاني تحققت من صدق يليان أمير
سبته الذي كانت شكايته لنا من أميره

متكلم - مخاطب

لذريق اكبر داع للسعي في فتح هذه
البلاد

حيب - موسى ..
كيف لا وأمير سبته كله حقد على
لذريق نظراً للفظائع التي ارتكبتها
هذا الامير القوطي مع ابنته ولا شك
انه سيرشدنا الى اسرار كثيرة
يكون من ورائها النفع العميم

هذه حقيقة جليلة

موسى

(بعد ذلك يدخل عباد وطارق
ورؤساء فرقه وقسم من جنوده
فيقوم موسى واقفا ويصافح طارقا
ورؤساء فرقه بيده ويقول مخاطبا
طارقا)

موسى - طارق . أيها البطل المقدم

متكلم - مخاطب

تعلم جيداً ما كان من معاداة يليان
امير سبته لمليكه لذريق سيد القوطيين
وصاحب ملك الاندلس نظراً لكونه
هتك عرض ابنته واستحل أمراً
محرمه الشرائع كلها وتقبحه العوائد
الحسنة والاخلاق الفاضلة ولا يصح
لادنى الافراد مقاماً أن يأتيه لالملك
كبير كلذريق وتعلم ما كان من أن
يليان استنجد بنا ودعانا لفتح الاندلس
مما حملنا على مخاطبة أمير المؤمنين في
هذا الشأن واليوم دعوتك الى
لاعلمك ان أمير المؤمنين حفظه
الله قد فوض الامر الينا ففضلنا
الفتح والجهاد. ونظراً لثقتنا بغيرتك
العربية وحميتك الاسلامية ومهارتك

(متكلم - مخاطب)

الحرية قد اخترناك يا طارق قائداً
للحملة التي ستفتح الاندلس باذن الله
فسس الجنود أحسن سياسة وعاملهم
أجل معاملة واعدل بينهم واختر لهم
ما تختاره لنفسك واجعل القرآن
مرشدك في كل الامور ودليلك
وهاديك في حلك وترحالك فاحكامه
الحكيمة وأنواره الساطعة الباهرة
ترشدك أنت ووجدك الى ما فيه خير
المسلمين والاسلام

فاستعد يا طارق وسر بعد اسبوع
كامل متكلاً على الله وتزود قبل
سفرك واستكمل استعدادك حتى
يظهر دين الله الحنيف في تلك البقاع
وتنصر الاسلام في هذه الاصقاع

متكلم - مخاطب

وتحقق قول الرسول عليه الصلاة
والسلام (زويت لى مشارق الارض
ومغاربها وسيلبغ ملك أمتى ما زوى
لى منها)

واذا نلت المرام وفتحت البلاد فآمن
الناس على أموالهم وأولادهم وعوائدهم
وحريةهم شأن الكرام الفاتحين
والمسلمين المعتصمين بحبل من الدين
متين . وأنت تدرى ما فى ذلك من
الخير اذ أن الرفق بالمغلوب أمضى
سلاح للمؤمنين الصادقين وانا لنؤمل
فيك ما بعثنا بك اليه فانت قائد ماهر
ورؤساء فرقك كلهم بك مقتدون
وجنودك أبطال شجعان لانفخار لهم
الا نصرتهم على عدوهم ولا ساعد لهم

متكلم مخاطب

الا سيوفهم فاستعد للسفر وتوكل على
الله (ثم يجلس)

فيجيبه طارق : أيها الامير الجليل

لقد اخترت للحملة التي نيط بها فتح
الاندلس رجلا لام له الا نصرة
الاسلام واعلاء كلمة الايمان ولو
جرت وراء ذلك أنهر من الدم وبحار
من ماء الجماجم. واني الغيرة العربية
والحمية الاسلامية لباذل جهدي في
اعلاء شأن ديني بتلك البلاد
وقتل طاغية القوم لذريق
وتشتيت كلمة ملكه وهدم دعائمه
واني أعد سعيد الحظ موفقا للخير
لتكفيني بهذه المهمة التي طالما تآقت
نفسى للقيام بمثلها وسوف يبلغك عنى

متكلم - مخاطب

يا أميري وعن رؤساء فرقي وجنودي
مايسرك ويرضى خاطرک ويرضى
أمير المؤمنين ويهيج كل فرد من أفراد
الامة الاسلامية وفقنا الله لما فيه
خير بلادنا وسعادة أوطاننا وعز ديننا
انه سميع مجيب

(بعد ذلك ينشدر رؤساء الفرق والجنود)
سيرى لذريق منا

قوم حرب وطعان
سوف يلقي ما يلاقى
من نكال وامتهان
سوف يلقي قوم نصر
في لظي الحرب العوان
تخطف الارواح خطفاً
بحسام وسانان

متكلم - مخاطب

فهلماوا بابتهاج
نقتل النذل الجبان
ونولى الدين ملكا
زاهراً مثل الجنان

فيجيئهم موسى واقفاً

يارجالي ان شكري
لا يوفيه الزمان
فلا اتم اهل فضل
وكمال وبيان
ولا اتم اهل رمح
وحسام وسنان
فانصروا الدين بسيف
ونبال وطعان
وعلى الله فسيروا
في سلام وأمان

(يُخرج الأمير والكل خلفه وينزل)
(الستار)

الفصل الثالث

الملخص

يرفع الستار عن « عارف » الذي
تجسس في الفصل الاول على عباد
ومريم ونسيم ويظهر انه عالم بما يجريه
عباد من الدسائس وانه سيبلغ كل
ما ينوي عليه هو ورفقاؤه الى طارق
انتقاماً من عباد الذي طالما اضره وخدمة
للاسلام ثم يختفي ويحضر عباد ونسيم
ويدبران دسيسة لارجاع الجنود
وبعد ذلك يخرج نسيم ويرسل مريم
فيخبرها عباد بما اتفق عليه مع نسيم
فتسر لذلك وتأخذ عباداً وتخرج

(متكلم - مخاطب)

عارف

ما أحسن الانتقام من اللئام . لاسيما
إذا كان فيه خدمة للإسلام . الانتقام
الانتقام . لا يقوم به إلا كل قادر
عزيز ولا يحجم عنه إلا كل عاجز
ضعيف . نعم نعم قد جاءت الفرصة
بإعباد لا يقاعك في جهنم العذاب .
أما كفاك ظلمك وعدوانك على
الأفراد وسجنك لهذا يوماً
وطردك لذلك آخر حتى قمت اليوم
اجابة لداعى هواك الفاسد تقصد
بالدولة الخراب وتريد لجنودها
الخدلان . والله لأرينك من العذاب
اشكالا وألواناً وأجعلنك عبرة للناس
انساناً انساناً وهكذا يلقي كل خائن
يريد بنا ضيراً . الآن يأتي عباد ونسيم

(متكلم - مخاطب)

ويدبران ما يدبران وأنا هنا اختفى
لا سمع ما يقولان وهما لا يعلمان ومتى
وقفت على حقيقة أسرارهما وكنه
نواياهما وتم ذلك عندي رفعت لطارق
به تقريراً والله لا يفلح كيد المفسدين
(ثم يخفى وبعد قليل من اختفائه
يأتى عباد وبصحبه نسيم)

لعلك تكون عملت لنا عملاً ساراً
اني وحقك بذلت أقصى جهدي في
منع وقوع الحرب فلم يقبل الامير بل
دعا اليه طارقاً ورؤساء فرقه وقسماً
من جنوده وأمرهم بالاستعداد للسفر
وهم سيسافرون بعد أيام قلائل

كيف ذلك وما العمل
اني والله في غاية الخيرة

نسيم - عباد .

عباد - نسيم .

نسيم - عباد .

عباد - نسيم .

(متكلم - مخاطب)

نسيم - عباد .

لابد لنا من تدير أمر والا ضاع
أملنا وعدنا الى بلادنا خائمين دون
ان نبلغ مراداً

عباد - نسيم .

حقيقة يانسيم اثنا ان لم نعمل حيلة
لمنع الحرب اتصر طارق على لذريق
وقومه وانتهى الامر

نسيم - عباد .

انى أرى اثنا ندس للامير سما في
الاكل فيموت وبذلك يكون لك
ان تدعو طارقاً وجنوده ليعودوا
لانك تكون وقتئذ صاحب الامر
والنهي

عباد - نسيم .

لا . لا . ان هذا رأى ضعيف لان سم
الامير صعب المنال وربما ينكشف
السر وتعلم حقيقة الامر وموت الامير
جأة ليس بالامر اليسير فضلا عن

(متكلم - مخاطب)

ان طارقا لا يطيع أمرى مطلقاً لما

بيننا من الخلاف القديم

كيف لا يطيع امرك وأنت تكون

عندئذ صاحب الشأن

نسيم

أنا وائق بأنه لا يطيع واذا سئل عن

ذلك احتج بانتظار أوامر الخليفة

عباد

اذا كان الامر كذلك فلنرسل لطارق

من يسمه ليموت ومتى مات تذهب ريح

الجنود ويفشل أمرهم ويضطروا للعودة

نسيم

وهذا أيضاً رأى ضعيف

عباد

اذا فماذا ترى أنت

نسيم

اني أرى اننا نأتى بجندى ونكتب

عباد

له رسالة تنسبها الى السيد محمود رئيس

الفرقة الاولى ونقول فيها ان طارقا

مات والحزن مستول على قلوب

(متكلم مخاطب)

الجنود والافق ارجاعهم ويقدمها
للامير ويخبره بأنه آت بها من قبل
الرئيس محمود وعندئذ أشير على الامير
برجوع الجند فيضطر لقبول المشورة
ويأمر برجوعهم وبذلك ترفع الحرب
واذا رجع الجند ورأى الامير ان
طارقاً حياً وليس بميت ماذا يكون
لاشىء. يكون اننا بعد عمل الحيلة نقتل
الجندى ونخفي جثته فان سأل الامير
عنه نقول مات وبذلك لا تعلم الحقيقة
لله درك يا عباد ان هذا الرأي لا صوب
ما يرى

نسيم

عباد

نسيم

الحمد لله على ذلك

عباد

يلزمى الآن ان اذهب الى السيدة مريم
لاخبرها بهذا الاتفاق

نسيم

(متكلم - مخاطب)

لا لا. لان شئت فأرسلها اليّ ولا تخبرها
أنت

عباد

الامر أمرك (ويخرج)

نسيم

﴿ يتمشى عباد ويقول ﴾

حكم الهوى في البرايا لا مرد له
فلا يخالفه الا أخو اللمم
قد كنت قبل الهوى أرضى بما رضيت

به المكارم من مجد ومن شمم
واليوم أرضى بما يرضى الغرام به
من ذلة أبعدتني عن ذوى الهمم

والله لولا الهوى في الناس ما عشقت

نفسى تفهقراً أهل الفضل والكرم
لكن حكم الهوى يقضى على بأن
أخون سادة هذا العصر في الامم
﴿ بعد ذلك تدخل عليه مريم ﴾

(متكلم - مخاطب)

- مریم ماذا عملت يا حبيبي عباد
عباد عملت كل شيء يرضيك يا سيدتي
مریم عجل بالله عليك وأخبرني فاني بشوق
مزيد لسماع ما عملت
عباد كل ماجرى اني لم أنجح في طلبي عند
الامير وعن قريب سيسافر الجيش
مریم سيسافر الجيش
عباد نعم سيسافر ولكنه سيعود عما قليل
مریم كيف ذلك أخبرني بكل سرعة بالله عليك
عباد اعلمني يا حبيبتى انه لما خاب مسعاى لدى
الامير اجتمعت قبل حضورك بزمن
قليل مع نسيم ودبرنا حيلة يالهامن
حيلة
مریم ما هذه الحيلة
عباد افكر نسيم أن نسيم الامير أو

متكلم - مخاطب

نسم طارقا الا اني رأيت ان الخطر
حليف الفكرتين فاستصوبت ان تأتي
بجندى نكتب له رسالة وتنسبها الى
الرئيس محمود ونقول فيها ان طارقا
مات ولا بد من ارجاع الجنود لان
الحزن مستول على قلوبهم وعند
ما يقدمها ذلك الجندى للأمير أشير
عليه بارجاع الجنود فيضطر لارجاعهم
وهناك نقتل الجندى حتى اذا عاد
الجيش ورأى الامير ان طارقا حي
وسألنا عن الجندى نقول انه مات
وبذلك لا يعلم للأمر سر

مریم
الله هذه الحيلة والله عباد لقد اطمان
الآن خاطري على وطني وارتاح
ضميري لهذه المكيدة الجليلة الا اني
أرى انه من الواجب على أن انبهك

(متكلم - مخاطب)

لا امر مهم للغاية وهو ان ذلك الجندي
يكون من البربر الحديثى العهد
بالاسلام لاني اظن ان العرب
لا يجسر أحد منهم على خيانة بلاده
لهذه الدرجة

حقيقة ان العرب لا يجسر أحد
منهم على القيام بهذه المكيدة لانهم
اشتهروا بين سائر الامم بشدة
حرصهم على مصالح بلادهم وعظيم
اخلاصهم لأوطانهم فضلا عن ان
العرب أهل ذكاء وحنق شديدين
فاذا كلفنا أحدهم بهذا العمل لاشك
انه يفهم من أول لحظة اننا سنقتله
بعد قيامه بأموريته بخلاف البربر
فانهم أقل من اجلاف العرب نفساً

عباد

(متكلم - مخاطب)

وأعظم شراهة واكبر غباوة ومن
السهل على الانسان ان يستخدمهم
في مثل هذه الأمور

الحمد لله على هذا التوفيق . هيا بنا

مريم

يا حبيبي نخرج من هذا المكان الآن

لئلا يطلع أحد على سرنا

هيا بنا. ...

عباد

﴿ يخرجان وينزل الستار ﴾

الفصل الرابع

يرفع الستار عن الامير موسى ووزيراه

الملخص

حواله ولا يلبثوا غير قليل من الزمن

حتى يأتي الرسول المصطنع ويقدم

الخطاب فيتكدر موسى كدراً شديداً
ويذهب الى بيته ليدير امراً وعند
ذلك يكلف عباد نسيما بقتل ذلك
الجندي الذي قدم الرسالة خوفاً من
ظهور السر فيجيبه لذلك ويخرج
ثم يأتي موسى ويظهر للوزيرين
انه عزم على الرحيل واللاحق بالجنود
فيحاول عباد منعه فيأبى ويبنام
يتجادون في هذا الامر اذ يأتي
كتاب من طارق يبشر فيه المسلمين
بالنصر فيسر موسى جداً وكذلك
كل الحاضرين ومن ثم يتغير لون عباد
ويظهر من فعله وكلامه انه سبب
الدياسة فيأمر موسى بسجنه ويستعد
للسفر واللاحق بالجنود ليم الفتح مع
طارق ويولى ابنه عبد الله على المغرب

ويكلفه بإرسال عباد بعد سفره
بيومين مع بعض جنود يحرسونه)

(متكلم مخاطب)

ما عندك من الاخبار يا عباد
موسى
لا شيء يا مولاي الرعية بخير
عباد
وهناء والامن ضارب اطنابه على
سائر ارجاء البلاد

ان سفر الجنود يا عباد قد أخذ من
موسى
قلبي مأخذاً كبيراً واني أفكر
كل وقت فيما سيكون

اني والله أتوجس خوفاً من هذا
عباد
الامر ولا أرى فيه صلاحاً مطلقاً

أظن انهم وصلوا من مدة الى الجزيرة
موسى
الخضراء

لعلهم وصلوا اليها
عباد

(بعد ذلك يدخل الحاجب ويقول)

(متكلم - مخاطب)

مولاي . بالباب ساع يقول انه من
قبل السيد محمود رئيس الفرقة الاولى
من حملة الاندلس ومعه كتاب باسم
مولاي الامير

دعه يدخل

موسى

ياترى ما بهذا الكتاب ولم أرسله
السيد محمود ؟

عباد

ولم أرسله السيد محمود ولم يرسله
طارق ؟

موسى

﴿ يدخل الساعى ﴾

سلم الكتاب للوزير عباد
اقراه لنا يا عباد

موسى

موسى

(يقرأ الكتاب) من محمود رئيس

عباد

الفرقة الاولى الى امير افريقيا موسى
ابن نصير

(متكلم - مخاطب) ليس في الامكان أن أصف لك
يامولاي ما استولى على قلوب الجنود
من الاسبى والحزن من ساعة ما وارينا
التراب قائدنا المهام وفارسنا المقدم
طارق بن زياد عقب مرضه . واني
أرى كما يرى اخواني رؤساء الفرق
ان الاولى ارجاع الجيوش الى
القيروان لان الاسف عام والكدر
شامل ويخاف على الجيش من
الانهزام في الوقعة مادام على هذا
الحال والسلام «

آه وامصيبته اطارق مات
(الأيها الموت الذي ليس تاركى
أرحنى فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيرا بالذين أحبهم
كأنك تنحو نحوهم بدليل)

موسى

(متكلم مخاطب)

﴿وتسكب عيناه الدموع﴾

عباد تصبر يا مولاي فان الصبر من

الامور بمنزلة الرأس من الجسد ولا

تملاً قلبك من الاسف فان يكن

مات طارق فقد مات شهيد خدمة

دينه وبلاده يرجو لاميره ان يعيش

ممتعاً بالهناء والصفاء

(مولاي)

حيب

(ادفع بصبرك حادث الايام

وترج لطف الواحد العلام

لا تياسن وان تضايق كربها

ورماك ريب صروفها بسهام

فله تعالى بين ذلك فرجة

تخفي على الابصار والافهام)

يا وزيرى ان المصاب عظيم

موسى - لوزيريه

متكلم - مخاطب

والخطب مدلهم والاسى متقبل والصبر
مدبر كيف أعمل الآن فى أمر
ارجاع الجنود ان أرجعتهم قالت
الاعداء ما كان عندهم الا طارق
فضلا عن انهم يطعمون فى بلادنا وان
أبقيتهم فشل أمرهم وذهبت ریحهم
لتمكن الحزن من قلوبهم

والله لقد كان يحدثنى فؤادى بأن
هذه التجريدة تعسة الطالع ولذلك
أشرت عليك يامولاي برفع الحرب
وعدم ايقاعها وانى أرى الآن أنه
لا بد من ارجاع الجنود

ليس للامير أن يقر على شىء
الآن وهو محاط بالكدر والاسف
بل يلزمه التدبير

عباد

حبيب

(متكلم - مخاطب)

موسى نعم انى ذاهب الآن الى دارى
وسأعود بعد قليل

عباد أن هذا الامر يدعو الى الاسراع لا
الى التواني والانتظار

موسى بعد قليل أعود (يخرج ويلحق به كل
من بالمكان ما عدا عباد فانه يبقى متلفتا
حتى يأتيه نسيم)

عباد - نسيم اعلم يا نسيم ان الامر كان على وشك
التمام لولا معاكسة الشقي حبيب ولكنى
سأنيه بعد قليل بحسن مسعاى وما
عليك الآن الا أن تخبر حبيبتى بذلك
وأن تقتل سليمان الجندى الذى استخدمناه
في حيلتنا لئلا يتضح السر

السمع والطاعة نسيم

(كل ذلك وعارف يراقبهم ويسمع أقوالهم)

(متكلم - مخاطب) (بيناك وسواك)

عباد اذهب واياك والتأخير

نسيم لا تخف (ثم يخرج) « ويستقبل عباد

الأمير حيث يدخل هو ومن معه »

عباد - موسى (يقول بعد جلوس الأمير) على أي

شيء عزم الأمير

موسى ما عزمت الا على السفر والالحوق

بالجنود لا قوم بأمر الفتح بنفسى

حبيب - موسى لك الله من مولى يعمل لله فى لله

ويهون الخطوب للاسلام ويسهل الصعب

طلباً لعزه ومجده لاشك أن مارأيت

يا مولاي من الرأي لاحسن ما يرى

الخبير وأحكم ما يقطع به المتبصر فى الامور

عباد - موسى انى لا أرى فى ذلك يا مولاي الاكل

ما يقلقل أركان المملكة ويوقم الرعب

فى الرعية ويهدم صروح الامن والسلام

(متكلم - مخاطب)

ولاشك أن الحكيم المتبصر لا يقطع
الارجاع الجنود وعدم ذهابك لان
فيه فضلا عما ذكرت ضرراً بالامير
نفسه

• موسى - عباد

اعلم يا عباد أن في ذهابي منة عظيمة
وراحة كبرى وخدمة للاسلام
لا تقدر ولا تحصى ولا شيء من
الاضرار يحيط بهذا الامر فان كنت
تخشى من وقوع الرعب في قلوب
الرعية فلا أخالك تدري من
أمورها شيئاً ما وان كنت تخاف
علي فاظنك تجهل أمري جهلك لامر
دولتك

لا تخدم الاوطان الا بالنصب
ويدوم فنيا المجد مادام التعب

(متكلم - مخاطب)

ما كان موسى في الوري الا لان

يعلى معااهده وان لقي النوب

اني الى جيشي أسير ومهجتى

قبلي تسير ولا تخاف من العطب

ستعود غيرته ويرجع بشره

وينال دين الله منا المارتقب

ان طائر الخوف يحقق بجناحيه على

قلبي واني أرى كما رأيت اول الامر

ان وقوع الحرب غير واجب

لا لا يا مولاي لاتعدل عن رأيك

فان فيه الخير للاسلام والشرف

للبلاد

لا شك اني لاحق بجنودي

لان مثلي خير له أن يموت

في الاغتراب تحت ظل الخدمة

عباد

حيب

موسى

(متكلم - مخاطب)

الصادقة عن ان يموت ببلده بين
أهله وأقاربه

﴿ يدخل حاجب ويقول ﴾

مولاي بالباب رسول معه كتاب
للامير من قبل القائد الهمام طارق
بن زياد

من قبل طارق بن زياد ! أطارق حتى ??
طارق !!!

موسى

الحضور

(يصفر وجهه ويقول بصوت

عباد

منخفض - يا خيبة المسعى

كم للزمان عجائب وغرائب

موسى

تسبي العقول وتدهش الالبابا

بالامس طارق مات بين جنوده

واليوم قد أهدى الي كتابا

«دعه يدخل» يدخل الرسول ويقدم

موسى - للحاجب

(متكلم - مخاطب)

الكتاب لموسى

« يقرأ » من طارق بن زياد الى أمير

موسى

المغرب موسى ابن نصير

أبشرك أميرى لتبشر المسلمين

اخواني باتنا قد فتحنا الاندلس

وأبدنا جنود الاعداء وقد وقعت

المعركة أمس بوادى لوكه حيث قتلت

طاغية القوم لذريق والسلام

كتب بوادى لوكه فى ١٦ شعبان عام

٩٢ من الهجرة النبوية

(سرور عام وغوغاء ضعيفة وزيادة

اصفرار فى وجه عباد)

عاد النهار وعادت الانوار

موسى

وبدا لنا بعد الظلام منار

والبشر أقبل والهناء توطدت

(متكلم - مخاطب)

أركانہ وزہت بہ الامصار
لما بدا نور الكتاب وینت
آياته وبت لنا الاسرار
لما علمنا ان طارق سالم
من كل ما جاءت به الاخبار
يلقي بحد السيف لذريق العدا
مهما تعاظم جيشه الجرار
أفنى الجموع وجأشه مثبت
والسيف منه قاطع بتار
مرحى لطارق ما أجل فخاره
سيجله التاريخ والاعصار
كما أن السرور يامولاي قد عم قلوبنا
والفرح ملاً أفئدتنا فانه لا بد لنا
من معرفة سر الامر والوقوف على
حقيقته

حبيب

متكلم - مخاطب

موسى

كن آمنأ أيها الصادق الامين فسوف
تنجلي غياهب الامور وتنكشف
الاسرار حيث يعلم الغادر الخائن
ولنسمع الآن من هذا الرسول
الكريم كيف كان النصر وكيف كان
الفتوح

موسى - الرسول

(ملتفتا اليه) قص علينا ما كان من

يوم ما تركتم القيروان الى الآن
انا يا مولاي بعد ما ركبنا البحر

الرسول

وتركنا القيروان سر نامسيرة اسبوعين
كاملين حتى وصلنا الجزيرة الخضراء
فبتنا بها ليلة وتركناها وبعد مغادرتها
يوم وليلة وصلنا شواطىء الاندلس
فبتنا هناك ليلة حتى استقر بنا

القرار وتركنا عصا التسيار في البحار
وبعد ذلك بدأنا في الفتح فأخذنا
بالتوالي شدونة ومدور وعطف
وقرونة واشبيلية وفي هذه المدينة
علمنا ان جيش لذريق صار على مقربة
منا ولذلك قام بيننا القائد الهمام طارق
ابن زياد وألقى خطبة بليغة قال في
أولها «أيها الناس أين المفر البحر من
ورائكم والعدو امامكم» مما جعل لها
تأثيرا عظيما في قلوبنا وقد حثنا فيها
على الصبر والجلد وشوقنا الى نيل
النعيم فحرك من قلوبنا الساكن
وبعث فينا روح النشاط والحمية وما
فرغ من خطابه حتى انبسطت نفوسنا
وتحقق آمالنا وبتنا ليلتنا حتى اذا

متكلم مخاطب

ما جاء الصباح أقبل جيش لذريق
وهو محمول على سريره وفوق رأسه
مظلة فلما علم طارق انه طاغية القوم
هجم عليه حيث التقى الجيشان فقتل
طارق لذريق بسيفه ولم تلبث جنده
بعده الا قليلا حتى انهزموا عن
آخرهم وولوا الادبار وتم لنا الامر
كما نروم ونشتهي

الحمد لله رب العالمين

موسى وكل الحضور

ولما كنتم في الطريق هل أرسل
لنا السيد محمود كتاباً مع مندوب
من قبله

موسى

انه لم يرسل قط . ولم يرسل السيد
محمود وطارق رئيس الجيش ؟

الرسول

الآن ان للحق ان يظهر « ملتفت

موسى

(متكلم - مخاطب)

- لعباد « أين الجندي يا عباد
عباد « يقول مرتجفا » مات بعد ان
سلمك الخطاب يا مولاي
مات بعد ان سلمني الخطاب موسى
نعم يا مولاي عباد
ومالك تقول القول مرتجفا موسى
ان بي هزة برد عباد
لا وحقك انها هزة رعب وخوف موسى
وضياع أمل . الآن علمت ان في
الامر سرا وانه لا بد ان تكون لك
يا عباد يد في دسيمة عملت لارجاع
الجنود
« مرتجفا اكثر من ذي قبل » عباد
حاشا لله يا مولاي اني خدمت الدولة
بصدق وأمانة

(متكلم - مخاطب)

لا يخليك من الشبهة شيء حتى
تجلى الحقيقة وأما الآن فأنت
موضع الظن لاني كنت أرى منك
انك أول عامل على ارجاع الجيوش
﴿ يطرق عباد رأسه ﴾

موسى - كاظم « السجنان » يا كاظم

كاظم
بين يديك يا مولاي

موسى
خذ عبادا وضعه في بيته وضع عليه
الحرس ولا يخرج منه الا باذني واياك
أن تدخل عنده أحدا ومن دخل
لا يخرج بل يبقى معه مسجوناً والا
فماذا ترون يا معشر الفضلاء (يلتفت
مخاطباً الحضور)

الحضور
مارآه الامير الصواب

عباد
اني يا مولاي لا أستحق السجن

متكلم - مخاطب

لانى ما أتيت انما

أتيت أولم تأت ستعلم الحقيقة

وهل تعرف لاني البلاد سيسير

طارق وكيف يكون بقية الغزو

نعم انه بعد ان قتل لذريق وانتصر

على قومه أرسل الفرقة الاولى لقرطبة

والثانية لغرناطة والثالثة لمالقة وسار

هو بالفرقة الرابعة الى طليطلة عاصمة

ملك الاندلس

« يطرق موسى قليلا »

اعلموا يا فضلاء الامة انه قام بخاطري

ان أسير بجيش لألحق بطارق حتى

يتم لنا الفتح في الاندلس وفي غيره

من بلاد الافرنج وان أوتى بدلا

عنى على المغرب ولدى عبد الله فماذا ترون

موسى

موسى - الرسول

الرسول

موسى - الحضور

متكلم - مخاطب

الحضور نعم مارأى الامير رأي ثاقب وفكر صائب

موسى - حبيب اذا فلتدع لنا عبد الله يا حبيب

حبيب سمعاً وطاعة « ويخرج »

موسى - الحضور ان ضميرى يحدثنى يامعشر الفضلاء

انه لا بد أن تكون لعباد يد في

دسيسة عملت لارجاع الجنود

يظهر عليه ذلك يامولاي

الحضور

انظروا اخواني اساتذة الامة وعلماء

موسى

الشعب كيف كان حزم طارق

وتدييره وكيف كانت خيانة عباد ان

كان كما نظن . لله الفضيلة وأهلها

(يدخل عبد الله وحيب)

موسى واقفاً - عبد الله اعلم يا ولدى اني عزمتم على الرحيل

بقصد الاحوق بطارق في طليطلة

وتكملة الغزو بصحبته وقد رأيت

متكلم - مخاطب

بعد أخذ رأى أكابر المؤمنين ان
أنيبك عنى والياً على المغرب مدة
غيابى فأحسن موالاة قومك واجعل
ذكرك حميداً بينهم واياك ان تعمل
بغير الكتاب والسنة ومتى سافرت
بجيشى أرسل الوزير عبادا المسجون
صحبة أربعين جندى الى طليطلة
لننظر فى أمره امام طارق
لأمرك الطاعة يامولاي

عبد الله

﴿ بعد ذلك يهـ موسى للخروج حيث ينشد كل

الحاضرين ﴾

سر بالسلامة والهنا * وارجع الينا بالنا
واحكم وفز ياذا السنا * واسلم ودم طول الزمان

الفصل الخامس

﴿ وهو الاخير ﴾

الملخص

يرفع الستار عن موسى وطارق بطليطلة
يتحدثان في شأن الفتوح متقلان من
موضوع الى آخر حتى يصل بهما
الكلام الى ذكر خيانة عباد فيعرف
طارق موسى بأنه عالم بالامر وان
عربا قد تجسس على الخائنين ورفع له
تقريراً بكل ما اتفقوا عليه فيسر
لذلك موسى ويكلف صاحب التقرير
بقراءته امام الجميع في مواجهة عباد
وزميليه فيقرأه عارف ويحكم موسى
على عباد ونسيم ومريم بالنفي ويبنىء
طارقا بين كل الحاضرين على ما اتاه

من العمل الجليل

متكلم - مخاطب

موسى - طارق

طارق - موسى

وماذا رأيت من هؤلاء القوم يا طارق
رأيت منهم سرورا عظيما وانسراحا
كثيرا بعد ما عاملتهم بسنة نبينا من
تأمينهم على ديانتهم وحريةهم وأموالها
ونسائهم وأولادهم وقد شرح لي
الكثيرون منهم مظالم لذريق العديدة
وكيف انه كان يهتك أعراض نسائهم
وبنائهم جهرا ولا يخشى أحدا

موسى - طارق

الحمد لله الذى من علينا بفتح هذه
البلاد النضرة الزاهرة فانه فتوح أنعم
به من فتوح أعلىنا فيه كلمة الله ورفعنا
عن هذا الشعب الضعيف أنواع
المظالم التى كان يثقل كواهلهم بها
لذريق الفاجر

متكلم - مخاطب

طارق - موسى

اني وحقك يا أميري لم يكن لي
نصير حقيقي في هذا الفتح الا الله
سبحانه وتعالى فانه جل شأنه لا ينصر
الا الحق وأهله

موسى - طارق

حقيقة ياطارق ان الباطل لا نصير
له وان الحق نصيره الله ولذلك كانت
أمتنا أشرف الامم جميعاً لما لها من
عظيم التمسك بالفضيلة والتعلق
بالشرف

طارق - موسى

ولا جرم اذا دامت أمتنا هكذا
عزيزة في مجدها قوية في عزها ورفعتها
وأظنك ياطارق لا تدري من
أمور الدولة شيئاً ما نظراً لبعدها عنا
وانقطاعك للغزو والفتح

موسى - طارق

(يتبسم عندئذ طارق)

(متكلم - مخاطب)

موسى - طارق

لم تبسم ؟

قد وصلتني يا أميرى أول الامس

طارق - موسى

الاخبار كلها وعلمت مفصل حادث

موتى

كيف ذلك ومن أوصل اليك

موسى - طارق

الاخبار

ان الذي أوصل الى الاخبار هو

طارق - موسى

رجل كنت خلصته مرتين من يد

عباد الوزير قد تجسس على الذين سعوا

في ارجاع الجيش وعلم كنه نواياهم

ورفع لى بها تقريرا

يا لهذا الاتفاق الغريب أحمدك

موسى - طارق

ربى على جزيل نعمائك لقد ارتاح

الآن ضميرى وهدأ بالى لانكشاف

هذه الاسرار الخفية . ومن هؤلاء

(متكلم - مخاطب)

الساعون في ارجاع الجيش الناصبون
لنا اشراك المكابد

هم ثلاثة عمدتهم اقرب الناس اليك
عباد

نعم عباد

هو ذا اللئيم محل ظني من يوم ورود
خطابك المبشر بظفرك والله لا ذيقنك
يا عباد من العذاب امر كاس. ارفعك
فتخوننا ونعظمك فتسعى في دمارنا.

ومن الاثنان الاخران يا طارق

هما رومي ورومية اتيامن بلاد الروم

لرجائه في منع وقوع الحرب

اني اود ان اسمع التقرير من صاحبه

لك بغيثك يا اميري

ادع لنا عارفا يا اسحاق

طارق - موسى

موسى - طارق

طارق - موسى

موسى - طارق

طارق - موسى

موسى - طارق

طارق - موسى

طارق - الحاجب

(متكلم - مخاطب)

الحاجب السمع والطاعة

﴿ بعد ذلك يدخل حاجب آخر ويقول ﴾

(بالباب كاظم السجان)

موسى - الحاجب دعه يدخل هو ومن معه. ماأظن

الخائن الا حضر

﴿ يدخل كاظم وخلفه عباد ونسيم ومريم ﴾

موسى - كاظم. هذا عباد ومن هذا الرجل وهذه

المرأة

كاظم - موسى. هما حبيبان له دخلا عنده بعد ان

أعلمتهما ان من يدخل عنده لا يخرج

خبستهما حسب أمركم

موسى - كاظم. خيرا ما فعلت لاشك انهما شريكاه

في الاتم

﴿ يدخل اسحاق الحاجب ويخاطب طارقا ﴾

اسحاق - طارق. بالباب عارف

- (متكلم - مخاطب)
طارق - اسحاق .
دعه يدخل (يدخل عارف)
موسى - عباد .
من معك يا عباد .
عباد - موسى .
حيبان يامولاي
موسى - عباد .
أما اشتركا معك في الاثم
عباد - موسى .
أنا لست آثما يامولاي
موسى - عباد .
الآن تعلم انك آثم (يقول ذلك
ويلتفت الى اسحاق الحاجب)
موسى - اسحاق .
ادع لنا يا اسحاق كل الموجودين
بالقرب من هذا المكان من علماء
وغير علماء ليشهدوا ما نشهد من غدر
وخيانة وصدق وكرامة
اسحاق - موسى .
لأمرك الطاعة يامولاي (يخرج
ويتكلم موسى مع طارق بصوت خفي
لحين عودته مع كثير من فضلاء الامة
حيث يستقبلهم موسى وطارق واقفين)

﴿ بعد ذلك يلتفت موسى لعارف ويقول له ﴾

متكلم - مخاطب

موسى - عارف . هات ما عندك يا عارف

﴿ يقرأ عارف التقرير ﴾

(قائد الجيش وأمير الجنود)

نظراً لثقتي بما لك من الاخلاص
الديني الحقيقي واعترافاً بما لك على من
الايادي البيضاء ارفع لك تقريراً عن
حادث يتوضح من تلاوته كيف ان
الدخلاء في البلاد يضررون أكثر من
ضرر أشد الاعداء قوة وأقوى
الاصحاب نفوذاً وسطوة وهو ان
الوزير عبداً ليس بعربي الاصل
بل انه دخيل على المسلمين قد تربى
بينهم لا ليخدمهم بصدق بل ليكون

(متكلم - مخاطب)

دسيسة لقومه عند الحاجة فهو مهما
ارتفع مقامه في الاسلام وعظم فانه
يرى الدم الرومي الجارى في عروقه
يدعوه دائماً لخيانة المسلمين والسعي
في هدم دعائم ملكهم وتخريب ديارهم
وما زال يرى من نفسه ذلك حتى أتاه من
بلاد الروم رجل اسمه نسيم وهو هذا
(يشير الى نسيم) وغانية خادعة اسمها
مريم وهى هذه (يشير الى مريم)
بقصد رجائه أن يسعى في منع الحرب
الاندلسى فاخذت البنت تفازله وهو
يفازلها حتى وقع حبها في قلبه فطلبت
منه كما طلب منه نسيم أن يمنع الحرب
فوعدهما بذلك وأخذ يسعى عند
الامير في منع الحرب فلم يجب الامير

(متكلم - مخاطب) طلبه بل دعاكم اليه وأمركم
بالاستعداد للسفر وخيرا ما فعل
الامير . فلما خاب مسعاه أخذ يدبر
مع نسيم حيلة لارجاع الجند فافتكر
نسيم اول الامر في تسميم الامير ليكون
لعباد حق ارجاع الجيوش فقبح له
عباد هذا الراى لما فيه من
الاخطار فخطر بباله عندئذ تسميم
طارق فخطاه عباد ايضا واتى هو
بجيلة دلت على أنه عريق في المكر
والخداع متدرب على الافساد
والايقاع وهى ان يصطنع رسالة
يسندها الى السيد محمود رئيس الفرقة
الاولى ويقول فيها ان طارقا قدمات
والاوفق ارجاع الجنود لاستيلاء
الحزن على قلوبهم فاتفقا عليها وكتبا

(متكلم مخاطب)

الرسالة وقدمها بربرى قتله نسيم بعد

ما قدمها حتى لا يعلم للامر سر فتكدر

الامير موسى كدرا عظيما لظنه صدق

الرسالة وعزم على اللحوق بالجنود

غير ناظر الى اقوال عباد المختلفة التى

دلت فى الحال على ان له يداً فى

الدسيسة وبينما الامير يعزم وعباد

يرجوه الرجوع عن عزمه اذ جاء

رسولكم وقدم خطابكم المبشر

بنصركم على عدوكم فسر كل المسلمين

لذلك وخصوصاً الامير الذى وقعت

شبهته فى عباد لاسيما عند ما علم بموت

الجندي الذى جاء بالرسالة الاولى

فسجنه واتي بجيشه الى هنا حيث

قابلكم والسلام

(متكلم - مخاطب)

﴿ دهشة عظيمة وسرور عام وغوغاء ضعيفة ونظر شزر

من الحضور الى الخائنين واصفرار شديد في وجه هؤلاء ﴾

موسى - الخائنين ألى هذا تخونون وتظنون اننا عنكم

نأتمون والله لأجعلنكم عبرة الايام

وحدث أبناء الزمان مدي الاعوام

أحد الحاضرين - موسى نعم ان مثل هؤلاء المجرمين

والغادرين الخائنين لأحق المذنبين

بأشد العقاب وأقساه وأجدرهم بأن

يكونوا اول الزمان مثلاللغدر والخيانة

والكفران بالنعمة

لاشك في ذلك

الحضور

موسى - الحضور يا قوم قد ظهر الحق وزهق الباطل

ان الباطل كان زهوقا انظروا أعانكم

الله على نصره دينكم الى الحوادث

التي مرت أمام أعيننا من يوم شكايه

(متكلم مخاطب)

يليان الى الآن ان فيها لتبصرة
وتذكرة لاولى الالباب

منها تعلمون ان كل ملك ضعف رأى
الشعب فيه وتولاه رجل لا يرى
للمكارم مقاما ولا يحسب للشرف
حسابا يضيع كما ضاع ملك الاندلس
من يد لذريق الذي كثر فسقه وجوره
وعم فساده حتى اشتكى منه العالم
والجاهل والكبير والصغير من شعبه
وأهل بلاده واستسلم جميعهم لنا على
اننا نخالقهم ديننا وعادة وخلقاً ومن
تلك الحوادث تعلمون مزية الحزم
والعزم والتثبت في الامور وعدم
الاسراع. تلك الصفات التي امتازت
بها الامم الاسلامية عن غيرها مما
رفعها عن سواها منزلة واعتباراً ومنها

(متكلم - مخاطب) تعلمون أيضا حفظكم الله كيف ان
الغرام يلعب بعقول الرجال كما لعب
حب مريم بعقل عباد وكيف ان
الدخلاء أمثاله هم أشد الاعداء ضررا
بالامم الذين يدخلون عليها وحسبكم
دليلا على ذلك ان هذا اللئيم
الذي أفضنا عليه من أنعمنا ما جعله في
عداد رجال الدولة الممدودين وعظماؤها
المحسوبين قد كاد يضر بدولة كدولتنا
بنيت على أساس متين وغير ما ذكرت
تقرؤن في صفحات هذه الحوادث
مالعظاء الرجال في الامم من جليل
الاعمال مما نأخذله مثلا ما أتى به طارق
فانه ودل حقيقة علي أنه خادم الاسلام
الصادق وفارسه الجدير بأن يكون
مثلا لجميع الفرسان في سائر الازمان

(متكلم - مخاطب)

﴿ يقول ذلك ويلتفت لطارق ﴾

موسى - طارق

لك من أمتك يا طارق أعظم الشكر على
ما أدت لها من الخدمة الجليلة وما
أوليتها من الشرف العظيم واني لأقر
على رؤوس الأشهاد بعجزى عن
توفيتك حقك من الثناء والاجلال
وكفالك مجداً أنك أول مسلم
ملك الاندلس وجلس على كرسيه

طارق - موسى

انى وحقك يا أمير لا أرى فى عملي هذا
الا عملاً يجب على كل مسلم حقيقى
ان يعمله

الحضور - طارق

جزاك الله يا طارق عن الاسلام خيراً
وأما أنتم يا خائى الدولة والدين فقد
رأفت بكم وحكمت بالنفى عليكم الى
الابد مع اعلان ذلك الحكم فى

موسى - الخائون

متكلم - مخاطب

كافة الانحاء وكفناكم به عقابا
موسى - كاظم والحجاب. اذا نخذوهم وأودعوهم السجون
﴿ يأخذهم السجانون وينشد الحاضرون ﴾

ظهر الحق وبارك * وتبدي للعيان
فانظروا يا قوم واحكوا * مارأيتم في الزمان
ان خير الناس شهم * صادق ثبت الجنان
(يلتفت الحضور لطارق)

طارق ذكرك يبقى * ماتبدي النيران
لك حمد وثناء * بلسان الامتنان
﴿ يقولون ذلك وينزل الستار ﴾



هذه هي رواية فتح الاندلس التي يفهم لغتها السهلة
كل مصري ويقتدى بما فيها ويعمل بحكمتها كل منصب
نفسه للارشاد والوعظ أو لقيادة الرأي العام

بارك الله في الناشئين فانهم بذور ناضجة قد غرست
اليوم لتكون رجال الغد... هؤلاء الناشئون قد أقبلوا
على الرواية اقبالا لم يسبق له مثيل وأخذوا يرسلون للمرحوم
كتب الشكر لأنهم عرفوه من مجلة المدرسة التي كان يجد
فيها الطالب الصغير والمتعلم الكبير راحة وشفاء

كانت هذه الكتب التي أمطرها الناشئون على المرحوم
سبباً من أسباب تشجيعه فعول على هذه الغاية مما قوى
ساعده وساعد قلبه الكبير على اقتحام هذه التماوز والعقبات
بهذا الجسم الصغير...

قال لي المرحوم في هذه الاثناء ونحن على المائدة ان
مطر النقود على من كتاب القته أو رواية وضعها أو مجلة
حررتها لم يكن بأطرب وأنعش من كتاب حرره أمل صغير

بما أملاه عليه قلب كبير ! ان هذه الكتب التي ترد علي
من طلاب المدارس الذين اشتروا روايتي وقرأوا بغيتي ليست
الا ميراً سيكون له في التاريخ ثمن كبير . لان الناشئ
ماتعود التمليق فهو اذا كتب فانما يكتب الحق واذا نطق
فبالصدق ... فبارك الله فيهم فهم الذين سيردون للبلاد
مجدها ويعيدون لها عزها لأن هذه الحركة التي مارأيناها
في صغرنا ونحن اليوم قوادها وواضعوا أساسها الصالح الحق
ستكون منجية لمصر مخلصه للمصريين ... فأمن قلبي علي
كلماته ودعوت الله ان يهبنا من لدنه صبراً ورشداً ؟



ذكرنا عند وصول المرحوم من أوروبا انه جلب معه
كمية وافرة من الكتب وقد رتبها في مكتبه ترتيباً حسناً
ووضع لنفسه نموذج حياة سار عليه حيث كان يعمل كل يوم
بلا استثناء ثمانى ساعات في هذا المكتب . ذلك انه كان
يستيقظ في الساعة السادسة صباحاً فيؤدي صلاة الصبح ثم
يتناول الفطور ويقصد كوبرى قصر النيل للرياضة ثم يعود

في الساعة الثامنة ويدخل توا في قاعة المطالعة ويستمر بين
قراءة وكتابة وتقييد مذكرات الى الظهر ثم يتناول الغذاء
وينام الى الساعة الثالثة ثم يستأنف المطالعة حتى الساعة
الخامسة وبعدئذ يزور اخوانه وأصدقائه ويعود في
الساعة السابعة ليقرأ مرة أخرى الى الساعة التاسعة ثم تناول
جميعاً طعام العشاء. ويقضى بعد ذلك في السمر مع من يشرف
من الزائرين (وما كانوا بقليل) حتى منتصف الليل

انتقلنا بعد ذلك من منزل الوالدة الكائن بالمحجر الى
منزل آخر استأجرناه كائناً خلف قسم المنشيه بعمارة خليل
أغا وقد اختاره المرحوم في هذه الجهة ليكون قريباً من
جمعية التي أسسها باسم « جمعية احياء الوطن » وهي جمعية
سرية تعمل لخير مصر من الطريق الادبي وكان فيها
الكثيرون من الموظفين وغير الموظفين الذين هم الآن أعضاء
في الحزب الوطني المبارك

استمر المرحوم على هذه الدراسة السامية ليقف على
أحوال مصر الادبية والسياسية والعمرانية. وتفصيل تاريخ

الدولة العلية السياسية وباجلثة كل ماله علاقة بمصر والاسلام
رأيته يوماً وقد اعتلت صحته فنصحته أن لا يشتغل
كثيراً فقال لي ان الشغل لم يتعب ولكن بين سطور الكتب
التي أقرأها شراً كما نصبتها الدول الطامعة فينا مما يؤلم القلب
ويبعث الى الوجه اصفراراً . والى القوى انحطاطاً



يحسن بنا الآن وقد قرأ الرواية قراء هذا التاريخ فصلا
فصلاً وأحاطوا بما فيها كلمة كلمة أن نتف وقفة نستتج مما
مر بنا من أبناء هذا الجهاد الشريف ما يمثل للذهن من
المغزات والعبير التي هي روح التاريخ وجوهره وتيجته ومخبره
فان قص الحوادث وسياق الفصول وسرد الأعمال مجرداً
ذلك كله عن الملاحظة والاستنتاج ليس وراءه الا تقرير
حقائق تاريخية ولذلك أردنا أن نورد هنا فصلاً نعقب به على
ما تقدم في هذا الجزء من التاريخ لنخلص الى قرائه نتيجة
مفيدة وعبرة جديدة

وهذا شأننا فيما كتبنا وما سنكتب . نورد الحادثة كما

وقعت بلا نقص ولا زيادة حتي اذا انتهينا من ارادها كما هي
علقنا عليها بما يعن لنا حتي لا يكون الكلام جافاً وحتى تعي
أذهان القراء ماتعي من روائع الحكم وبدائع العبر وهذا هو
المقصود من كتب السير

اشتمل هذا الجزء على جزء من سيرة المترجم وفيه ما فيه
من مقالة حكيمة ورواية وطنية ومرام في شريف الاغراض
سديدة ومنح صادقة وآثار كريمة ومناقب غالية
أما المقالات فقد قل أن نعني بالتعليق عليها وذلك لأننا
نرى المقالة وافية بالغرض من وضعها وليست في حاجة الى
ان يزداد عليها كلمة . لان الالتفاظ فيها آخذ بعضها برقاب بعض
والمعاني ظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار وما كتبه المترجم
في أول عهده بالكتابة هو ما يصح أن يكتب اليوم وغدا بلا
تبديل ولا تغيير . وذلك لانه قد أوتى من صدق الفراسة
وبعد النظر ولطف الحس وحسن القياس والاستنتاج ما يبني
منه على أساس متين وجري فيه على نسق مطرد

فان كتاباته عن دسائس الدسائسين وتفاق المنافقين هي

عين ما يصح أن تحصب به وجوههم في الحاضر والمستقبل
حصباً . وكتابه في سيئات الاحتلال وماله من المآرب
السيئة والاغراض الممقوتة من أحسن ما يقال اليوم وأصح
ما يكتب . وكتابه في حث الوطنيين على الاخذ بالصالح
واليقظة لما هم فيه والاجتماع حول غاية واحدة هي انقاذ
الوطن من بين مخالب الطامعين فيه والغاصيين لحقوقه من
أفضل ما توقع به العزائم والمهم قديماً وحديثاً . وكتابه
في الذود عن كرامة مصر والنضال عن حقها المنصوب
والمطالبة بملكها المسلوب من أفضل ما يمكن أن تجرى به
الاقلام في هذه الايام

وبالجملة نقول ان هذه الكتابات لما كانت من الاصابة
وصدق اللهجة وسداد النظر بالممكن المكين وبحيث لا يمكن
من يقفي عليها الا أن يردد صدى أو يعيد معاني معينة رأينا
أن من اللائق أن نثبتها كما هي بلا زيادة ولا نقص مكتفين
بما هي عليه من الوضوح والجللاء وحسبنا من التقريظ
والاطراء ونحن في مقام المؤرخ أنها تقرظ ذاتها وتدل على

تفسها بنفسها كما يدل القمر على ذاته بلا لائه ويلفت اليه
النظر بسناه وسنائه

هذا من حيث المقالات وكثير ما هي فيما نشر وفيما لم
ينشر بعد . وقد جعلنا ما علقنا عليه منها مثالا لما كنا نحج أن
نورده عقب كل قول لو أعان المقام ولكننا سنفعل ذلك على
قدر الامكان لا زيادة في البيان فهي على ما عرف القراء
ولكن مبالغة في اظهار ما فيها من سديد المراني والمرامي
وانا في هذا المقام ونحن نكتب تاريخ البطل المصري
المجاهد أشرف جهاد في القرن العشرين يحق لنا من باب
الانصاف أن نقول كلمة مسهبة فيما مر بنا من عناصر هذه
السيرة النافعة الحميدة

قلب نظرك في هذين الجزأين وطالع أي صفحة تقع
تحت بصرك أترى غير نادرة تعلم العصاميين كيف يسودون
أو لطيفة بمنلها تغذي الالباب أو أترى يترك في نفس القارئ
أثراً أو جملة تتحلي بها صدور الطروس أو فقرة يمكن أن
يتحداها البليغ أو حكاية تدل على مبلغ ما كان قائماً بنفس

المترجم من المهمة السامية والعزيمية الراسخة رسوخ الاطواد
أو حديثاً ينبثق بما فطرت عليه تلك النفس الكريمة من
العظمة والعلو ونبل القصد و شأنا ينبه في صدرك قلباً حساساً
ان كنت من أهل الاستعداد الفطري أو الاستعداد الكسبي
للنبوغ أو أمراً يثير في قلبك عاطفة شريفة ويهزه هزة لطيفة
أو مشهداً يصور لك حياة النابغين المخلصين في خدمة الاوطان
أو آية من آيات العظام أو فكراً عالياً من الافكار التي
يكون تحقيقها مقياً لدولة ومقعداً لدولة أو عملاً من كبار
الاعمال التي تدني منال الآمال ??

بل اقرأ بين السطور وطالع تضاعيف الصحائف ألا
ترى فيم بين سطر وسطر سرّاً من الاسرار الغالية وفيما بين
صفحة وصفحة أثرّاً من الآثار الخالدة العالية وفيما بين فصل
وفصل قطعة من قطع الحياة الشريفة وآية من آيات الطموح
المحمود ??

انا نثق ان القارئ يقرب الصفة الاولى من صحائف
هذين الجزأين ثم لا يكاد يتممها حتى يحس في نفسه بمؤثر لم

يكن فيها من قبل . يحس بدافع قوي يسوقه سوقاً الى السير
على نسق التشبه والتمثل . يحس بقوة غير مملوسة تزج به
في معترك الجهاد بشوق واثبات . يحس بجاذب يملك عنان
قلبه فيجمع عواطفه حول نقطة واحدة حسبما يقوم في نفسه
يحس بشيء طبيعي يقود ارادته وهمايته الى عمل جديد .
يحس كان نعمة لذيذة تضرب على أوتار قلبه فيتميل ذات
اليمين وذات الشمال . يحس كأن قوة سحرية سارت في
جوانحه فتنبعث فيها حرارة لم تكن بها من قبل : وأخيراً يحس
بأن نفسه تيقظت من اغفائها وعزيمته تخلصت من رقادها
فيمد يديه يتلمس سبباً من الاسباب يرفعه الى مصاف المخلصين
العاملين

هذا ما يحس به القارىء فيما نظن . والتاريخ اذا لم يترك
مثل هذه الآثار في نفس دارسه كان قليل الجدوى . واذا
كان بعض الكتاب الافرنج يوصل الى احداث هذا التأثير
بصور من صور الخيال فنحن نريد أن نصنع ذلك بمجالى
الحقيقة وعرض مناظرها البديعة . وهذا هو الفرق بيننا

ويبينهم فيما نكتب ويكتبون
ولا شك أن الفتوح التي يقدر أن ينالها الكاتب في
أى غرض من الأغراض إنما تكون بمقدار ما يحدثه في نفس
القارئ من التأثير . هذا التأثير الذي هو الغاية المقصودة
من الاستعانة بالحقائق الثابتة على تدوين هذا التاريخ
من ذا الذي يقرأ مثلاً ما وقع بين المترجم وبين المغفور
له وزير العلم الكبير على مبارك باشا من المحادثات : ولا
تنفعل نفسه ويتمنى أن يكون له مثل ذلك اللسان في قوة
البيان وذلك الجنان في الجرأة للحق والثبات فيه ومثل تلك
الفصاحة في الأخذ والرد والالمام والاقناع ؟؟ ثم من ذا
الذي يقرأ ما أصاب المترجم من الجهد ومزيد النصب وهو
مكب على الدرس والبحث والتمحيص والمرض ينهك قوته
ويهد من أركان جسمه هذا غير مبال بشيء : ولا يقبل
بنفس شيقة وقلب مملوء شغفا على الدراسة والمطالعة ؟؟ ومن
ذا الذي يطالع سيرة المترجم وهو مهاجر في طلب العلم سائر
على الطريق الأقوم ممثل أمتة المحبوبة بين سائر الأمم

أحسن وأشرف تمثيل : ولا يكون في غربته ان أتيح له أن
يطلب العلم المجرد من شوائب السياسة الاحتلالية وأهواء
السياسة الانكائز في بلاد الحرية مثالا لكريم الخلق والذكاء
القطري والجد الغريب ?? ومن ذا الذي يدرس أبناء ذلك
الجهاد الشريف العنيف أيام كان يؤدي الامتحان الأخير
أمام كلية الحقوق في فرنسا وأمامه من المصاعب والعراقل
جبال فوق جبال ولا يحاول أن يثبت أمام العراقل
والعقبات ??

انا نكفل لمن يقرأ قصة من هذه القصص بتدبر
وامعان وحسن نظر أنه يتأثر بما فيها من الموعظة الحسنة
والعبرة البالغة . وفي اعتقادنا أن أنجع الطرق في تربية
الناشئين طريق القدوة فان لها سلطانا على النفوس كبيرا
رب ابنك لا بالعصا ولا باللسان ولكن بتكرار العمل
الصالح أمامه والنفات نظره الى الحسن للأخذ به وعن
القييح للاعراض عنه . فاذا شئت مثلا أن يكون ابنك جنديا
شجاعا باسلا فيحسن بك أن تدربه على الشجاعة تدريباً عملياً

وتقرئه سير الأبطال البواسل وتريه آثارهم في صدور الأسفار
أو على وجه البسيطة لتدب إلى نفسه الحماسة والشجاعة .
وإذا شئت أن يكون ابنك كريماً فقف أمامه مواقف العطاء
والسماحة وعلمه كيف يعطف على البائسين ويحنو على
المساكين ويحسن إلى المستضعفين لا بالأكراه ولا بالاغراء
ولكن بالقدوة الصالحة تنطبع في نفسه ملكة الكرم
ويتدرب على البذل والعطاء من الصغر فتألفه في الكبر .
والأفان الاعتماد على القول دون الفعل أمر قلين الجدوى
سبق لنا من القول مالا نرى بدا من تكريره كلما
سنحت الفرصة وهو أن القدوة الصالحة لها سلطان على
النفس . فمن شاء أن ينشأ ابنه على ملكة من الملكات أو
فضيلة من الفضائل فليكن أمام ابنه من يريد هو أن يكونه
نعم إن الناشئين من أبناء هذا الجيل ليس فيهم إلا من
عرف شيئاً عن المترجم في حياته فهو متبع فيه خطواته ولكننا
نكتب هذا الكتاب لغرض أسمى وأعم . نكتبه للجيل
الحاضر والأجيال المصرية المقبلة فيري هؤلاء فوق الطرس

تشبيها مافاتهم أن يروه أصلا ويتدارس أولئك الاجيال
القادمون سيرة مصري رفعه اخلاصه وجدده ورفعته ووطنيته
وأريحيته الى مصاف العظماء القائمين

ولو أن الناشئة اليوم تقبل على قراءة هذا التاريخ كما
هي مقبلة الآن دراسة عملية بشوق ولذة وامعان لظهرت
منهم طبقات تدهش العالمين . ونقول والخجل يمسك القلم
في يدنا عن الجري على القرطاس ان كتابا كهذا جدير أن
يحدث في النهضة الحالية قوة عظيمة ويبعث فيها من القدرة
أملا عظيما . وقد خطر لنا أثناء تدوين هذا الكتاب خاطر
نأمل أن لا نعدم في ألبائنا وفضلائنا من يعمل على تحقيقه
تحقيقاً لا منية عظيمة وفكرة حسنة . فانه يجمل بالفضلاء من
مدرسي اللغة العربية في المدارس الحرة أن تتألف منهم لجنة
لوضع كتب في التربية على غير ذلك النسق المعروف المتداولة
كتبه بين أيدي ناشئتنا بلا فائدة كبيرة . والطريقة التي
نستحسن أن نوضع عليها تلك الكتب طريقة التلخيص
واتلخيص : تلخص سير بعض الأعلام المشهورين في

التاريخ الاسلامي تلخيصا يحفظ معه الجوهر ثم تخلص منها
العظات والعبر

وقد لاحظ بعض مدرسي التاريخ أن هذه الطريقة
تنجم كثيراً في معالجة النفوس المستعدة للاستفادة وكيف
لا تكون الحال كذلك ??

الا انه ظاهر بالبداهة أن ا فراغ الدروس التهديبية في
هذا القالب يفيد فائدة عظيمة . يفيد لأنه يحدث في قلوب
الناشئين تأثيراً مخصوصاً بمن يدرسون سيرته تأثيراً يظهر في
قولهم وعملهم ظهوراً على قدر ما أوتوا من الفطنة والتمييز .
وما على فضلائنا الا أن يجربوا هذه الخطة فيضعوا في التربية
كتباً تنشئ رجالاً كاملين بانتخاب ترجمة بعض الاعلام
المشهورين في التاريخ الاسلامي وصوغها في شكل يقر
الاعين ويفتح لتلقيها الصدور

وانا نذر هذا الاقتراح لعل الايام تحتمقه وما ذلك على
همة من نعرفهم بعزيز . وثلثت الي ما كنا فيه فنقول :
من ينظر الى ان المترجم في حداثة سنه أي في القطعة من

العمر التي يكون فيها الناشئ على الغالب غير ملتفت الا الى
غرض واحد: كان يؤسس الجمعيات ويؤلف الكتب والروايات
ويلقي بدائع الخطب والروايات ويكتب روائع المقالات ويطلب
العلم ويناقش رجال السياسة ويرد افك المارقين ويدرس المسألة
المصرية دراسة دقيقة ويضع للمسألة خطة وطنية ثابتة. أقول
من ينظر الى أن المترجم كان وهو في طور الحادثة يضع ذلك
كله في آن واحد يكبر معناتك المقدرة الفائقة ويكبر كذلك تلك
النفس العظيمة السامية أيما كبار

وقد بقي أن نوفي حق رواية الاندلس بكلمة موجزة
فقد علم القراء أنها نسجت علي منوال رواية شهيرة لاحد
محرري بلجيكا. لان كلتا الروايتين كما قلنا تشرح مقدار الغبن
الذي ينال الامم المقهورة من الامم التي تطمع فيها وكيف أن
الدخيل فيها لا يهمه الا الطمع والجشع خربت البلاد أو
عمرت شقيت أو سعدت. ولا يخفى أن للروايات في أوروبا
أثرًا يؤثر وشأنًا يذكر وحسبك أن التمثيل ركن من أركان
التربية العملية العامة في كل زمان ومكان بل هو من الخطورة

والاهمية بالمكان الذي لا يخفى فضله على أحد
يكتب الكاتب في أي غرض من الاغراض ويخطب
الخطيب في أي مقصد من المقاصد فلا يفهم الا اول الا قليل
من القراء ولا يفهم الثاني الا قليل من السامعين فلا تزال
الحاجة ماسة الى ما يكون تأثيره عاما في كل الطبقات وهو
التمثيل . وهذا الضرب من التربية يكون أكمل وأتم
وأفيد اذا كانت الروايات الموضوعة لهذا الغرض مما يذكر
بمجد قديم أو ينبه الى خطر محقق . ورواية فتح الاندلس
التي نشرناها هنا برمتها حرصا على غررها ودررها أن تتلمسها
الايدي فلا تجدها قد جمعت بين هذين الغرضين في سلك
واحد بطريقة تقبلها الاسماع والطباع

فقد اشتملت على التذكير بمجد ماض هو مجد الامة
العربية وعلى التنبيه الى خطر محقق هو خطر وجود دخلاء
الشر ووسطاء السوء فانهم قديماً وحديثاً أصل من أصول
المصائب الكبيرة ويحمل بناهنا أن نعيد قول المؤلف بنصه
وفسه في مقدمة الرواية بياناً للغرضين الآف ذكرهما . قال

طيب الله تراه وجعل الجنة مأواه :
« عن علي أن أكتب رواية أظهر لقومي فيها دسائس
الدخلاء على الامم الذين يتردون برءاسها ويتخاطبون بلغتها
ويعالطونها مخالطتها بعضها فيكونون كالسم في الدسم بغية
منهم في اسقاطها من أوج مجدها الى حضيض ذلها شارحا غير
ذلك فضائل الامة العربية وأخلاقها الكاملة وعظيم تمسكها
بالمكارم مما جعلها في حصن حصين من شرور الدخلاء
ومكايد الاعداء الالقاء » الخ الخ

بهذه الكلمات القليلة . بهذه الاسطر الموجزة . بهذه
المعاني الشريفة . بهذه الروح العالية . وضع المترجم للرواية
خطة جيدا لو اتبعت فيما يؤلف من الروايات لانها الخطة
الفضلى والطريقة المثلى . وأى خطة في تأليف الروايات أرفع
وأتم وأحسن وأمتن من التذكير بمجد سالف والتحذير من
بلاء محدق خطير ??

ان في التذكير بالمجد الغابر لحنا للابناء علي محاكاة الآباء
وايقاظاً لروح التشبه والتمثل فيهم ليكونوا علي حد قول

الشاعر العربي ولله دره :

بنى كما كانت أوائلنا * تبني وتفعل مثلما فعلوا
بل ان في اعادة سيرة ما كان لهذه الامة العربية
الكريمة من المجد الباذخ والشرف الشامخ لحضا لهذه السلائل
على الاقتداء بما كان عليه الاسلاف من رفعة الشأن وتقوؤ
الشوكة والسلطان . وفي التحذير من شرور وسطاء السوء
ودخلاء البلاء انذار للامة التي منيت بهم بأن تأخذ منهم
حذرهما وتتدبر دونهم أمرها

ولو أتيح لمراسح التمثيل العربي في هذه الديار أن
تتوفق الى الاتفاق مع جماعة من خيرة الكتاب على
استخلاص العبر التاريخية وصوغها في قالب روائى بكيفية
تحدث في الانفس التأثير المطلوب لكان ذلك من أعون
الذرائع على ايقاظ الهمة واحياء الامة ولعلها تتوفق الى ذلك
عاجلاً أو آجلاً

وقد تنبه الكتاب الغربيون الى ما في التمثيل من أثر
الفوائد فجعلوه وسيلة من وسائل الاصلاح ولذلك يعنون نه

كثيرا . وقد بلغ من عنايتهم به وافر اطهم في حبه أن القاميين
به من أرقى الناس منزلة وعقلا وقد يعاد تمثيل الرواية مئين
من المرات متى صادفت في نفس الشعب هوى مكيناً وكان
لها فيه وقع جميل فمتى نبلغ هذا الشأن ؟

ان التحذير من عاقبة وجود الدخلاء أمر واجب على
كل غيور . فانهم يجرون وراءهم على البلاد التي تطؤها أقدامهم
وباء وبلاء . لانهم لا يهتمهم من مصلحة البلد شيء بل لا يهتمهم
شقي به أهله أو سعدوا عزوا فيه أو ذلوا وانما يهتمهم بطون
يملاؤها وأكياس بالمال يترعونها وأغراض غير شريفة
يقضونها . وهؤلاء الفئة من الناس يدسون للامة التي يحلون
بينها السم في الدسم ويكيدون لها كيدا ولا يخشون فيها عهدا
ولاذمة ولبئس مثل الخائنين

ولا شك ان من يقرأ هذه الرواية يتدبر وامعان يجد
فيها عبرا حجة وحوادث مهمة . وليس فتح الاندلس بالحادث
التاريخي الذي يستهان به ولا كيد الوزير عباد للاسلام مما
ينساه أحد . وكم يبتنا من أمثال هذا الوزير في دناءة الطبع وخسة

النفس ونحن عنه غافلون

انا لاندل علي فضل هذه الرواية وما يمكن أن تحدثه
من اليقظة في نفس قارئها بأحسن من نقلها برمتها . وما فعلنا
ذلك الا تلبية لنداء الجمهور الذي يطلب أن يكون كل اثر
أدبي ماثلاً أمامه في هذا التاريخ الذي هو تاريخ للنهضة الوطنية
المصرية والحياة القومية العالية . وقد تممت نسخ هذه
الرواية منذ سنين ولم نعثر علي النسخة التي نقلناها هنا الا
بشق الاتفس وبمحث الايام والليالي

فليقرأها القراء فانهم يقرأون فيها رسم مجد دارس
ويتحذرون من أهل الكيد والدسائس وهم يكادون في هذه
السنين يكونون معروفين لدى الامة رسماً واسماً وجسماً بما
كان لهم من المواقف السيئة التي حاولوا فيها أن يحولوا بين
هذه الامة ورغائبها بما يفترون من الاكاذيب ويتمسكون
به من الاباطيل والاضاليل

واذا كان عباد الوزير قد خان من أحسنوا اليه خيانة
فاضحة وجنى جناية عظيمة فأمثال عباد بيتنا كما تقدمت الي

ذلك الاشارة كثيرون . ونحن فيما نكتب في كتبنا وتكلم
في خطبنا عن الدخلاء لانعنى كل اجنبي عن مصر ومعاذ الله
ان يكون ذلك من قصدنا في شيء وانما نعنى فريقاً بعينه نعنى
هؤلاء الذين يسيئون الوساطة بيننا وبين غيرنا فيجنون على
مصر جنائيات متكررة ويأتمون الى المصريين آثاماً متتالية .
نعنى هؤلاء الذين لا هادى لهم من ذمهم يهدى فيتبع ولا
وازع لهم من وجداناتهم يزع

وانا لانعجب من ضالة العاطفة الوطنية في ذلك الوقت اذ
طلب المؤلف من المراسح العربية ان تمثلها فأبت منتحلة في ذلك
أوهى الاسباب وأوهن المعاذير وانما نعجب أشد العجب
من سكوت القادرين الآن على التأليف والتصنيف ووضع
الروايات ذات المغزى الوطنى مستنبطة من وقائع الدهر
وحوادث التاريخ وفيها أمثال فلان الكاتب وفلان القصصى
وفلان المؤرخ الى ناس آخرين من أهل الفضل لو أرادوا
ان يصنعوا خيراً لصنعوا ولكانوا من المشكورين المأجورين
فان سكوت هؤلاء عن مثل هذا العمل المبرور أمر لا يحمد

عليه عاقل

زيد أن تظهر في البلد روايات نافعة مؤثرة تتدرج بمن
يخضرمثيلها من طبقات الامة في سلم الرقى درجة درجة .
زيد أن تكون في البلد روايات مفيدة ذات أثر في ترقية
المصريين ترقية أديية . فان النذر القليل الذي سئمه أسماعنا
ومجته طباعنا من هذه الروايات علي قلته وقصوره عن
الغرض لا يكفي أمة تريد أن تمشي في طريق الرقى بلا انقطاع
أميالا متعاقبة ومراحل متتالية . فاعطوا أمتكم أيها الكتاب
القادرون روايات تشخيصية وطنية مؤثرة تعطكم أجرا
من المال والثناء على السواء وتكون لكم عليها المنة الغراء
واليد البيضاء

رحم الله المترجم وأجمل في جنان الخلد بين الصديقين
والمجاهدين جزاءه لقد كان ينوي أن يجعل هذه الرواية في
طبعتها الثانية نموذجاً يحتذيه القصصيون . ولو فسح له في الأجل
لكان أمامنا منهارواية كبيرة الحجم كما كانت تطلب مراسعنا
العربية في ذلك الاوان ولكن الله أراد وله في ذلك حكمة ...

طالعوا أيها القراء هذه الرواية لتروا كيف يؤلف المؤلف
المخلص . طالعوها بتبصر وامعان فانها ستفيدكم في ذكرين
من جانبين . تفيدكم في التذكير بما كان لتلك الامة العظيمة
من المجد المؤمل واجاه العريض والامل الطويل والسايطان
الكبير . تفيدكم في التحذير من فئة يلبسون لكم ثياب
الاصدقاء وهم لو نظرتهم الى باطنهم وحاسبتهم على أفعالهم
لرأيتهم من أشد الأعداء كيذا لكم وعملا (لا يقدر الله ذلك)
علي اسقاطكم :

توب الرياء يشف عما تحته

فاذا اكتسبت به فانك عار

هذه كلمة موجزة عن لنا أن نقولها علي أثر نقل رواية
فتح الاندلس ولعلنا قد بلغنا بها الغرض . كلمة قلناها علي أثر
نقل رواية وزع منها في الاسبوع الذي صدرت فيه ستة
آلاف نسخة وأمسى محبوبها اليوم ينشدونها فلا يجدونها
ويطلبونها فلا يبصرونها ونظننا بذلك قد أدينا شيئا مما علينا
لعشاق هذه النفائس وطلاب تلك الآثار . وقد فاتنا أن

نقول ان تلك الرواية قد لقيت من القبول والاقبال في عهد
أهملت فيه آثار العرب وكسدت سوق الادب أجزل
ما يناله المؤلفون والمصنفون ووردت عليه كتب الثناء المستطاب
تتري وتلقها الجرائد في ذلك الحين بالاجلال والاكبار
خلا صحافة الدخلاء دخلاء السوء طبعاً

فانهم في كل زمان ومكان شجى في حلق الامة وقذي
في عينها ولا بقاء للباطل الا في غفلة الحق عنه وان له لجولة
الى يوم النشور وتجارة النزور باثرة وأهلها في ثبور وانما يرفع
شأن الوطن ويخدمه أبناؤه المخلصون كما صنع فقيدنا الكريم



نقول ولم تكن تلك الدراسة الجديدة وهذا الجهد
المتواصل والرغبة العظيمة لتحويل بين المترجم وبين نشر
المقالات السياسية في الجرائد السيارة فقد رتب رحمه الله
سلسلة مقالات لجريدة الاهرام نشرت اولها في يوم الجمعة
٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٤ وهذا نصها :

حتا مرتجاهرون

﴿ بعكس ماتضمرون ﴾

ابداً كتاباتي في الاهرام برسالة عامة على مناقضة
الانكليز لاقوالهم بأفعالهم واستشهد فيها ببعض الادلة التي
يتحدث بها الناس كافة جاعلا اياها مقدمة رسائل آتية أدرجها
على التابع والله الموفق

أثبت الفلاسفة والحكماء في سائر الاعصر والازمان
ان النقيضين لا يجتمعان والضدين لا يتحدان مما رسخ في
الاذهان رسوخ الاهرام ولم يستطع أحد مخالفة هذا القول
الصحيح الا أبناء التاميز الذين تلقوا الحكمة والفلسفة على
مكيافل فيلسفوف الطليان فانهم أرادوا بما أتوه في مصرنا اثبات
اتحاد الضدين واجتماع النقيضين فلقد قالوا وملاوا الارض
قولا « انا دعاة الصدق نصراء الشرف دخلنا مصر لتأييد
سلطة أبنائها واصلاح شؤونها واعادتها الى ما كانت عليه قبل
الاضطراب ثم أثبتوا في تاريخ احتلالهم أكبر اثبات على

انهم عاملون على تقويض أركان السلطة الخديوية وتقليل
تقوؤها وخراب البلاد وافقار العباد مما يدل من أفقدتنا حيناً
لهم بسخطنا عليهم وولائنا لبلادهم بكرهنا لجنسهم والا اذا
كنتم معشر الانكايز لا تزالون تسمون أنفسكم دعاة الصدق
ونصراء الشرف فقولوا لنا بحق مجدكم مامعنى تأييد السلطة
الخديوية عندكم أتؤيد سلطة العزيز بتقويض دعائها وهدم
أركانها ومخالفة صاحبها الساعي في كل رغبته ومناقضته في
كل أمياله وتهديده عند الحاجة بعزله (كأن الدولة العلية
أصبحت مقاطعة من مقاطعات اسكتلندا أو ايرلندا) هذا
أميرنا أبو أميرنا عليه من الرحمن الرحمة والرضوان ظن بكم
خيراً وسالمكم في أكثر الامور فقابلتم بعد موته ثقته بكم
ومسالمته لكم بقولكم عنه « ان اللورد كرومر تنازل له عن
الامضاء على الاوامر العلية فكان يضع امضاءه بدل امضاء
حضرة اللورد » مما كان له اسوأ تأثير في النفوس وعرف
الناس حقيقة ماتكنه ضمائرهم وتحقيه سرائرهم وقد بلغ منكم
حبكم للتعدى على سلطة الامير ان تظاهرتن مرارا ضد العباس

وخالفتم رغبتة وعملتكم (على انكم لم تفلحوا عملا) على قتل
النفوس الشريفة المشربة بحبه والاخلاص له
بل قولوا لنا بحق مجدكم يا ادعياء الحرية وزعماء المدينة
هل أعدتم الوطن العزيز الى ما كان عليه قبل الثورة بسلخ
السودان عنه وتركه غنيمة باردة لكم ولصنائعكم من بعدكم فلا
تركتمونا نسترجعه ولا صنتم حيا دمكم بل كنتم أول الظالمين
فيه المقتدرين عليه

وكان ساكن الجنان شريف باشا فقه كنه مقاصدكم
وسوء نواياكم يوم اكبرت الناس عمله وشفقت له استحسانا
حيث رفض طلبكم واستعفى مفضلا اجتناب الاعمال عن خدمة
ما اربكم وترككم تحتالون على محبكم نوبار باشا (ومحب غورست
على الخصوص) الذي قبل الوزارة وسلخ معكم السودان وما
ادراكم ان السودان ارض هي من مصر بمنزلة الروح
من الجسد

وماذا كان منكم بعد ان اجبتم الى طلبكم وسلخ السودان
كان منكم ان كنتم أول المنتهكين لحرمة باستيلائكم على

أوغندا ثم احتلال وادلاي (التي هي من أملاك الحكومة
المصرية) وأخيرا بالهدية الثمينة التي قدمتموها في الصيف
الماضي الى صديقتكم ايطاليا (يعني بها كسلا) وكان ما كان من
هياج الرأي العام ومظاهرة مجلس الشورى الوطنية التي
قوبلت بالفرح والاستحسان

هذه نقطتكم السوداء في تاريخ الاحتلال لم تخلف لكم
الا تيقظ الناس لاعمالكم والتفاتهم لحقيقة أفعالكم فلا تحسبوا
اننا أمة حمقاء لانهم أسرار سياستكم بل تيقنوا ان ما يكتبه
كل كاتب صادق يكرره الاهلون عن بكرة أبيهم يوماً
بعد يوم

ادعيتم انكم دخلتم البلاد لترقية أهلها وجعلهم أهلاً
لان يتولوا شؤونهم بأنفسهم فهل كان ذلك منكم باغتيالكم
الوظائف السامية وقبض الرواتب الفادحة والتبذير المستمر
الذي أوصل الفلاح الى سوء الحال الذي لم ير له في تاريخ
مصر مثال

وهل رقيتم البلاد يا ممذني الهند والهنود بتضييق دائرة

التعليم في المدارس ومعاينة الذين لا ينشرون لغتكم ولا
يستحسنون أعمالكم واستعمال الجرائد المتهكمة على الأمير
والوطن كتبنا للمطالعة . وتدرّس علم التاريخ في مؤلفات
أيتّم بها من بلادكم بلاد الحرية والاعتدال (صديقة الاسلام
وحبيبة الدولة العلية) مملوءة بالطعن على الدين الشريف
والنبي الكريم

أليس فيما ذكرناه من بعض المسائل الشائقة الرائعة
المعروفة عند كل قراء الاهرام والجرائد الصادقة برهان
صحيح على أنكم لا تريدون الا البقاء ولا تقصدون قرع
باب الانجلاء

لنسلم لكم أنكم أصلحتم الشؤون وأيدتم السلطة الخديوية
فما لكم لا تخرجون

أظنكم تجيبوننا على ذلك بانكم لم تتموا للآن ما
تكلفتم به وانه باق عليكم بعض الشيء - اذا كان قولكم
حقا فلتضربوا لنا ميعادا للانجلاء وهو يسير عليكم فقد خبرتم
الامور وأصلحتم الكثير من الشؤون وبذلك تبرهنون للعالم

أجمع أنكم حريصون اكل الحرص على مجدكم وشرفكم
والا فيؤخذ عليكم ان تكونوا أبناء التاميز دعاة الصدق
ونصراء الشرف وتجاهرون بضد ما تضررون



تم الجزء الثاني وسيليه بمشيئة الله قريباً الجزء الثالث
وهو الجزء الذي ستبتدىء فيه حوادثه السياسية الكبرى
حيث قدم فيه العريضة المشهورة لمجلس النواب الفرنسي
وجاهر بالدفاع عن المسئلة المصرية وظهور الحزب الوطنى
بالمظهر اللائق به واعلان الجرائد عنه وغير ذلك مما سيراه
القارىء فى الجزء الثالث وكل آت قريب ..



﴿ مصطفى كامل باشا ﴾

﴿ في الحادية والعشرين من عمره ﴾

مُصْطَفَى كَامِلَاتِ شَيْخَانَا

فِي ٣٤ رُبْعًا

سِيَرُهُ وَأَعْمَالُهُ مِنْ خُطْبٍ
وَأَحَادِيثٍ وَمَسَائِلٍ

شَيْخَانَا
وَعَمْرَانَا

« أَحْرَافٌ فِي بَيَانِنَا
كِرْمَاءٌ لَضِيْقِنَا »
مبأ الفقه

الجزء الثالث

﴿ الطبعة الأولى ﴾

﴿ ثمن كل جزء خمسة قروش صاغ ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَعْلَمُ السَّنَةَ وَالْحَجَرَ

الثانية

١٨٩٥

يحق لنا أن نسمى هذا العام من عمر المترجم بعام «مبدأ
حياته السياسية الكبرى» لأنه فيه:

عنى بدراسة المسألة المصرية عناية فائقة مستعيناً في ذلك
بما حصل عليه من الكتب السياسية التي تبحث في هذا
الشأن وما أتيح له أن يقتنيه من المذكرات الخطية وغير

الخطية من بعض رجال السياسية الذين كاتبهم أو حادتهم
في هذا الصدد

ونشر الرسائل السياسية التي كلها حجج دامغة وبراهين
قاطعة على سداد نظره وبعد غوره وصدق فراسته ولطف
حسه وحسن استنتاجه كما أنه نشر المقالات العمرانية في
اغراض ومطالب شتى تدل على عقل راجح وجهد مكافح
وجاهد لأول مرة جهاد الابطال الكرماء امام العالم
الاوربي اذ قدم العريضة المشهورة لمجلس النواب الفرنسي
وانشأ يكتب ويحدث دهاة الرجال والساسة الاقيال وينشر
مايعن له من السوانح السياسية في أشهر الجرائد وأوسع
المجلات انتشاراً

ووقع التعارف بينه وبين جماعة من كبراء الرجال وأساطين
السياسة فلم يكن يخلو اجتماع له مع واحد منهم حتى تكون
مصر أول الحديث وآخره لاقياً في سبيل الاقناع ما هو من
نصيب المخلصين المجاهدين
وخطب أول خطبة له باللغة الفرنسية في مدينة طولوز

فكان لها بين جمهور السامعين تأثير بليغ ووقع حسن وقد
رحبت بها اذ ذاك الصحافة الفرنسية التي اتصل بها خبرها
ونقل اليها أثرها

والتف حوله جمهور كبير من أبناء البلاد الذين أعجبوا
كل الاعجاب باستقامته ونبيل قصده وشرف غايته فكان
هذا الالتفاف مشجعاً ومنشطاً

وفيه عرف كيف يلفت الرأي العام الاوربي الى مصر
وبالجملة فقد كان هذا العام أول عام حمل فيه أعداء مصر عليه
حملات دنيئة وأخذوا يحاربونه بالاضاليل والباطيل وهو
هازىء بهم ماض في سبيله بثبات وشجاعة لا مثيل لهما فيمن
رأينا في العالمين

ولما كان الغرض من وضع سيرة المترجم على النمط
الذي علمه القراء هو تلقين الناشئين دروس الارادة والثبات
والشجاعة والحزم والعزم والجد والاجهد في خدمة الاوطان
مهما كان الخصم عنيداً والجهاد عنيفاً شديداً : كنا في حاجة
الى شرح الطريقة التي سنتبعها في هذه السيرة المباركة شرحاً

وإفياً ليكون ذلك توطئة لهذا العمل الكبير الذي نرجو الله
تعالى أن يمده بروح من عنده ليعود علينا بالفائدة المأمولة
والعائدة المسئولة وقد شرحنا في آخر الجزء الماضي شيئاً من
هذه الطريقة ولن تغفل الإشارة إلى ذلك كلما عرضت مناسبة
كان من عادة المترجم أن يحتفظ بما يرد عليه من كتب
ومجلات وجرائد وكتب خصوصية سواء من الأقرباء أو
الأصدقاء فلا يمزق شيئاً من كل ذلك . وقد وجدنا تقسنا
بعد وفاته أمام تلال من الصحف والكتب عدا ما اقتناه هو
من مئات الكتب وتفائس المؤلفات كما أننا وجدنا أكثر
خطبه وبعض مقالاته مكتوبة بخط يده . ولما كان غالب
الكتب الخصوصية غير مشتمل إلا على جميل وبعض فقر
تدور حول محور السياسة المصرية رأينا أن نقتطف منها الأهم
فالمهم حسب ما استطعنا أن نرتبها حتى لا يطول علينا الشرح
ولا يجرد القارئ في نفسه سأمًا ولا ضجراً

وإنه ليس من الوفاء أن تغفل إفادة القراء بنتف من
هذه الكتب ليقتفوا على طراز كتبه الخصوصية كما وقفوا

وسيقفون على المسور ادراجه من أعماله العمومية ولذلك
صحت نيتنا على اقتطاف نتف منها كما تقدمت الإشارة
الى ذلك

ولما كانت علاقة المترجم ببعض أشخاص مما له علاقة
كبيرة في عمله السياسي باعتباره خطيباً وطنياً وصحافياً عاملاً
وكاتباً مصرياً كان من المحتم علينا أن نذكر ما دار بينه وبين
خصومه السياسيين من الاخذ والرد ومن عاصروه من
الصحافيين من الوثام تارة والانقسام تارة أخرى غير متخذين
أنفسنا حكماً لان حكمنا هنا غير مقبول شرعاً

أما علاقة المرحوم بسمو الخديوى المعظم فكانت
كعلاقة سموه بكل مصري مخلص ليس فيها سر غريب ولا
اتفاق بعيد ولا شيء خارق للعادة مما تخرص به المحتلون
كثيراً وتكهننت به جرائدنا هنا وهناك زماناً طويلاً .
وسيمر تحت نظر القارىء عند المناسبات شيء من أنباء
الهجوم والدفاع بينه وبين ابواق الاحتلال
قلنا في آخر الجزء الثانى ان المترجم بعد ان نشر رواية

فتح الاندلس نظم أوقاته ووضع للعمل خطة وعنى بدراسة
المسئلة المصرية دراسة دقيقة وقد أعد سلسلة مقالات سياسية
لينشرها في جريدة الاهرام وقد نشرها وأولاها آخر ما
نشر في الجزء الثانى تحت عنوان « حتام تجاهرون بعكس
ما تضمرون »

أما المقالة الثانية فقد نشرها في العدد (٥١١١) الصادر
من جريدة الاهرام الغراء في يوم الجمعة ٤ يناير سنة ١٨٩٥
وهذا نصها :

الوعود الصرىحت

ذكرت الانكليز في رسالتى الاولى بأشهر سيئاتهم
الاحتلالية وأذكرم اليوم بشرف الوعود وأتمن العهود التى
قالوها ضمانه للانجلاء آتيا بها وعدا بعد وعد وعهدا بعد عهد
عسى تنفع الذكرى ويعلم السادة الاحرار انهم بمحافظتهم على
هذا الاحتلال الثقيل قد وطأوا باقدامهم وداسوا بأرجلهم
أعز شىء يتباهون به ويفتخرون. أعنى بذلك الشرف البريطانى

الجليل الشأن الرفيع البنيان

ولئن ذكرتهم بهذه المواثيق الجليلة التي أخذوها على
أنفسهم بعد أن ذكروهم ببعضها المخلصون من الكتاب فذلك
لاني أراها أمضى سلاح لنا ضدكم وأصلح درع نلاقيهم بها
في كل احتجاج وجدال

وما هي في الحقيقة الا ضمانات قوية يقيمها كل مصري
حججاً دامغة على من أوصلوا مصر بسوء سياستهم الى هذا
الدمار وجعلوا الشرف البريطاني على شفير هار

فمن هذه التصريحات الشريفة المملوءة بسلامة النية
وحسن الضمير خطاب اللورد غراتيل الشهير الذي أرسله
وهو رئيس الوزارة الانكليزية في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ الى
السير ماليت معتمد الدولة البريطانية في مصر حين ذاك أي
قبل ان تظهر الثورة نار ويقام للاحتلال شعار فان هذا
الخطاب أوضح بأجلى بيان ان انكثرتا تضرر لمصر كل خير
وتود من أصدق فؤاد ان تراها في ثوب العز والرخاء كما
يفهم هذا من قوله في بعض المواضع « ان الغرض الوحيد

الذي تسعى اليه انكلترا هو ان تحقق لمصر سعادتها واستمتاعها
التام بالحرية التي قررتها الفرمانات الموكية المتتابعة « وفي
موضع آخر » ومن المهم ان أؤكد لكم ان غرضنا هو ان
تبقى مصر متمتعة باستقلالها الادارى الذي منحتة لها
الفرامانات السلطانية »

ومنها ان اللورد ليون سفير انكلترا في باريز رفع في
٢٨ يناير سنة ١٨٨٢ مذكرة الى ناظر خارجية فرنسا بناء
على أمر صادر له من رئيس الوزارة الانكليزية جاء فيها
« وان حكومة جلالة الملكة لا تطمع مطلقا في ان يكون لها
بمصر تفوذ خاص »

ومنها ان هذا اللورد نفسه قال للموسيو فراسينه ناظر
خارجية فرنسا في بلاغ رفعه له في ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ ان
ضرب الاسكندرية لا يعتبر من قبلنا الا دفاعا قضت به
الظروف وليس وراءه أدنى غاية

ومنها تصديق دول انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا
والمجر وايطاليا والروسيا (أى الست دول العظام) في ترايبا

يوم ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٦ في البلاغ الشهير الذي تعهدت فيه الدول جمعاء « على ان لا تستولى أى دولة منها على أرض من الاراضى المصرية ولا تبحث عن امتياز خاص ولا عن فائدة تجارية لرعاياها في كل اتفاق يقع بشأن تسوية مسألة مصر »
وزيد على ذلك ان المصدق على هذا البلاغ (البروتوكول) من قبل انكلترا هو اللورد دوفرين المشهور بحذقه ومهارته ومنها مقاله اللورد غراتيل في مجلس العموم يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٢ في خطابه المتعلق بمصر الذي جاء فيه ما يأتى « ان سائر الوزراء الانكليز متفقون على ان لا طمع لنا في مصر وان الجنود البريطانية لم ترسل الا لتؤيد النظام وترد الى الخديوى سلطته التي نزعته منه . وأخيراً فالوزارة عازمة عزمها أكيداً على أن تعرض للدول الاوروبية التسوية النهائية للمسئلة المصرية »

ومنها قول المستر غلادستون في مجلس العموم يوم ١٠ اغسطس سنة ١٨٨٢ « انى اوكد بأن انكلترا لا تقصد احتلال مصر احتلالاً نهائياً اذ أن ذلك يضاد مبادئ حكومة

جلالة الملكة ويخالف معنى الوعود التي وعدنا بها أوروبا «
ومنها قول هذا المستر نفسه في مجلس العموم يوم ١٤
نوفمبر سنة ١٨٨٢ جواباً على سؤال وجهه اليه المسيو
نورثكوث بشأن مصر « ان احتلال مصر ليس الا مؤقتاً
وستحدد الوزارة الانكليزية شروطه مع الحكومة المصرية .
وهو يشابه احتلال الدول الاربع انكلترا والمانيا والروسيا
والنمسا لفرنسا عام ١٨١٥ الذي انتهى بسرعة وعلى
أحسن حال »

ومنها المنشور الذي أرسل من لندن يوم ٣ يناير سنة ١٨٨٣
لكل الدول وجاء فيه « ان حكومة جلالة الملكة اضطرت
تلقاء الحوادث الاخيرة الى تسكين الهياج العسكري الذي
قام في مصر وتأيد النظام والسلام فيها وقد بلغت هذه الغاية
وترغب سحب الجنود الانكليزية التي لا تزال باقية منها ضماناً
للراحة العمومية وذلك متى سمحت حالة القطر وتأيدت
سلطة الخديوى »

ومنها قول المستر غلادستون زعيم الاحرار في مجلس

العموم يوم ٥ مارس سنة ٨٣ « يلزمنا ان نعلم اننا لسنا في
مصر سادة بل اُحباء ونصحاء للحكومة المصرية وانه ليس لنا
فيها مصالح خصوصية ممتازة عن مصالح بقية الممالك المتمدنة »
ومنها اجماع مجلس العموم على استحسان مقاله المستر
غلاستون نفسه يوم ٩ نوفمبر سنة ١٨٣ من تحقيق قرب
الجللاء وسحب الجنود الانكليزية من مصر

ومنها قول اللورد دربي في مجلس العموم عام ٨٥ « انا
ذهبنا الى مصر ووعدناها وعداً صريحاً بأن لا نمكث فيها
فيجب علينا احتراماً للتاج الانكليزي وشرف البرلمان
ان نخرج منها »

ومنها اعلان المستر غلاستون عند انتخابه رئيساً
للوزارة الانكليزية سنة ٨٥ أن من أول مشروعاته « سحب
الجنود الانكليزية من مصر »

ومنها قول اللورد سالسبوري عام ٨٦ « لنحترم قداسة
وعودنا وننجل »

ومنها قول هذا اللورد للمسيو وادنجتون سفير فرنسا

في لندن يوم ٣ نوفمبر سنة ١٨٦٠ « انكم تخطئون كثيراً اذا
حسبتم اننا نبغى البقاء في مصر الى أجل غير مسمى اذا اننا
لا نبحث الا عن الخروج منها بشرف فضلاً عن ان جنودنا
التي فيها تنفعنا كثيراً في الهند كما أشار بذلك أمير قوادنا »
ومنها قوله في مجلس العموم يوم ١ اغسطس سنة ١٨٩٠
مامعناه « ان بقاءنا في مصر الى أجل غير مسمى يقلل من
احترام الوعود التي جاھرت بها حكومة جلالة الملكة وتعهدت
بالخضوع لها »

ومنها جوابه الذي أجاب به على طلب قدمه اللورد
كارنارفور في مجلس العموم يوم ١٢ اغسطس سنة ١٨٩٠ بشأن
امتلاك مصر امتلاكاً دائماً وجاء فيه « أظن أن صديقي
لا يحسب حساباً كبيراً للوعود المقدسة التي نطقنا بها ولا للقانون
الاوروبي »

ومنها خطابه الذي ألقاه يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩١ في
مدينة كمبردج وقال فيه بشأن مصر « ان احتلال مصر احتلالاً
دائماً يسبب لنا أعظم المشاكل السياسية »

ومنها تأكيده المستر مورلي لمجلس العموم يوم ٨ فبراير
سنة ٩٢ بأن رأيه بشأن مصر هو عين رأى أسلافه وأنه
لا يري غير « الانجلاء »

وأخيرا نذكر جملة غلادستون الشهيرة التي يحق لكل
مصري ان يحفظها على قلبه ويجاوب بها أعداء الحق في كل
آونة وهي « ان حفظ مصر شيء جميل ولكن الاجمل
والاشرف الوفاء بالوعود »

هذه أيها السادة المحتلون وعودكم الشريفة الصريحة التي
لا تستطيعون نكرانها ولا تقدرتون على تحوير معانيها لم تقولوها
عبثا ولم تفوهوا بها مصادفة بل قدمتموها لنا ولا وروبا ضمانة
على الانجلاء . فهل لكم ان تحترموا شرفكم العزيز وتنجسوا
عن الديار بسلام أم عزمت العزم الاخير على استخدام ذلك
الشرف في اغتيال البلاد كما يشير به عليكم الخونة الاشرار
وترك التاريخ يسود لكم صفحاته بعد ان حلاها بمحامدكم
وفضائلكم أجبيونا بحق ماتعزون ولو على السنة أبواقكم التي
كانت أول من كشف الستار عنكم وعن دسائسكم بمدحها

أعمالكم المخالفة لمصلحة البلاد ووصفها الاحتلال بالرفعة
والكمال



نشر المرحوم هذه المقالة بامضاء « مصري أمين » وقد
كان لها أكبر وقع لأنها جمعت أغلب الوعود الانكليزية
والعهود البريطانية وهو ما يهيم كل مصري معرفته والوقوف
عليه لنقيم بها على الدوام الحججة على قوم أصبحوا في التاريخ
أكذب من مسيلمة

وقد اختار المرحوم ان ينشر هذه الوعود قبل الحديث
الذي جرى بينه وبين الكولونل بارنج شقيق اللورد كرومر
حتى يثبت للعالم مقدار تلاعب الانكليز في وعودهم ومبلغ
شرفهم في أقوالهم

أما الحديث فقد نشرته الاهرام في يوم الاثنين ٢٨
يناير سنة ١٨٩٥ وهذا نصه :

حديث ذو شأن

جمعتني والميرالاي بارنج (شقيق اللورد كرومر) مصادفة
من أحسن مصادفات الحياة استطلعت فيها رأيه بشأن المسألة
المصرية وما ينويه لها الانكايير من النيات (الحسان) فأحييت
ايراد أم مادار عليه الحديث خدمة للقراء الكرام واظهاراً
لرأى رجل من كبار رجال الانكايير فضلاً عن انه أقربهم
الى معتمد الدولة البريطانية في مصر

بدأني حضرته بالكلام على خلاف عادة الانكايير فقال
هل أنت مصرى أم عثمانى
فأجبته مصرى عثمانى

فقال وسمة التعجب بادية عليه وهل تجتمع الجنسيتان
في أحد؟ فقلت ليس الامر جنسيتين بل في الحقيقة جنسية
واحدة لان مصر بلد تابع للدولة العلية والتابع (كما لا يخفى
على جنابك) لا يختلف عن المتبوع في شيء من أحكامه
فتبسم قليلاً وقال . نعم ان مؤلفي الكتب الجغرافية

وبعض الكتاب الذين لا تظلمهم سماء السياسة الحاضرة
يقولون ان للدولة العلية بمحض السلطة على مصر ولكن
الذين وقفوا على حاضر الامور وماضيها لا يجملون دخول
مصر تحت حكم الانكليز دخولا لم يبق معه شك لعامل من
العقلاء

فسخرت عندئذ من قوله هذا المبنى على حبه لجنسه
وشغفه باتساع نطاق المستعمرات الانكليزية وقلت له . ان
وزراءكم وكبار رجالكم قالوا المرة بعد المرة ان احتلالكم
مصر ليس الا احتلالا مؤقتا ينتهي بعد اصلاح الحال وتأيد
سلطة الامير وعاهدونا وعاهدوا أوروبا على ذلك مقدمين
المواثيق الغلاظ والعهود الشداد بأن جنودكم ستنجلي عنا
بسلام (احتراما للتاج الانكليزي وشرف البرلمان) مما
يؤيد حقوق الدولة العثمانية على مصر المؤيدة من قبل
بالمعاهدات الدولية والفرمانات الشاهانية فكيف بك اليوم
تقول عكس هذا القول وتجاهر بنقيض ما جاهر به عظام
رجالكم وكبار وزراءكم . وماذا يكون شأنكم اذا افتضح

الامر وبان السر وعلم الناس انكم كذبتهم الكذب الصراح
على أوروبا ومصر بل ماذا تكون عاقبة أمركم اذا أجبرتم
على الانجلاء خلافا لما تهمون به من امتلاك وادينا العزيز
فضحك اذ ذاك ضحكا عالياً وقال . ما أسلم نياتكم
ممشر المصريين وأقربكم الى الحالة الفطرية منكم الى الحالة
الحضرية أتظنون ان الانكليز (وهم أحق الناس بكل نعمة
وخير) ينجلون عن مصر ويتركون لكم أو لغيركم برها
العزيز وخيرها العميم . أم تظنون اننا نؤخذ بأقوالنا وأفعالنا
ناطقات بحقيقة نياتنا وماذا على رجالنا اذا كانوا حققوا لكم
ولاوروبا (الاحتلال المؤقت) و (الانجلاء القريب) ومبدؤهم
(الكذب في خدمة الاوطان) واستعمال الخداع في السياسة
(وماهي الا حرب سلمية) استعماله في الحرب والطعان
وهل تصدقون بأن أوروبا تنجدكم وتساعدكم ضدنا انها آمال
بعيدة وأوهام يحق لكم ان تتركوها وتعلموا انكم في حماية
الانكليز وان سيادة الترك أصبحت في النسيان ودخلت من
زمان في خبر كان

فثار مني الفكر عند سماع هذا القول واجبته ان لمصر
أن تؤمل من أوربا نجاتها وخلصها ولكم أن تتحققوا من
بطلان آمالكم وضياع أمانكم فلقد كشفت أفعالكم
(الناطقات بنياتكم) الغطاء عن هذه المقاصد الخبيثة التي
أضمرها غراتقيل وسالسبري وغلادستون ومن حاكهم في
سياستهم ولم يعد سياسي من السياسيين يعتر بما تقولون بل
تحقق الكل من انكم (لا تصدقون في خدمة الاوطان)
ولذا استشعر القريب والبعيد بان الاحتلال في آخر ساعاته
قضت عليه عدالة القرن التاسع عشر ومدنيته بالموت الدائم
فاطمئن خاطرنا يا حضرة الميرالاي واعلم أن الانجلياء
قريب عاجل

فازداد ضحكه وقال . ومن لكم يا ترى من السفراء
في أوربا حتى قلم بقرب الانجلياء
لنا أوربا بأسرها التي تناديها مصالحها العديدة بان تنصرنا
عليكم كيما تنصر تلك المصالح التي سعيت من يوم احتلالكم
البلاد في تقويض أركانها

فقال. اصرفوا عن أوروبا أملككم فانا نرضيها بالاراضي
الكثيرة والاملاك الواسعة « كأن انكلترا قد ملكت الارض
وما عليها » ونضمن لها في مصر مصالحها وديونها

لنتفق جدلا على ذلك ولكن هل نسيت أن في حمايتكم لمصر
ووضع يديكم عليها ضياعا للموازنة الاوروبية التي تعمل كل دولة
للمحافظة عليها. ومهما قدمتم من الهدايا لبعض الدول (على أنكم
لستم المتصرفين في كل أرض) فهل تحسبون انها تقوم لديهما مقام
(مصر) طريق الشرق الاقصى وأعظم المستعمرات الاوروبية
أم نسيت ان من العار على أوروبا ان تساعدكم على انتهاك حرمة
المعاهدات وتترككم تستعبدون أمة اعترفت أوروبا نفسها
بكمال استعدادها ومحاكاتهما لا عظم الممالك المتعدنة مدنية
ونظاما. ولمساعدت فرنسا الولايات المتحدة وطردتكم منها؟
أكانت مصالحها هناك أكبر من مصالحها هنا بل لماذا
قامت أوروبا مرة واحدة مساعدة لليونان على استقلالهم
وانفصالهم تمام الانفصال عن الدولة العلية. ولماذا قررت
بالجيك وإيطاليا وغيرهما وأقامت نفسها وصية على الامم الضعيفة

خاذلة للطماعين ناصرة لذوى الحقوق

أظنك يا حضرة الميرالاي لا تقدر على اثبات ان المصريين
ليسوا من الفرع الانساني وانهم غير أهل لان ينالوا من
أوروبا حريتهم واستقلالهم الإدارى المثبت فى المعاهدات
(التى كنتم أول المصدقين عليها) المؤيدة بالقرمانات

فقال والغضب باد على وجهه . ان أوروبا فى شغل عنكم
وفرنسا التى وجهة آمالكم نحوها لها من سوء أحوالها وكثرة
مستعمراتها ما يجعلها على الدوام عاجزة عن ان تخدم مصر
خدمتها للولايات المتحدة وتساعد العباس مساعدتها
لواشنطنون

على انى لو وافقتك وقلت ان أوروبا ستنصركم وتجبرنا
على الانجلاء فذلك لا يكون الا بعد ان يبيع فلاحكم أرضه
ويسوء حاله ونملاً جيوبنا مالا فضلاً عن اننا نكون ملكنا
السودان وهو كما تعلم روح بلادكم

فقلت . وكيف تملكون السودان والسودان لا يزال

ملكاً لنا

فأجاب ضاحكا . واذا كان ملكا لكم فلم لم تستردوه
ولم ضاعت واد لاي وكسلا؟

— كان ذلك بدسائسكم ومعارضتكم لنا في استرجاعه
ولكن متى خرجتم يسهل علينا استرداد ملكنا

— ان ملككم مضت عليه المدة ولم يعد لكم بل أصبح

متاعا لمن يستولى عليه وجزى الله نوبار باشا كل خير فلقد

سهل في الماضي سلخه وسيسهل لنا قريبا ملكه ملكا نهائيا

فاستولتني دهشة عظي وقلت له . ألي هذا الحد

تطمعون في نوبار باشا؟

فأجاب . وبأكثر منه . ان نوبار رجلنا ومحبنا وقد

أطلق عليه السياسيون في أوروبا اسم (نوبارستون) دليلا

على شدة اخلاصه لنا

وماهي فائدته من خدمتكم؟

انه يؤمل استقلال أرمينيا على أيدينا ولا يخفك ما في ذلك

فقلت والدهشة في ازدياد . ولكن أما تخافون بقية

وزرائنا؟

فأجاب مبتسما . ان بقية الوزراء لا يهمهم الا قبض
رواتبهم العظيمة وبقاؤهم في أعلى المناصب لا يخالفون للانكاي
رغبة بل يقدسونهم من صغيرهم لكبيرهم خوفا من السقوط
والعزل

فتنفست عندئذ الصعداء وقلت . لا تغتر يا حضرة
الميرالاي بوجود بعض الخونة فينا واعلم ان بلدا فيه رجال
يعرفون معنى الوطنية معرفة رجالكم لها لا يموت أبدا بل
يعيش معرزا على الذرى والمقام ولربما أحيا فرد واحد أمة
بأسرها وفي تاريخ الدول وانقلاباتها أقوى دليل على ما أقول
ومصر في هذا العصر غنية برجالها مباركة بأبنائها لها ان تؤمل
منهم الظفر القريب ان شاء الله

فبهت الميرالاي وقال . انى أقف معك في الحديث
عند هذا الحد فلقد رأيت ان حميتك تملى عليك القول ووطنيتك
تحمق لك آمالك (البعيدة)

هذا هو الحديث الذى جاهر به انكايذى خطير بما
لم يستطع المحتلون المجاهرة به من قبل وان كانت فعالهم أفصحت

أظهر افصاح . ولا يعدم القاريء اللبيب حكما صادقا على
نيات نصراء الحرية وزعماء المدينة كما ان وزراءنا (أنا بهم الله)
يعلمون منه ما يقوله الانكايذ عنهم وماذا أفاد تهاونهم
وموافقهم على ضياع البلاد ولكن ليس المقام الآن مقاما
تنبيههم فيه الى ما وصل اليه مركزهم واحترامهم بل لنا معهم
كلام آخر في وقت آخر والسلام



وما نشر المرحوم هذه المقالة أيضا بامضاء « مصرى
أمين » حتى هاجت جرائد الاحتلال وماجت وفي مقدمتها
المقطم الذي أرغى وأزبد ورد رداً كله سب ووطن

رد المقطم في عدد (١٧٨٢) الصادر يوم الثلاثاء ٢٩ يناير
سنة ١٨٩٥ بعنوان « حديث خرافة » رداً كله سب وثلب
كما قلنا اذ شق على تلك الصحيفة أن يكون لمصرى صوت في
مناقشة أخى عميد الاحتلال تلك المناقشة التي أعجب بها قراء
الاهرام أيما اعجاب ولا تعد تلك المطاعن غريبة من جريدة
قضت عشرين عاما وهي تطعن على الدولة العلية والأريكة

الخدوية والامة المصرية في وطنيتها وقوميتها ذلك الطعن الذي يشهد عليه كل عدد من أعدادها منذ صدرت الى الآن فهذا دأبها منذ منيت بها مصر ! تعيش بين أظهر المصريين وتظعن عليهم في آن واحد غير راجية لهم وقارا ولا حاسبة لهم صفة ولا اعتبارا

والظاهر ان تلك المقالة الرنانة قد أثارت نائرتهم واقامتهم وأقعدتهم فبرزت تلك الجريدة التي سميناها تكذب الحديث وتتهم ذمة كاتبه اتهاماً صريحاً وتعده من قبيل « تزوير الحجج والسندات » ولقد كذبت وافترت افتراء مينا

ولكنها لم تستطيع بعد ذلك أن تتعرض لهذه المقالة أو تشير اليها بكلمة

وقدم المترجم في تلك الايام طلبه الى لجنة قبول المحامين امام محكمة الاستئناف فقبل امام المحاكم الجزئية ولكنه لم يترافع في قضية لفرط طول حياته بل اكتفى بالقضية العظيمة التي كانت مطروحة بين يديه وهي قضية الوطن المقدس .

لأن الدفاع عن الحق العام أهم وألزم من الدفاع عن الحق
الخاص وشتان بين حقوق الافراد المدنية وحقوق الامم
السياسية

ثم عاد الى مناقشة الجرائد الاحتلالية فكتب الى
صديقه المأسوف عليه بشاره باشا تقلا كتابا بمناسبة مقالة
المقطم تلك وقد نشرته الاهرام في عددها الصادر يوم
الاثنين ٤ فبراير سنة ١٨٩٥ وهذا نصه :

صديقي العزيز مدير الاهرام

لم يكن يدور في خلدى من قبل ان نصراء المحتلين في
مصر على هذا الجانب العظيم من الحق والجمالة وانهم يرون
في السفاهة والوقاحة أحسن الرد على كل قول صحيح وفكر
سليم فما نشرت الاهرام مقالتي الاخيرة المعنونة (حديث
ذو شأن) حتى هاجوا وماجوا وزلزلت بهم الارض زلزالها
وجاءونا بردود يحسبون انها تكذب قولنا صادقا فجاءت على
عكس ما يرون اثباتا لحديثنا الذى لا ريب فيه

وأعجب شيء من هاتيك الردود انهم حملوا على

صاحب الالهرام الجليل حملة اللئيم على الكريم ولم يعلموا انه
صدق في خدمة الوطن العزيز فاجتمع حوله المخلصون
الصادقون

وما عساهم يكتبون ويردون والحديث لا يزال حديثا
وشقيق اللورد كرومر أرفع وأعظم من ان ينكر اليوم قولاً
قاله بالامس

على انهم لو كانوا كما يدعون شيعة الحق وأنصار الصدق
لكان الاجدر بهم ان لا يتعجلوا في الرد قبل ان يترجموا
الحديث الى الانكليزية بغير ما اعتادوه من تحريف أقوال
الجرائد الوطنية ويرفعوه الى سيدهم ب... ليوصله الى أخي
اللورد كرومر حيث هو الآن ليرى فيه رأيه فان قال
بصدقه وهو مالا يرتاب فيه سكتوا عن الرد ان لم يبروا
بإظهار الحق والانشروا لنا جواب حضرته تكديباً . واذ
ذاك لا نقصر عن تذكير جنابه بالمكان الذي جمعنا واليوم
الذي دار فيه الحديث مذبليين كل ذلك باسمنا غير خائفين
تبعه الصدق في القول والاخلاص في الوطنية شأن كل

مصرى أمين»



ثم استمر المترجم في عمله وهو دراسة المسئلة المصرية بكل عناصرها وموادها منفذاً ذلك الترتيب الذى رسمه لنفسه تنفيذاً دقيقاً. وقد كثرت معارفه فى هذه المسئلة كما كثر أصدقاؤه ومريدوه والمسترسلون الى خطته السياسية من كبراء ووجهاء وعلى الاخص اعضاء مجلس الشورى الذين كان يجتمع بهم كثيراً ويداولهم فى الشؤون الوطنية طويلاً وليس غريباً ان تكون المسئلة المصرية بالغة من التمكن فى فؤاده مبلغاً عظيماً بحيث انها كانت تشغل منه فضاء التصور وتملأ مجال الخيال على حد قول الشاعر :

واذا نطقت فأنت أول منطقي

واذا سكت فأنت فى اضمارى

وكانت حركة الحزب الوطنى قد قويت فى البلاد

واتسع نطاقها بازدياد عدد الذين انضموا الي صفوفه القوية

العاملة المباركة شيئاً فشيئاً ولا سيما من اعيان الاقاليم وكبار

الوجهاء في انحاء القطر وكان المترجم يسافر كل أسبوع أو
أسبوعين مرة متنقلا في الاقاليم تلبية لنداء مواطنيه الذين
أحبوه حباً جماً وتعلقوا به تعلق الوطنى الصادق بمن يخدم
وطنه بآباء واخلاص

وقد رسم لنفسه خطة دراسة المسئلة المصرية الى غاية
شهر ابريل على ان يظل في تلك الاثناء يكتب ما يكتب من
الرسائل السياسية مهبورة بالتوقيع الذى اختاره لنفسه حتى
اذا ابتداء عمله الوطنى الجليل شهر اسمه مرة واحدة

وقد كان تولاه الله برحمته يقرأ على اذ ذاك كل مقالة قبل
ارسالها الى الاهرام شأنه في كل أعماله فكنت أعجب بها
اعجابا كبيرا مع ان الاخ على الدوام غير كبير مهما أوتى من
العلم والذكاء وكيف ما كانت منزلته بين الكتاب والعلماء

قرأ على رحمه الله مقالة خاطب بها المحتلين الذين
لا يجدون السعادة الا في شقائنا ولا الهناء الا في بلائنا
أولئك الذين لبسوا لباس الباطل ليخدعوا به من لم يثبتوا
على دين ولم يتكون لهم يقين . فكنت لفرط ما أجد من

الاتعمال والتأثر لا أتمالك من ابداء الاعجاب والا كبار
ليقرأ كل مصرى هذه المقالة وليترحم على من كتبها
وهو في العشرين من عمره ليرد عداا المعتدين وليحارب
من اسودت قلوبهم وايبض شعر رؤوسهم في محاربة مصر
والمصريين

وقد نشرت هذه المقالة في عدد الاهرام الصادر يوم
السبت ٢٣ فبراير سنة ١٨٩٥ وهذا نصها :

التهديد الباطل

ما عهدنا جرائم الاحتلال أشد حنقا وأعظم غيظا من
هذه الايام التي قامت فيها قيامتها ضد الشيبية والشبان
فنسبت لهم الغرور والجنون ولاعمالهم الطيش والخفة ولا
تعرف لهم ذنباً عندها الا أنهم احتفلوا مرة بعيد جلالة
السلطان وزاروا مرة أخرى جناب الموسيو فور رئيس
جمهورية فرنسا كأن القيام بمثل هذه الواجبات الادبية يعتبر
في شرعة الانكليز جريمة من اكبر الجرائم . والا فتعنيف

جماعة من كرام الشبان تعنيفاً شديداً مثل الذي عنفتهم به
جرائد الاحتلال لا يكون الا اذا اقترفوا ذنباً عظيماً. وبعيد
عن الصواب اعتبار احتفال المصريين بعيد سيدهم الاعلى أو
زيارتهم دولة محبة لنا ذنباً من الذنوب بل بالعكس تدل مثل
هذه المظاهرات على الاربعيات الشريفة والمبادئ الجليلة
القائمة بنفوس هؤلاء الشبان الذين هم رجال المستقبل

والغريب أن جريدة الخوارج التي تمتاز عن أخواتها
في كل شيء بالكذب والسفاهة لم تكف بتقبيح المظاهرات
الوطنية التي تظاهر بها المصريون في باريس بل قالت ان
الحضرة السلطانية لم تجاوب بجواب ما على الرسالة البرقية
التي أرسلها اليها المحتفلون بعيدها الجليل تهته وتبريكا. على أن
الحقيقة كما علمنا وعلم الخيرون مخالفة لذلك كل المخالفة اذ أن
سفير الدولة في باريس شكر للجميع شكراً عاماً وللمسيو
ديلونكل شكراً خاصاً مما يدل على أن رجال الاستانة قدروا
هذا العمل قدره كما قدره رجال باريس

وليس من الخفة والطيش كذلك زيارة المصريين

في باريس لرئيس الجمهورية الفرنسية فانتما تعتبر هذه الزيارة
عند كل عاقل بمثابة زيارة أدبية واجبة على كل من تربى وتعلم
في فرنسا مصر يا كان أو غير مصري اذ ان شريعة الآداب
تأمر كل انسان بالاعتراف بالجميل فمواطنونا لم يأتوا بتوددهم
للمسيو فور شيئاً آخر غير القيام بهذا الواجب الادبي الذي
حق عليهم لاسيما وان المسيو فور اشتهر بحبه لمصر والمصريين
وميله لخير وطننا العزيز

واذا قلنا ان المهنيين للمسيو فور من أبناء وادي النيل
طلبوا منه المساعدة في حل المسئلة المصرية حلا عادلا عاجلا
فلا خلاف في ان احسن شيء في خطابهم هو هذا الطالب
وفضلا عن كونه من حقوق كل مصري فهو يزيد انكاشرا
شرفا ورفعة حيث ان المطالب لها باحترام وعودها والوفاء
بعهودها يعتبر حسن الاعتقاد بها وبشرفها بخلاف الساكت
عن مطالبها فانه اما جبان واما سيء الظن بها

فماذا افترى اذا مصريو باريس حتى اهتزت الدنيا وقام
الانكايز وقعدوا وارغوا وازبدوا طالين من مريض الوزارة

عقابهم أشد العقاب تعذيباً لهم وعبرة لغيرهم مما حرك الشيخ
العليل الى اصدار أمره الى صنيعته أرتين باشا بتحقيق هذا
الامر وتقرير العقاب الصارم

وماذا أتى اخواننا ضد الانكليز حتى يطالب السير بالمر
(الاقتصادي) الغاء الارسالية المصرية بأسرها وجعلها أثراً
بعد عين ثم يعود فيطلب ابقاءها ومعاينة المسيبين لزيارة المسيو
فور عند ما علم (وياللعجب وطول الخجل) ان حضرات
الاجلاء (زبكيان وشيروجيان وتجيران) يتعلمون في
الارسالية على نفقة حكومتنا السنية (أعزها الله)

فأى سر مصون مستتر وراء هذه الاعمال اذا كان
الانكليز لا يزالون يرددون وعودهم الجميلة ويتنمون بنعمة
ذكرها بل أية حرية يتكرمون علينا بها وهم ان رأوا من
المصرى احساساً شريفاً قاموا عليه بالويل والشبور وطلبوا
عقابه العقاب الاليم وان أبصروا كاتباً يكتب الحق ويسطر
الصدق طلبوا نفيه عن الديار وابعاده عن الاوطان كما ظهر
هذا الميل (العادل الشريف) عند جناب مكاتب التيمس في

مصر لما كتب رده على حديثي المشهور مع الكولونيل
بارنج حيث قال (لو كان ذلك الكاتب مصرياً لعاقبناه بما
يستحق) كأنه يريد وضع مادة جديدة في قانون العقوبات
يقول فيها (كل مصري نقل الى الجرائد حديثاً جرى له
مع سيد من الانكليز يعاقب بالتردد أو بالاشغال الشاقة)
وأى حكمة وراء قول المقطم لسان حال معتمد الدولة
البريطانية في مصر ان المصريين لو كانوا على رأى الجرائد
العربية الفرنسية (يريد بذلك على ما أظن المؤيد الاغر
والاهرام الزاهرة) لاستعمل الانكليز معهم الشدة والقسوة
بدل الملاطفة واللين . مع علم السادة المحتلين جميعاً بأن الامة
المصرية بأسرها على رأى هاتين الجريدتين الصادقتين

يظهر لى ان الحكمة هي الوعيد والتهديد ودليل ذلك
قوله ان نابليون كان يعامل المصريين بالشدة كأنه يريد
المقارنة بين عنصرين يفصلهما قرن طويل وبين فريقين جاء
أحدهما فاتحاً والآخر قاصداً الاحتلال المؤقت والجلاء
السريع

ولكن ليهداً المحتلون بالا ويسكنوا خاطراً فلقد علم
المصريون كل ما يضره لهم أبناء التاميز ولا يزيدهم الوعيد
الاثباتا في العمل وقوة في الوطنية

وإذا كان رجال الاحتلال يعتبرون كل من تودد الى
فرنسا مذنباً فليعلموا من الآن ان الامة كلها مذنبه وان
عقلاءها أكثر الناس ذنباً فكنا عارف لفرنسا اخلاصها
لمصر وصدقتها للدولة العلية وكلنا شاكر للمسيوديلونكل
وزملائه على اهتمامهم العظيم بالمسألة المصرية وعنايتهم العظمى
بمصر والمصريين

ولا عجب اذا كانت آماننا موجهة لفرنسا وهي هي
التي تبرعت بدماء جنودها الاعزاء للامريكيين في (بولك تاون)
ولليونانيين في (نافارين) وللبايجيكيين في (اتفرس)
وللايطاليين في (ماجتاوسولفيرينو) ورحبت بالارلنديين
سنة ١٦٨٨ وأحسن للبولونيين بعد عام ١٨٣٠ وبالجملة
برهنت المرة بعد الاخرى على انها ظهيرة الحرية نصيرة
الاستقلال

وللسادة المحتلين ان يتحققوا من ان شدة حنقهم على
المتظاهرين في فرنسا ستزيد المظاهرات ضدهم وتكثر
المتظلمين لأوروبا منهم ولا يبعد ان يأتينا الصيف الآتي
بالبراهين الجمة على ذلك وكل آت قريب :



وقد قامت البلاد وقعدت ووقعت في هرج ومرج
اذ استصدر اللورد كرومر أمراً عالياً بتأسيس محكمة
مخصوصة لمحاكمة من يعتدى من الاهالى على ضباط وجنود
الانكايز فكتب المترجم هذه الرسالة ونشرتها الاهرام يوم
لاثنين ٤ مارس سنة ١٨٩٥، وهذا نصها :

صواعق الاحتلال

(لله من صواعق تصب علينا بغير حساب . ومصائب
نرمى بها بلا أسباب . وبلايا تدارك علينا تدارك قطرات
السحاب . ورزايا تتصدع بها القلوب والالباب . حتى أصبحنا
نتقلب بين أنياب هذا الشر وأظفار ذلك السوء ولا نعرف

من الايام غير ظلماتها ولا من الحوادث الا مرعجاتها كل
ذلك على أيدي فئة جاءت البلاد بحجة الاصلاح فأفسدت
ماشاءت وغيرت وبدلت ما استطاعت اجابة لداعي هواها
ورغبة في بلوغ مناها واذا سألتها ماهذه الصواعق التي
تصيبها علينا قالت انما هي أدوية أداوئكم ومراهم جروحكم
فتلقوها بالصبر والسكون والا وضعت لكم السم في الشراب
كأنما نحن أطفال صغار لا ينفعنا الا التهديد والارهاب ولا
قوة لنا على تمييز الصالح من الفاسد والنافع من الضار . واذا
ناديناها . لبي نداء هذا الشرف البريطاني الرفيع الذي يسألك
الجللاء عن الديار وترك البلاد لا بنائها يسوسون أمورهم
بأنفسهم قالت ما أقل اعترافكم معشر المصريين بالخير وأولاكم
بالسوء أترغبون في خروج الانكليز من بلادكم وتكفرون بنعمة
وجودهم بينكم واحتلالهم أرضكم . فلا رسلن عليكم الصواعق
تأتيكم من حيث لا تشعرون ولا رمينكم بالمصائب تهز قلوبكم
هزاً وتذك وجداناتكم دكا حتى اذا علمتم بطش الانكليز
وقوة البريطان أخذتم الى السكون وجنحتم الى عدم المطالبة

بالجلاء لتم علينا نعمة الحكم عليكم والسيطرة على بلادكم
هذا شأنهم معنا شأن القوى مع الضعيف. ينتهكون كل
حرمة ويطأون كل عزيز نفيس فلقد احتلوا البلاد بحجة
الاصلاح وليس في تاريخ الاحتلال الا آثار ضغط واستبداد
تنطق حوادثه حادثا بعد حادث ان مراد الانكليز امتلاك
البلاد وجعلها هندا أفريقية يسبح أهلها من البحر المتوسط
الى منابع النيل بذكر أبناء التاميز ويسجد الشيخ والوليد لهم
اجلالا وتعظيما

ولسنا نستشهد على صحة هذا القول بحادث من حوادث
الماضي بل نستشهد بحادث اليوم الذي جاء ضربة قاسية
على النفوس وصاعقة شديدة الوقع على الرؤوس أعنى به
حادث المحكمة العرفية الاستبدادية التي أنشئت لمعاقبة كل
من تعدى على جنود الاحتلال عقابا لا يدخل تحت قانون ما .
تأسست بعد أن أرغت جرائد لندن راواز بدت وأرعدت سماؤها
وأبرقت ووجهت الى سدة الامير كل طعن وبداء مما قابلناه
تلك الساعة بقول الشاعر

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
تأسست هذه المحكمة على شكل يكفى وحده لان
يرهن للعالم بأسره أن الانكاي لا يعرفون للقانون أسما . وهل
سمعتم يا قوم بمحكمة تحكم بما يشاء هواها . محكمة تحكم
بصلم الاذن وجدع الانف وسلخ الجلد وبالجلد والضرب وهل
رأيتم يا قوم في التاريخ ان أمة تحكم على غير قانون ودستور
أجيبونا معشر المشرعين وأسمعونا كلمة الحق أيها المنصفون
فقد بلغ السيل الربى

نعم نعم أنتم تريدون أيها المحتلون بهذه المحكمة عقاب
كل مصرى أمين يعرف انكم خصوم بلاده وتقصدون بها
اهانة الوطنيين بسجنهم السنين الطوال ان لم نقل باعدام
كثيرين منهم

نعم نعم أنتم تريدون بهذه المحكمة وضع الاساس
الصالح لهدم المحاكم الاهلية وابدالها بمحاكم استبدادية تحكم
بنفس القانون الذى تحكم به محكمتم الجديدة
نعم نعم أنتم تريدون ذلك وتبذلون الجهد الجهيد فى

سبيل الوصول اليه. والا فإى تعصب دينى فى البلاد حملكم
(أيها العادلون) على تأسيس هذه المحكمة التى تؤاخذون
على تأسيسها كل المؤاخذة بعد ان احتلتم البلاد ثمن قرن.
وأى داع حملكم اليوم على المطالبة بهذا الحق الذى تقولون
عنه بعد ان سكتم عن المطالبة به ١٣ سنة مع ما عرف عنكم
من شدة المحافظة على الحقوق بل بمجاوزة كل حق وواجب.
لاخلاف فى انكم ترغبون قتل العواطف الشريفة الحية
وتودون من صميم الفؤاد اخماد أنفاس كل كاتب وكل معارض
ولنا فى الغاء مدرسة دار العلوم دليل آخر على ذلك فلقد أردتم
ان يكون هذا الشهر شهر النصر لكم والخذلان لنا فأرسلتم
علينا من سماء عدالتكم الصواعق تباعاً حتى عسر علينا
احصاؤها بل بتنا نقول كل الباليا (فى ظل المحكمة
المخصوصة) فانا لله وانا اليه راجعون



وقد سافر المرحوم الى مدينة الاسكندرية فى مساء يوم
الخميس ٢١ مارس سنة ٩٥ لاستقبال المسيو ديبلو نكل النائب

الفرنسي الشهير فاستقبله على رصيف البحر مع الكثيرين من
المصريين المخلصين في صبيحة اليوم التالي وبعد ان صاحفه
والسيدة قرينته قدم لهما جميع اخوانه المصريين الذين كانوا
معه اذ ذلك

وقد كان في استقبال المسيو ديلونكل المسيو دلا كرتيل
قنصل فرنسا في الثغر مع موظفي القنصلية والكثيرين من
الزلاء الفرنسيين

قصد بعد ذلك المسيو ديلونكل وقرينته القنصلية حيث
تناولا بها الغداء ثم برحا بعد الظهر الثغر على قطار الاكسبريس
الى القاهرة وبرفتهم المترجم والوفد المصري وقدرافتموها حتى
أوتيل كوتنتنتال ورافق المترجم المسيو ديلونكل في كل روحاته
وغدواته بمصر وقدم له الكثيرين من المصريين وفي مقدمتهم
أعضاء الحزب الوطني الذين أكرموه اكراما كبيرا
واحتفلوا به احتفالا عظيما

وقد تعرفت به في الوليمة التي أعدها له صديقنا الحميم
المرحوم عثمان أفندي جلال رئيس قلم قضايا السكة الحديدية

وحضرها الكثيرون من الاخوان . فرأيت منه رجلا عالما
فاضلا قوى الحجة واقفاً على تفصيل المسئلة المصرية وقوف
أعلم ابنائها بها لا يتأخر فيها عن المجاهدة بالحق

وبعد ان مكث المسيو ديلونكل بمصر زهاء عشرين
يوماً ألقى في خلالها خطاباً مهمة بمصر والاسكندرية ودعا فيها
الصحافيين جميعاً الى وليمة كبرى في يوم الخميس ١١ ابريل
حيث نطق فيها المترجم بخطبة هذا نصها :
أيها السيدات . أيها السادة :

انى اذا وقفت الليلة بينكم خطيباً فانما ذلك بدافع
الاخلاص ولو انى لست الخطيب الذي يسحر الالباب بهذه
اللغة الفرنسية الجميلة ولكن السرور الذي يخامر قلبي
والابتهاج الذى أراه شاملا كل نفوسكم سيعينانى على تقديم
هذه التحية للمسيو ديلونكل المكرم أولاً ولحضر اتكم ثانياً
نعم ان المسيو ديلونكل هو ذلك الرجل الذى قدم
نفسه لخدمة المسئلة المصرية بكل اخلاص لانه واقف على
أسرارها وما دار ويدور فى الدوائر السياسية العالية بشأنها .

واننا اذا لاحظنا مركزه في بلاده وقوة حجته وغزارة مادته
علمنا انه سيكون لنا منه أكبر ساعد وأوفى نصير

ولذلك يحلولى ان أجاهر بملء فمى عن تقسى وبالنيابة
عن اخواننا المصريين سواء كانوا الذين حضروا هذه الوليمة
أو الذين غابوا عنها . اننا أبناء أمة اعترفت فى كل أطوار حياتها
بالجميل لمن أحسن إليها وأخلص لها ولبلادها الودو كان عوننا
لها فى تأدية عملها بين أأم العالم بدون ان تمس فى كيانها بسوء
فاذا شكرنا الليلة جناب النائب على زيارته مصر واستعداده
الذى أظهره لخدمتها فانما نشكر نفسا عالية من تلك الاتفس
الفرنسوية الشريفة التي عودتنا ان تنشر العلم فى بلادنا وترشدنا
الى خير طريق نهض فيه الامم من رقدتها .

نعم . ان الفرنسيين قدموا لامتنا المحبوبة خدما
متاليات لا ينساها التاريخ المصرى كما تبقى ميراثنا محفوظا
ينتقل من صدورنا الى صدور أبنائنا

اننا يا جناب النائب نشكركم من صميم فؤادنا على دعوتكم
لنا فى هذه الليلة هذه الدعوة التي جمعت أرباب الاقلام وقواد

الرأى العام فى مصر برجل نجله ونحترمه ونسأل لكم ولقرينتكم
طيب الإقامة فى بلادنا كما نسأل الله أن يوفقكم لخدمة مصر
الخدمة التى تنتظرها من مستشرق عالم له مركزكم السياسى
السامى فى بلادكم « اه



وبعد ان قال المرحوم بصوت عال لتجى مصر : لتجى
فرنسا : ليحى العدل ! صفق الحاضرون تصفيقاً عالياً
متوالياً وضجت جوانب الغرف بأصوات التشجيع والاستحسان
وعلى ذلك انتهت الليلة بسلام
وقد برح المسيو ديلونكل البلاد فى يوم السبت ١٣
ابريل سنة ١٨٩٥ حيث ودعه الجم الغفير وفى مقدمته المترجم
على رصيف الميناء

ولا تسل أيها القارىء عن مقدار الغيظ والحق اللذين
أظهرهما رجال الاحتلال لزيارة هذا النائب مصر واختلاطه
بالمصريين فقد أوعزوا الي جرائدهم المأجورة أن تسبه
بلا حياء وان تشنع بالوطنيين وتحمل على سمو الخديو المعظم

حملتها المشهورة كعادتها في كل أمر كأن سمو الخديوى هو
الامة بأسرها وكأن الشعور الحى لا يتسرب اليها الا من
مكان معين . نعم نحن لا ننكر أن وطنية سمو الامير كانت
ولا تزال فائضة بالحياة العالية ولكن ما دخل سمو الامير
في حركة ساق اليها الشعب كذب الانكياز في وعودهم وحثهم
في ايمانهم واستثارتهم بكل مصلحة حتى أصبح الجماد يتألم في
مصر من أعمالهم وسوء نياتهم ??

لم يلتفت المرحوم لهديان الجرائد الاحتلالية وما وجهوه
اليه والى غيره من نبلاء المصريين من السب الفظيع والشتم
الشنيع وكأنه رحمه الله كان يقول « ما بقى كان أعظم فسندافع
رغم أنوف أعدائنا عن حقوقنا »

*
* *

صدر الى الامر أن أسافر مع الاورطة الاولى البيادة
في يوم الخميس ٢ مايو سنة ١٨٩٥ فرافقنى المترجم الى المحطة
حتى اذا بقى على سير القطار بضع دقائق همس فى أذنى بأنه
وطد النفس على السفر الى باريس وانه سيبحر من الثغر

الاسكندري يوم الاحد ٥ مايو الجارى فدهشت جداً لهذا
السفر الذى ظننته على غير ميعاد وبلا سبب لانه أدى
الامتحان ونال شهادته وأصبحت باريس في نظري بالنسبة
اليه بلد زهرة لا بلد عمل فضحك رحمه الله وقال لى أنسيت
« المسئلة المصرية » تلك المسئلة التى استخرت الله ان أكون
المدافع عنها وهاقد زودت نفسى في المدة الماضية بمعلومات
جمة عنها اذ طالعت كتباً كثيرة رسمية وغير رسمية ووقفت
علي كل أسرار بلادنا السياسية . فلا تدهش يا أخى فان هذا
الطريق ولو انه وعبر المسلك ولكنه مطلوب من كل وطنى
صادق تعلم تعليماً صحيحاً معتقداً ان مايجرى في عروقه هو دم
مصرى ان يعمل عملي فان خير الناس من خدم بلاده من
الطريق الصعب «

سمعت منه هذا القول الحلو المنعش وأنا شاعر بأنه على
أبواب المجد الكبير . فقلت له انى أسافر الى ميدان السيف
وأنت تسافر الى ميدان القلم وكلانا مخلص فى خدمته فالله
معنا يتولانا بقوته وجلاله ويلاحظ والدتنا بعين عنايته لغيابنا

عنها في هذه الميادين التي يجرد فيها الشيطان مسوغا يفتلق
به راحتها

قلت له ذلك وقد أذن القطار بالحركة فتعانقنا وتحركت
من أمامه وهو ضاحك باسم يحرك مندبليه الابيض كما تتحرك
راية السلام ومازلنا ينظر أحدهنا الى الآخر حتى حال البعد
بين جسمينا ولم يحل دون اتصال روحينا

*
* *

فكرت في أمر أخي ليل نهار وأنا اذكر كلماته وماغاب
عنى من الاسئلة التي أحب معرفة جوابها وهـل هو بمنزلة
يعمل لبلاده ! فتذكرت في الحال الحزب الوطنى وقوته
وان بين صفوفه الاغنياء والعلماء وانه لا بد ان يكون ماادخره
من مال موقوف على هذه المهمة ولا بد ان يكون قد وقع
اختيار الحزب عليه

انتظرت بعد وصولى سوا اكن خطاباً منه وأنا على
أحر من الجمر حتى اذا ما جاء يوم السبت ٢٥ مايو سنة ١٨٩٥
استلمت منه خطاباً فيه مسائل عائلية كثيرة وقد جاء فيه

هذه الجملة :

« ولما وصلت الى باريز وجدت في استقبالى صديقى الحميم
الفاضل الشيخ محمود أبو النصر وغيره من أخلص المصريين
لمصر . وقد قصدت توا فندقا جميلا بشارع بلزاك (وهذا
كتب عنوانه)

وانى أصرح لك بأن صدرك سينشرح عند ما تقف
على ما سأعمله خدمة لبلاد لا عز لنا الا بها . فها قد أوصيت
على صورة سياسية تمثيلية لا قدمها مع عريضة سياسية لمجلس
النواب الفرنسى وسأجتهد فى أن يكون الموقعون على هذه
العريضة من أبناء مصر كثيرين حتى يكون لها فى العالم دوى
كبير وتأثير عظيم

وانى أرجو منك ألا تضيع هذا النبأ لاني ممن يتمسكون
بقول النبى الكريم « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان »
أدامك الله لا خيك المخلص

مصطفى كامل

الإحد ١٢ مايو سنة ١٨٩٥

بعد ان فضضت الكتاب ارتحت كثيرا لما شعرت به من
الاطمئنان على صحته وارتياحه من عمله والخطة التي رسمها
لنفسه . وانتظرت أن أقرأ له شيئا بصبر نافذ وما جاء يوم
السبت أول يونيه حتى جاءنا البريد المصري فتلقفت جريدة
المؤيد واذا فيها مقالة له نشرتها في عدد يوم السبت ٢٥ مايو
وهي بنصها :

الشرق الاقصى

﴿ رسالة من باريس ﴾

لا حديث اليوم لرجال السياسة في أوروبا الا مسألة
الشرق الاقصى وما أتجته الحروب الصينية اليابانية من
التأج الخطيرة فلقد حولت هذه المسألة كل الانظار من
(بورارثور) الى قنال السويس وزادت في أهمية مصر حتى
لم يبق خلاف بين سياسيين في ان حل المسألة المصرية صار
أول واجب على الدول الثلاث بعد الفصل في الترضية
اليابانية

وعلى ظني ان سياسة الانكاييز في هذا المشكل الخطير
هي التي دعت المانيا وفرنسا والروسيا الى العمل بالاشتراك
ضد اليابان وبتمام الانعزال عن انكايترافان هذه الدولة
المشهوره بحب الذات قد ساعدت الصين بادىء بدء وطلبت
من الدول المرة بعد الاخرى الاتحاد في العمل ضد الميكادو
فلما لم تجد سميغاً مطيعاً لدعوتها وقفت في دائرة الحيرة مترددة
في أمرها حتى تم الظفر لليابان وعندئذ رأت الانضمام أخيراً
اليها لما علمت ان استيلاء اليابان « وهي اليوم الدولة البحرية
القوية في الشرق الاقصى » على جزء عظيم من الاملاك
الصينية يهدد روسيا تهديداً عظيماً ويجعلها على الدوام في شغل
عن الهند وانكايترافان وبعبارة أخرى يصير اليابان العدو الاله
لروسيا بعد ان كانت بريطانيا خصمها الوحيد

ولم يكن في حسابان رجال السياسة الانكاييزية ان
تعضيدهم انيابان يضر بهم في أوروبا أعظم الضرر ويدعو
الدول العظيمة المنافسة لهم الى عمل مشترك يحبط مساعيهم
ويزيد الاحقاد في القلوب ضدهم بل لم يكن يختر على بان

اللورد روزبري وزملائه ان وراء خطته التي اتبعها نتائج
سياسية من الالهية بمكان

ولقد قام اليوم السياسيون من فرنسا والمانيا والروسيا
ينادون بمبدأ جديد لا اخالهم الا عاملين به في حل كل
المشاكل الحاضرة وهو « بما ان انكلترا قد رضيت العزلة
في حل المشكل الياباني ورأت ذلك من صالحها فللدول
الثلاث الحق في حل كل مشكل يكون صالحها فيه غير
صالح انكلترا بدون استشارتها واعتبار رأيها »

ولاشك ان اتحاد دولة قوية مثل روسيا مع دولتين
لا ينقصان عنها قوة وعظمة مثل فرنسا والمانيا في حل كل
المعضلات السياسية يكون أعظم خطر مهدد لانكلترا لان
مصالح هاته الدول مناقضة كل المناقضة لمصالح أبناء التاميز
والانكايز أنفسهم شاعرون بهذا الخطر المهدد لهم
فترى اليوم جرائدهم تخبط من الحيرة في المسئلة الحاضرة
« مسألة الشرق الاقصى » خبط عشواء فتارة تلوم فرنسا
وطورا تعنف المانيا وحيناً تهزأ بروسيا وآونة تظهر الاسف

بعد السرور والسرور بعد الاسف وليس لكل هذه
المناقضات الا معنى واحد هو الحيرة والارتباك وانى لا اقدم
 للقراء برهاناً على ذلك أعظم من اعلان السير مكفرلين
الذى قال فيه « انه نظراً لارتباك مسألة الصين واليابان يسترد
من البرلمان الانكليزى سؤاله المتعلق بالجللاء عن مصر »
فان هذا السير قد رأى من حكومته بعد أن أظهر
رغبته فى سؤالها الجلاء عن مصر وصرح بذلك رسمياً أنها
فى موقف حرج مضطرب تجاه مشكلة اليابان فلم يكن فى
استطاعتها حينئذ ان تجيب بكلمة واحدة عن المسئلة المصرية
خصوصاً وانها تخشى ان تثير الخواطر ضدها اذا أعلنت
رسمياً اصرارها على خطتها السابقة مع هذا التيار القوى الذى
تراه يتدفق فى غير مجرى مصلحتها . ويكفى القراء مطالعة
كتاب السير مكفرلين الذى بعث به الى التيمس فى معرفة
حرج مركز انكلترا هذه الايام وهذا تعريبه
« ان الغرض من طلبى هو دعوة لحكومة لاجتتاب
الاتفاق الذى أراد عقده السير دروموندوولف سنة ١٨٨٧

وحل هذه المسألة التي هي خطر دائم لنا والتي تخلق المشاكل
الابدية بيننا وبين اقرب جيراننا - يعني فرنسا - ولكن
الحالة في الشرق أصبحت حرجة الى حد ارى معه اننى
أخدم بلدى اذا أجلت المناقشة بشأن مصر الى أجل آخر .
وانى أوامل ان الحكمومة تنتهز اقرب الفرص لتسوية هذه
المسئلة مع الدول ذات الشأن تسوية يمكننا معها القيام بانجاز
وعود الشرف . وليس لنا الحق في اعتبارنا المسئلة المصرية
مسئلة سياسية محضة فان وعودنا جعلتها مسئلة لا يخرج فيها
لشئ آخر غير العلم بموعد جلائنا »

هذا ولا ارانى مخطئاً اذا قلت ان مسئلة الشرق الاقصى
خدمت مصر خدمة جليلة بان وجهت اليها الانظار اكثر من
ذى قبل . فليست الجرائد الفرنسية وحدها هي التي تطالب
اليوم بالجلاء عن وادى النيل ولكن الجرائد الروسية
والالمانية صارت أشد لهجة وأعظم غيرة منها - وفي
قراءة مقالة النوفستى الاخيرة حجة ساطعة على ذلك فلقد
قالت هذه الجريدة الخطيرة ما ملخصه

« ان انكلترا تهددنا باقفال قنال السويس اذا أتينا باى
عمل حربى ضد مصالحها فى الشرق الاقصى فعلى الدول
الثلاث المتحدة حل مسألة مصر باول فرصة حتى لا يصبح
البحر الابيض المتوسط بحيرة انكليزية »

وبالجملة فانى اقول . كما ان اليابان سكرت فرحا بفوزها
وانتصارها على خصمها الذى كان بالامس عظيما فخما وهى
تريد اليوم بلوغ كل أمانيتها فان الدول الثلاث أصبحت فرحة
بفوزها وانتظارها فى سياستها تلقاء هذه المشكلة حتى فشلت
سياسة انكلترا امامها وأصبح المنتصرون طامعين اليوم فى
بلوغ أمانيتهم بحل المسألة المصرية وفى مقدمة هاته الدول
الثلاث المانيا التى لا تترك فرصة تمر الآن بدون ان تظهر
بغضها للانكليز وحقدها عليهم وقد وافتنا أمس الرسائل
البرقية من برلين قائلة بما نصه « ان الدوائر الرسمية فيها
تؤمل اتحاد الدول الثلاث فى حل المسألة المصرية بعد تمام
الفصل فى مسألة الشرق الاقصى والزام انكلترا بالجلء عن
وادي النيل احتراماً لوعودها وجعل القطر المصرى منطقة

حررة تحميها أوروبا كلها»
ولامراً في أنه إذا دام الحال على هذا المنوال وظلت خطة
الدول الثلاث بلا تغيير نجت مصر من مخالب الاسد الذي
يحاول افتراسها وتحققت أماني محبي مصر والمنصفين في قولهم
« مصر للمصريين »

مصطفى كامل

باريس في ١٨ مايو سنة ٩٥



وفي يوم الخميس ٣٠ مايو سنة ١٨٩٥ استلمت من المرحوم
كتاباً جاء فيه :

« انك لا بد ان تكون قد قرأت المقالة التي بعثت بها
الى جريدة المؤيد على الشرق الاقصى اذا كانت نشرتها فارجو
منك ان تذكر لي في الرد على هذا مارأيته فيها لاني أود أن
أقف على رأيك وأنت أقرب الناس الى وأحبهم كما أعلم
لنجاه بلادنا العزيزة التي اذا كان أهلها لم يشعروا اليوم بمقام
فيه فلا بد ان يشعروا في المستقبل لان السياسة الانكليزية

كسور جهنم ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب
اذا كنت تريد أن أرسل اليك في سواكن عدة صور
من الصورة السياسة التي كاد طبعها ينتهي يمكنك اخباري في
الرد على هذا

انى الآن أفضى ليلي ونهارى في مخالطة كبار السياسيين
لأن تنفع منهم بخدمة مصر المحبوبة . والحمد لله قد تشرفت
بمعرفة الكثيرين ورأيت من الجميع استعداداً لمعاونتنا وتحريك
المسئلة المصرية وطرحها على بساط المناقشة من جديد . وانى
أجد من نفسى قوة فى هذه الايام ماشاهدتها مدة حياتى كأن
الله يريد ان يكون العامل لبلاده قويا حتى يقاوم هذه الحركة
الهائلة ولكنى أشعر من جهة أخرى بأن بلادنا فى حاجة
لرؤوس والسنة واقلام مصرية كثيرة حتى يقرب البعيد بما
تحدثه فى العالم من الحركة . ولى الامل أن ينتشر الشعور فى
البلاد بسرعة فانه هو رأس مال محررى الامم والشعوب
وبدونه لا يستطيع خادم مهما كانت اماتته وقوته ان
يصل الى الغرض المقصود . ولذلك يجب على أغنياء البلاد

الذين هم مدينون لمصر بما لديهم من ضياع شاسعة وارض
واسعة أن يؤسسوا المدارس العديدة على أساس متين من
الدين القويم والتربية الحقة . وأن يقوم كبار العلماء بنشر
الكتب المفيدة ومهرة الكتاب بإنشاء الصحف الصادقة
في خدمة قطر هو أئمن وأغلى الاقطار

نسأل الله أن يحقق آمالنا ويهب بلادنا وأمتنا السعادة

والهناء

بعد أن فضضت هذا الخطاب الفائض بروح الحب
والاخلاص لمصر والدين . وكاه أمان كبيرة وآمال شريفة كتبت
اليه الرد في الحال مؤمنا على كلماته وانتظرت بريد السبت
وإذا بجريدة الاهرام ناشرة في عددها الصادر في أول يونيه
سنة ١٨٩٥ مقاله بقلمه فأخذتها شغفا بها وقرأت مانصه :

من اين يأتي الخطر

ما كنت احسب قبل قدومي باريس ان اهلها عرفوا
في هذا العام من احوالنا ما نعرف من احوالهم وأدركوا

من اسرار أمورنا ما ندرك من أسرار أمورهم بل كنت
اخال القليل منهم مشتغلاً بمسئلة مصر كما شاهدت ذلك في
العام الماضي حتى أتيت عاصمة العواصم في هذه الايام فرأيت
أغلب من لاقيت واقفاً على حقيقة آلامنا عارفاً بمواضيع
جراحنا مما يشرنى بانفراج قريب للازمة المصرية ونصرة
من القوى للضعيف فلقد لاقيت يوم الاثنين الماضي في وليمة
تكرم بدعوتى اليها حضره السيولوسيان ميلفوا صاحب
جريدة الباترى (الوطن) كثيراً من رجال السياسة والادب
الذين لهم في باريس المكانة الاولى في التحجير والتحرير
وتجاذبنا الحديث طويلاً بشأن مصر متكلمين عن ماضيها
وحالها وما بدأنا الكلام على حوادثها الاخيرة وما أتاه
الانكليز في هذا العام من العجائب والغرائب حتى قام
أديب من كرام الحاضرين وقال

(انى لم أكن أعلم شيئاً من حوادث مصر غير ان

الانكليز فيها يريدون ابتلاعها وسياستهم على شواطىء النيل
أكسياستهم في كل بلد آخر تنحصر في الافقار والاستعباد

والتخريب ولكن اندهشت أعظم دهشة عند ما قرأت في
الجرائد خبر تأسيس محكمة مخصوصة تقبض بيدها على السلطة
التشريعية والقضائية التنفيذية وزادت دهشتي لما علمت ان
الذي قرر هذه البدعة الكبرى هو مجلس النظار المصري
المركب على ما أعلم من نظار مصري الجنسية

ومن ذلك اليوم درست المسألة دراسة مجتهد عامل حتى
وقفت على ماجريات الاحوال وعموميات الاشياء وخلاصة
ما استنتجته أيها السادة هو ان مصر بلد سيء الطالع رزق في
هذا العصر المنير عصر الحرية والمدنية باحتلال أجنبي يديره
رجال « لا يعرفون غير الاستبداد وحب العلو والظهور
والانتقام » وقوم من مصر سواء من أبناءها أو من الداخلين
عليها لم يأت التاريخ بذكر مثلهم فهم فصلوا السودان عن
مصر ومكنوا العدو من كل شيء وقدموا ما يسمونه بالمصالح
الخاصة (على انهم مخطئون في التسمية) على المصالح العامة
الحقيقية . ولقد كان نابليون يقول « لو كان عدد الخونة في
فرنسا نصف ما هو عليه اليوم لكانت هذه الدولة سيادة العالم »

وأنا اليوم أقول « لو كان عدد الوطنيين الصادقين في مصر
يقدر عدد المارقين والدخلاء فيها لكانت نجت من عهد بعيد »
فالبلاء كل البلاء في تعيين الضعفاء والبسطاء في المناصب الرفيعة
وابعاد الصادقين الا كفاء من المصالح والادارات والمصيبة
كل المصيبة في وجود بعض مصريين لا يفهمون معنى حب
الوطن وآخرين لا يدرون (وهم في مصر) ان مصر بوضعها
الطبيعي لا بد ان تكون حرة مستقلة

فكيف تريدون أيها المصريون حرية بلادكم وخروج
الانكليز من دياركم وأنتم لم تعرفوا واجباتكم الوطنية ولم
تهدوا أوروبا الى الحقائق بل تركتم هذا الواجب الخطير الى
الجرائد الانكليزية تقص علينا من أموركم ما يناقض الحقيقة
ويخالف الواقع فهي تقول لنا يوماً انكم راضون بالاحتلال
تدخلون في بابه أفواجا أفواجا وتحذثنا يوماً آخر عن تعصبكم
في دينكم وكرهكم لغير أبناء جنسكم وتذكر لنا تارة انكم لستم
اكفاء ولا يليق بأوروبا ان تضع ثقتها بكم وطوراً آخر ان
الانكليز لو تركوا دياركم لصرتم كالوحوش بل أضل سبيلاً

وضاعت مصالح المالين ونزلت القراطيس المصرية بعد ان
تحسنت وصعدت فهل قام منكم وفد جاء أوروبا ناديا بالحقائق
طالباً العدل والانصاف . أما لكم في بعض العناصر الشرقية
كالسريين والبلغاريين وغيرهم عبرة كبرى . واذكر والآن
الارمن الذين لا يفضون لحظة عن تأسيس الجمعيات والقاء
الخطب على انهم ما عرفوا من قبل معنى الاستقلال وما ذاقوا
للآن حلاوة الوحدة في العمل وعدم تسلط اليد الاجنبية
على بلادهم كما ذقم أنتم حلاوة ذلك في عهد الاسرة الخديوية
الكريمة وفضلاً عن ذلك فإنهم ليس لهم حق يخول لهم نيل
مطالبهم أما أنتم فحقوقكم اكبر الحقوق وليس لكم سبيل الى
استرجاعها غير نشر الحقائق في أوروبا والاستعانة بها
هذا خطأؤكم في سياستكم وليس بالعسير عليكم اصلاحه
أما أنت أيها الشاب المصري فقد أحسنت عملاً إذ جئتنا
اليوم تنادي باستقلال بلادك فأمل خيراً كثيراً وادع أبناء
بلدتك الى الانضمام اليك ليكون صوتكم عالياً يسمع في كل
الارحاء)

هذا مضمون ما فاده به كاتب سياسي خطير ولست محتاجا
لان أعرف القراء الكرام ان قوله لم يكن مؤلما فهو حق
صدق وكلكم قائلون ذلك عند قراءة رسالتي

وحقا ان المصيبة في أمر مصر تتمع على رؤوس الضعفاء
منا والدخلاء علينا اكثر من وقوعها على الجنود التي تحتل
بلادنا فرجال حكومتنا الموكولة اليهم الاعمال اما اُجانب
عن مصر أو ضعفاء من مصر أو يأسون لا يصدقون بخير لمصر
ولو عرف أولئك الاجانب عنها ان من أشرف الخصال
وأجل الشئائل الاعتراف بالجميل ومعاملة هذه الديار بالنظير
لما عاملوها هذه المعاملة والقوها بين يدي أعدائها يتصرفون
في أمورها كما يشاء هوام

ولو فهم الضعفاء من رجال حكومتنا ان الوطن فوق
كل شيء وان الشفقة عليه والاخلاص له يجب ان يكونا
فوق الشفقة على الام والاب لما كانوا سلموا أمور مصر
الى أعدائها وألد خصومها يخربون البلاد ويشقون العباد
ولو علم اليأسون منا ان كثيرا من الامم كانت أتعس

إننا حظاً وانكد طالماً فعلت وجدت حتى بلغت السعادة
والعلاء بل لو كانوا تصفحوا التاريخ وقرءوا ان كثيراً من
الامم التي تعجب بسعدها اليوم رأيت من العذاب أشد
العذاب ومن الاجحاف أكبر الاجحاف لكانوا عملوا على
السعادة مصر بالعزم والحزم مع الصبر والانتظار وكانوا لا يحالة
ينجحوا في عملهم الشريف

فهذه الولايات المتحدة التي تدهش العالم كل يوم
بمحاسن أعمالها وأحاسن اختراعاتها عاشت عهداً طويلاً تحت
نير الظلم والاستبداد يجرعها الانكيز كؤوس العذاب ولم
تنهض الى المطالبة بالحرية والاستقلال الا باتحاد أبنائها والعزم
والحزم والصبر والانتظار

وهذه ايطاليا صبرت طويلاً وعملت كثيراً فنالت
الجزء أحسن الجزاء وأصبحت اليوم في عداد الدول الخطيرة
وكذلك اليونان وغير اليونان من الامم التي نالت
الاستقلال بالجد والثبات والاقدام
وأنتم أيها المواطنون الاعزاء لا تحتاجون لكثير من

التعب في انقاذ الوطن العزيز اذ ان ذلك من صالح أوروبا
ولامراء في أن الدول التي حررت سويسرا وبلجيكا لها في
تحرير مصر فوائد اكبر من فوائدها في هاتين الدولتين
فليس على المصري الامين واجب آخر غير نشر الحقائق
عن أمته ووطنه في أوروبا والاستعانة بها كما استعان بها غيرنا
من قبل. الا فاجمعوا كلمتكم أبناء الوطن العزيز وأخلصوا النية
في خدمة مصر والقوا وراء ظهوركم الشقاق والنفاق واختاروا
سبيل الخلاص سبيلكم حتى يشهد لهم العالمون بالكفاءة
والاستعداد وحب الوطن وتروون بعين البهجة والرضاء بعد
زمن يسير (مصر للمصريين)

(مصطفى كامل)

باريز في ٢٤ مايو سنة ٩٥

TH

العريضة المرفوعة

﴿ الى مجلس النواب الفرنسي ﴾

وكان المترجم قد أوصى بصنع كمية وافرة من الصورة التمثيلية السياسية التي صحت عزيمته على رفعها الى مجلس النواب الفرنسي فاتمى طبع عدة آلاف منها يوم الاثنين ٢ يونيه سنة ١٨٩٥ وقد جاءت وفق غرضه الذي رسمه شكلا وموضوعا واتفق مع ستة من اخوانه المصريين الافاضل الذين كانوا مقيمين في باريس اذ ذاك على الاستعداد معه لتقديم العريضة الى جناب رئيس مجلس النواب الفرنسي بصفتهم وفدا يمثل الأمة المصرية أجل تمثيل

وفي الساعة العاشرة قبل ظهر يوم الاربعاء ٤ يونيه أى بعد نجاز طبع الصورة التمثيلية السياسية بيومين قصد مع اخوانه مجلس النواب مملوئين جميعا من روح الأمل التي كان يثها المترجم في صدورهم متمثلين أمام أعينهم المستقبل الباهر لمصر بما يرجون من معونة فرنسا للمصريين في هذا السبيل . ورفع

الصورة الى سكرتير المجلس

أما العريضة فقد استلمها منه جناب الرئيس بيده بعد
أن استقبلهم استقبالا هو آية في الخفاوة والاجلال مظهرا
لهم ماشاء عطفه ولطفه وما شاءت عظمة فرنسا أمة الحرية
من التشجيع والقبول والاقبال مبديا لهم من التكريم ما هو
خليق أن يلقاه المخلصون . في خدمة وطنهم وأمتهم في كل
زمان ومكان

وقد أرسل المترجم عقب ذلك نسخة هذه الصورة
ونص العريضة المثلتين لحالة مصر السياسية ومطالبها
الوطنية الى كل جريدة من جرائد العالم الاروبي
والامريكي

أما الصورة فانهما تمثل مصر والاحتلال الانكليزي وقد رسمت
بالبوية وطبع منها الآلاف العديدة التي وزعت على النواب
وأصحاب الجرائد وكافة السياسيين والتي أحدثت في الشعب
الفرنساوي كله أحسن وأجمل تأثير . وهذه الصورة تشتمل
على مجموعة رسوم ورموز مثلت فيها فرنسا بفتاة استكملت

أنواع المحاسن قائمة على منصة علاها مصغية لاستغاثة الملهوف
تحقق عليها أعلامها الاهلية وهي تمد يمينها لتأخذ من يد
المصري عرض شكاية الامة المصرية الواقفة مستظلة برائتها
الهالية رافعة يديها على صورة المستغيث مما نزل بها . ومن
وراء فرنسا قدمثلت الامم التي أنقذتها هذه الدولة من قيود
الاسر محدقة بها تشخصها صور أربع غايات تحلت كل واحدة
منهن بملابسها الاهلية اشارة الى الولايات المتحدة واليونان
وبلجيكا وايطاليا « وهي الامم التي نالت حريتها بمساعدة
فرنسا » وعلى كل واحدة منها تحفق راية وطنها

وفي الاسفل ترى مصر العزيزة قدمثلت بغاية جميلة
مكبلة بسلاسل الاسر واغلال الهوان قد سلبت كل آثار
نضرتها حتى أصبحت عارية لا تملك سوى شعار حدادها على
ماتولى من أيام سعادتها وتلك السلاسل فى مخبأ أسدرابض
يجاوره رجل هائل الصورة قابض على سيفه ناظر الى مصر
نظراً شزراً كأنه يريد أن يتلعها بفمه . وذلك مثال القابضين
على أمر مصر بالقهر والعنوان

وعلى يسار تلك الصورة الهائلة ترى النيل وقدم مثل بشيخ
من شيوخ الاعصر الخالية متكئا على اناء تنفجر منه عيون
النيل ومن دقيق الاشارات ان ذلك الرجل الهائل ضارب
بأحدى رجليه في النيل رمزا الى معنى الاحتلال . وقد زينت
الحاشية السفلى لتلك اللوحة بهذه الايات التي كتبت بالعربية
(وهي من انشاء الفقيه) وكتبت أمامها ترجمتها بالفرنساوية :
أفرنسا يامن رفعت البلايا

عن شعوب تهزها ذكراك

انصرى مصر ان مصر بسوء

واحفظى النيل من مهاوى الهلاك

وانشرى فى الورى الحقائق حتى

تجتلى الخير أمة تهواك



﴿ الصورة التي قدمها الفقيد ﴾

﴿ الى مجلس نواب فرنسا ﴾

1
-9
2
-7
4
8
21
0
1
2

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

PHYSICS DEPARTMENT
5712 S. UNIVERSITY AVE.
CHICAGO, ILL. 60637



وأما العريضة التي رفعت لمجلس النواب فهذا نصها :

«ياحضرة الرئيس

انى بأشد انفعال يخالج القلب تأثيره أشرف بأن أقدم
لمجلس النواب الذى أنت له نعم الرئيس هذه اللوحة التى تمثل
مصر طالبة من فرنسا أن تكون لها خير عضد يساعدها على
استرجاع حريتها واستقلالها . وان هذه اللوحة تمثل لدى
مجلس النواب حالة أمة ناشئة غيورة على حريتها المسلوبة بغير
حق منذ ثلاثة عشر عاما . ولقد برهنت الامة المصرية
ياحضرة الرئيس مع مايعتورها من المصائب الشديدة على
سكينة وصبر عجيبين استمالت بهما قلوب الامم الاوروية
ولكن لما اعترهاها النصب جاءت مستغيثة بفرنسا .
هذه الدولة العظيمة التى أعلنت « حقوق الانسان » التى
سارت به منذ قرن فى سبيل التقدم والمدنية
جاءت الامة المصرية تستغيث بهذه الامة الكريمة
التي حررت عدة من الامم . فهل تجاب فى استغاثتها وتضرعها؟

وهل لفرنسا ان تؤيد بهذا العمل الجليل مكاتها في العالم
الاسلامى الواثق بها؟

على ان ذكر اسم مصر عند ما تكون حرة مستقلة
بجانب أسماء الامم العديدة التى حررتها فرنسا ليس بالفخر
القليل لها.

« فلتحى فرنسا محررة الامم »

*
**

وانا لا تمدح بما لقي هذا الصنع الجليل من عظم التقدير
ولا بما كان له من بالغ التأثير وانما نضع هذا الاثر السياسى
التاريخى النفيس ليحكم القارئون بما يرون من استحقاق هذا
الجهاد السامى فيكون حكمهم عادلا وجهد ما نستطيع ان
نقوله ان هذه الحركة الجميلة الفتت أنظار الجرائد الاروية
الكبرى والصغرى على اختلاف أجناسها ومنازعتها الى ان
في مصر شعباً حياً يطالب بماله من حق مسلوب ومملك مفصوب
بالطرق السلمية المشروعة وان هذا الشعب المهضوم الجانب
بحكم السياسة الجائرة جدير بأن يسترد ما هو عامل على استرداده

من حقوقه الطبيعية الثابتة وان مصر ذات المجد التاريخي القديم
والعظمة الجليلة المدهشة ومجمع المدن الثلاث حرام أن
يكون حاضرها أقل من ماضيها سوؤداً وشرفاً

كما انها الفتى الجرائد المحلية الى همة هذا المصري
الوطني العامل والى ما يعمل لخدمة وطنه يمثل هذا المسعي
المبرور الذي يمثل المصريين أمام الاجانب تمثيلاً يملأ الميون.
وقد نوهت شركات البرق بذكر هذا النبأ . فاحدث
كل ذلك ضجة في الدوائر السياسية التي عنيت بفهم هذه
المساعي عناية فائقة . وتلفت القوم ينظرون من هذا المصري
الذي بهر الالباب بعالي همته وشرف آماله الكبار

ولما كانت آراء الصحافة الاروية والصحافة الامريكية قد
تمثل اكثرها في هذه المسئلة فانا نذكر هنا أقوال وأسماء بعض
الجرائد التي كتبت في هذا الشأن كمثل على ما كتب اكثرها
لان اثبات ما كتبه جميعها أمر يحتاج الى مجلدات ضخمة
ويستغرق وقتاً غير قليل

وكيف لا يحتاج اثبات ما تفضلت صحف العالم بنشره

في هذا الصدد الى مؤلفات ضخمة . وقد قدمنا ان المترجم
بعث الى كل جريدة من جرائد العالمين بنسخة من العريضة
وصورة من اللوحة السياسية ؟ ولا يخفى أن جرائد العالم
الاروبي والامريكي كانت اذذاك تبلغ نحو ثمانية آلاف جريدة
عدا . وهي بين صحف مصورة وصحف غير مصورة كما أنه لا يخفى
ان استقصاء ماورد في كل هذه الجرائد عن هذه المسألة
الخطيرة بل الحادثة التاريخية الكبيرة لامتنع له في هذا
التاريخ

ولهذا نجتزىء في هذا المقام بما نحن ناشروه . قالت
جريدة « الجولوا » وهي اكبر وأقدم الجرائد الفرنسية
مايأتى :

« ان العريضة التي قدمها مصطفى كامل المصرى مع
اللوحة التي تمثل فرنسا في عظمتها وتحريرها للامم الضعيفة
أصبحت موضوع الحديث في كل انحاء فرنسا ولا نخطيء
اذا قلنا في كل انحاء العالم . فان العمل في ذاته جليل وهو يعد
بمثابة تاريخ لظهور الامة المصرية بمظهر الامم الحية التي تشعر

بكرامتها وانها لا يصح أن تكون كمية مهملة الى أن
قالت :

والمسئلة المصرية التي قام على رأس العمل فيها مصطفى
كامل لم تكن مسئلة الامة المصرية فقط بل هي مسئلة العالم
المتمدن بأسره وفي مقدمته فرنسا التي غرست شجرة العلم
العصري في مصر وأول الحكومات ذوات المصالح فيها .
مادياً وأدياً

وانه اذا كان المصريون اختارونا للدفاع عنهم فنحن أحق
بأن نختار أنفسنا أيضاً لمناقشة انكسار وطرح المسئلة المصرية
على بساط البحث مع مسئلة الشرق الاقصى
وقد نشرت جريدة الاكستراجبلاط النمساوية كلمة
في سبيل هذا العمل السياسي هذا تعريبها :

« ان مصطفى كامل المصري شاب تعلم في فرنسا ونال
منها شهادة الحقوق وقد تشبع بروح الدفاع عن حقوق وطنه
مصر والظاهر ان في مصر جمعية كبيرة تعمل لانقاذ الوطن
وان مصطفى كامل موفد من قبلها وقد كان أول عمل له هو

تقديم عريضة لمجلس نواب فرنسا (ونشرت صورتها كما
وضعت اللوحة السياسية)

ولا شك عندنا ان المصريين ما اختاروا باريس مركزاً
لاعمالهم السياسية الا لتلك الرابطة القوية التي تجمعهم
والفرنسيين الذين عاشروهم طويلاً ونشروا بينهم العلوم
والمعارف باخلاص فضلاً عن المصلحة القوية التي لفرنسا مادياً
في مصر والتي تفوق مصالح كل الدول. وانه اذا كانت فرنسا
تظهر انعطافاً نحو المصريين فكذلك النمساويون يظهرون
هذا الانعطاف نحو بلد أميره ابن النمسا أديبا وهو الامير
« عباس حلمي الثاني » خديوي مصر فهل لحكومتنا ان
تجيب نداء المظلومين فتأخذ بيدهم في مؤتمر يعقد للفصل في
هذه المسئلة المصرية الدولية ؟ هذا ما نؤمله ونختم قولنا
بأن نهىء مصطفى كامل من صميم فؤادنا على عمله هذا
ونرجو له التوفيق هو واخوانه في هذا العمل الوطني العظيم «



ونشرت جريدة برلينر تاجبلاط الالمانية جملة بعد ان

أثبتت العريضة ووضعت الصورة قالت فيها :

« يظهر ان المصريين متألمون كثيراً من أعمال الانكليز
في مصر وان الحكم الانكليزي وتوغل الاحتلال في بلادهم
علمهم كيف يكونون رجالا . اما سياسة المانيا في مسألة
الاحتلال الانكليزي المصري فهي غامضة للآن ولو ان
الالمانيين يعطفون بكل جوارهم على المصريين
قال لنا مصطفى كامل في كتابه انه سيزور برلين قريباً
ونحن نرحب به وبكل مصري يزور بلادنا لبث شكوى
المصريين »



وقالت جريدة دي روما الايطالية مالا يخرج عن معنى
ما كتبه الجرائد النمساوية والالمانية
اما الجرائد الفرنسية الكبرى التي أشارت الى هذا
العمل السياسي العظيم فهي :

(الطان . الديبا . الريبوبليك فرنسيز . الفيجارو .
البتى جورنال . السولى . الايتراسيجان . الراديكال . الفريتيه

السيكل . الاكلير . الماتان . البترى . فرنس . الليبرتيه)

وغيرها مما يضيق المقام عن ذكره

اما الجرائد الانكليزية فانها استقبلت هذا العمل
بالاستهزاء كما هو المنتظر منها وسبت المترجم سباً شنيعاً
كعادتها في كل أمر يدل على نهوض المصريين . وقد قالت
جريدة ذي ستندرد في هذا الموضوع ما تعريبه :

« ظهر بين المصريين رجل مهبج يدعى انه مصري
والحقيقة انه تركي وقد كان أبوه موظفاً في سراي الخديويين
المصريين . قدم هذا المهبج المفروور استنجاداً لفرنسا من
الاحتلال ونسى ما عليه انكثرا من القوة والحق في احتلال

مصر

ويظهر ان المصريين ناكرو والجميل لاننا أحسننا اليهم
فعلمناهم بعد ان كانوا انعاماً ونظمتنا جيشهم وأحسننا أحوالهم
المالية .

فالرأي العام الانكليزي لا يلتفت الى هذا الهديان الذي
يدل على ان يداً كبيرة تحركه ضد انكثرا صاحبة الحول

والطول

وانا نندر هذا المصري وغيره انذارنا الاخير من ان
الدول الاوروبية جميعا ترى من مصلحتها بقاء الاحتلال
ليضمن لهن مصالحهن لان المصريين ليسوا أكفء لهذا
العمل فاذا تركناهم وشأنهم وقعت مصر في الفوضى التي
كانت عليها في سنة ١٨٨٢

وفي نهاية قولها هزأت بالجراندالفرنساوية التي عضدت
هذه الحركة وقالت : ان من الخرق في الرأي ان يعضد
الانسان غريباً جاهلاً غير متمدن ضد جارا أقرب وأتق !!!
على هذه النعمة الانكليزية وبهذه الالفاظ التي يتحرك
بها لسان السياسة الاستعمارية جاءتنا جرائد الاحتلال في حين
ان جرائد العالم بأسره قد استقبلت هذا العمل العظيم بصدور
رحيب حتى ان جرائد امريكا استبشرت خيراً بهذه الحركة
المباركة فقد كتبت جريدة « نيو يورك هرالد » فصلاً يتم
على حسن أدبها وصدق لهجتها هنأت فيه المصريين بعملهم
وأثنت ثناء جميلاً على ما عندهم من النشاط والذكاء ونادت

بوجوب وفاء الانكليز بوعودهم لان الحكومة التي لا تبني
عملها على أساسين من الشرف والوفاء لا تكون محترمة امام
العالم ولا مذكورة بالثناء على لسان التاريخ
اما جرائدنا فانها انقسمت ازاء هذه الحادثة الى قسمين.
الجرائد الوطنية مشجعة مبشرة والجرائد الاحتلالية مشبطة
مندرة

فالاولى استقبلت هذه الحركة الميمونة بما هي أهل له
من الاكبار والتشجيع اذ علقت عند ورود التلغرافات العمومية
بهذا النبأ تعليقاً يشف عن فرط رغبتها في تشجيع هم العاملين
من الوطنيين لخدمة البلاد خدمة صادقة خالصة ويعرب عن
أكيد الوفاء لمصر وكذلك كتبت الفصول الضافية عند
ما وصل اليها نص العريضة وصورة اللوحة المصحوبة بها.

اما الثانية وهي الجرائد الاحتلالية فانها كما هو المنتظر
منها وكما هو شأنها استقبلت هذه الحركة بتهديد المصريين
والطعن عليهم في كل ماله مساس بهم ولقبت المترجم بما نضح
به اناؤها وجاد به ادبها وذكاؤها. لقبته باللقاب يقطر القلم

في يميني حياءً دون ان أستطيع كتابة لقب واحد منها والكاتب
الذي يحترم قلبه يربأ به ان تقطر منه رشاشة تسود وجهه
القرطاس

وكان هذا الاستقبال من كلا القسمين ما ينتظر بالطبيعة
لان المترجم وقف بين صنفين من الجرائد مختلفين نزعة وسياسة
جريدة وطنية تطرى كل حركة وطنية وترحب بكل سعي
وطني وتأخذ بناصر العاملين من الوطنيين وفاء بحق الخدمة
لهذا البلد الامين. وجريدة احتلالية تخطف كل حركة ليست
على هوى الانكايه وتشمئز من كل سعي يدل على نهوض
المصريين وتكتب الالفاظ البذيئة والالقاب الذميمة مفيضة
هذه وتلك على كل مصري عامل ووطني ناهض

وهل ينتظر من الصديق الوفي غير عبارات التأمين
على كل دعاء والتلبية لكل نداء. وهل ينتظر من الدخيل
الغادر خادم العدو القاهر غير الطعن والتقييح لكل عمل
صالح؟ هكذا الدنيا من القدم رجل يعرف الفضل لذويه
ويعترف به لمسديه ورجل يقابل بالاساءة الاحسان ويتلقى

النعم بالكفران فطرة طبيعية ركبت في نفس الفاضل
وسجية غريزية قامت في طبيعة الغادر الجاهل

فلا تسئل أيها القارىء عن سرور الامة المصرية عن
بكرة أبيها في شمال القطر وجنوبه ومن شرقه الى غربه عند
ماقام المترجم بهذا العمل الوطنى الحميد فقد لهجت به ألسنهم
وشغفت بحبه قلوبهم وتمثلوه حاضراً بين أعينهم ينثرون عليه
طاقات الزهر وعبارات التشجيع ويدفعون عنه ماقام به
ضده سفراء السوء ووسطاء الشر من الحملات المنكرة
سواء بالالسنه أو بالاقلام وقد عثرنا بعد وفاة المترجم على
تف متفرقة في كتب من القدم متمزقة وفيها من عبارات
الشكران والثناء الجميل التى كان ينفجها بها المصريون أثناء
جهاده ما كان خليقا ان ينشر لولا ان هذه الكتب لقدمها
قد تأكلت وذاب بعضها وهى مما وصل اليه فى باريز عقب
نشر تفصيل هذا العمل المشكور هنا

ولكى نعطي قراء هذه السيرة مثالا صغيراً مما كان

يكتب اليه تنشر هنا كتابا استطعنا بالجهد الجهد ان نجمع
سطوره وهو كتاب حركة الغيرة الوطنية الى كتابته موظفا
من كبار موظفي الحكومة الآن يشغل مركزاً سامياً من
المراكز المعدودة

كتب هذا الموظف الكبير الى المترجم كتاباً كنا نود
ان ننشره بخطه واسمه لولا ان التصاقه بالحكومة يحول
بيننا وبين ذلك

قال حفظه الله بعد التحية والتسليم مانصه :

أهنتك تهنة صديق أنت أعلم بالقلب الذي يحمله
صدره وبما يكن هذا القلب نحوك من العواطف كما انك
تعلم علم اليقين بوفائه لبلاده وحبه الذي كاد يكون جنونا بها
وبعد فان عمالك الاخير قد أحيانا فينا الآمال وأعاد الى
النفوس تلك الآمانى التى كنا نرتبها فى المدرسة فى زمن
السعود والاقبال زمن الهناء وفراغ البال وقد بلغ من اعجاب
القوم بك الا الحاسدين اننى ما اجتمعت مع صحب الا
ذكروك ولا لقيت جماعة من الكبراء الا اكبروك ولا

صادفت فئة من أعداء البلاد الاحسدوك . وبالجملة فان
المصريين الذين يجرى في عروقهم دم مصرى يسألون الله أن
يبارك فيك ويمدك بروح من عنده ويقوى حزبك المنصور
حزب الحق والحرية والسلام

ان مصر قضت سنين طوالا وهى ترسف من كيده هؤلاء
الذين دخلوا بلادنا باسم الاصلاح فاختل بهم نظام الادارة
وتفشت الفوضى في فروع الحكومة : في قيود من الاستبداد
والاستعباد تحت ستار التحسين والاصلاح . ومعاذ الله مهما
تظاهروا بعكس ما يضمرون أن انخدع بهم ونستكين الى
الأعيبهم وأكاذيبهم فقد آن لنا أن نرشد وأن نتعظ في الحاضر
بما رأينا منهم في الماضي

فأين ما وعدونا به من الوعود الكبار وأين هى آثار
الاصلاح ؟ انى أوقن أن هذه اللفظة التى تتحرك بها ألسنتهم
ولا تنطبق عليها أعمالهم لفظة لا وجود لها فى قاموس الادارة
الانكليزية بل هى توشك أن تكون عندهم من قبيل الألفاظ
التى لا معنى لها عندنا

فلتسر يا مصطفى في نهجك القويم . فلو أنصفوك وأنصفنا
الزمان بعد طول الخذلان لا اضوى تحت لواء جهادك كل
مصرى قادر حتى ترد الينا بضاعتنا ويرجع الينا عزنا المسلوب .
ومعاذ الله بعد أن رأيتك تجاهد هذا الجهاد الشريف وثبتت
فيه هذا الثبات النادر أن يجد اليأس الى قلبي سبيلا أو ينقطع
من نفسي عرق الرجاء

وإذا جاز لمثلي أن ينصح لمثلك وقد عرفتك من قبل
شابا في الطفولة وكهلا في الشبيبة وسأعرفك شيخا حكيما في
مقبل أيامك فاني أنصح لك ألا تعير أقوال الخصوم جانب
الالتفات فانهم مأجورون ولا كرامة في الدنيا لما جور .
فاعتصم بحبل الله واصبر على ما تلاقى من العناء الجم في هذا
السبيل صبرا جميلا فالعاقبة للصابرين وسيتلاشى أمامك هؤلاء
الاعداء كما يضمحل الثلج تحت شعاع الشمس وليس للباطل
ثبات ولا للحق هزيمة بل ان هؤلاء المرجفين الذين يحاولون أن
يقطعوا عليك خط السير وقيموا في طريقك العقبات والمشاق
أخلق بهم أن يكون صنعهم داعيا الى تبصيرنا وزيادة تذكيرنا

بمالنا من الحقوق . ولو علمت ما أعلم وأنت العالم الحكيم من
أن وجود مثل هؤلاء المنافقين المتخربين نتيجة طبيعية من
نتائج استبداد المصلحين !! لقلت معي ان الفضيلة لا تعرف
الا بمعرفة الرذيلة واذا لم يكن في الوجود أضداد فكيف تتميز
الاشياء ويتفاضل الناس ??

عهدت في رأسك ذهنا شفافا وفي ذهنك خاطر اسريعا
كما عهدت منك عزيمة أصلب من الجبال الشم وبين جنبيك
قلبا على الاعداء كأنما قد من صخر فكن كما أنت مثلا حسنا
للمصريين أمام العالم المتمدن

فاني واثق أن المجد لا يخذل ولا بد من نصره الحق
آخرأ وان طال خفاؤه ولا مفر من خذلان الباطل ولو كثير
في هذا الزمان نصرائه . وقد سألت الكثيرون من
اصدقائك عن عنوانك في باريس فكنت أدفعه اليهم بحرص
حذر أن يجد الدساسون طريقا اليك

واني في الختام أهنيء مصر بما ستلق من أبر أبنائها
بها ولا أهنتك بما اتوقع لك من المستقبل الجديد فهذا واجب

كان علي ولكني قد أديته من زمان طويل يوم تنبأت لك
بالمجد الذي أنت ملاقيه بعد أن بنيت المقدمة علي ما شهدت
من وطنيتك العالية ومناقبتك الغراء وكانت النتيجة التي ترح
منها في ظل ظليل لمجد أثيل

أمتعنا الله بك وردك الينا خفاقة عليك أعلام الظفر
حافة بك بشائر الفوز والتوفيق بالغة بك مصر ما تريده
ويريده المخلصون لها جميعاً من السؤدد والرفعة والعزة والهناء

وتقبل علي البعد الخ الخ الامضاء

(محفوظ)

١٨ يونيو سنة ١٨٩٥

وكتب اليه تلميذ من تلاميذ مدرسة زاتب باشا
الكتاب الآتي :

تعلمت من أبي أن حب الوطن من الايمان وألقى علي
الاستاذ سير بعض المجاهدين وكان عمي يقرأ لنا في البيت
منذ أيام جرنال اسمه المؤيد وعرفت منه أن للأمة المصرية
التي قال معلني انها عائلة كبرى فتى طيباً شريفاً يخدمها في
باريس فأخذت منه الجرنال وقرأت بنفسى فانبسطت نفسى

كثيراً لأن هذا الخبر يسر كل انسان
ونعم انك لما كنت تنشيء مجلة المدرسة التي كان برنجي
الفرقة يخطفها مني دائماً ولا يمكنني من قراءتها كلما حضرت
الى كنت صغيراً جداً لا أقدر أفهم معنى ما أقرأ ولكن الآن
ببركة الله والرسول أستطيع أن أقرأ ما في الجرنال من
الحاجات اللطيفة والاخبار التي تفرح

فتقبل يا أيها المصري الامين كما يلقبك أبي ثنائى الجميل
لأنك غريب عن وطنك الآن وليس معك خادم ولا خادمة
ولا أحد يقضى لك لزومك وأنت مشغول بمقابلة مجلس
فرنسا وأحب منك لما ترجع بالسلامة باذن الله أن ترسل لي
في البوستة مجموعة المجلة (المدرسة) فاني أحب ما فيها من
المحاورات وأعدادها عندي أكثرها ناقص. وربنا يرجعك
مصر سالماً غانماً آمين

كاتبه أحمد نعيم

بمدرسة راتب باشا بمصر «



أثبتنا هذا الكتاب بنصه كما أثبتنا سابقه بلا تصرف

ليرى القارىء فى الاول منهما كيف تظهر العواطف الوطنية
فى صورة جليلة ويقراً فى الثانى منهما كتاباً من وجدان
الناشئء المجاوز لظفولته حديثاً بعد أن أجلنا فيه قلم التصحيح
لإقامة الاعراب مبقين لهجته وأسلوبه كما هما

ويقيننا أن نشر هذا الكتاب الصغير فى الصورة التى
ركبه فيها قلم كاتبه أنجم تأثيراً وأفضل مما لو كنا تصرفنا فيه
تصرفاً يذهب بلهجته وبطريقته معاً

بل هذان مثالان صغيران تقدمهما لكل مصرى وان
أراد مثالا ثالثاً تقدمه اليه اجلالاً لشعور الضباط حماة الامة
نذكر له ما يأتى :

عرفت أيها القارىء الكريم انى كنت فى سواكن
ذلك الوقت وقد انتظرت بنافذ الصبر ما ذكرلى المترجم فى
خطاب بعث به الى من انه أوصى على صورة سياسية وما جاء
يوم السبت ٢٢ يونيه حتى وردت إلينا الجرائد وفيها نص
العريضة ووصف اللوحه كما انه ورد الى أيضا خطاب من
المرحوم ومعه ملف داخله عشر صور

أما الخطاب فقد حوى أشياء كثيرة لا محل لذكرها
هنا وجاء فيه ما نصه :

« ابعث اليك بعشر صور من الصورة التي تمثل مصر
وهي راسفة في قيود الاحتمال لتوزعها على من شئت من
أصدقائك الاعزاء . أما تأثير هذا الجهاد فهو عظيم جداً
وأؤكد لك أنه ليس في استطاعة كاتب مهما كان قلمه سيالاً
قويماً في الوصف ان يوفي المقام حقه . لان الجرائد الفرنسية
على اختلاف مبادئها ومشاربها قد استقبلت هذا العمل بكل
ارتياح اذ رأت من المصريين ميلاً كبيراً الى فرنسا واحتراماً
لها واعترافاً بجميلها

ولما كانت الجرائد المصرية لا تنشر كل ما تكتبه
الجرائد الاوروبية في هذا الموضوع فقد عازمت ان ابعث
اليك بكل ما ينشر لتقرأه وحدك . وأرجوك ألا تتظاهر
بأي عمل سياسي لئلا يضرك الانكياز ولا يغيب عنك أن
القوانين العسكرية صارمة لا ترحم أحداً وعلى الاخص أخا
من يعمل ضدهم ويدافع عن وطن آبائه وأجداده الذين

اخذوا كل حق فيه غصبا
وفي الختام لا تنس أن تشرح لي آراء الضباط في هذا
العمل ودم بخير لا خيك المخلص
مصطفى كامل «



بعد ان فضضت هذا الكتاب المنعش حدقت النظر
في الصورة السياسية طويلا وقد كان معي أحد اخواني
الضباط يقرأ في الجرائد حيث ناولته اياها وبعد ان وقفنا
على مغزاها كاد الشرر يطير من أعيننا على بلاد هذا حالها
وما انتشرت الجرائد في المحطة بين الضباط ووقفوا
على دقائق هذا العمل حتى اقبلوا على سائلين صوراً من هذه
الصورة فإينما كنت أولى وجهي سواء في القشلاق أو في
الطريق أو في النادي أجد من يسألني وقد وعدتهم جميعاً أن
أستحضر لهم صوراً منها

وقد دفع الضباط شعورهم الى كتابة خطاب للمرحوم
يشكرون له فيه هذا العمل وليكون منشطاً له في كل أعماله

وقد امضى عليه ٣١ ضابطا كلهم مصريون وهذا نص الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الشهم الغيور الوطنى المصرى مصطفى كامل افندى ايدى الله
السلام عليكم . ان الذين يخاطبونك يجدون انفسهم امام
وطنتك النادرة وتفايك في حب مصر المقدسة صغارا لان
قلمك الحق امضى من سيوفنا وحججك القوية افعل من
رصاصنا فان قصرنا في شكرك فلنا من عملنا اكبر عذر وفي
عفوك اعظم أمل

انا نشكرك أيها السيد المبجل شكر المصرى الصحيح لآخيه
الحميم فاقبل شكرنا (واعلم أن روحنا طوع اشارتك في خدمة
هذه البلاد العزيزة) فسر في هذا الطريق السلمى الحق ولا
تخف أبدا فان من يخدم الحق يجد على الدوام من الله نصراً
والسلام عليك من اخوانك الضباط المصريين «

٢٤ يونيه سنة ١٨٩٦

(الامضاءات)

ما وصل هذا الخطاب الى يد المرحوم حتى جاءني منه
تلفراف هذا نصه :

« شكر اجزيلا كامل »



وقد بلغت هذا النص لكل من أمضى على الخطاب .
وما جاء يوم السبت ٣ أغسطس سنة ١٨٩٠ حتى ورد الى منه
خطاب أظهر لي فيه ارتياحه الكبير من عمل اخواني الضباط
ولكنه نصحنا بأن نقرأ ولا نكتب حتى لا يؤل عمله تأويلا
يضر مصر وقد جاء فيه هذه الجملة الحكيمة : « من الحكمة
الا يمكن العدو من رقابنا بل نجتهد في توجيه السهام اليه مع
احتراسنا من سهامه . واني لا اود ان يدخل الضباط في حركتنا
دخولا ظاهرا لان هذا يضر بالمسئلة المصرية ضررا بليغا
حيث يجد الاحتلال مسوغا لاختلاق التهم الثورية بمصر وغير
ذلك مما لا يخفى عليكم

وأمل ان تتخلص من خدمة الجيش قريبا لتكون بجوارى
في هذا العمل الكبير الذي يحتاج لمئات من المتمرزين المخلصين

المتعلمين .

لأنك لو وقفت على أعمالى من محادثات سياسية
وتعريب للجرائد المصرية العربية ورد على كتب الشاكرين
من الوطنيين مما يعد بانثاء لعنوتنى ورجوت معى ان
نكون كثيرين فى هذا العمل الوطنى الشاق
ولكنى مع ذلك أشعر بنشاط فوق نشاطى وهمة فوق
همتى وأجد من السعادة ان يكتب قلمى كلمة مصر ويذكرها
لسانى وطانا محبوبا »

مصطفى كامل

برلين فى ١٢ يولى سنة ١٨٩٠



لما خرجت جرائد الاحتلال عن طورها ومسها هوى
من تأثير العريضة والصورة اللتين قدمهما المرحوم لمجلس النواب
الفرنساوى كتب رحمه الله جملة صغيرة وأرسلها لجريدة
الاهرام فنشرتها فى عددها الصادر يوم الجمعة ٥ يولى وهذا
نصها :

كلمة الى الملك لسبب

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا على لثامها
عذراً ايها الاصدقاء الاوفياء اذا قصرت عن القيام
بواجب شكركم على دفاعكم عنى أمام طغمة المارقين الذين أقل
صفاتهم ان لا وطن لهم ولا خلاق . فانى أترك الوطنية الحققة
تشكركم أجل الشكر وادع المحامد محمدكم على رفيع احساساتكم
وجليل شيمكم واستميحكم العفو اذا خصصت رسالتى هذه
للرد على هؤلاء الخوارج بلسان التاريخ فان فيه ولا مرء
أقوى مساعد على خدمة بلادى العزيزة ومحريراً وطنى المحبوبة.
يلومنى الخصوم على الدفاع عن حقوق ضائعة وحرية مسلوبة
ويصفون شريف الفعال بأعمال الصغار ونعم هذا الوصف
مألذ مثل ذا اللوم على أذنى . انه لعمر الحق ألد من تغريد
الطيور . أبلغتم ايها الخوارج من التدليس هذا المبلغ حتى اعتبرتم
الفضائل نقائص ونسيتم أو تناسيتم التاريخ وأمثاله المضروبة
على تخليص الامم من الاسر وافتاد البلاد من خطر الضياع.

فان كنتم نسيتموه فليكن مني مذكر عادل يقول لىم ان كل
أمة فى الوجود لم تر للحياة سبيلا الا على يد رجل أو رجال
خاطروا بنحياتهم وقدموا أنفسهم ضحية لها . وأنا لمصر ذلك
الفرد الذى يضحي حياته لحياتها ويخاطر بنفسه لانقاذها من
الخطر المهدد لها . فان كانت شيبتي داعى لومكم على فهي لى
نعم الفخار ولا بناء جنسى خير محرك على خدمة الوطن العزيز
نعم هي فخارى فانى وان أكن فى أزهر سن الشباب
لست ممن يميلون مع الالهواء ويقضون الساعات والايام فى
الملاهى والملذات بل أنا ممن لا تحلو الحياة فى عيونهم مادام
الوطن على خطر والامة على شفير هار . أفأخركم حقا أيها
الطاعنون امام العالم أجمع بأنى وهبت حياتى لامتى وبلادى
وبدأت اعمالى بعد سن الدراسة بمطالبة أوروبا العادلة حقا
وانصافا . أفأخركم ساخرا من طعنكم وقد حكم بأنى أقتنى اثر
رجال شرفهم التاريخ لما شرفوا بلادهم وأعزتهم مواطنهم
لما أعزوها وأعلوا شأنها

نعم اقتنى اثر رجل كفرانكايين جا فى القرن الثامن

عشر لافي هذا القرن قرن العدالة والانصاف مطالباً بحرية
بلادها ساثلاً فرنسا مساعدة وتعزيراً حيث لبت اذ ذلك
نداءه ورقت رحمة لانيين أمتة ونصرتها في مطالبها الحقّة
وساعدتها على نيل الحرية والاستقلال نعم اقتفى أثر رجال
مثل سكوفاس واكرانتوس وريكوس الذين سهروا الليالي
الطوال على تحرير اليونان ولى أحسن اقتداء بكافور وغيره
ممن وهبوا إيطاليا الاستقلال بعد الجهد الجيّد . كيف
لا أقتدى بهؤلاء الرجال واعمل مثل هذه الاعمال وقد انقذت
فرنسا من هاوية الخطر غانية تضرب لنا وحدها الامثال
واذا كان الانكيز يعملون الليل والنهار على امتلاك الممالك
واستعمار البلاد ويجرون مما رزقوا من العقل والثبات وانتهاك
حرمة المعاهدات في سبيل الاستيلاء على مصر ومد سلطتهم
من الاسكندرية الى حكومة الكاب فهل من المستغرب ان
يطالب مصري « بحرية بلاده وهو أمر طبيعي بل فرض »
تقرضه الحياة على كل انسان واذا كنا صبرنا معشر المصريين
ثلاثة عشر عاماً ننتظر الخلاص من انكازنا نفسها وتترقب

ساعة احترامها لشرفها والى اليوم لم تر منها ما يدل على قرب
الوفاء ولم يبدلنا من رجالها الا صدق ولا وداد . فهل تعجبون
يا قوم اذا دفعنا احساساتنا الى كشف الحقائق والاستنجاد
بأمم أوروبا

لعمر الشرف ان ما أتينا به لأحق الامور بالاتيان .
واذا كان تقديم لوحة وعريضة الى مجلس النواب الفرنسي
أثار منكم عواطف الغضب والحق وهو أمر من أبسط
الاشياء فما عساكم تفعلون غداً والليالي حبالى وكثيراً ما يضمن
ذلك « الفتى المصرى » الذى أضاعت عقولكم فعلة من فعالة
خدمة بلاده وتحرير أوطانه

ألا فانتظروا الحوادث وأهزءوا ظاهراً وموتوا باطنا
مما نحن فاعلون وقولوا لاجباكم ان قبول مجلس نواب
فرنسا لهذه اللوحة رفض فى الحقيقة لها وتأسيس حزب
لمصر من كبار السياسيين رضاء من العقلاء بالاحتلال
واحتجاج الجرائد الروسية والانجليزية والفرنسية على وجود
الانكليز فى مصر تصریح لهم بالبقاء الى أجل غير معلوم

وتصريحات هانوتو ورجال السياسة العظام قول منقوض
وضحك وهذيان وانهزام السياسة الانكليزية في ميدان
المناقشة الدولية قوة لها وزيادة سلطان

ألا قولوا للمارقين أمثالكم ماتقولون . أما نحن فلا
تزيدنا أقوالكم الا قوة وثباتا فلا نغفل لحظة عن اظهار
المستور وكشف الغطاء عما أتاه اللورد كرومر ومواطنوه
ضد مصر والمصريين ولا نزال نسأل الوطنيين الصادقين
الانضمام الينا تعزيزاً للحق وقياماً بفروض الوطنية ونجيبكم
على ماضى من طعنكم وما أتى بقول من قال واحسن المقال
واذا أتتك مذمتى من ناقص

فهى الشهادة لى بأنى (كامل)

باريس فى ٢٦ يونيه سنة ١٩٠٥



ما اتشرت هذه الجملة حتى خرج كل لفظ بذىء حواه
القاموس العربى من أقلام من يسمون أنفسهم بأطواد الفلسفة
وعلماء الادب مما اشمأزت منه كل نفس عرفت الكمال

وآداب الجدل

وقد كتب الكثيرون من أصدقائه اليه يشكرون له
هذه التؤدة في العبارة والحكمة في العمل سائلين أياهم
بأقوال المكابرين



بعد ان قدم المرحوم العريضة مع الصورة قصد برلين
مع صحافي نمساوي قديم تعارف به بواسطة المسيو ديبلونكل
ولما وصل اليها زار ادارة الصحف الكبرى وعرف مديري
دفة سياساتها وقد أخلص له من بينهم اخلاصا تاما مدير
جريدة البرلينر تاجبلاط المستر زورخ فانه بقي على اخلاصه
القديم يخدم المسئلة المصرية مع المرحوم حتى آخر أيامه
أراد بعض هؤلاء الصحافيين عمل حديث معه على
المسئلة المصرية ولكنه فضل أن يكون ذلك بعد نشر حديث
والقاء خطبة على الاقل على الارض الفرنسية حتى لا يخسر
الدفاع بما يسببه ما بين الفرنسيين والالمان من الحقد
والتباغض والعداء القديم

عاد رحمه الله الى فرنسا في أواخر شهر يونيه وقد دار
حديث بينه وبين محرر جريدة الجرنال الفرنسية في يوم
٢ يوليه سنة ١٨٩٣ وهي من أشهر الجرائد الحرة وقد كانت
أول جريدة نشرت حديثاً سياسياً للمرحوم بعد عريضة
مجلس النواب وهذا تعريب الحديث :

✂ مصر والسياسة الفرنسية ✂

« ان الحديث الذي جرى بيني وبين المصري الوطني
(مصطفى كامل) النائب في أوروبا عن أحيائه بمصر لا بد من
انه يفيد قراء (الجرنال) وهناك ما قاله لي الوطني المصري :
ان سؤالك لي رأي عن السياسة الفرنسية فيما يختص
بالمسئلة المصرية لسؤال خطير جدا وعظيم الأهمية
وان لفرنسا علي ما أرى سياستين في مسألة مصر : سياسة
في أوروبا وسياسة في مصر نفسها

فسياستها في أوروبا هي سياسة صريحة حازمة . فلقد
أعلنت المرار العديدة انها لا تستطيع ولن تستطيع أبدا ان تترك

مصر للانكليز فان مركز بلادنا الجغرافي مهم جدا ومصالح
فرنسا فيها عظيمة لحد يحملها على اعتبار المسئلة المصرية من
أخطر المسائل التي تهتمها مباشرة

وفضلا عن ذلك فان فرنسا بصفتها دولة محافظة على
صيانة المملكة العثمانية وعلى استقلالها يجب عليها ان تحقق
الاستقلال المحدود لوادي النيل الذي هو جزء من الدولة العلية
أما السياسة الفرنسية في مصر فلقد كانت - وأراني
مضطرا بكل أسف لان أجيبك هكذا لاجيبك بصدق
وصراحة - ولا تزال سياسة تساهل وتسامح

ولم يترك وكلاء فرنسا في مصر الانكليز يهددون فقط
أعظم تهديد العمل الجليل الذي عملته فرنسا في بلادنا . هذا
العمل التمديني الخيري الذي مانسيناه ولا ننساه أبدا . بل
انهم بصمتهم وسكونهم الذي لا يفهم له معنى شجعوا الانكليز
على استعبادنا وسمحوا لهم ان يحولوا وادي النيل الجميل الى
هند افريقيه اسوأ حالا من أختها الاسيوية

وانظر كيف ان انكلترا تراحم النفوذ الحسى والمعنوى

لفرنسا في مصر فهي في كل يوم تحارب لغتكم التي تقبل على
مطالعتها لا تقاها وجمالها وتعدّ الذين يتلقونها من التلامذة
كاعداء لها فتسد في وجوههم أبواب الوظائف وقد فازت
بتقليل عدد الموظفين منكم كثيرا ووضعت الارسالية
المصرية التي كانت زاهرة فأصبحت اليوم لا تنال الا من
عشرة شبان نصفهم أرمنيون من مواطني نوبار وارتين
ولكن الانكاز لحسن الطالع لم يتمكنوا من كل
مساعيهم من اماتة النفوذ الفرنسي في البلاد وذلك
لما عندنا من الود المكين لكم

وبرهان هذا الود أننا لما أردنا الاستعانة باوروبا على
اسعافنا السياسي كان أول ما عرضنا أمرنا على فرنسا معتقدين
كل الاعتقاد انها لا تمتنع عن توطيد نفوذها في الشرق بانقاذها
شعبا يحبها كل ذلك الحب

ولكن عندي أمرا أهم من كل ما تقدم أقوله لك وهو
انه قد عيل صبرنا من طول الاحتلال فان كانت الحكومة
الفرنسوية عازمة على عمل فتعمله سريعا

وأظن يا حضرة المكاتب اني أبديت لك فيما قلته رأى
اخواني المصريين الذى هو مثل رأى الخوصى أيضا
ولعل هذا القول يرشد الذين يهتمون بمسألتنا ليحسنوا
المسعى فى انقاذ شعب هادىء ساكن مستجير وتوطيد حرية
الطريق الموصلة من البحر المتوسط الى المحيط الباسيفيكي اه



ما تشر هذا الحديث الخطير هناك حتى أذاعته صحف
العالم من قارة الى قارة ونقلته أسلاك البرق من دولة الى دولة
كما أن شركة هافاس نشرته فى مصر فى اليوم التالى وعلقت
عليه الجرائد الكبرى فى باريس تعليقا كبيرا مرضيا
قالت جريدة الطان والقراء يعرفون منزلة هذه الجريدة
الفرنسية الكبرى فى عالم السياسة والدوائر السياسية الخطيرة
ما يأتى فى ذيل ما كتبه على ذلك الحديث :

« لا بد أن سيكون لمصطفى كامل المصرى دور مهم فى
المسألة المصرية لانه ينطق فيها بالصراحة والحق غير خاش بأس
حدفى بيان المظالم الواقعة على رأس مصر والمصريين الخ الخ

وقال كثير من الجرائد الفرنسية الخطيرة أقوالا مشجعة
لا تخرج في الغالب عن معنى ما ذكر . ولم يمض على هذا
الحديث يومان حتى كان المترجم في طولوز مدينة العرفان
والنور . تلك المدينة التي نال منها شهادة الحقوق حيث ألقى
هناك خطبته الاولى على مرأى ومسمع من العالم الراقى باللغة
الفرنسية . ونحن نشرها هنا ليقراها بامعان كل دارس
لهذه السيرة الوطنية

خطبة طولوز

هذه ترجمة الخطبة البليغة الشائقة التي ألقاها (رحمه
الله) في مدينة طولوز مساء ٤ يوليو عام ١٨٩٥ بناء على
دعوة من كبار رجالها وعظام أساتذتها . وهي الخطبة الاولى
التي ألقاها رجل مصري على مسامع أوروبا شكاية من
الاحتلال الانكليزي

« أيتها السيدات . أيها السادة

ما كان أحوجني الى بلاغة كبار خطباءكم لاعرب لكم

عن مقدار ما تأثرت به من الاحتفال الودى الذى تفضلتم
بمقابلتي به

وأراني دون هذا التكريم لولا اعتبارى اياه موجهها الى
مصر كلها لا الى شخصى المتواضع

وانى لذا كر فضل حضرة المحترم مسيو « سير » شيخ
مدينة طولوز حيث ساعد رصيفى الفاضل مسيو « لوى
أريست » على عقد هذا الاجتماع الذى حضرت اليه بكل
ارتياح وانسراح

فان وقوفى فى هذا النادى لا كلام على مصر لمن
أقدس واجباتى خصوصاً وانى أخطب فى بلد بديع أحبه
وأذكر محاسنه مدى الزمان

ولكننى أسألكم قبل كل شىء غرض النظر عن قصورى
اذا لم تجدوا منى خطيباً خلافاً فلست الا أحد طلاب لغتكم
الجميلة ولا مقصدلى الا ايقافكم على الحالة السيئة التى فيها بلادى
على انى لو أردت شرح مصائب مصر وآلامها كما ينبغى
لما وفت فى ذلك الايام الطوال ولذا أقصر الكلام هذه

الليلة على النقط المهمة من المسئلة المصرية واقفا عند الاشياء
التي تهتمكم معرفتها

وليس من شأنى ان أكلّمكم اليوم على مصر بصفتها بلادا
جغرافية فان في مدينتكم الزاهرة جمعية جغرافية أعضاؤها
من الفضلاء المشهورين تخدم على الدوام العلم والمدنية بما تنشره
من الفوائد والفرائد وان الفضل لعائد عليها في استجلاب
الصور التي سأقدمها لكم مما له مساس بالموضوع الذي
سأشرحه الآن



دخل الانكليز مصر في سنة ١٨٨٢ بعد الحوادث المحزنة
التي تعلمونها جميعا باسم دولة محبة تسعى وراء تأييد السلطة
الخدوية التي كان يهددها قائد عسكري عاص ولتحقيق
الراحة في البلاد ولا احترام الامتيازات والضمانات الاوربية
ولقد كان أداء هذه الوظيفة سهلا جدا لو اتبعت انكثرا
الخطوة التي رسمتها لنفسها ولكن زين للانكليز أن يغشوا
أوروبا ويعملوا الامتلاك مصر فجروا على نقيض الكلمة التي

أعلنوها و ضد المعاهدات الدولية

وان من أقوى الامثلة على ذلك بلاغ ترايبا الذي أمضته
الدول الأوروبية جمعاء في ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٢ أى قبل
ضرب الاسكندرية بخمسة عشر يوما وكان القصد منه ضمانه
استقلال مصر المحدود ومنع كل دولة أوروبية عن امتلاك أى
جزء من أراضى مصر أونيل أى امتياز خاص لاحداها
ولقد أرادت حكومة جلالة الملكة بامضاء هذا البرتوكول
أن تثبت لاوروبا بصفة صريحة اخلاص مقصدها واحترامها
للمعاهدات . أرادت بذلك أن تحقق للعالم أجمع انها محترمة
معاهدات ١٨٤١ و ١٨٥٦ و ١٨٧٨ المتعلقة باستقلال الدولة
العثمانية ومصر

فهل احترمت حقيقة هذه المعاهدات التى لا يسلم شرفها
الا بسلامتها؟

هل تركت بالفعل مصر لنفسها بدون أن تسلبها شيئا
من أراضها أو تنال امتيازها خاصة بها ؟
كلا . ثم كلا . لقد نقضت انكلترا بلاغ ترايبا وتجاهلته

بعد ثمانية عشر شهراً من امضائه لما أرادت قهر الحكومة
الخدوية التي كان ينقصها اذ ذلك عضد فرنسا علي ترك
السودان المصري الذي نعتبره الروح لقطرنا العزيز وعليه
تتعلق حياة بلادنا وموتها

ولقد كان هذا الامر المناقض للشرع والقانون درسا
مفيدا للمصريين الذين كانوا يظنون بسداجة ان الانكايز
في مصر مخلصو الصداقة لها . فمن ذلك العهد فقه الجميع حقيقة
مقاصدهم وعلى الخصوص الوطني الكبير شريف باشا رئيس
النظار اذ ذلك فانه لم يتردد لحظة واحدة عن تقديم استقالته
وترك العار كله على رأس رجل مثل نوبار الذي كان اول من
طأ رأسه خضوعا امام رغائب الانكايز

ومن النتائج التي كان يتحتم الوصول اليها عقب دخول
الانكايز في مصر تأييد السلطة الخديوية . فلننظر الآن أيها
السادة اذا كانت هذه الغاية الاساسية تحققت أم لا . ان انكايزا
تؤيد سلطة الخديو الشرعية ولكنها خربت بها ولا تزال تحاربها
لتظهر نفسها امام الامة بمظهر الحاكمة الوحيدة لمصر . فمثلا

لما أتولى الخديوية أميرنا الخالي عباس حلمي باشا بذل الانكياز كل ما في وسعهم ليقللوا احترامه في أعين الأمة المصرية ولكن الخديو بخطه الرزينة الحكيمة استطاع الحصول على اخلاص رعيته وصدق ولائها له واعجاب العالم بأسره منه . ولقد تظاهر على الدوام ضد كل أمر يخالف الشرع والعدالة أما الانكياز فكانوا يظهرون بكل الوسائل مقاومتهم وعداءهم لهذه الروح الشريفة الوطنية

وكان حق اللورد كرومر معتمد انكلترا في القطر ان يكون مثال الاعتدال لآبناء جنسه . ولكنه يدعوهم الى التحرش والتشبث بوسائل العداء والتهديد الذي يقابلنا به ومع ذلك لو سئل اللورد كرومر عما يدعوهم الى تحقيق مطالبه بالقوة والعنف لاحتج برغبته في اصلاح ادارات مصر وما هو ذلك الاصلاح ؟ هو تعيين موظفين من الانكياز على الدوام والاستمرار في هدم كل نظام حكومي لتكون لهم الحجة الدائمة في احتلال مصر الى الابد ويتبع ذلك الاصلاح ترقية بعض الجهال والمارقين الى الوظائف السامية وحياتهم

بالرعاية والمساعدة

ولما كان الامل يسوق اللورد كرومر الى العمل على
الاحتلال الدائم كان من صالحه انتخاب غير الا كفاء في
الدواوين والمصالح ليكونوا من جهة آلات في يديه ومن
جهة أخرى برهاناً لأوروبا على ان مصر محرومة من الرجال
الا كفاء ولا قدرة لها على حكم نفسها بنفسها

ومحن بهذه المناسبة تؤمل مزيد الامل أن فرنسا تنطق
بحقيقة حالنا وتبرهن لأوروبا على كفاءتنا واستعدادنا لان
نحكم أنفسنا بأنفسنا وهي لا تعمل بذلك شيئاً آخر غير الموافقة
على ما أتاه أسانذتها الذين لقبونا أحسن الالقاب العلمية

ولا شك ان النظارة التي أضربها النفوذ الانكليزي
اكثر من كل نظارة سواها هي القائمة على المعارف العمومية
فان الانكليز يعملون دائماً لاقتفال المدارس من جهة ونشر
لغتهم وأخلاقهم وعوائدهم من جهة أخرى ولقد بذلوا كل
مقدرتهم في هدم الارسالية المصرية بفرنسا ويجهدون في محو
آثار النفوذ الفرنسي العظيم والقوة والسلطة ولكنهم لم يعملوا بما

أتوه الا على أن يجيبوا لنا هذا النفوذ الذي لا مقصد سيء
وراءه وان يبغضوا في أعيننا الاعمال المكروهة التي يأتون
بها .

وقد أصبحت نظارة المعارف التي كانت في الايام الخالية
تحتوى على أفاضل العلماء من الاساتذة المصريين والفرنساويين
مرسحاً لفتية من الانكليز هم أقل أبناء جلدتهم أهلية لوظائفهم
واكثرهم غرورا

والنتيجة انه لا غاية لانكترا من الاستيلاء على نظارة
المعارف التي لا تخفى أهميتها على أحد الا نحو كل احساس
وطنى من القلوب وغرس بذور العداة ضد الفرنسيين في
نفوس الناشئين منا وجعل كل أبناء الشبيبة المصرية على الصبغة
التي يحبها الانكليز

ومن الصعب عليكم ان تتصوروا ما يلقيه الانكليز في
مدارسنا من دروس العداوة والبغضاء للدولة العلية وفرنسا
ولكن يكفيكم ان تعلموا بأن الحد قد بلغ بهم الى توزيع الجرائد
الانكليزية التي تسب الامة المصرية وأميرها المحبوب أقبح

السباب على التلامذة

ومقصد الانكليز الوحيد هو استعاضة اللغة الفرنسية
باللغة الانكليزية وهدم أركان تفوذك القوى وتقابل عدد
المدارس وجعل التلامذة أعظم المعجبين بالاحتلال وبالاختصار
جعل البلاد في حالة من الجهل يتيسر لهم معها ان يحكموها
بالظلم والنفوان

وانها حقا لطرق مشينة غير لا ثقة بدولة عظيمة كانكثرا
تدعى انها ممدنة العالم

وفضلا عن وجود العدد العديد من المعلمين الانكليز
في المدارس فان هناك وكيفا للمعارف العمومية يكفي وجوده
وحده لكشف الغطاء عن مقاصد المحتلين وهو رجل أرمني
كافر بنعمة البلاد لا يعرف اللغة العربية التي هي لغة الامة
الملية

ولهذا الرجل الذي هو أعظم آلات انكثرا في مصر
والذي لا أشرفه بذكر اسمه آراء في التربية من الغرابة
بمكان اذ يستحيل خطورها على نال انسان . فهو لا يقبل

ان لغة أمة تكون لغة مدارسها بل يريد استعارة لغة أوربية
تكون بالطبع اللغة الانكليزية ويعتبر ان « دانتون »
أخطأ في قوله « ان التربية أول حاجات الشعب بعد
العيش » ويدعى المقدر على اقامة البرهان بأن حصر التعليم
في أفراد قلائل يبلمثل بلدنا محتاج أشد الاحتياج للتربية
والتعليم من أفضل طرق التربية والتعليم فيه
وبتطبيق هذه الآراء العجيبة أصبحت الحكومة
المصرية لا تصرف اليوم الا على ثمانى عشرة مدرسة بعد أن
كان في مصر نحو ٢٣٠ مدرسة في عهدى محمد على واسماعيل
أوليس من العار على الانكليز ووصولهم لهذه الغاية
وسلوكهم هذا السلوك الذى أفضى الى جعل مدرسة الطب
خاوية ليس فيها اليوم الا عشرة طلاب بعد ان كان بها فى
الزمن الماضى نحو ١٥٠ طالبا على الاقل . وانها لمن أشرف
مأسس الفرنساويون فى مصر . هذه المدرسة الطيبة التى
أنشأها فرنساوى شهير هو كلوت بك الذى يذكرنا بمثاله
المقام فى المدرسة نفسها بالخدم الجليلة التى خدم بها مصر

والتي لا تنسى أبدا

وان أعظم أسف أظهرته مصر على حالة المعارف موضح
أحسن توضيح في القسم المتعلق بنظارة المعارف من تقرير
مجلس شورى القوانين الذي وضعه أخيرا

وان النفوذ الانكليزي المشثوم على الوطن المصري يرى
الآن في كل مكان . ففي نظارة الداخلية عينوا مستشاراً
انكليزيا لا مطلب له غير احداث القلاقل في القطر عند اللزوم
وسيكون من وظيفته الضغط الشديد عند انتخاب أعضاء
شورى القوانين حتى لا ينتخب الصادقون المخلصون لمصر .
وأخيرا المراقبة الشديدة على الوطنيين الذين يميلون الى تخليص
بلادهم من ربة الاستعباد وتنبهه انكثرا الى الخطأ الجسيم
الذي ترتكبه ببقائها في مصر

وفي المالية ترى نفس النفوذ الانكليزي . وان نظام
المالية عندنا مبني على القاعدة التي قررها قانون التصفية الصادر
في سنة ١٨٨٠ والاتفاق الدولي الذي حصل في لندره سنة
١٨٨٥ ولم يحدث الانكليز في هذه النظارة أي اصلاح سوى

انهم حذفوا المراقبة الثنائية لفرنسا وانكلترا واستبدلوها
بمراقبة واحدة يدير سلطتها مستشار انكليزي يقسم بين
مواطنيه النصيب الوافر من الميزانية

أما العدالة فخالها محزن . فلقد كانت مصر الى عام ١٨٩٠
تتبع قوانين العدالة المعروفة في فرنسا ويدير شؤونها النابغون
من المصريين الذين أتم أكثرهم دروسهم في مدارس سلك الحقوقية
ومن هذا العهد عهد تعيين مستشار انكليزي تزعزعت
أركان العدالة وتغيرت معالمها فلا وجود اليوم لقاضي التحقيق
والنيابة العمومية أصبحت في قبضة الحكام الاداريين .
ذلك الامر الذي لم يحدث في بلد آخر والذي دعا بعض
الوطنيين المصريين لان يقدموا لمجلس النواب الفرنسيين
باسمهم وباسم مواطنيهم عريضة يفضلون فيها محاميتهم أمام
الحاكم المختلطة على بقائهم تحت سلطة الاهواء الانكليزية .
وان لمقدمي هذه العريضة ولا شك عذرا في تقديمها بعد
ما أنكر الانكليزي في مصر احترام كل مبادئ القانون
الاوربي واحتقروا العدالة لحد لم يحترموا معه مبدأ فصل

السلطات وهو المبدأ المقدس الذي عملتم به منذ قرن
ومثال ذلك المحكمة المخصوصة التي أنشئوها في الشتاء
الماضي والتي تحقر المدنية البريطانية وتعد دليلا واضحا على
استعمال قوة العنف والاستبداد. فلقد أسست لمعاينة
المصريين الذين يتشاجرون مع عساكر أو بحارة من الانكليز.
وهي محكمة لا قانون لها ولا دستور. تقبض بيديها في آن
واحد على السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية وتحكم على
حسب أهواء قضاتها الذين هم ثلاثة من الانكليز واثنان من
المصريين وتصدر الاحكام بلا استئناف وتأمر بالتنفيذ الوقتي
دون أن تترك للخديو الزمن اللازم للعفو عن المجرمين

فلا تندهشوا اذا آياها السادة اذا بلغكم يوما من الايام
أنه تأييدا للعدالة في وادي النيل جزم الانكليز أنف فلاح
أوصاموا اذنى آخر بحجة تطبيق شريعة الملك (بهنزان)
الفريدة في نوعها

وليس لي أن أصف لكم بشاعة هذا الامر المستغرب
فاننى أتكلم في مدينة اشتهرت بمتشرعيها وقضاتها ومشاهير

أسألتها فعليهم ان يقولوا لنا اذا كان أمر مثل هذا تكلم
عنه التاريخ أو هل وجدت شريعة في زمن من الأزمنة العريقة
في الهمجية سنت ماسنه اللورد كرومر في وطننا السيء
الحظ الذي كان في سالف الاعصار مهد النور والعرفان وعلى
الخصوص مهد العدالة

ولكنني أسألك فقط هل نحن في العصور الوسطى أو في
العصر التاسع عشر عصر العدالة والحرية . واتساءل أيضا ماذا
يكون الحال اذا تشاجر مصريون مع بحارة فرنساويين أو
روسين أو من أي جنسية أخرى . أبحاكم أولئك المصريون
أمام محاكمهم الاهلية أم امام محاكم مخصوصة كتلك المحكمة ؟
وهل يكون لهؤلاء البحارة فرنساويين مثلا نفس الامتياز
الذي للبحارة الانكليز أم لا ؟ . أحقق انه لا . لان القانون
المسنون للمحكمة المخصوصة لم يتكلم الا على العساكر
والبحارة الانكليز

أو ليس في هذا الامر أيضا نقض لبلاغ ترايبا الذي
يمنع كل دولة أوروبية عن ان تنال في مصر امتيازاً خاصاً بها

وبرعاياها

وانكم تفهمون جيداً أيها السادة من كل ما ذكرته لكم
أن الاحتمال الانكليزي مشئوم على مصر من كل الوجوه
ومن كل الامور ومناقض لكافة المعاهدات ولكل قواعد
العدالة والانصاف فضلاً عن كونه جاء أعظم عائق للامة عن
السير في طريق التقدم والمدنية

هذا ولم يأت الانكليز في مصر خطأ على خطأ فقط بل
أشاعوا في أوروبا اننا أمة متعصبة في الدين نبغض المسيحيين
مما هو ولا شك أشد ضروب الاختلاق فاننا لسنا متعصبين
ولا مبغضين للمسيحيين بل نحن أمة هادئة كريمة والبراهين
على ذلك لا يمكن نقضها

فلقد مضى على مصر ثلاثة عشر قرناً ونحن والاقباط
فيها اخوة صفاء لا نتكلم بشأن الدين الا اذا كنا في المسجد
أو كانوا في الكنيسة ثم صرنا في هذا القرن الواسطة بين
أوروبا المتمدنة وافريقية المتوحشة والفضل عائد علينا وحدنا
في وصول كل الارشاليات حتى الدينية المسيحية منها الى البقاع

السوداء وقد خالطنا الاوروبيين عامة والفرنساويين خاصة
كل هذا القرن فلم يظهر منا عداً لاي انسان . ولدينا
الاوروبيون يسكنون كل النواحي والوديان السحيقة من
القطر وكثيرون منهم منتشرون في القرى الريفية الصغيرة
بين أكثر الفلاحين جهلاً وهم في سكينه وطمأنينه بال .
وما ذلك الا لان أمتنا تحترم الاجانب الى حد تعتبرهم معه
كأعز ضيوفها

فكيف يمكن ان تكون أمة كهذه متعصبة في الدين
بل كيف يمكن ان تكون كذلك وعلى رأس جيشها ٧٥ ضابطاً
انكليزياً وهو الامر الذي لو كان في غير مصر لأحدث
ثورة لانهاية لها

بل كيف يمكن ان تكون هذه الامة الهادئة الحكيمة
متعصبة في الدين وعلى رأس هيئة حكومتها من ليس متديناً
بدينها ؟

وقد بلغ سكوتنا حداً جعل أعداءنا على ان يسبوننا كثيراً
ويسبوا ديننا ونبينا من غير أن يروا منا نزعة عداً لهم

« وليس ذلك عن ضعف منا أو استماتة بل عن اعتدال
وغفران »

ولقد نشر الانكليز في العام الماضي بين تلامذة مدارسنا
كتب تاريخ باللغة الانكليزية وفيها الطعن على ديننا والتمثيل
ببنينا وفي هذا العام نشر المستظون بالعلم البريطاني في مصر
رسالة ضد الاسلام يدعون فيها المسلمين الى اعتناق ديانة غير
ديانتهم وقد أرادوا ولا شك بنشر هذه الرسالة احداث
ثورة دينية في القطر ولكنهم لم يفلحوا لان الأمة قابلتها
بحكمة عجيبة . ومجلس علماء الازهر الذين هم رؤساء الديانة
أجاب على هذه الرسالة في خطاب بعث به الى ناظر الداخلية
بقوله

« ان الديانة الاسلامية تعلم معتقها احترام كل المذاهب
وجميع الديانات وان الاعتدال والتسامح من قواعدها
الاساسية »

وعليه فلم تكن أية أمة قادرة على التمسك بعروة الحكمة
والصبر تتظاهر بمثل ما تظاهرت به الامة المصرية . فاذا كان

أعداؤنا لا يزالون يقولون عنا بعد ذلك اننا متعصبون في الدين
فقد جاء الوقت الذي يجب أن يقضى فيه على هذه الاساطير
الممقوتة فاننا لسنا مبغضين للأوروبيين ولا لأي شعب من
الشعوب . ولكننا مبغضون حقاً للاحتلال الانكليزي ونقول
ذلك بصوت عال . فلقد مضى علينا نحو ثلاثة عشر عاماً ونحن
نتنظر خلاصنا من انكلترا نفسها . مضى علينا ثلاثة عشر عاماً
ونحن نتنظر بصبر نافذ احترامها لتعهداتها وقولها المأخوذ عليها
وليس من خطئنا اذا كانت لم تفهم حتى الآن ضرورة الجلاء
واننا نعتقد كل الاعتقاد ان من حقوقنا بل من واجباتنا
المقدسة الوفود على أوروبا بعد هذا الصبر الطويل لنطالب
بحرية بلادنا وننشر كل ما يجري عندنا . ومع اننا قد حضرنا
للقيام بهذا الواجب المقدس فاننا لم تفكر قط في الطعن على
انكلترا اذا اننا نحترمها كما نحترم كل دولة أخرى ودليلاً على
عظيم احترامنا لها جئنا نظهر لها الحقائق وانغلاق عمالها في
مصر الذين لهم الصالح الأكبر في اطالة أمد الاحتلال
ليقبضوا المرتبات الطائلة التي يقبضونها الآن

فلتتنازل انكاثرا وتسمع أقوالنا وتف بوعودها وتحترم
عهدنا التي فاهت بها أمام أوروبا والعالم أجمع واننا نكون
ولا شك ذلك اليوم أول المصفيين لها المعجيين بفعلها. ولكن
مادامت ممتعة عن الجلاء فوطنيتنا تقضى علينا بأن نطالب من
أوروبا الحرة الانصاف التام

ولا خلاف في أن تحرير مصر من صالح أوروبا وذلك
لعدة أسباب

أولا الوضع الجغرافي لمصر. فان الدولة التي تستولى على
وادي النيل فضلا عن كونها تصبح سيدة البحر المتوسط
والبحر الاحمر فانها تقبض بيديها وحدها على كل تجارة أفريقيا
وآسيا تقريبا وتجعل المدينتين المقدستين (بيت المقدس ومكة)
في خطر

ثانياً فائدة حاملي القراطيس المصرية وهنا استلفت أنظاركم
كل الاستلفات

بظن البعض ان القراطيس المصرية تسقط قيمتها وتنزل
اذا خرج الانكايير من مصر على ان وجودهم هو الخطر

الوحيد المهدد للمالين . وذلك لان بلادنا بلاد زراعية محضه
والضرائب التي ندفعها هي في الحقيقة أجر وبما ان اثمان
المحصولات في هبوط مستمر والمصاريف الادارية في صعود
مستمر أيضا فيأتي ولا شك يوم لا تقدر فيه مصر على سداد
ديونها مادام الانكاييز محتليها . وهل من دواء لذلك ؟

نعم يوجد دواء ان . تحويل الدين الموحد الذي يحدث
تأثيراً وقتياً . واتباع اتفاقية لوندريه لعام ١٨١٥ التي حددت
المصاريف الادارية بمبلغ خمسة ملايين من الجنيهات (أى ١٢٥
مليوناً من الفرنكات تقريباً) والتي بلغت اليوم « والفضل
عائد على الاحتلال الانكاييزى » حوالى سبعة ملايين من
الجنيهات فبذلك يمكن اقتصاد مبلغ خمسين مليوناً من الفرنكات
قبل أن تمس حقوق المالين . وللوصل الى ذلك يتحتم خروج
الانكاييز من مصر جنوداً وموظفين

وزيادة عن ذلك فان أصحاب القراطيس المصرية لا يخشون
شيئاً ما . فالمصريون يقبلون أى مراقبة مالية أوروبية ويحترمون
قبل كل شىء المنظمات التي من شأنها ضمانه حقوق المالين

ثالث الاسباب التي تدعو الى الجلاء : المصالح الكبيرة
التي لاوروبا في مصر اذ لا شك ان أوروبا تفقد كل مصالحها على
شواطئ النيل اليوم الذي تضع فيه انكثرا أيديها على مصر .
وأحسن برهان على ذلك الحرب العوان التي تخارب بها انكثرا
علنا النفوذ الفرنسي والتجارة الفرنسية

وأخيراً من فائدة أوروبا أن ترد مصر الى نفسها وتثبت
بعمل جليل كهذا انها تسمع صراخ أمة قهرت بغير حق . ولا
تأتي أوروبا بانقاذ مصر أمراً آخر غير قهر القوة العنيفة التي
لا تزال قوية سائدة فيها وتحقيق نصرة الحق

وأى شيء أجمل وأبهى من نصرة أمة مقهورة ! انه
لواجب يسهل القيام به خصوصاً عند أمة كبيرة كفرنسا
تحبيبها وتحبي ماثرها عدة من الامم

نعم أيها السادة ان من واجب فرنسا التي نستنجد بها
أعظم استنجاد أن تتداخل لانقاذنا . نعم ذلك واجب فرنسا
الكريمة التي أيقظت مصر من عميق رقادها والتي نشرت في
وطننا نور المعارف والآداب وجعلت مصر فرنسا الشرقية .

فرنسا التي أنزلتنا دائماً منها منزلة أعز بنينا والتي ملكت
بذلك قلوبنا وأرواحنا اه



تلك هي الخطبة الوطنية السياسية الأولى للمترجم على
أرض فرنسية وفي وسط فرنسيين بل هي أول خطبة أقيمت
بلغت أوروبا في أوروبا على المسئلة المصرية ودفاعاً عن أشرف
وأقدس واجب يتنافس في أدائه المتنافسون ألا وهو الواجب
الوطني لخدمة الوطن المقدي بالأفئس والنفائس

ذلك الوطن الذي امتزج تبر ترابه بدقائق أجسام
الماضين من الآباء والأجداد السابقين . ذلك الوطن الذي
ألقته الأرواح وغذته بعطفها القلوب وعشقتة لحسنه النفوس
فكان مناط الآمال وكعبة الأوطار

ذلك الوطن الذي قام فيه مجد الجدود وتلقيناه نحن
عنه جيلاً بعد جيل هو الذي يحرسه كل مصري بسواد عينه
وسويداء قلبه ويضحى في هذا السبيل كل عزيز عنده
ذلك الوطن الذي امتزج النفس بهوائه وغذيت الجسوم

ينبأه ومائه واستروحت فيه الارواح ذكرى أعزاء قضوا
نحبهم وهم عن حوضه يذودون وعن بيضته يدفعون
ذلك الوطن الذي لا حياة للأمة الا فيه وليس لها غيره
مجد ترتضيه والذي هو أقدس ميراث ورثه السلف عن
الخلف وأقدس تركة يضعها الآباء بين أيدي الأبناء ليحفظوها
ويحوظوها بالارواح والاموال

ذلك الوطن الذي لا يدانيه في الدنيا وطن من الاوطان
جلالا وجمالا وشرفا ومجداً بشهادة التاريخ

فليحفظه الله بعنايته ورعايته وليخرج من بنيه صفوفاً
من الأوفى وألوفاً من الصفوف ليدبوا عنه وينقذوه من
بين أيدي مقتصبيه مهما كلفهم ذلك من المخاطر

نذر هذه الكلمة التي جاءت استطراداً ونقول ان
المترجم أجمل الله جزاءه وقف وقفه الليث في العرين مملوءاً
حماسة وكياسة وألقى في نحو ساعة ذلك الخطاب النفيس
باللغة الفرنسية الجميلة على زهاء ألفي نفس كلهم من كبار القوم
سمعة وعلماً ومشهورينهم فضلاً وسياسة وأعيانهم رأياً ومقاماً

كيف لا وقد كان بينهم بعض رجال الحكومة وقادة الرأي العام أعنى رجال الصحافة الذين يحملون في أيديهم أقلاما لها أسنة اذا أرهفت حرك صريرها تيجان الملوك وعروش القياصرة والامبراطرة فهي تقيم دولة اذا شاءت وتقعده دولة اذا شاءت. وكان فيهم عدا هؤلاء كثيرون من كبار السياسيين وأصحاب الحثيات الرفيعة بحيث يمكننا القول ان هيئة ذلك المحفل كانت جامعة لارقي طبقات الامة الفرنسية بلاخلاف وقد كان هؤلاء يسمعون الخطاب وهم من الاصغاء والتأمل كأن على رؤوسهم الطير ومن الاعجاب بمقدرة الخطيب على التصوير والتأثير في ذهول ومن الرجاء فيه والاعتداد به بين المهابة والاكبار

وطيرت شركات البرق من انكليزية وفرنسية وألمانية وغيرها خلاصة هذه الخطبة النفيسة الى أنحاء العالم كافة وتناقلت الجرائد الاوروبية والامريكية هذه الخلاصة وعلقت عليها الشروح الضافية الوافية وتناول كل منها البحث في موضوعها الخطير على حسب مبدئها السياسي ولهجتها

الكتايبه

ويمكننا القول بأن ملايين من قراء هذه الجرائد كانوا في وقت واحد يتهايمون تارة ويتناقشون تارة في هذا الموضوع الذي فوجئت به الصحافة الافرنجية الخارجية وقرأوها بعد أن حسبوا أن المسألة المصرية لن تطرح على بساط المناقشة وأن أجملها قد انقضى

وانا لرى من الواجب علينا أن نأتى بنموذج مما كتبه تلك الجرائد ليعرف كل مصرى يخدم المسألة المصرية أمام أمم العالم جمعاء أن الصادق الأمين لا يعدم من عشاق الحقائق ورجال النزاهة ظهيراً ونصيراً مهما طال الزمان وتوعرت الطريق

قالت جريدة « الديبش (التلغراف) الفرنسية التي تصدر في (طولوز) مرتين صباحاً ومساءً وهي من الجرائد الخطيرة الشأن بعد أن نشرت الخطبة المذكورة مانصه :

« لقي (مصطفى كامل المصرى) في كل البلاد التي زارها أحسن حفاوة مما يدلنا على أن معارضة الامة المصرية

للاحتلال الانكليزي قد جذبت نحوها كثيراً من رجال
الافكار والمشتغلين بالمسائل السياسية في فرنسا وفي كل
البلاد الاخرى

لأن المسئلة التي دار عليها الكلام في مساء الامس هي
من أهم المسائل بل هي مسئلة ذات أهمية كبرى ليس فقط
لفرنسا بل للسياسة الدولية أيضاً فان مسئلة مصر قد أصبحت
اليوم مسئلة خطيرة تدعو الى الاشتغال بها والاهتمام لها وسبب
ذلك سلوك انكلترا وتصرفها

ويسرنا أن نقول ان جناب مصطفى كامل نجح نجاحاً لم
يسبقه مثيل في الخطاب الذي القاه أمس ومكث في القائه نحو
ساعة بلغتنا الفصحى في مدينتنا هذه وهي المدينة التي نال
شهادته العالية منها تلك الشهادة التي علمته كيف يفهم فرنسا
الادبية ويحبها فقيض له بذلك فرصة كانت فيها أول مصنفته
لمطالب المصريين الشرعيين التي أقام نفسه رسولا لها ومحاميا
عنها وانا باعلام اخواننا في الصحافة الباريزية عن هذا
المشروع الابتدائي الشريف الذي قام به مصطفى كامل نرى

أنفسنا سعداء بان تنشر بالحرف كلمات الخطيب
ونحن نؤمل أن حكومتنا وبلادنا تهتمان بهذه المسئلة
الخطيرة وتقابل أعمال الوطنيين المصريين بالرضى والاستحسان
وقالت جريدة الجورنال الباريسية ما تعريبه :

« نشرنا للقراء ملخص الخطبة التي فاه بها مصطفى كامل
المصرى الذي أوفده المصريون للدفاع عن المسئلة السياسية
الكبرى ألا وهى بقاء الاحتلال الانكليزى في مصر ومن
يعرف أن مصطفى كامل ألقى هذه الخطبة النفيسة وهو فى
الحادية والعشرين من عمره وبلغتنا مدة ساعة من الزمان
يعجب كثيراً بالذكاء المصرى ويحنو الى أمة علقتم آمالها فى
نيل حقها المهضوم بمساعدة فرنسا

نعم يجب على كل فرنسى أن يعطف على هذه الأمة
التي منها هذا الخطيب المفوه لانها أمة لها من جميل الخلال
وحسن السيرة فى التاريخ علما وأخلاقاً مايجب اليها كل ذى
عاطفة انسانية . فضلا عن مركز مصر الجغرافى السياسى
ولما كانت فرنسا أول الممالك التي لها فى مصر حقوقاً

لا يستهان بها كانت نظرة المصريين في التعلق بها حققة والاستغاة
بها عملاً صالحاً

نعم نحن لا ننكر أن السياسة في العالم قائمة الآن على
الآثرة وحب الذات والرجوع في كل أمر الى الصالح المادى
وباسم هذه الصفات يمجّد المصريون الشرف كل الشرف في
التمسك بحقوقهم وطلب المعونة من فرنسا . ولا ينكر أحد
أن مصالحننا في مصر تكاد تكون كمصالحنا في أية مقاطعة من
مقاطعات بلادنا . لان ميراثنا الادبى والمادى فيها يفوق كل
ميراث فضلا عن أهمية البلد تلك الأهمية التي لا يجلبها
سياسى مدرب

واننا اذا كنا نهىء مصطفى كامل على فصاحته واستعداده
الكامل للدفاع عن حقوق مصر مرة . نرى من الواجب
علينا ان نهتبه ألف مرة على المعلومات التي كنا نجلبها وقد
أودعها خطابه والبراهين التي يضىء من بين سطورها نور
الاخلاص وسلامة الضمير مما يميل اليه كل عاقل ميل المنصف
الى المظلوم . . . » اه

هذا نموذج مما كتبه الجرائد الفرنسية من الشروح
والتعليق على هذه الحادثة بين بيان وثناء وقد كانت كلها على
اختلاف مشاربها ومذاهبها متحدة على اطراء تلك الخطبة
الكبيرة ولو اننا أثبتنا هنا ما كتبه جمعا في هذا الصدد بلغت
سيرة المترجم مئين من الاجزاء لان قطع الجرائد التي أمامنا
أتعبنا عددها بما بالك بتعريب ما فيها

وأما الجرائد الالمانية والنمساوية فان الاولى انقسمت
الى قسمين : قسم استقبال الخطبة كما استقبلتها الجرائد الفرنسية
بالسرور والابتهاج وقسم علق عليها كلمات قليلة بعضها يشف
عن الغيظ والحنق من تعلق المصريين بفرنسا دون غيرها من
الامم (كألمانيا مثلا) وبعضها ينقط الحكومة الانكليزية
بألقاظ من الثناء والاطراء يعجز عن الاتيان بمثلها الكتاب
والشعراء

وأما الثانية وهي الجرائد النمساوية فقد كانت في مقدمتها
جريدة (الاكستر اجبلاط) الخطيرة فقد قالت تعليقا على
الخطبة ما تعريبه :

« توقعنا فيما كتبناه في الاعداد السابقة عن الحركة
المصرية الحاضرة واستياء الامة المصرية من الاحتلال الانكليزي
انه سيكون لمصطفى كامل المصري شأن كبير في عالم السياسة
لانه فضلا عن غزارة مادته التي تظهر على كل سطر من سطور
خطابه الذي القاه في مدينة طولوز متقدماً غيرة على بلاده ولا
عجب في ذلك فان التاريخ حدثنا كثيرا انه اذا تولى حكم
المملكة شخص متعلم عادل كخديوى مصر يقوم في عصره
الكثيرون من أفراد الامة التي يحكمها ليشدوا أزره وينفذوا
سياسته ونحن لانشك في أن مصطفى كامل سيكون في مستقبل
الايام على رأس عدد كبير من مواطنيه المتعلمين مطالبين
بمقوق بلاد آبائهم وأجدادهم

والنمساويون عموماً يرجون بهذه الحركة ويقولون بصريح
اللفظ لحكومة المملكة فيكتوريا التي توجت تاريخها بجلائل
الاعمال ان المصريين يستحقون عطفاً وان أوروبا بأسرها
تنتظر منها وفاءاً بالوعود وقياماً بالعهود اه

هذا مقالته احدى الجرائد النمساوية الشهيرة ذكرناه

نموذجا ومثالا

أما الجرائد الانكليزية فقد كانت عند ظننا بها لم تتقدم
ولم تتأخر فقد استقبلت الخطبة بكل ذهول واعرضت عن
دهش عظيم كأنها لم يكن يدور بخلد محرريها ان المصريين
الذين يتفضل عليهم هؤلاء المحررون بلقب « الاغنام » يمثل
شاب منهم هذا الدور السياسي الكبير

فأخذ بعضها يوجه عبارات السب المستقبح والظعن
المستنكر الى المرحوم وتضمنه بما شاء لها أدبها وشاءت لها
نزاهتها من الاوصاف الذميمة والنعوت الشائنة وبعضها
الآخر وهو اكمل أدبا وأظهر نزاهة أخذ يسب الدوائر
الوطنية المصرية العاليه وقد تغالى البعض في اظهار حسن
الذوق وشرف النفس فأخذ يوجه للمصريين كافة عبارات
جارحة وشتائم فاضحة الى غير ذلك من الخبط والخلط والهروب
من الوفاء بالوعود الصريحة والعهود الفصيحة التي أقسم رؤساء
حكومة بريطانيا بشرفهم ان ينفذوها ويبروا بها
وأما الجرائد المصرية فان الوطنية منها قد خدمت

الخطبة خدمة تشكر عليها شكرا جميلا جزيلًا وقد أمطر البرق
والبريد اداراتها برسائل التشجيع وكتب الثناء من المكاتبين
والمراسلين وقد اتفقت كلها حول نقطة واحدة هي اكبار
الخطيب وتشجيعه وابداء العطف عليه والحنو اليه وتأميل
الآمال الكبار فيه

ولا نبالغ اذا قلنا ان هذه الخطبة كانت واسطة التعارف
بين كل مصرى يحب بلاده وبين المرحوم ولا أستطيع ان
اكيف العاطفة الشريفة التي كانت تقوم بنفس كل منهم
كلما ذكر ان في عاصمة فرنسا وطينا هو أحسن سفيرين
مصر وباريس وأقدر مترجم على التعبير عن آلام المصريين
من الانكايير وآمالهم في الفرنسيين

فقد كنت أحس ان قلب كل مصرى مخلص يفيض
ولاء وثناء على المترجم . ويدلك على شيء مما كان علي هذه
الخطبة من بليغ التأثير في طبقات الامة المصرية جمعاء انه قد
بلغ ثمن النسخة الواحدة من الجرائد الوطنية التي نشرتها
عشرة قروش صحيحه لان الناس فوجئوا مفاجأة بهذا الاقدام

النادر وذلك الثبات الباهر الذي لم يألوه من قبل حتى
قيض الله لهم ذلك الذي كان يكتب بتوقيع «مصرى صادق»
تارة وبتوقيع «مصرى أمين» تارة أخرى فقام من بين
صفوفهم ليحاسب الطامع حسابا عسيرا ويشهر به في الآفاق
ويأخذ عليه المسالك من كل طريق ويشهد العالم المتمدن على
ما لهم في هذه البلاد من المطاعم الخيثة والاهواء الشريرة
ذلك شأن الجرائد الوطنية وذلك موقفها أمام الخطبة
المتقدم ذكرها. وأما الجرائد الاحتلالية فانها لم تأت بشيء
يخالف ما كان متوقعا منها على الاطلاق

وماذا ينتظر من الصحف المأجورة للطامع ??

لا ينتظر منها الا تصويب سياسته وترويح بضاعته
ومعاكسة المقاصد الوطنية وكل حركة أهلية ترمى الى غاية
شريفة وتعرب عن مقصد حميد

ولذلك فلا عجب اذا قلنا ان هذه الجرائد قد تلقت
الخطبة يومئذ بما شاء حرصها على الزلنى للانكياز من التحقير
والتخطئة والتنفيذ. وأنعمت على المترجم بما نضح به اناؤها

من المطاعن والمثالب . وفي هذا المقام لا يسعنا الا أن نقول
ما قام في هذا العالم قديما وحديثا قائد وطني أمين شجاع
أو مصلح عامل مجد الا وقد لقي من أهل الاغراض صنوفا
من المقاومة والمصادمة

وذلك لان الحق نور ومن وظيفة النور تبديد سحب
الظلام . ومتى تبددت هذه السحب ظهر وراءها الخائن
والمرائي والمأجور . فمن مصلحة هؤلاء أن يبقوا مستترين
عاملين من وراء ستار مجردين أنفسهم لضعاف عزائم أهل
الحق . وأهل الحق بهذا الكيد لا يتأثرون وعن مقصدهم الحميد
وخطهم الشريفة لا يحميدون

وكم من مقاومة جرت الى تأييد حق وخذلان باطل .
وكم من فئة أضلتها الالهواء سواء السبيل حتى اذا كشف
الستار عن دسائسها ومكايدها كانت عبرة لمن اعتبر . على
ان ما أبدته جرائم الاحتلال هنا من قبل وما أبدته ازاء
هذه الخطبة كان باعثا قويا على الفات الأ نظار الساهية الى
ما هنالك . وكذلك الحقيقة يخدمها من يعمل لها ومن يعمل

ضدها على السواء

ومنذ ذلك الحين أخذت شهرة المترجم تكبر وتزداد
سعة في أنحاء العالم كما أن كبريات الجرائد قد أخذت تلهج
بذكر المسألة المصرية وتتحدث بأعمال فقيدنا العظيم . تلك
الأعمال التي جلت وكبرت وأدهشت الألباب

وكيف لا يكون شأنها كذلك والمترجم بشهادة الواقع
كان في وقت واحد يكتب المقالات الوطنية كالبرجرام الذي
وضعه وينشرها في الصحف الوطنية وتهاجمه الصحافة الأجنبية
بالأحداث السياسية ثم تدفعه غيرته الشريفة وحماسه الطبيعية
النادرة ونشاطه الذي لا يعرف الكلل ولا الملل الى لقاء
مثل تلك الخطبة التي نحن بصددنا ومجذب أنظار السياسيين
وذوى الرأي في الممالك ذات الشأن الى البحث في المسألة
المصرية ويرد على ما يرد اليه من الكتب الخصوصية وأقل
ما كان يكتب يوميا من هذا القبيل عشرون كتابا ليس فيها
الا إيضاح حقيقة أو جواب على سؤال أو حل مبهم من
المقاصد الى ما يماثل هذه الأغراض مكتوبة بالعربية

أو الفرنسية

وقد كتب الى رحمه الله من طولوز بعد أن القى الخطبة
المذكورة خطاباً جاء فيه قوله بعد التحية والتسليم :
« انى أحمد العناية الالهية التى تلقينى فى كل آن من آيات
التوفيق ما هو جدير أن يحقق شيئاً من كبار آمالى وآمالك
فى خدمة الوطن العزيز والأخذ بيد هذه الامة الكريمة
وأسأله سبحانه وتعالى كما أعانى فى المبدأ أن يعيننى فى النهاية
وبعد فأسألك المَعذرة من تأخرى عن الكتابة اليك
فى شأن الخطبة السياسيه التى قرأت أخبارها حديثاً . فقد
رأيت أن الافضل أن تعرف كل ما بهم عنها ولكن لا بواسطة
قلم أخيك فى البعد أو لسانه فى القرب . أما وقد سمعت عنها
كثيراً وقرأت بخصوصها فى الجرائد الوطنية ما قرأت فانى
قائل لك الآن مايسر خاطرك

ولعلك تتوقع أن أقول لك ان الخطبة استغرقت ساعة
أو أن التصفيق كان حاداً أو أن الاعجاب كان شديداً أو أن
الرضى عنها كان أكثر مما توقعت أو أن سامعيها كانوا من

الطبقات الراقية وهم نحو ألفي نفس أو يزيدون أو أن جرائد العالم قد تناقلتها وتحديث بها كثيراً . كلا لا أقول لك شيئاً من ذلك فلا بد أنك قرأته وعرفته ومن العيب أن أكرر علي سمعك شيئاً وقفت عليه وألقته وإنما أقول لك اني استطعت أن أعمل عملاً يذكر لخدمة بلادنا وبلاد آبائنا وأجدادنا .

ذلك أن أخاك قد فتح قلوب سامعيه فتحاً وأودع كل قلب ذكرى لمصر لا تنسى

هذا ما أردت أن أقوله لك مما لا يسمح وقتي القليل بأكثر منه لما هو أمامي من العمل وما على أن أكتبه من الكتب الى الاصدقاء وغيرهم من رجال السياسة وذوى الرأي في أوروبا فضلاً عما تعرف من اجهاد نفسي في اتقان عملي وقطع السنة الخصوم بالحجة والبرهان

فاعذرنى أيها العزيز فاني أتعب نفسي ليلاً ونهاراً وان كان هذا التعب لا يذكر في جانب ما علينا لوطننا المقدس من الواجبات فلو رأيتني الآن لرأيت مصرياً يتحرق قلبه لرؤية أمته سعيدة

مالكة زمام أمرها ووطنه مستقلاً رفيع المنزلة بين الاوطان
ترانى حركة مستمرة : تارة أحداث وتارة أكتاب ومرة
أزور ومرة أزار وحيناً أهاجم وحيناً أدافع . ولى كبير الامل
أن يفتح باب المسألة المصرية للمناقشة عاجلاً أو آجلاً وكل
آت قريب

أما صحتى فلم يطرأ عليها تغيير وهب أنه طرأ عليها شيء
فان من يبذل الروح وهى الجوهر لا يبالي بالجسم وهو العرض
على أنى أشعر بنشاط كثير رغم كثرة أعمالى
وقد اخترت أحد الفرنسيين ليكون سكرتيراً عسى أن
أضعف السير . هذا وسأسافر الى برلين بعد أيام قلائل
ثم أرجع الى باريس حيث أرجو أن تكون عناوين كتبك
الى فيها الى أن أكتب اليك بعد

مصطفى كامل

وتقبل الخ الخ

٧ يوليو سنة ١٨٩٥

٢٢٨



— o o o o —

وليمة طولوز

رأى المرحوم بعد ان أظهرت الصحافة الطولوزية عطفها على المصريين واهتمامها بمسئلتهم امام الاحتلال ان يدعو كبار الصحفيين الى وليمة فدعا ٨٥ من كبار الكتاب في مساء يوم الأحد ٧ يوليه سنة ٩٥ وقد كتب أحد المصريين المقيمين بباريس لجريدة الاهرام تفصيل هذه الوليمة فشرته في عددها الصادر في يوم الجمعة ١٩ يوليه وهذا نصه :

« اعترافاً بالجميل دعا حضرة الوطني المصري مصطفى أفندي كامل أصحاب الجرائد الطولوزية الى وليمة شائقة أولها ليلة مبارحته طولوز وحضرها كل رجال الصحافة والتحرير في تلك المدينة برئاسة المسيو لاتايبه المحرر الاول في جريدة التلغراف وهي من الجرائد الخطيرة التي تصدر مرتين في اليوم صباحاً ومساءً وبعد انتهاء المأدبة نهض المسيو لاتايبه فألقى خطاباً أنيقاً شكر فيه هممة الوطني الصادق مصطفى أفندي كامل مظهرًا أنه يجب على فرنسا الاصغاء الى استغاثته

لتحرير مصر مشجعاً له على عمله معجباً بوطنيته مهتماً اياه على
المهمة الشريفة التي أخذ على عاتقه القيام بها واختتم خطبته
بهذه العبارة البليغة « واني واثق كل الثقة بأن هذا المحامي
عن مصر سينال رغبته ويقضى لبائته ويسمع الحكم لها على
انكثرا . ولذلك أدعو زملائي أصحاب الجرائد الى تهنته
منذ الآن » وما أتم عبارته حتى صفق له الحاضرون
وقام المسيو اريست نقيب أصحاب الجرائد في جنوب
فرنسا وقال :

« واني اعجاباً برصيفنا المصري أشرب نخب الصحافة
التي قام من رجالها في الشرق رجل يسمى في تحرير وطنه
المحبوب »

وفي الختام نهض حضرة الاديب مصطفى أفندي
كامل وقال ماموِّداه :

اسمحوا لي بأن أشكركم قبل كل شيء عما أظهرتموه لي
من عواطف الوداد سواء بأنفسكم أو في جرائدكم الغراء مما
تكرمتم باظهاره لي مرة أخرى اذا اجبتم اليوم دعوتي وان

اجتماعكم هذا لما يولد في سرورا عظيما ويوليني شرفا كبيرا
أنتم معشر الكتاب الوطنيين وأنشط المدافعين عن الحرية
والاستقلال . وليس لي أن أخطب فيكم اليوم وقد علمتم
عواطفى نحو الأمة العظيمة التى تنسبون اليها وما اعترافى
بالجميل الا احدى نتائج الخدم التى قتم بها لوطنى فانكم دافتم
ولا تزالون تدافعون عن مسألة مصر الحقبة الشريفة ولهذا
أهنتكم كرجل ذي شعائر وعواطف وأشكركم كواحد من
بنى مصر الصادقين

وانكم مهما تنازعتم اليوم فى الآراء السياسية واختلفتم
فى المبادئ بازاء أى مسألة عامة فان مصلحة فرنسا المنضمة
الى مصلحة الانسانية تقضى عليكم بالدفاع عنها ولسنا نعرفكم
الافرنسيين لافرق عندنا بين الجمهوريين والملكيين
ولا بين الاشتراكيين والراديكاليين فانا لانعرف الا فرنسا
والفرنساويين وبكم معشر الفرنسيين الوطنيين نستنجد
واياكم نستعين . فعليكم كلكم أجمع ان تحيوا نداء مصر الحزينة
التي تحيىكم من صميم فؤادها وتحى فيكم أجدر المناضلين عن

الحق والعدالة

« فلتحى فرنسا ولتحى مصر ولتحى الحرية »

(مصرى فى باريس)



برح المترجم طولوز فى اليوم التالى لهذه الوليمة قاصداً
برلين (عاصمة المانيا) فودعه على المحطة اكثر كبار رجالها
من سياسيين وصحافيين وغير صحافيين وقد رأى منهم كل
تكريم وتبجيل. وبعد ان وصل برلين أخذ يقابل رجال الصحافة
وحملة الاقلام وفى مقدمتهم جناب مدير جريدة البرلينر
تاجبلاط الذى أعجب به كثيراً وقد كان واسطة التعارف
بينه وبين الكثيرين

بعد ان مكث ببرلين خمسة أيام قصد باريس وبعد ان
أدى واجب الزيارة لكبار الكتاب والصحافيين الذين
ساعدوه على نشر خطبته الاخيرة واستقبالها أحسن استقبال
تعرف بالسكاتبه الشهيرة والسيدة الجميلة مدام جوليت آدم
لأنه كان ينوى ان ينشر آراءه فى المجلة الحديثة (لانوفل ريفو)

وهي ملك لهذه السيدة الكبيرة التي عرف المصريون قلمها
السيال في خدمة مصر والتي زارت بلادنا في ٢٢ يناير
سنة ١٩٠٤ ومكثت بيننا نحو شهرين من الزمان كانت فيهما
موضع تكريم الجناب العالي والمصريين عموماً مما سنشرحه
في محله بمشيئة الله



كتب الى رحمه الله خطاباً استغرق ١٦ صحيفة ذكر
فيه مسائل كثيرة ما بين خصوصية وعمومية جاء فيه :
« تلقيت بمزيد الجذل والشكر ان كتابك الكريم وقد
قرأته مراراً وأعدته على سمعي تكراراً فكان في كل مرة
يحدث في نفسي تأثيراً عظيماً ويورد عليها انفعالات شتى . وقد
فهمت تمام الفهم ما أشرت اليه واني عامل بما تشير على قدر
الامكان

ولا أخفي عنك أيها الشقيق الأعزيز أنه لا محل للدهش
فاني لم أصنع لبلادى شيئاً بعد ومهما عملت وقلت فهو دون
الواجب . وان اليوم الذي يقل فيه القطار آخر عسكري

انكليزي من وادي النيل ويصبح النيل حرا كما كان من
قبل هو اليوم الذي تهدي فيه تقسى من التوئب للعمل بعزم
لا يكل واقدام لا يمل . فلا تحسب أنني أدبت ما على لبلادى
من الدين الكبير حتى اذا قيل لك ان أخاك يردف الحديث
بخطبة ويتبع الخطبة بمناقشة ويقفى على أثر المناقشة بمقالة
فليس هذا كله شيئاً

واذا كان من يعشق فتاة جميلة لا يهدأ له روع ولا يهنا
له بال الا اذا وفر لها صنوف السعادة والرفاهية فما بالك بمن
يعشق فتاة الدهر وأم العجائب - مصر - هل يعذر هذا
العاشق اذا لم يسئل روحه على قدميها اذا اقتضت الحال ??
الا ان وطننا غداني بنباته ومائه واستظلت منه بصفو
سمائه لجدير أن أدافع عنه دفاع الأبطال فاما الى الرفعة
والاستقلال واما أن أقضى آملاً أن يقوم من أبنائنا أو
أحفادنا من يبلغه عظيم الآمال
اننا ما خلقنا أيها الاخ الا لنعمل والناس يتفاضلون
بالأعمال . فاعمل في الدائرة التي أنت فيها بهمة ونشاط ولا

تياأس من روح الله ان الله لا يحب الياأسين «

وجاء فيه بعد كلام آخر مائنه :

« كيف يكون في مصر من يحسدني وهامم الفرنسيون
يذكرون لي اليوم بمزيد التبجيل والاحترام أمثال مولير
وميرابو وهو جو وغيرهم من الذين خدموا بلادهم خدما عالية
وهم مثلهم فرنسويون ؟ يا عجباً للحاسدين !! قل لهم يا أخي
ان الحسد نار لا تلوى على ماتلف وليحرصوا على قلوبهم
أن تحرقها النار فالوطن أولى وأجدر بقلوب تعبت بها هذه
الصفات . قل لهم عسى أن تحمد تلك النيران الملهبة . ان هذا
الذي يخدم ويناضل في باريس انما يخدم مصر ويناضل عن
المصريين وأولئك قوم مصريون . قل لهم ذلك عسى أن يقووا
على كبح جماح نفوسهم ووضعها حيث وضعتها القدرة وانزالها
حيث أنزلتها الفطرة !!

قل لهم اننا في ظروف سيئة يلزمنا فيها أن نتكاتف
وتعاون على ما يشرف قدر وطننا وأمتنا . وانك بلا شك
توافقني على أن ذلك الحسد ضرب من ضروب الجمود وسببه

راجع الى قتل روح الحرية الصحيحة التي هي ألد وأشهر
ثمرة من ثمار العلم وانه يجب على أغنيائنا ان كانوا حقيقة
مصريين أن يفرسوا ما استطاعوا من أشجار العلم وقيموا
ما يقدرون على اقامته من دور المعارف لتخرج لنا أبناء كراما
لا تعرف الصغائر الى نفوسهم سبيلا . . .

ولقد علمت أن الانكليز بلغ بهم الغيظ مبلغه من هذه
الحركة التي تسوءهم طبعاً لانها تكشف الستار عن ظلمهم
واستبدادهم وارتهم وأنانيتهم ولكني لا أبالي غضبوا أو
رضوا . على أن جهدهم أنهم أوعزوا الى جرائدنا هنا وهناك
أن تسبني وأن تنكر على الامة المصرية بأسرها أن تكون
سارية فيها روح الوطنية

ولئن كانوا قد قالوا وأعادوا مرات عديدة أنني واحد
أعمل بمفردى بلا نصير من عواطف الامة ولا معين فليعلموا
أن الحزب الوطنى آخذ فى الانتشار وأنه سيكون حزبا سلميا
يعمل لانقاذ مصر بالوسائل السلمية المشروعة الشريفة الى
ان قال . . .

سألتني رأبي عن استقالتك من الجيش حالا ولكني
أرى ضرورة الانتظار ومتي حان الوقت أخبرك في الحال
لتقدمها وتعمل معي في هذا الصراط المستقيم
سأسافر بعد غد الى فيينا لأشربين رجال السياسة
آلامنا والله الموفق
مصطفى كامل «

١٨ يوليه سنة ٩٥



سافر المرحوم الي فيينا في ٢٠ يوليه وقد جرى بينه
وهو في القطار وبين سائح انكليزي كبير حديث أرسله
لجريدة المؤيد وقد نشرته في عددها الصادر يوم الاثنين ٥
اغسطس سنة ٩٥ وهذا نصه :



ما وراء السياسة

﴿ الانكليزية الحاضرة ﴾

« أسعدتني الفرص في سفري من باريس الى فيينا
بالاجتماع مع سائح انكليزي تلوح عليه لوائح الوقار
والاحترام تجاذبت معه الحديث طويلا بشأن السياسة
الانكليزية الحاضرة فوجدته واقفاً على دقائقها عالماً بحقائقها
يرى في احتلال مصر ضربة على النفوذ البريطاني واخلاقاً
يقواعد المملكة المؤسسة على احترام الشرف واعزاز تاج
المملكة الذي أقسم به سياسيو انكلترا عند ما وعدوا بالجلاء
عن وادي النيل . ويعتبر سياسة البقاء في مصر سياسة عوجاء
لا تؤدي الا الى تهيج العالمين ضد الدولة الانكليزية ولذا
رأيت ان أقدم للقراء الكرام خلاصة أقواله ومضمون آرائه
وأفكاره ليعلموا ان في انكلترا نفسها قوما يقبحون سياسة
شيعة الاحتلال ويودون لمصر خلاصها وحريتها ولا انكلترا
تحقيق وعودها وسلامة شرفها . فلقد قال لي هذا الشيخ

الحكيم ما معناه

« ان جنودنا لا بد من خروجهما من دياركم سواء كان ذلك بالقهر أو بالرضى وان تنبه أوروبا الى الاعمال التي تنسب الى بعض رجال السياسة منا يقيم في وجهنا العقبات والمشاكل في كل البلاد وفي كافة المسائل وكان خيراً لنا ان نصافحكم ونعاهدكم وتتخذ مصر حليفة افريقية نركن اليها والى سودانها عند الحاجة ولكن احتلالنا بلادكم هذا الاحتلال الذي مقتموه جعلكم خصماً لنا وأثار الخواطر ضدنا في مستعمراتنا نفسها وفي كل بلاد أوروبا

والامر الذي أتأسف عليه خصوصاً هو ما استعملته حكومتنا في غضون هذه الايام من القسوة والشدة في معاملة الدولة العلية فلقد بدلت بسياستها الصفاء بالعداء وزادت حكومة جلالة السلطان تعلقاً بمسئلة مصر من حيث أرادت اغفالها عنها . ولم يكن يخطر على بال اللورد روزبري ورفقائه ان سياستهم مع الدولة وتعضيدهم الارمن يثيران عواطف السخط والغضب عند المسلمين ويملآن قلوبهم حقداً ضد

دولتنا الانكليزية . فلقد قامت جرائد الشرق عامة وجرائد الهند منها خاصة تقبح دفعة واحدة سياستنا وتدعو المسلمين الى النفور منا وزيادة التعلق بالدولة العلية والخلافة العثمانية ولكي تعلم مقدار تغيظ الهنود منا اقرأ هذه الجريدة - قال ذلك وناولني جريدة هندية - فقلت له اني لا أعرف الهندية فأخذها مني وقال هذه هي جريدة (شمس الاخبار) الصادرة في مدراس بتاريخ ٢٤ يونيو الماضي وفيها فصل مطول ضد الدولة البريطانية جاء فيه مأموداه « ان الانكليز يساعدون الارمن ضد الدولة العلية ويحدثون الاضطرابات في كل بقعة يحكمها المسلمون ولا يدرون ان أعمالهم هذه تقابل بالغضب والسخط من كافة المحمدين (وهم ليسوا بالعدد القليل)

فماذا يريد الانكليز من هذه الاعمال ؟ أريدون اقامة حرب دينية . ليقرلوا لنا ذلك علنا حتى نقوم ونملا الوديان والجبال من دمائنا ومن دمائهم ونزيل آثارهم من البلاد ونجاهد في سبيل الخلافة الاسلامية العالية المنار الى آخر

لحظة في حياتنا»

وبعد ان قرأ هذا الفصل الخطير استمر في حديثه قائلاً
« ولا شك ان ثورة أفكار المسلمين ضد حكومتنا ليس
بالامر الهين فانهم أقوياء اذا اجتمعوا وأقل ضرر يمس جلالة
السلطان (عبد الحميد) يجمع ولا محالة كلمتهم ويلم شعهم. على
ان السياسة التي أشبعها اللورد روزبري ليست فقط ضارة بنا
بل هي مناقضة كل المناقضة لتقاليدنا القديمة فلقد مضت
الدهور الطويلة ونحن أعز اصدقاء الدولة العلية وأجل نصرائها
فلما قال ذلك سأته وأى سياسة يجب على اللورد سالسبورى
اتباعها اذا أراد الحكمة وقصد مصافاة الدولة العلية والاسلام؟
فأجاب « هي السياسة التي تكون مؤداها حل المسئلة
الارمنية حلا يرضى الدولة العلية وجلاء الجنود الانكليزية
عن وادى النيل فان هذا الامر فضلا عن كونه يعيد الصفاء
بيننا وبين جلالة السلطان الاعظم مما نحن في حاجة اليه فإنه
يقوي نفوذنا في الشرق ويعلى كلمتنا. اما اذا أراد اللورد
سالسبورى اتباع خطة سلفه فما أضر هذه السياسة بدولتنا.

هذه السياسة التي يكون من أقل نتائجها قيام المسلمين ضدنا
في كل الاصقاع وخروج جنودنا من مصر بالرغم عنا وزيادة
نفوذ فرنسا في الشرق وتلقاء ذلك أضعاف نفوذنا واقلال
سلطتنا »

ومن يقرأ هذه الاقوال ويتدبر معانيها يرى أن نظرات
هذا الرجل الحكيم من الصواب بمكان وان ما رددته العقلاء
في المؤيد وفي غيره من الجرائد الصادقة بشأن اعوجاج سياسة
العداء ضد الدولة العلية لمن أحكم ما قاله سياسى ونطق به خبير
وللمصريين في هذه الاقوال الجليلة فائدة كبرى
استلقت أنظار مواطنى اليها وهى ان عقلاء الانكليز شعروا
بخطر احتلال مصر على دولتهم ولا ينقصهم غير معرفة
احساسات الامة المصرية وحقيقة آلامها وآمالها وحقائق
الامور حتى يقيموا القيامة على حكومتهم ويسألوها الجلاء
عن وادى النيل . فأجل عمل يأتيه المصريون اليوم هو نشر
الحقائق في أوروبا باكثر اللغات انتشاراً وخصوصاً باللغة
الانكليزية والفرنساوية حتى يتيسر لنا خدمة الوطن العزيز

الذى فى خدمته خدمة الحق وفى نصرته نصرة الفضيلة
والحقيقة مصطفى كامل

فينا فى ٢٦ يوليو سنة ٩٥

الاحتلال الانكليزى

﴿ والمصالح النمساوية ﴾

﴿ حديث مع جريدة الاكسترا بلاط بفينا ﴾

ما وصل « مصطفى كامل » الى مدينة فينا فى اواخر
شهر يوليو عام ١٨٩٥ حتى توافد اليه الكثيرون من رجال
السياسة وارباب الصحف يسألونه رأيه عن المسئلة المصرية
ويستفسرون منه عن حالة مصر وآمال المصريين . وقد نشرت
عنه وقتئذ جريدة « الاكسترا بلاط » الشهيرة — التى هى
فى البلاد النمساوية كجريدة « البتي جرنال » فى فرنسا لانها
جريدة الشعب المنتشرة بين جميع طبقاته — حديثا كان له
أعظم تأثير فى العالم السياسى وتناقضته الجرائد العديدة وفى

مقدمتها جريدة «الستاندار» الانكليزية لسان حال اللورد
سالسبوري . واليك ترجمة ماجاء في جريدة «الاكستر ابلاط»
المذكورة بعددها الصادر بتاريخ ٢٨ يوليو سنة ١٨٩٥

« ان في فيينا اليوم ضيفا كريما محترما هو « مصطفى
كامل » أحد كتاب مصر الفضلاء وهو شاب حديد الفكرة
بعيد النظر اشهر اسمه في وطنه وفي أوروبا وأخيرا وهو الآن
يجوس خلال القارة الاوروبية مطالبا باسم الوطنيين المصريين
بتحرير بلاده من ربة الاحتلال الانكليزي

وبديهى أن الامة التي ينسب لها هذا الكاتب الشرقى
قد استحقت بما استفادته من مدارس المدينة وبما لها من
الذكاء الفطرى النادر المثال أن تعد في مصاف الامم المتمدنة
فهي بذلك لا ترضى أن تكون تحت سيطرة حكومة أجنبية
تعمل في مصر كل ما تريد

ولقد اخلص المصريون في محبة أميرهم (عباس حلمي
باشا) اخلاصا فوق العادة وقدروا حرج مركزه حق قدره
وأظهروا أنهم غير راضين بالحالة الحاضرة وبوجود السلطة

الانكازية عليهم فوق سلطة خديوم . وفي كل يوم يزداد
بين المصريين احساس التألم والتأذى من وجود احتلال أجنبي
بين ظهر انهم ويحب المصريون من صميم أفئدتهم لو اهتمت
أوروبا كثيرا بشأن مصر وشعرت بالخطر الذي يهدد مصالح
كافة الدول اذا دام الاحتلال فيها

ولقد نزل مصطفى كامل في نزل متروبول وزاره أحد
محررى جريدتنا فاخبره الكاتب المصرى بأن أمته تنتظر
بصبر نافذ خلاصها وتحرير وطنها . ويقول انه من اوجب
الواجبات على النمسا أن تكون فى مقدمة الدول التى تهتم
بشأن مصر لما لها من المصالح التجارية والسياسية فيها حتى
صارت تريستا كأنها ميناء تشارك الاسكندرية فى الشفعة
وتلاصقها فى الجوار

وفضلا عن ذلك فان أمير مصر قد تربى فى فيينا على
مبادئ المدنية والانسانية (ومصر شاكرة لفيينا على ذلك)
ثم قال . وان أخطار الاحتلال هى واحدة بالنسبة
لكل الدول الاوربية اذ ليس الاحتلال الدائم الاضافة

مصر لا ملاك انكلترا وان حكومة النمسا والمجر التي أمضت
المعاهدات المتعلقة بمصر وضمنت المحافظة عليها لا بد لها أن
تقضى على بقاء انكلترا في بلاد القراعنة . ولماذا لا تحرر
أوروبا مصر وقد حررت بلغاريا وصربيا ؟ ألسنا معشر
المصريين كالبلغاريين والصريين في المدينة ؟ ان آلافا من
شباننا النبهاء الذين تثقفوا بالمعارف والعلوم ينتظرون
أشد الانتظار الساعة التي ترد فيها مصر الى نفسها حيث
يستطيعون خدمتها

وان الخطر الذي يهدد أوروبا من بقاء الانكايير في
مصر عظيم جدا والخسائر التي تلحقها من جرائه لا تحصر
ولا تقدر . فمصر هي مفتاح آسيا ومن ملك قنال السويس
ملك مكة وبيت المقدس ويستحيل أن يرضى المسلمون في
جميع اقطار العالم باستيلاء الدولة الانكاييرية على مدينتهم
المقدسة . ان ذلك اليوم يكون يوم قيام المسلمين في الارض
وهم نحو ثلاثمائة مليون من الأتقس . ويوم اعلان حرب دينية
تسيل فيها الدماء أكثر مما سالت في الحروب الصليبية

وان غاية انكثرا من امتلاك مصر هي الاستيلاء على
السودان واضعاف مصالح أوروبا في أفريقيا وأسيا حتى
تقوى مصالحها . ووظيفتها الآن في مصر اقفال المدارس
المصرية لتقليل عدد المتعلمين من الامة واستعمال الميزانية في
تكوين جيش من الموظفين الانكليز » اه



مانشر هذا الحديث حتى تناقلته الجرائد النمساوية الخطيرة
وغيرها وطيرته الشركات التلغرافية وقد أخذت الجرائد
الاحتلالية في مصر والانكليزية في انكثرا تشدد في حملتها
على المرحوم مظهره اندهاشها من حركته المستمرة في كل
ممالك أوروبا . ولكن هذا الاستياء ما كان يزيد الانشاطا
وعملا لانه يدل بأجلى بيان على ان العمل ناجح ولا يستاء
منك خصمك الا اذا تألم من عملك ولا شيء يؤلم الغاصب
مثل نشر مساويه واذاعة جنايته على الحق وأهله
وقد أرسل الى رحمه الله من فيينا كتابا قال فيه
« لقيت في هذه المدينة الزاهرة الزاهية كل حفاوة

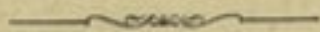
واني لمدين لمدير جريدة الاكسترا بلاط الذي كاتفنى في
خدمة بلادى بما اجراه أحد محرريه من الحديث معى وما
نشره على العالم من الآراء الصائبة مستحثا حكومته على
التدخل فى حل المسئلة المصرية

وسأعود الى باريس غداً لنشر رسالة مهمة على اخطار
الاحتلال الانكيزى وسأبعث بترجمتها لجرائدنا الوطنية
فاقرأها وادع لاختيك أن يكون خادما نافعا من خدام
الوطن الامناء
مصطفى كامل «

٦ اغسطس سنة ١٩٠٨



عادرجه الله الى باريس فى ٨ اغسطس ونشر كراسة
متضمنة اخطار الاحتلال الانكيزى وهى الرسالة التى شرح
فيها الاحوال شرحا وافيا وهذا تعريفها



اخطار الاحتلال الانكليزي

﴿ الاحتلال وما وراء الاحتلال ﴾

استهلال

ليس غرضي من كتابة هذه الرسالة استنفات الانظار الى مصائب أوطاني . وان كان هو الواجب الشريف الذي أؤديه باخلاص عظيم من صميم قلبي . بل غرضي هنا اظهار الاسباب المادية المشاهدة التي تجعل أولئك السياسيين الذين لم تستفزهم للآن بواعث الشعائر والاحساسات أنصارا لتحرير مصر لان الموافقة على تقويض أركان هذا البلد بالسلطة الانكليزية لا تعتبر فقط انتهاكاً لحرمة حقوق أمة محبة للمدينة جدية بكل عناية بل هي أيضاً ايقاد لنار الحرب في العالم أجمع

وما قصدت في كتابة هذه النبذة الا التكلم عن مسائل عامة . أما المسائل الخاصة كفوائد حاملي القراطيس المصرية التي يهددها الاحتلال الانكليزي أعظم تهديد ومقام أوروبا

في الشرق الذي يضعه الآن وجود الانكليز في مصر
ويقضى عليه اذا دام احتلالهم لبلادنا فسوف فيها شرحا في
المباحث اخرى

ويعلم القارىء مما أبينه هنا حقيقة ما يعتقد المصربون
بالنسبة لحالة بلادهم والآراء التي يشاركون فيها كل أبناء
وطنى الدالة على اننا عالمون بأن وضع بلادنا الجغرافي يقضى
علينا باكرام كل الاوربيين النازلين عندنا ومعتقدون أن لا
وجود لمصر بغير أوروبا ولذلك فاننا بطلبنا جلاء الانكليز
عن وادى النيل وبيدل مساعينا لنوال تحرير بلادنا لا نريد
شيئا آخر غير تحقيق سعادتها وتقدمها ولا نطلب غير السلام
في أوروبا والمحافظة على حقوقها وامتيازاتها التي قررتها
المعاهدات الدولية

أما مبدؤنا فيكون دائما « أحرار في بلادنا كرماء
لضيوفنا »

واننا نتحمل كل مشقة ونضحى كل ما يضحى في سبيل
ترويج أعمالنا بالفلاح الاخير ونصرة الحق وتحرير مصر

الموضوع

(١) لما كانت مصر لا تقوم بسداد نصف دينها اذا بيعت في مزاد عمومي كان من المستغرب عند بعض الناس اهتمام فرنسا وغيرها من الدول الكبرى بأمر تحريرها من النير الانكليزي

على أن أولئك المتعجبين الجاهلين بحقيقة المسئلة المصرية لم يلتفتوا الى أن محصولات مصر ليست هي داعى اشتغال العالم بامرها بل ان وضع وادينا الجغرافى هو السبب الحقيقى لكل ذلك. ومن الجلى الواضح أن الدولة التى تستولى استيلاء تاما على وادى النيل تصير بذلك ملكة أفريقية. هذه الارض العذراء التى أصبحت مطمحا لانظار كافة الدول التجارية. ولا بد أن يكون من نتائج استيلائها على مصر وضع يدها على الشام وبيت المقدس. ذلك الحرم الذى تعزه الامم بأسرها والذى سبب فى الماضى حروبا امتلأت منها البحار والوديان دماء مدة قرون فانتجت اضطرابا واختلالا فى أحوال الامم التى كان لها شأن فى تلك الحروب

وبامتلاك ثغور السويس والقصير وسواكن تصير
الدولة المالكة لمصر سيادة لا خلاف في سيادتها على البحر
الاحمر فتهدد مدينة جدة تهديداً مستمراً من حيث كونها
ثغراً ليس فيه من القوة الدفاعية ما يحفظه . ويكون من
السهل اذ ذاك أخذ الكعبة المقدسة بكل المدافع الحديثة
الطراز التي تخترق الفضاء على خط مستقيم
فمن يتدبر هذه النتائج وبضيف اليها أن قناة السويس
هو جزء من مصر وانه طريق الهند والصين واستراليا يعلم
داعى اهتمام الدول بامر مصر واعتبارها المسئلة المصرية
مسئلة اساسية

وعليه فان مصر بجوارها لمكة وبيت المقدس وباشتمالها
على قناة السويس صارت مركزاً للعالم كله
وان من الاسباب المهمة التي دفعت انكلترا الى احتلال
بلادنا طمعها في الاستيلاء على السودان رغبة في الاستئثار
بكل تجارة وادي النيل
ولما كان النيل أحسن السبل الموصلة الى أجمل بلاد

أفريقية كان من الضروري بقاؤه حرا . اذ لو فرضنا أن
السياسة الانكليزية تقهر قوة السودانين فان استيلاء
الانكليز على الخرطوم يكون مضرا جدا بتجارة أوروبا في
أفريقية الوسطى وهي الوادي الخصب المأهول بالسكان والذي
لا يزال مؤصدا الكنوز . والذي هو بسبب ثروته مطمح
أنظار الدول

فاذا استولت انكلترا على الخرطوم كانت ثروة ذلك
الوادي الرحب لها وحدها غير تاركة للدول الاخرى الا
مشاهدة آثار تقدمها الاستعماري العظيم

وفي الواقع ان استيلاء فرنسا على الجزائر وتونس لم
يضر قط بالتجارة العامة للدول الاخرى كما ان المانيا وبلجيكا
والبرتغال لم تستول وحدها على تجارة البقاع السوداء لان
أملاك هذه البلاد مقطوعة عن الداخل بصحار ومهامه فقرة
بخلاف انكلترا فانها اذا استولت على مصر « التي يكون من
نتائج الاستيلاء عليها الاستيلاء على وادي النيل كله » تمتد
سلطانها من الاسكندرية الى رأس عشم الخير وتضع يدها

على كل مصادر الثروة الداخلية الافريقية . فكان أوروبا لم
تخرب الأمم السوداء الا لفائدة الانكايز الدهاة . وان في
ذلك اليوم الذي تمتد فيه سلطة الانكايز من الاسكندرية
الى رأس عشم الخير يذهب نغار « سيسل رود » بانوار مجد
« وارن هاستنج » مستعمر الهند حيث يكون أثر هذا الفاتح
الجديد أعظم قدرا واكبر في التاريخ ذكرا من أثر ذلك
المستعمر الهندي

ولا يقبل العقل ان أوروبا تغفر لرجال سياستها حدوث
خطر اقتصادي مثل هذا . فان كان انكايز أوجنده يستلمون
تجارتهم الآتية من الخارج بواسطة طريق النيل البديع ففرنسا
محتاجة لصرف الملايين لتحقيق أمنية السكة الحديدية التي
تود انشاءها في الصحراء . وعند ما يجد انكايز منشستر
وبرمنجهام طريق النيجر والكونغو حرة أمامهم لتوصيل تجارتهم
الى سكان افريقية الغربية ويجد انكايز الهند طريق زنجبار
وانكايز أستراليا طريق زامبيز ليلغوا بحيرة طانجانیکا . يجد
الالمانيون وزملاؤهم الفرنسيون والروسيون والنمساويون

والإيطاليون الآتون من البوسفور وسلافيك وتريستا
وبرندزي ومرسيليا عمال الجمر ك الانكايزا الواقفين في دمياط
والاسكندرية قد أقفلوا في وجوههم الطريق الوحيد الصالح
لهم أعنى به طريق النيل

ومن جهة أخرى فان مسألة امتلاك البحر الأبيض
المتوسط اعتبرت دائما مسألة ذات أهمية عظمى مما حمل كل
دولة على أن تبحث لنفسها عن فرجة من شواطئه لتطل منها
عليه حتى تضايقت اسبانيا من وجود الانكايزا في جبل طارق
وتكدت فرنسا من احتلالهم لمالطه . ولكن قبرص ومصر
خصوصا تزيدان كثيرا من نفوذ الانكايزا في البحر الأبيض
مما يضر على الاخص بالدولة العلية والروسية . وان هذه
الاخيرة تؤمل أن يرخص لها الباب العالي بالمرور من
الدردانيل حتى يكون لها في البحر الأبيض المتوسط تمام
حريتها وتبلغ بسهولة بلاد الشرق الاقصى فهي من أجل
ذلك تكره مراقبة انكايزا لها . والدولة العلية من جهة أخرى
صارت تخشى كثيرا على طرابلس الغرب التي باتت نقطة

الاتصال بينها وبين الممالك الاسلامية في السودان . وأما
الفرنساويون فان فوائدهم على شواطئ الجزائر وروابطهم
الدينية مع فلسطين عظيمة جدا . ويؤثر عليهم كثيرا ازدياد
تقوؤ دولة قوية مبارية لهم في بحر لها فيه الآن أعظم السلطة
(٢) اذا وجهنا الآن أنظارنا الى آسيا رأينا مصر على
طريقين هما أهم طرق العالم . طريق البحر الموصل من أوروبا
الى الشرق الاقصى وطريق البر الذي يربط الخرطوم بالاستانة
والخليج العجمي عند ما اتصل يافا بالاسماعيلية بواسطة سكة
حديدية

فامتلاك انكلترا لمصر يكون اذا عبارة عن امتلاكها
حرية التصرف كما يشاء هو اها في علائق الدول السياسية
والتجارية والمعنوية . وأى حكومة ترى ذلك ولا تضع حداً
للاحتلال ؟ . أى حكومة ترضى اهمال أمر عظيم كهذا وتستطيع
أن تتحمل مسؤوليته ؟

ان امتلاك قنال السويس في وسط الطريق الدولي
البحرى الكبير في بلد عظيمة الثروة مثل مصر يهدد مباشرة

أملاك فرنسا والمانيا وهولانده واسبانيا
ويكفي حين ذلك أن هذه الدول تتظاهر بالعداء لانكلترا
بسبب أى خلاف لتضيع الملايين التى صرفتها والضحايا التى
ضحتها فى سبيل الاستعمار هباء منثورا وتبيت مستعمراتها
ككندا والهند فريسة لانكلترا السعيدة الطالع الماهرة !
فاى رجال سياسة فى أوروبا يرون هذا الخطر العظيم بدون
أن يهتموا به ويتحملوا مسؤولية نتائجه
أما حرية قنال السويس فلها فى أعين المسلمين أهمية
عظمى لان ضياعه يحول البحر الاحمر الى بحيرة انكليزية .
فيكون من الممكن وقتئذ تعطيل أداء فريضة الحج واقفال
طريقه اذا دعت الحاجة بحشد الجنود الانكليزية فى بريم
وسواكن والقصير والسويس كما يفتقلونه الآن على السودانين
وان الانسان ليستولى عليه الحزن عند ما يفتكر فى نتيجة
هذا الامر وينظر الى هذا البحر العثماني الذى يصير اذا
ملكه انكلترا مصر ميدانا لسفن جلالة الملكة وهو اليوم
ملتقى للبوسنيين والمراكشيين والروسيين والجراسكة

والجزائريين والتونسيين والصينيين والهنود والعرب والجاويين
والزنجباريين وبقية الامم الاسلامية فليس استيلاء الانكايز
على مصر شيئاً آخر اذا سوى استعباد انكايتر الامم الاسلام
كلها !!!

ذلك كله غير الخطر الذي يهدد « جده » و « مكة »

متى رسخت قدم الانكايز في الخليج العربي

فان امتلاك جده بعد امتلاك « بريم » يجعل بلاد

العرب الجنوبية وخصوصاً بلاد اليمن في حالة تشبه حالة

البلاد التي بعد سواكن متى احتلها الانكايز

والناس كافة يفهمون ماذا يكون مال الدولة العلية في اليوم

الذي تخرج فيه جده من دائرة سلطتها. فان هذا الامر الذي يظهر

مستحيل الحصول مادام البحر الاحمر معتبرا بحيرة عثمانية يصبح

حقيقة جليلة عقب وقوع أى خلاف بين الاتراك والانكايز

وقليل من السفن الانكايزية يكفي يومئذ للاستيلاء على ميناء

جده التي لا تحرز القوة الدفاعية الكافية. وعندئذ يعلم

فلاسفة السياسة الشرقية ورجال الفنون العسكرية الذين

عكفوا على عدم الخروج من ديارهم ان الكعبة التي كانت
من عهد « ابراهيم عليه السلام » ابي الانبياء والرسول المبارك
في مأمن أصبحت على خطر

ومن البديهي انه لو كانت انكلترا صديقة للدولة العلية
ومن الدول الراغبة في المحافظة على استقلال أراضيها لا يتصور
وقوع حادثة كهذه . ولكن رجال السياسة الانكليزية ظهروا
في هذا العهد الاخير بمظهر العدو الالد للدولة العلية فهددوها
تهديداً عظيماً ولا يبعد أن يقوم بين الدولتين خصام عنيف
كما لو أعلنت انكلترا حمايتها على وادي النيل وعندئذ لا يمنع
الانكليز موانع من تحصين ثغور البحر الاحمر وعند أول
فرصة تسير سفينة من سواكن أو القصير أو من أي شاطئ
من الشواطئ المصرية الى « جده » . والفرصة لمثل ذلك
سهلة فتكون اذا قتل أحد المالطين في جده مثلاً كما تكون
لو قام من الرعاع من يدعي الخلافة . لان انكلترا بما تدعيه
لنفسها عندئذ من حقوق الجوار تتداخل لتوطيد الامن العام
والسلام في الحجاز

ومن ذلك كله يرى انه من المستحيل رضى الدولة العلية
باحتيال شواطىء البحر الاحمر المصرية . والا فماذا يكون
شأن العالم الاسلامى اذا ضاعت منه مكة وقد قام دفعة واحدة
فازعج الامم طرا بما ضاع منه بيت المقدس ؟ ولا جرم أن
ضياح « مكة » يدمى مقلة المسلم الواحد ويؤلمه آلاماً شديدة
فكيف والمعورة مسكونة بثلاثمائة مليون من المسلمين .
لابد أن يحسب لهم حساب ؟

(٣) . ان أول نتيجة من نتائج اتصال السكك الحديدية
المصرية بسكك الشام وضع هذه البلاد تحت سلطة الانكاز
متى استولوا على مصر . اذ ليس يخاف على أحد أنه من زمن
القرعنة الاول والخلفاء الراشدين الى الآن يرى من يستولى
على مصر مستولياً على الشام لاسباب سياسية وحرية لا حاجة
لذكرها هنا . فاما أن يكون حاكم الشام حاكماً على مصر كما
هي الحالة الحاضرة واما ان يستولى حاكم مصر اذا أحس
من نفسه بالقوة على الشام كما حصل ذلك لحكام مصر في
أدوار عديدة . وان تجريدة (بونابرت) و (محمد على) وقت

استحكام الشقاق بينه وبين الباب العالي لمن أقرب الأدلة على
صدق هذه القضية التاريخية . ومن المستحيل أن تكون
انكلترا المضروبة بطمعها الامثال أقل حبا للفتوح من بونابرت ؛
وحينئذ تكون النتيجة من وراء ذلك انطموح سقوط بيت
المقدس تحت السلطة البروتستانية ! وهي نتيجة لانعرف
كيف يقابلها الكاثوليكيون والارثوذكسيون في العالم أجمع .
ولا يخفى ان سبب حرب القريم بين دولتين من شأنهما
الاتحاد كفرنسا والروسيا كان هو الشقاق القائم بين
الكاثوليك والارثوذكس في فلسطين . فماذا يكون الامر
عند ما ترفع انكلترا البروتستانية رايتها على « أورشليم » ؟

وعلى فرض ان البابا والتميزر يقبلان هذا الامر فماذا
يقول المسلمون الذين علي ما كان بينهم من التفرق والشقاق
دافعوا عن هذا الحرم الشريف في وقت الحروب الصليبية
وقاوموا النصرانية المتحدة ؟

وبماذا تجيب عندئذ الامم الاسلامية الحكومة العثمانية
التي بسكوتها وخضوعها امام مطالب جيش (ولسلي) جعلت

وقوع هذه الحادثة السيئة بالنسبة لكل الامم من الممكنات
على ان في استيلاء الانكليز على (اورشليم) أمرا آخر
هو من الاهمية بمكان . ألا وهو فصل الحجاز عن الدولة
العلية . فتصير الدولة بعدئذ كاحدى الامارات التى لاتتجاوز
أهميتها أهمية بلغاريا الحالية . وان خطارة هذا الامر تظهر
لأنكر من أول وهلة . فليست ثروة الشرق الاقصى وكنوز
افريقية شيئا يذكر بالنسبة لجوار اورشليم

وان الطريق بين يافا والاسماعيلية الذى يوصل بسكة
حديدية من الخرطوم الى الاستانة ومن شمال افريقية الى
الخليج العربى وآسيا الصغرى يكون بطبعه ذا فائدة جلية
لانكثرا مما يحسها على توجيهه مطاعم نحو الشام .
ووجود الدروز والارمن في فلسطين مع ما هو معلوم من
ميلهم للدولة الانكليزية . وكثير منهم آلات لها مما يسهل
بعد ذلك امتلاكها فلسطين . وفضلا عن ذلك فان التجانس
الموجود بين السوريين والحجازيين والمصريين يدعومهم عند
تفرقهم للاجتماع تحت حكم حكومة واحدة

ولقد أثبتت الحروب الصليبية أعظم اثبات ان أورشليم
لا يمكن أن تملكها دولة غير الدولة الاسلامية اذ بها وحدها
يوجد التوازن فيها بين كل المذاهب وكافة الديانات التي تتنازع
وطن أنبياء بنى اسرائيل وهيكل سليمان . وبقاؤها لدي الدولة
الاسلامية خير كفيل لذلك التوازن الذي نراه الآن . وان
ضياع أورشليم من يد الدولة العلية الذي هو في الحقيقة ضياع
هذه الدولة نفسها يكون مصيبة عظمى على المدينة وعنوان
حروب هائلة بين كل الامم المعتنقة لديانات مختلفة حيث
لا تستطيع واحدة منها دون الاخرى امتلاك ذلك الحرم
المقدس والمحافظة عليه

ومن نتائج سقوط الخلافة الاسلامية فتح باب وراثه
القسطنطينية وهو الباب الذي اذا فتح اندفع تيار القلاقل
والاضطرابات والارتباك منه حيث يصبح العالم ولا وسيط
بين الامم الاسلامية والامم المسيحية

ولقد احتاج العثمانيون الى زمن طويل حتى استطاعوا
أن ينخرطوا في سلك الامم الاوروبية مع المحافظة على ما لهم

من السلطة والنفوذ المعنوي على الامم الاسلامية
لذلك كان الفكر يضرب أشد الاضطراب كلما تخيل
التأرجح الهائلة التي ينتجها ضياع الدولة العثمانية اذ ليس ضياعها
الا الرجوع الى حالة الهمجية حيث تفقد المعاهدات معناها
وتصبح بغير عمل يوم تخرج الخلافة الاسلامية من الدائرة
الاوربية .

ومن كل ما ذكرنا يتضح جلياً ان احتلال انكلترا لمصر
خطر عظيم على العالم بأسره وان السياسيين الذين يعملون
لاجلاء الانكليز عن وادي النيل لا يؤدون فقط الواجب
الذي تفرضه عليهم عدالة أوروبا وشرفها بل يعملون أيضاً
للسلام العام ولاتحاد النصرانية مع الاسلام . وبالجملة يعملون
لنصرة المدنية الغربية والسلام

مصطفى كامل

ماشرت هذه الرسالة حتى طيرت ملخصها التلغرافات
العمومية وعلقت عليها الجرائد على اختلاف مشاربها . وقد
قالت جريدة النوفيا فريميا الروسية في هذا الصدد ما تعريبه :
« ان المصريين ابتدءوا يشعرون بوطأة الاحتلال
الانكائزى فأخذوا يشرحون قضيته أمام أوروبا وقد اختار
النائب عنهم (مصطفى كامل) باريس مركزا لاعماله التي
ظهرت بوادرها منذ قدم العريضة والصورة لمجلس النواب
الفرنساوى مستنجدا بالحكومة الفرنسية للتدخل فى حل
المسئلة المصرية مذكرا حكومة جلالة الملكة بالوعود والعهود
التي فاه بها سواس الانكائز .

ونحن نصرح بأنه قد آن الا وان للنظر فى هذه المسئلة
الكبرى بعين دولية يكون أساس البحث فيها تلك العهود
التي أخذتها انكائز على نفسها أمام أوروبا والتي من شأنها
اجبار انكائز على احترامها

وليس لنا ان نشرح هنا ما سبق لنا شرحه وشرحه
(مصطفى كامل) فى رسالته الاخيرة التي عنوانها « أخطار

الاحتلال الانكليزي» والتي تلخصها في «أن من يملك
مصر ملك قنال السويس» وفي ذلك أكبر خطر على العالم
المتمدن ذي المصالح التي لا يستهان بها في الشرق كله» اه
هذا مقالته احدي الجرائد الروسية المنصفة مما يصح
أن يؤخذ نموذجاً لكتابة سائر الجرائد التي تتوخى الانصاف
فيما تكتب وبمثل هذه الخطة العادلة يتأيد الحق ودعائه
ويخذل الباطل وغواته

أما ما يكتبه الانكليز وأشيع الانكليز وأذئاب
الانكليز في مثل هذا الشأن فان وجدان كل قارىء يحدته
به بلا مرأء - ترى ما تقول جريدة انكليزية وهي تسمع أن
المترجم اختار باريس مركزاً لأعماله الوطنية ضد أبناء التيمس
وكشفاً للستار عن أعمالهم على ضفاف النيل وبيانا لما للاحتلال
من المساوىء والمضار؟ ألا ينتظر منها أن تفرغ مجهوداتها
في الطعن على كل حركة تضاد مصلحة قومها وتفضل على
القائم بهذا الجهاد العظيم بما تشاء من ألفاظ التسوئة
والتجريح??

ثم ماذا ينتظر من جريدة تخدم مصلحة الانكليز وتسبح
بحمد الانكليز وترى الكمال كله ممثلا في الشخص
الانكليزي الا أن تحمل على الوطنى العامل حملة منكرة
وتشن عليه غارة شعواء وتكتب له بكل لفظ من ألقاظ
السياب ??

لقد تلقت جرائد العالم التى وصل اليها صدى هذه
الحركة مساعى فقيدنا بالتشجيع والترحيب خلا ذينك
الصفين صنف الجرائد الانكليزية والجرائد الاحتلالية .
فان هذه الجرائد - ونعنى القسم الثانى منها - قد استقبلت
هذا العمل استقبال الحائق المتألم الذى لا يجد برهانا يحاج به
خصمه غير الثلب والسب وما شا كل . وقد ترقت هذه
المررة فى مطاعنها بابتكار طريقة لا تطفىء لهم نارا ولا تأخذ
لهم نارا فادعت . وشر البلية ما يضحك . ان هذه الرسالة رسالة
« أخطار الاحتلال الانكليزى » ليست من قلم الفقيد ولا من
بنات أفكاره وأن الذى كتبها رجل آخر . وهذه المراوغة
تدل على مبلغ ما عندهم من الغيظ والحق لطف الله بهم .

واز دعوى كهذه لاتدحض حجة ولا تقيم دليلا ولو كانوا
يناقشون بعقل وروية لاستراح معهم مناظروهم ولكن
الغرض يسدل على العقل حجابا كشيئا ويجعل الروية أثرا بعد
عين ان كان لها عندهم وجود من قبل

على أن أمثال هذه السفاسف مما لا يعتد به كثيرا .
وقد أحسنت الجرائد الوطنية . اذ قابلت تخرض الجرائد
الاحتلالية بالتحقير والازدراء وأصلتها نارا حامية من
البراهين الدامغة والحجج الساطعة وفندت دعواها حتى
أخرستها وألزمها الحججة

وقد كان المصريون يقرءون تلك الخزعبلات الموحى بها
من المقربين الى الوكالة أو التي تنزل على تلك الجرائد مباشرة
وهم يسخرون من قوم ينكرون على مسلايين من البشر أن
ينبغ منهم نابغ يثل عرش الظلم ويجاهر بمقاومة الظالمين
ويستكبرون على مصر أن يظهر تحت سمائها رجل يؤتى من
قوة اليقين والجنان والبرهان ما يبين به للعالم أجمع أن في مصر
أمة تئن من ثقل وطأة الاحتلال ولا ترى الا الشقاء في

وجود المحتلين

فكان هؤلاء الناس الذين لازمة لهم ولا انصاف
بهم يرون أن مصر - هذا البلد الذي له من المجد التاريخي
مالا يدانيه فيه بلد في العالم - قد ابتليت بالعمق فهي لا تخرج
نجيباً واحداً وأن طبيعة المصريين ليست كطبائع سائر الأمم
المهذبة وأنه قد كتب على هذا القطر أن يبقى رازحاً تحت
أثقال الاحتلال الى أجل غير مسمى فما أجراءهم على الكذب
والبهتان !

ولكن بجانب هذه الخزعبلات - بجانب تلك الترهات -
بجانب هذه الاكاذيب كانت في نفس الفقيه فطرة تجعلها
طرازاً وحدها وكان في قلبه من نور العناية العالية وعن
يمينه وعن شماله من رسائل التشجيع المملوءة حناناً وعظماً من
المصريين ما هو خليق به أن يزيد عزيمته في جهاده ان كان
تمة محل للمزيد

فقد كان كالقائد الذي شعاره في الحرب « الى الامام .
الى الامام » لا يلوى على شيء من سفاسف المبطلين ومن كان

مخلصا في خدمة وطنه أمينا على كرامة بلاده لا يزداد كلما حمي
الوطيس الا شجاعة واقداما واذا لم يكفه في المعترك حسامه
استل بجانبه من عزمه الصادق حساما

ولذلك كلما قرأ كلمة لخصم أو سمع كلمة عن حاسد مر
بها مر الكرام على اللغو متأدبا بأدب القرآن الشريف
وازدادت حميته وقويت على القوة عزيمته لانه عالم بأن عمله
مثمر وأن الخصم لا يسب ولا يهيب الا هربا من وجه الدليل
لان الظلمة لا تثبت أمام النور وأن ما يكيد به أولئك الخصوم
برهان على تفردهم في الوفاء بما عليهم لمستأجريهم من الوعود
والعهود. ولو كان الانجائز يحرصون على البر بمواثيقهم لمصر
بر هؤلاء المأجورين للاحتلال لأصبح المصريون وقد رد
اليهم الملك المسلوب والحق المغصوب

تري بالذي يدفع جرائم الاحتلال الى الصياح في وجه
كل وطني عامل ??

ليست المسألة سرا فيحزر القاريء ما عسى أن يكون
السرا. ولا هي معضلة تختلف في حلها آراء الباحثين. ولا

أمراً غير عادي فيحتمل كثرة التفسير والتأويل وإنما هي
مسألة واضحة لا يحتاج حلها إلى عناء

إن الغاصب متى غصب حقاً خشي قوة الحق وإن لم يتظاهر
بذلك . وسنته في كل زمان ومكان أن يستأجر قومًا لا كرامة
لهم فينفت اليهم ما يشاء ويبقي اليهم أغراضه فيروجوها بكل
سبيل . وهم الواحد منهم كلما شجر الجدال بين الوطنية المصرية
والاحتلال أن يخرج من الميدان بكلمة ولو كانت هذه
الكلمة حجة عليه لا له . ولذلك ترى هؤلاء الاحتلايين كلما
نزلوا إلى الميدان مخذولين لا يفتح عليهم شيء خلا ما يفيضونه
اعتباطاً من السخائم والشتائم

وجدير بكل مصريّ يخدم الحقيقة وينصر الحق أن
يعرض عن هؤلاء السفهاء ولا يعتد بهم فإن الاصغاء إلى
ترهاتهم من أجل ما يتمنونه كي تطول المسافة على العامل .
وكم في هذا العالم من أقوام لا هم لهم إلا بطن يملأ وجيب
يحفل بالمال ومظهر يرفعهم في عين من لا يعرفون معدن
نفوسهم وهؤلاء هم شرار الخلق الذين ما تفتظهم الدنيا إلا

لكي يظهر جلال الحق أمام خزي الباطل وبضدها تميز
الأشياء

فلنترك هذه الشذمة من الناس ونسر في طريقنا غير
ملتفتين إلى الوراء ولنعذرهم قليلا فهم قوم باعوا ذمتهم بثمن بخس
وتعبدوا للاحتلال فهو عندهم الدنيا والآخرة والهناء والسعادة
ولا كرامة في الدنيا لما جور ولله في خلقه شؤون



واننا لانعلق على تلك الرسالة بكلمة من عندنا وانما
نعقب عليها بما نشرته الكاتبة الطائفة الصيت في عالم السياسة
وهي مدام جوليت آدم فقد كتبت اذ ذاك في جريدة «البتى
مرسيليه» الفرنسية الشهيرة مقالة من ابلغ وأصدق ما كتبتة
الاقلام وهي أحسن ما يقال تقريرا للحقيقة لارداً على ترهات
أولئك المبطلين الذين ضل سعيهم وباءوا بخسران ميين
وهذا تعريب المقالة المشار اليها وقد نشرتها الجريدة
في عددها الصادر بتاريخ ١٧ سبتمبر سنة ١٨٩٥ : قالت
« ان هذا العنوان « اخطار الاحتلال الانكازي » علم

علي نبذة صغيرة الحجم لا يتجاوز عدد صفحاتها الاثني عشر
كتبها مصري « وطني » يحب بلاده حباً شديداً وقد جاء
ليدافع عنها اذ رأها فريسة أغراض الاجنبي وأودع هذه الرسالة
كل ما ينتجه الفكر السليم والتبصر القائم على أدلة وحجج
تفهم الذين جعلوا العمى مذهباً لهم أو تنير ما أشكل عليهم
والعنوان الثاني لهذه النشرة الصغيرة الحجم الكبيرة
الاهمية هو « نتائج الاحتلال الانكليزي لمصر » وهو لا يعدو
على شيء من المواضيع الا ويوفيه حقه بل وزيادة لان اظهار
حقائق كبيرة مثل التي أظهرها كاتب هذه الرسالة لم
يأت أبداً في عبارة مختصرة وألفاظ قليلة مثل ما أتى فيها
واني قرأت منذ واقعة التل الكبير كل ما كتب على
مصر في انكلترا وفرنسا ومصر نفسها فلم أرقط المسئلة
المصرية موضوعة أحسن من هذا الوضع ولا مستتجة
تناجحاً أحسن من هذا الاستنتاج ولا مرتبة أجمل من هذا
الترتيب ولا مبسوطه بتعقل وتدبر مثل ما بسطت في هذه
الرسالة التي نحن بصددتها

وقد بين لنا كاتبها « مصطفى كامل » في مقدمتها الصغيرة التي لا تزيد عن صحيفة واحدة ان ترك مصر تحت يد السلطة الانكليزية يدك معالمها ويهدم بنيانها وليس هذا يعد انتهاكا لحرمته كل حق وجناية على مقام الامم تجنيها أوروبا على أمة محبة للمدنية جديرة بالرعاية فقط بل هو أيضا إيقاد لنار حرب هائلة لانهاية لها ويكون شوبوها في العالم أجمع كما أثبتته لنا الكاتب وهو يقول ان المصريين يعلمون ان وضع بلادهم الجغرافي يقضى عليهم بالآبعادوا الاوروبيين النازلين عندهم وانهم يفهمون جيدا ان مصر لا تكون لها بغير أوروبا ولذا كان مبدأ المصريين « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا »

وانه (أي مصطفى كامل) يعلم جيدا ان الدفاع عن مصر ضد الانكليز ليس لثروتها بل لمركزها الجغرافي الذي يهتم العالم أجمع أمره فان الدولة التي تحكم وادي النيل تصير الموزعة لكنوز افريقية على غيرها حيث تستطيع ان تحتكر تجارتها لنفسها ضد مصلحة أي أمة أخرى

وان مياه النيل القوية الخصبية الجارية في أغنى البقاع
الافريقية متى صار النيل انكازيا عظمت المملكة الافريقية
الانكازية شيئاً فشيئاً ووقفت الامم الاخرى موقف التأخر
تشاهد تقدم انكازيا التي تصبح يومئذ مفترسة للتقدم
الاستعماري العظيم

ومتى ملكت انكازيا النيل ملكت كل الاراضي التي
يمر منها أو تجاوره. واذا أصبح قنال السويس في قبضة بريطانيا
العظمى فهل يتصور ان طريق الهند والصين واستراليا يبقى
حرّاً؟ كلا ثم كلا

وان أعين الانكازيز ترمق الآن الشام ومكة وبيت
المقدس وتحدق بها. وانه ينبغي على كل انسان ان يقرأ ما بين
أسطر الكتابات التي تنشرها جرائد لوندرد عن الشام وأرمينية
وجده ليتحقق من مرامي مطامع الانكازيز في الشرق. وهاهي
السرعة الغربية التي أظهرتها المراكب الانكازية في الذهاب
الى جده لنصرة جرحى حادثتها الاخيرة تبين لنا مقدار قلق
الانكازيز ومقدار طموح أميالها الى أخذ جده

وكل يعلم ماذا يكون أمر الدولة العلية اذا لم تكن جده
تابعة لها بل تابعة لمصر الانكليزية

ومن البديهي ان أخذ جده سهل لمن يستولى على مصر
واحداث اضطراب فيها أمر يعد ابن الصناعة والذين نالوا
الانتصار في واقعة التل الكبير هم أول أساتذة العالم في معرفة
وسائل تحريك الاحساسات الدينية أو الاهلية التي يأخذونها
حجة لازالة آثارها واضرارها

وان من يرمى الى جده يرمى الى مكة ولكن هل
الثلاثمائة مليون من المسلمين يرضون بأن تنزع مفاتيح الكعبة
الشريفة من يد الخلافة ويصبح الحجر الاسود تحت رحمة
الحماية الانكليزية

ومتى صار الانكليز سادة مصر صاروا ثانی يوم سادة
بيت المقدس وكم سبب الطموح الى الاماكن المقدسة
حروبا لانهاية لها. أليس المسلمون وحدهم هم القادرون
اليوم على حفظ التوازن بين الديانات والمذاهب فاذا
امتلكت انكلترا البروتستانتية بيت المقدس أمحدنا جميعا

بالطبع من كاثوليكيين وارتوذكسيين مع المسلمين لمطالبتها به
وأما من حيث الوجة السياسية والاقتصادية . فهل لم
يكن جبل طارق ومالطة وقبرص ومصر عبارة عن البحر
الايض المحتكر . أو ليس امتلاك انكلترا لابواب السويس
والقصر وسواكن جعل البحر الاحمر بحيرة انكليزية
بل لننظر الآن الى آسيا كما يقول لنا ذلك الشاب
المصرى نشاهد مصر على أم طريق العالم كله طريق البحر
الذى يوصل من أوروبا الى الشرق الاقصى وطريق البر
الذى عندما تتصل يافا بالاسماعيلية يوصل ما بين الخرطوم
والاستانة والخليج العجمى ومتى استولى الانكليز على مصر
أضر الاستيلاء كما يشاء هواه على علائق كل الامم التجارية
والسياسية والادبية

فأى حكومة أوروبية تستطيع حمل مسئولية تعريض
بلادها الى مثل هذا الخطر ؟ . أيتصور العقل ان فرنسا
والمانيا وهولانده واسبانيا تستطيع عدم الاهتمام بمستعراتها
وترك طريق السويس البحرى الدولى لانكلترا وحدها

أقبل الامم الاوروبية أن ترى يوماً ما انكرا ناشرة لواء
سيادتها على ما بين الاسكندرية ورأس عشم الخير
هل حارب الاوروبيون السودانين للمنفعة الوحيدة

لصناع بير منجهام ومنشستر

هل من الممكن ان ترى في وقت ما انكيز أو جنده
لا يقابلون على النيل الا الانكيز سادة مصر

أمن الجائز ان الروسيين والالمانين والفرنساويين
والايطاليين والنمساويين الآتين من البحر الابيض المتوسط
يجدون عمال الجمارك من الانكيز على ثغور دمياط والاسكندرية
فيصدونهم عن السياحة على ضفاف النيل؟ هل ذلك ممكن
الوقوع؟

أيصير السيرسسل رود واللورد كرومر أميرى أفريقية
كل واحد منهما يحكم نصفها؟

ألا ان وجود الانكيز في مصر يخلق مشا كل كثيرة
ويضر بمصالح تجارية عديدة ويناقض مصالح الدول الاستعمارية
ويهدد حرية العقائد الدينية بين اسلامية وكاثوليكية وارثوذكسية

ويهبج المصريين ضد المحتلين . وكل هذا مما يدل على ان بقاء
الاحتلال في مصر مستحيل والسلام . اه

خطبة علي المحمديين

« في باريس »

بعد ذلك جعل المترجم يبعث الى أصدقائه من الوطنيين
المقيمين في باريس ومن كبار السياسيين هناك داعيا الى
حضور وليمة كبيرة أقامها في يوم ٣١ أغسطس سنة ١٨٩٥
وذلك احتفاء واجلالا لعيد جلوس جلالة مولانا السلطان
الأعظم أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين السلطان
ابن السلطان ﴿ مُحَمَّدُ الْخَلِيلُ ﴾

وقد بذل جهده في جعل الاحتفال آية في الفخامة
والجلال ومظهرا من مظاهر الولاء المكين
وقد أجاب الدعوة المدعوون جميعا الى هذا الاحتفال
فاجتمع ثلاث وسبعون ذاتا لتناول الطعام في مكان فسيح

وبعد أن فرغوا منه أخذ جماعة من الكبراء يتوافدون حتى
بلغ عدد الجميع نحو مائتين وأربعين ذاتا ليس فيهم الا الوطني
الغيور والصحافي الماهر والسياسي الكبير ونا ا كتمل
العقد وأن أوان الابتداء بالكلام وقف المترجم وهو في أتم
وا كل ما يكون من الجذل والبشر وعلى خير ما يطلب من
الصحة والعافية وعلى أحسن ما يكون من الرجاء المكين

وقف تعمله الله برحمته ورضوانه وقد أشرفت الوجوه
والاضواء وخفقت القلوب والأعلام وتلاأ على الجباه
البشر والأمل فرمقته الانظار بالاعجاب والاكبار
وأنصت الجميع فاذا الصوت العالى بالوطنية الصحيحة والرجاء
الثابت يهز أوتار القلوب هزا وينبه دقائق الاعصاب تنبيهاً
لطيفاً. وقف وقفه تقطر ولاء واخلاصاً لعرش الخلافة
الأسنى وللذات العلية المؤيدة بعناية وتوفيق من الله ذات جلاله
مولانا الخليفة الأعظم فار تجل هذه الخطبة وقد ود سامعوه
لو كان كل حرف منها كلمة وكل كلمة جملة وكل جملة خطبة
قائمة برأسها ليستزيدوا من ذلك السحر الذي اجتذب أعنة

القلوب واسترعى الاسماع واسترق الطباع . وقف وقفة
يذكرها له التاريخ الحديث بالشكر الجميل والثناء العاطر اذ
قام فيها بفريضة الولاء وأعرب عما يكن ضميره وتكنه
ضمائر المخلصين من حسن الالتفاف حول عرش الخلافة الى
حد الافتداء بالأفئس والنفائس وفرط التعلق بجلالة مولانا
السلطان الاعظم ذلك التعلق الذي ترخص فيه المهيج الغوال .
فقال ما يأتي بنصه :

« ابدأ خطابي بحمد الله على توفيقنا لهذا الاجتماع السعيد
الذي أظهرتم لي فيه من عواطف الود والاخلاص ما جعلني
كلي لسانا ارتل آيات الشكر والثناء عليكم . ثم أهنيكم وأهنيء
نفسى على الشعائر الشريفة والاحساسات الطاهرة التى
أبدىتموها في اجابتكم دعوتى للاحتفال بعيد جلالة السلطان .
فان فى ذلك برهاننا ساطعا على مبادئكم القويمه وثباتكم فى
مذاهبكم وآرائكم . فلستم ممن يغير نزول المصائب عقائدهم ولا
ممن يتعلقون بالفضائل حيناً ويتركونها حيناً آخر بل أنتم ممن
يزداد تعلقهم بالوطنية الحقيقية والمبادئ السليمة بازدياد الكروب

واشتداد البلايا

ولا غرابة ان ظهرتم في مقدمة المخلصين الصادقين
العاملين على اسعاد اوطاننا واعلاء شأن بلادنا وقد تربيتم في
حجر المعارف والآداب وقدرتم المدنية الغربية حق قدرها
فعرفتم كيف قامت وعلا شأنها واكتسبتم باقامتكم في هذه
الديار ملكة الحكم على الاشياء والمقارنة بينها وبين بعضها
فاصبحتم كالطبيب يعرف الدواء بتشخيص الداء . فمنكم ومن
أمثالكم تطالب الاوطان بانقاذها من الخطر المهدد لها فانما
الساعة قاضية بالعمل لا بالتحول والسكون . فاتحدوا كلمة ومبدأ
واتركوا وراء ظهوركم الغايات الشخصية واعملوا باخلاص
تام وحرية ضمير حتى تشفى الاوطان من الداء العضال الذي
سرى في عروقها وأوصل صوت أنينها الى السماء

فبلادنا ليست في هذه الايام كسائر البلاد ولا سماؤها
كهذه السماء ولا هواؤها كهذا الهواء بل لا تشابه بينها وبين
هذه الديار التي نعيش فيها ونعجب بحريتها وسعادتها . بلادنا
ليس فيها من الحرية الا اسمها ومن العدالة الا رسمها .

مصائبها تدهش العقول وتحير الالباب وان ما يأتيه أعداؤها
فيها لما تنبو منه الطباع وتنفر الآذان والاسماع

ومما زادها شقاء على شقتها نزول قوم من الخوارج
بأرضها لازمة لهم ولا عهد جعلوا النفاق شعارهم والقاء بذور
الفتن دثارهم فكانوا كالسم في الدسم يدعون انهم أحياء لمصر
نصحاء للمصريين ويعلم الله أنهم كاذبون فيما يدعون ولا
يعملون لغير ضياع البلاد وسلب أموال العباد. فماذا ينصحون؟
ينصحون بخيانة الاوطان وتسليمها الى أعدائها. فبئست
النصيحة وبئس الناصحون. وبلغ تفاقهم وخروجهم على الدولة
ان طعنوا على المملكة العثمانية أقبح الطعن وسوءوا رجالها
من كبيرهم الى صغيرهم مدعين مع ذلك انهم يحسنون اليها
ويعهدون سبيل وحدتها. ولست أدري كيف يستطيع هؤلاء
الخوارج ان يدعوا هذا الادعاء وهم أول العاملين على اغراء
المصريين بتسليم زمام أمورهم الى الأعدائهم وأول الساعين
في فصل مصر عن الدولة العلية. وما ضياع مصر من يد
سلاطين آل عثمان الا ضياع للسلطنة نفسها. فان كانت

الاستانة مركز الخلافة الاسلامية فمصر ولا محالة روحها
وفؤادها

ولقد عرفت الامة المصرية مقدار خيانتها هذه الفئة الضالة
المضلة فاحتقرتها ونبذتها واعتبرت أقوالها تحريشاً على السوء
وتضليلاً فاختارت طريق السلامة والصواب وعلقت آمالها
باميرها العزيز سمو الخديو (عباس حلمي باشا) الذي اتبع في
سياسته أقوم خطة حيث تقرب من متبوعه الاعظم جلالة
السلطان (عبد الحميد) ووطد الملائق بين الدولة العلية ومصر
مما أخفق مساعي الاعداء وجعل أمانهم أحلاماً في أحلام
وان أكبر برهان برهنت به الامة المصرية على تعلقها
بكعبة أميرها المحبوب اتباعها السياسية الحميدة التي اتبعها
سموه وتظاهرها بالمظاهرات الولائية نحو الدولة العلية وجلالة
السلطان

ذلك الامر الذي قوبل من خصومنا بالحنق والغيظ
وكان ضربة قاضية على سياستهم التي من مقتضاها التفريق
بين التابع ومتبوعه

تلاوة
يوم الخميس
الجمعة

وان اجتماعكم اليوم هنا معشر الاصدقاء لبرهان آخر
نأتى به فى بلاد أوروبا على عظيم اخلاصنا لاميرنا وسلطاننا
وموافقتنا كل الموافقة على السياسة الحكيمة التى اتبعها سمو
العزير من يوم جلوسه على أريكة الخديوية المصرية
وحقاً ان سياسة التقرب من الدولة العلية لاجم السياسات
وارشدها . فضلا عن الاسباب العظيمة الداعية لهذا التقرب
فان العدو واحد . ولا يليق بنا ان نكون فى فشل وشقاق فى
وقت يعمل فيه اعداؤنا على تجزئة دولتنا ويفرون الارمن
بالثورة والهيجان . الامر الذى اسخط العثمانيين الصادقين
جميعا

ولا غرو ان كنا نتألم لآلام الدولة العلية فما نحن الا
أبناءؤها المستظلون بظلمها الورىف المجتمعون حول رايها .
فاصدقاءها أصدقاءنا وأعداؤها أعداؤنا . ولذلك كنا نميل
بطبعنا الى فرنسا أكثر من ميلنا الى غيرها من أمم الغرب
ليس فقط لانها ساعدت مصر فى الازمنة الماضية على نهضتها
المدنية وحامت عن حقوق السلالة العلوية بل على الخصوص

لانها طالما دافعت عن استقلال الدولة العلية . والامل قوى
في انها لا تغير نحوها سياستها التقليدية
وقصارى القول ان الراية العثمانية هي الراية الوحيدة
التي يجب ان نجتمع حولها . ولا تحقق وحدتنا بغير الاتحاد
والائتلاف . فلنتحد قلباً ولساناً ولنكن يداً واحدة في خدمة
الايوطان واسعادها . ولنقل اليوم جميعاً من صميم أفئدتنا
« ليحي جلالة السلطان عبدالحميد وليحي العباس . ولتحي
العثمانية ومصر »



هذه هي خطبة المترجم في ذلك الاحتفال الذي أقامه
ودعا اليه الكثيرين من الكبراء . قالها وهو يتلقى بين كل
فقرة وفقرة نظرة اعجاب ويحتلي بين كل عبارة وعبارة عاطفة
تكريم وكانت جوانب المكان تدوى بالتصفيق العالى
والحاضرون يؤمنون على دعواته وخواطرهم تتابعه في عباراته .
ثم انه بعد ان استراح لحظة رفع باسم المجتمع رسالة برقية الى
لذات الشاهانية المحمية مضمنة أخلص عبارات المباركة

والاخلاص والدعاء

وقد نشرت شركات البرق نبأ هذا الاحتفال وطيرته
الى أنحاء العالم فأخذت جرائد السوء - وقد تقدم وصفها
وهي معروفة بسميهاها - تصيح بالويل والشبور وتندر كما يقال
بعظام الامور . وقد تفنت هذه المرة أيضاً في المراوغة
والافتراء فقالت ان « مصطفى كامل » صنيعه جلالة السلطان
بعد ان قالت انه صنيعه سمو الخديو وأصبح رحمه الله منذ
ذلك التاريخ معتبراً في نظر الاوروبيين بحق أنه نائب الامة
المصرية ورئيس الحزب الوطني المصري وفي نظر تلك الطغمة
صنيعه الامراء والملوك وكان هو أمام هذه الاوصاف
العالية كبيراً

وكيف لا يكون كبيراً من يقال ان جلالة السلطان
الاعظم وثق به من بين أبطال العثمانيين واختاره من بين مشين من
الملايين المسلمين وكيف لا يكون كبيراً من يقال ان أمير اجليلا
من أمراء الشرق انتدبه ليدافع عن القضية المصرية أمام
محكمة الوجود ؟

الا أن الذى يطعن عليه بأنه صنيعه أمير عظيم الشأن
تارة وبأنه صنيعه الخليفة الاعظم تارة أخرى وهو لم يجاوز
العشرين من سنى حياته الطيبة لجدير أن يكون كبيرا
وكيف لا يكون كذلك من يقولون ان سمو الخديو
المعظم قد اتدبه عن الامة المصرية ليرافع أمام العالم فى هذه
القضية الكبيرة وان جلالة أمير المؤمنين الذى يدعى لامره
كل مسلم فى الشرق والغرب والذى اذا ذكر طؤطئت
الرؤوس لذكره مهابة واجلالا قد اختاره عوننا وظهرنا فى
هذه المسألة السياسية الكبيرة ??

لقد أراد الخائنون أن يصغروا من قيمة هذا الولاء
ويتهموا صاحبه بهذه التهمة نجاب فألمهم وأخفق سعيهم. لانهم
حاولوا أن يقولوا ان ذلك الولاء صناعى لا طبيعى أى أن
القائم باظهاره مأجور عليه أو هو مسوق اليه ولا يفلح كيد
الخائنين . فانهم بهذه الدعوى قد دلوا على ما للمترجم من المقام
الكبير وأن له من رفعة المنزلة وعظم الشأن ما يصح معه أن
يتهم بأنه منتدب من قبل جلالة أمير المؤمنين لغرض سياسى

ودلوا من جهة أخرى على أن بعض النفوس سهل استغواؤها
هين استرضاؤها ولكن شتان بين من يبيع ذمته للاحتلال
بأنفس الأتمان ومن لا يرجو على ولائه وإخلاصه لا ميره
ولدولته جزاء ولا شكورا

هم حسبوا أن كل رجل يمكن أن يكون صنيعة وأن كل
قلب يمكن أن يشتري وكل لسان سهل أن يمتلك . ولكن
ما كل رجل مثلهم ولا كل قلب كقلبهم ولا كل لسان كالسانهم
وإذا كانوا يرون أن مثل هذه المظاهرة تقام بأغراء من صاحب
الشأن لا بدافع من الإخلاص المستقر في الجنان فبئس ما وهموا
وهم كاذبون . ما كان لرجل كالفقيد العظيم أن يستميله غير
ما يعتقد أنه الحق والصواب وما كان الهوى ليجد إلى قلبه سبيلا
فماذا عسى يريدون باختلاق مثل هذه القرية ؟ مصرى
وطنى من صميم مصر ولبها قام بواجب يفرضه الإخلاص
على كل مسلم قادر يقال انه صنيعة لجلالة صاحب الاحتفال ??
رحمك اللهم بقلوب أكلها الحسد ونفوس قتلت من الخسة
والدناءة ورضوانك على نفس طاهرة شريفة كانت تنهم من

قبل هؤلاء المهوسين بأنها مسوقة الى الولاء بغير السائق
الطبيعي وانها اغريت على هذا الولاء بكونها صنيعه للامراء
والملوك

ولم تكن سعايات الخائنين لتقف عند هذا الحد فانهم
كذبوا تقسهم بنفسهم ولم يكتفوا بأن كل عقل خالص من
الاهواء يعتقد كذبهم فيما يفترون . فقد رجعوا فقالوا واعادوا
ان جلالة السلطان لم يحفل بهذا الاحتفال الذي اقامه المترجم
ودعا اليه فريقا كبيرا من المصريين الطائشين - فيما يزعمون -
فلم يمض على بهتانهم يوم أو بعض يوم حتى نشرت شركة
هافاس في أنحاء العالم ماملخصه أن سفير الدولة العلية في باريس
قد ابلغ المترجم عطف جلالة مولانا أمير المؤمنين وامتنانه
وكمال رضائه . فلم يخزهم ذلك بل قالو « ان هذا الافك
مبين » وما الافك المبين الا ما يكذبون ويفترون

فاذا لم يخز هؤلاء الكذابين ماروتة هافاس ولم تخزهم
اكثر من خمسمائة يد كانت تصافح يد المترجم مهنته له باخلاصه
لاميره ولدولته ولم يخزهم ما كتبه الجرائد الفرنسية اذ ذلك

ولا ما ورد في غيرها من الجرائد عن هذا الاحتفال الباهر فلعل
نار قلوبهم تبرد متى قرءوا هذا الخطاب الرسمي الذي ورد
الى المترجم من سعادة سفير الدولة العلية في باريس وهو بنصه :

« باريس في ١١ سبتمبر سنة ١٨٩٥ »

« سيدى

« يسرنى أن أخبركم بأن جلالة مولاي السلطان الاعظم
« قد أمرنى أن أعرب لكم عن كمال رضى جلالتة العالى عن
« الشهادة الناطقة بأمانتكم واخلاصكم للعرش الشاهاني أنتم
« وجميع اخوانكم المصريين النازلين فى فرنسا بما أبدىتموه
« فى يوم عيد الجلوس المائوس . وأنا بتقديم تهنئتى لكم على
« جليل تعطفات مولاي السلطان المحبوب أغتم هذه
« الفرصة لا كرر عبارات احترامى واعتبارى لكم والسلام
الامضاء (ضياء)

وقد استقبلت جرائد أوروبا وفى مقدمتها جرائد فرنسا
والمانيا نبأ هذا الاحتفال استقبال الشاكر المتوسم خيرا وهى
معجبة بهذا الاتحاد المتين وهذه الرابطة التى هى رأس مال

النهضة الاهلية بل وتاج الحياة القومية



وقد خطر على بال المترجم خاطر ساعدنا كثيرا على جمع
هذا التاريخ من أوثق المصادر . وهذا الخاطر هو المحافظة
على كل ما يكتب في جرائد العالم على المسألة المصرية وكل
موضوع يذكر فيه اسمه فاشترك في شركتين من الشركات
التي ترسل الى المشترك كل ما يكتب في العالم على ما يطلب من
المواضيع . وعلى ذلك كانت ترد عليه كل قطع الجرائد التي
تتكلم عنه أو تذكر اسمه في غرض كتقديم عريضة الاستغاثة
لمجلس النواب الفرنسي مكتوبة باكثر اللغات ومترجمة الى
الفرنسية . ولا جرم أن ذلك كان منشطا للفقيد لأنه كلما رأى
شهادة تاريخية ناطقة بفضل جده ووطنيته طلب المزيد
بالعمل الصالح

الغاء الارسالية المصرية

وقد كثرت الاعمال على المترجم كثيرة كانت تستغرق كل وقته . لأن الصحف اكثر من محادثته وكانت تستعين به في بعض ما يريد التأكد من صحته من الأحاديث عن الاسلام عموما والشرق ولاسيما مصر على الاخص . حتى ان جريدة (الاكير) الفرنسية الشهيرة التي يطبع منها ٣٠٠ ألف نسخة أوفدت اليه أحد كبار محرريها لمحادثته على أثر ما طيره البرق من الغاء الارسالية المصرية في فرنسا وقد نشرت هذا الحديث في عددها الصادر بتاريخ يوم الاثنين ٩ سبتمبر سنة ١٨٥٥ وهذا نصه :

« ورد علينا في الاسبوع الماضي تلغراف من الاسكندرية يفيد ان نظارة المعارف في مصر قررت الغاء الارسالية المصرية في فرنسا . ولما كان لهذا القرار مساس عظيم بنفوذنا في مصر فقد رأينا من المفيد أن نقصد من أجله (مصطفى كامل) . وهو الكاتب والخطيب المصرى الذى اشتهر

اسمه في باريس . لان آراءه في مثل هذه المسئلة لاترد
ولا تحجج

فلما ذهبنا اليه وسألناه رأيه أجاب كما يأتي :
« أراني سعيداً جداً لان أجيبكم على سؤالكم في هذه
المسئلة التي تههم بلدنا كثيرا . فان الارسالية المصرية في فرنسا
هي احدى المنظمات الكثرية الفوائد الجليلة العوائد على
مدنية وادى النيل وسعادته . فقد أسسها « محمد على » رأس
العائلة الخديوية وصديق فرنسا العظيم بقصد تعليم الشيبية
المصرية وتهذيبها وذريرة الى ادخال أصول المدنية الغربية في
مصر . وكانت عبارة عن بعثة عدد عظيم من الشبان المصريين
من وقت وآخر الى فرنسا

وقد تخرج من هذه البعثات أكثر من الف عامل
نشروا في مصر أنوار العلوم والمعارف والفنون والصنائع
فكانوا بذلك عمالا حقيقيين للمدنية . وليس بالمستطاع ان
اتي لكم بأسماء كل المشهورين الذين نبغوا من هذه الارسالية
وأوصلوا بلادنا الى حد من المدنية صارت ملعة تعد في مضاف

الامم المتعدنة . ولكن لا ارانى مخطئاً اذا قلت ان أسماء « على مبارك باشا » و « على ابراهيم باشا » و « محمود باشا الفلكي » و « رفاعه بك » معروفة عندكم بأنها اسماء كبار علماء في مصر وكلهم كانوا من أعضاء هذه الارشالية الزاهرة التي هدم أركانها اليوم المحتلون

ولقد وجد الانكليز امامهم عند مادخلوا مصر أمة متتورة منتشرة بين جميع طبقاتها مبادئ المدنية الغربية فلم يكن لهم بد من اباداة النفوذ الفرنسي توصلوا الى استعبادها ذلك النفوذ الذي أنال مصر شببية متتورة عارفة بما لها وما عليها لا تقبل أبداً ترك الغير يسلبها بلادها

وبناء على ذلك وضع المحتلون أيديهم على نظارة المعارف العمومية وعينوا أساتذة من الانكليز في أكثر المدارس الاميرية . بل وأعظم من ذلك انهم وضعوا على وكالة المعارف أرمنيا اسمه (ارتين) استعملوه آلة لهم والفضل له في نشر اللغة الانكليزية في كل الارحاء

ومع ان الانكليز يدعون في أوروبا انهم لا يعملون عمالاً

في سبيل تقدم لغتهم وانتشارها تراهم في مصر على العكس
من ذلك عاملين آناء الليل وأطراف النهار لاحلال اللغة
الانكليزية محل اللغة الفرنسية واليك البرهان :

قال اللورد روزبري في يوم من العام الماضي على مجمع
عام ان الانكليز في مصر لا يحبون أحدا في تعلم اللغة
الانكليزية بل ان المصريين هم الذين يتسابقون من أنفسهم
الى تعلمها . ولكن اتفق انه في اليوم التالي ليوم مقاله هذا
توفي ناظر المدرسة التجهيزية في درب الجماميز وكان مصريا
فلما علم اللورد روزبري بذلك أمر الوكالة البريطانية في مصر
ان تطلب من الحكومة المصرية تعيين انكليزي مكانه فعارضت
الحكومة ولكنها لم تفلح في معارضتها وتم بعد ذلك تعيين
الانكليزي ناظرا لتلك المدرسة . وهو ما يدل على ان
جيرانكم الانكليز لا يتركون فرصة تمر دون استعمالها في
تقويض أركان نفوذكم الذي يعود علينا بالفائدة والذي غايته
شريفة

ولقد قلت لك في أول كلامي ان الانكليز استعمالوا في

المعارف كآلة لهم أرمنيا شهيرا في مصر بجهالته وكفرانه بالنعمة
فبعد ان جعل هذا الارمني نصف العشرة تلامذة الذين
صارت اليهم كمية الارسالية المصرية من الارمن مواطنيه
المنخرطين في سلك الجمعيات الثوروية الأرمنية الغى اليوم
مرة واحدة الارسالية المصرية حتى لا تعود فرنسا الكريمة
تهب مصر شبانا جريمتهم الوحيدة في أعين الانكليز انهم
مهذبون متعلمون وعلى الخصوص وطنيون ثابتون في الوطنية
ولسنا نأسف فقط على فقدان هذه الارسالية بل نكفيها
ونؤمل من صميم قلوبنا في هذه الساعة المحزنة أن يتحقق
تحرير مصر عاجلا لتبعث هذه الارسالية الى الحياة بعد موتها
ولا تحسبن الغاء الارسالية آخر ما يأتيه الانكليز من
سياسة العداء لفرنسا المتبعة من سنة ١٨٨٢ . بل اعتقد أن
العراقيل والصعوبات تقام دائما في وجه من يتعلمون في
بلادكم . فلقد أراد أخيرا طالبان من الذين أتموا دروسهم في
مدرسة دار العلوم الحضور الى فرنسا ليكملا فيها معلوماتهما
فقال لهما وكيل المعارف (أرتين) بصفة صريحة انهما ينفدان

مستقبلهما اذا توجهتا الى فرنسا مستندتا في قوله على أن
الانكليز يعتبرون كل من تعلم في فرنسا عدوا ألد للاحتلال.
وان الامثلة على تصدى الانكليز في مصر للنفوذ
الفرنساوي ولحبي فرنسا لاكثر من أن تحصر الآن.
ويكفي أن أضرب لك على ذلك مثلاً واحداً. وهو انه لما
صعد مسيو فيلكس فور الى منصب رئاسة الجمهورية بمثاله
طلبة الارسالية المصرية في باريس رسالة تهنئة نظراً لما هو
مشهور عنه من انه من أجباء مصر العظام فتكرم مسيو
فيلكس فور عندئذ بدعوتهم الى زيارته في الاليزيه فذهبوا
واستقبلوا استقبالاً وديالاً ينسونه أبداً حيث صرح لهم جنابه
ان لهم في الاليزيه محبا يمكنهم الاعتماد عليه. فأجاب الانكليز
على هذه المظاهرة برفت مدرس اللغة العربية في مدرسة
اللغات الشرقية بباريس معلمين ذلك بانه كان الامام للمصريين
في زورتهم لمسيو فيلكس فور. ولولا أن مسيو كوكوردان
وزير فرنسا في مصر تداخل في الامر لما ألقى أمر رفته
الذي صدر مرتين

وها قد أشيع أخيراً أنهم سيرفتونه مرة ثالثة تنفيذاً
لفكرة عقابه على كونه ذهب لرؤية مسيو فيلكس فور! «
هذا هو الجواب الذي أجاب به الوطني المصري على
ذلك السؤال . ولقد كان من الضروري كشف النقاب عن
مثل هذه الأشياء وإظهارها علناً لان فرنسا في حاجة الى
معرفة أصدقائها من غيرهم اه



ما نشر هذا الحديث حتى تناقلته أغلب الجرائد الفرنسية
الخطيرة وجملت على أعمال الإنكاز في مصر حملة أحدثت دوياً
هاثلاً في كل أنحاء أوروبا وقد عضدت الصحافة الفرنسية صحف
كثيرة أوروبية وفي مقدمها الصحافة الروسية . وقد قالت جريدة
الطان في هذا الصدد وهي لسان حال الخارجية الفرنسية ما تعريبه
« ان الحكومة المصرية أو بعبارة أخرى الاحتلال
الإنكازي بالغائها الارشالية المصرية برهنت من جديد على
سوء طويتها نحو المصريين أولاً ونحو بلادنا ثانياً لانها
حرمتهم من جنى ثمرات العلم المصري من بلد كفرنسا يعد

أستاذ الاساتذة في غرسه وطريقة تلقينه .

ان الاحتلال الانكليزي يريد بعمله هذا ان يحارب العلم باسم ترقية الامم ويرجع بتلك الامة القديمة ذات التاريخ المجيد الى القرون الوسطى

ان اسماعيل باشا الخديوى السابق لمصر قال - وله الحق ان يقول - ان مصر قطعة من أوروبا وقد اعتمد في قوله هذا على العلم الذى نقله اليها بواسطة حيث تجد كبار الوطنيين الذين هم الآن من كبار الرؤوس المصرية وأصحاب المراكز العالية أبنائنا فى العلم

فهل لا تخجل حكومة جلالة الملكة من ان يمثلها وكلاؤها فى مصر هذا التمثيل المخجل !! « اه



مضت الايام ولم يرد الى من المرحوم حتى اليوم الثانى من شهر اكتوبر خطاب حتى أصبحت مشغولا وقد كنت منتظرا منه الرد على كتاب أرسلته اليه وأبنت له فيه الاضطهاد الذى ألاقه كل يوم وخصوصا بعد قيامه بهذه الاعمال

السياسية وبعد ان علم الضباط الانكاز انى شقيق خصمهم
الالد ولهذا المناسبة أثبت هنا نص ما كنت أرسلته اليه
شا كيا حتى بنى عليه ما يأتى من المناسبات . وهو بعد التحية
والتسليم :

« وقفت على كل شىء تفضلت بارساله الى ولكن هل
وقفت أنت على ما أنا فيه من العذاب الاليم ! انك طبعا
لا تعرف حالى فاليك شرحه

شعرت بتغيير فى المعاملة من رؤسائى على أثر وصول
البكباشى جرج من مصر حيث كنا يوما فى مناورة تولى هو
فيها قيادة أورطة وتولى القائم مقام هيجت بك قيادة اللواء وقد
كنت أعمل فيها كأركان الحرب لسعادة اللواء

وبعد ان انتهينا من المناورة جاء الى البكباشى المذكور
(وهو الذى عاشرنى ثلاث سنوات ويعرف اسمى كما يعرف
اسمه) وقال لى بصوت منكر « لم لاتنضم الى الاورطة
يامصطفى افندى » . فقلت له انى ياور اللواء ويجب ان أرافقه
الى البيت وراجعتة فى صحة اسمى واندعشت فى نفسى من

نسيانه اسمي الذي كان يذكره قبل عريضة مجلس النواب
(أى قبل سفره الى مصر) عشر مرات في اليوم الواحد
على الاقل

وقد كرر يا أخى هذا الرجل مناداتى باسمك مما أزمى
الى شكواه لقومندان الاورطة الذي طيب خاطرى
وقد أدرك ضابط عظيم — مصرى من اخواننا وهو
حضرة ان السبب في الضغط على وتسميتى « مصطفى »
لم يكن الا تألما من عملك ضد الاحتلال فى أوروبا . ولذلك
أرجو منك ان تحسن على بكلمة فيما عرضته عليك من زمن
وفضلت الانتظار قليلا لاجل رأيك ألا وهو الاستقالة من
هذه الخدمة الثقيلة لان البعد عن مخالطة هؤلاء الاكباد
الغلاظ غنيمة »

سواكن فى ٢٤ اغسطس سنة ٩٥

وقد استلمت فى ٣ اكتوبر خطابا منه ففتحته بلهف
وقد جاء فيه ردا على سؤالى مانصه :
حوى كتابك سرا كبيرا فقد علمت مما أظهرته من

الامم ورغبتك في ترك الجيش ان اعمالى مستمرة وان الانكياز
الذين يتباهون على كل الامم بالحرية العالية والعدالة النادرة
وعدم التظاهر بالتألم من أعمال الخضم أصبحوا كالأطفال امام
أعمالنا فلم يتمالكوا أنفسهم من ابداء ألمهم في كل مكان. ولو
اطلعت على جرائمهم لعرفت مبلغ تفيظهم وحنقهم على المصريين
عموما وعلى خصوصا

ولما كنت يا أخى في مركز حرج بل خطر على
مستقبلك وقد سئمت تفسك الخدمة فأنا أول من يشير عليك
بتركها حالا مصطفى كامل «

باريس في ١٢ سبتمبر سنة ٩٥



مافضت الكتاب حتى فرحت كثيرا وودت تقديم
طلب الاستعفاء حالا لولا انه كان قبيل مساء يوم الخميس
فانتظرت حتى يوم السبت ١٥ اكتوبر سنة ٩٥ وقدمت
استقالتي بيدي جناب القائمات هيجت بك قومندان الاورطة
الاولى وقتئذ وهذه صورة الاستقالة بالحرف الواحد :

« جناب قومندان برنجی اورطه بياده هيجت بك
أشرف بتقديم هذا لجنابكم مستقيلا من خدمة الجيش
الذي كنت ولا أزال أعمل فيه بكل حواسي حبا في حسن
القيام بواجب الخدمة . لان الظروف العائنية الخاصة هي التي
دفعتي الى ذلك ولعزتكم كل احترام من الملازم الاول
على فهمي »

سواكن في يوم السبت ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٥



ماقدمت لجنابه هذا الطلب وترجمه له المترجم حتى غضب
ودعاني اليه وسألني ان أسترده هذا الاستعفاء لان الوقت وقت
ضرب نار والاورطة في حاجة الى (لاني كنت ملاحظ ضرب
نار المحطه) واستعان على بكبار ضباط الاورطة الوطنيين
فقبلت استرداده (وكأن الله أراد أن يعاقبني على هذا
الاسترداد ليعلمني ويعلم كل مصري التمسك بالارادة والتوكل
عند العزم وعدم التردد في الامر) وبقيت أعمل في الاورطه
حتى صدر الى الامر بفتة بالسفر الى مصر وقد وصلتها في

٥ ديسمبر سنة ١٨٩٥

وقد أخبرت المرحوم بكل ما جرى بخصوص
الاستغناء



استمر المرحوم في حملته بشدة فكثرت رسائله ومحادثاته
في كل بلد ومن المجلات الشهيرة التي استقبلت عمله بصدر
رحب المجلة الحديثة (نوفل ريفو) التي هي من أشهر المجلات
وهي مجلة مدام جوليت آدم . وقد قدم لها أول مقالة لتشرها
فأعجبت بها وعرضت عليه ان تنقده على مقالاته أجرا كما هي العادة
في أوروبا فأبى وشكرها على عطفها وأظهر لها أنها تدين الامة
المصرية بأسرها بخدمتها لمصر ونشرها آلامها واشتراكها في
كلمة دفاع عن أمة جديرة بكل حنو وانعطف



وهذه ترجمة المقالة التي كتبها المرحوم بمجلة (النوفل
ريفو) المذكورة - وقت اشتداد الحوادث الارمنية - ونشرت
بعدها الصادر بتاريخ ١٥ أكتوبر (عام ١٨٩٥) :

انكلترا والاسلام

لا يوجد أمر سياسي أو اجتماعي ولا أي حادث يستحق استنفات أنظار أوروبا أكثر من حركة الافكار الاسلامية في الساعة الحاضرة فالمؤمنون كافة متحدو الفكر لا يتحدثون في المجتمعات العامة والخاصة الا عن انكلترا والاسلام . وجرائدنا الافريقية والاسيوية موافقة للرأي العام لا تمل من اظهار دلائل عداة بريطانيا العظمى للدولة العلية والخلافة . وكل هذه الامة العظيمة الاسلامية التي لا يقل عدد مجموعها في كافة الاقطار عن ثلاثمائة مليون من الانفس أصبحت معتقدة كمال الاعتقاد أن انكلترا هي الخصم الوحيد الابدى خصم الامس وخصم اليوم وخصم الغد

وان انكلترا لم يكشف عنها القناع ولا عن مقاصدها وأغراضها كسنا تماماً قبل حوادث أرمينيا . ولكن منذ عامت حكومة جلالة الملكة وجرائد الانكليز الدولة العثمانية هذه المعاملة العنيفة بسبب أرمينيا أخذ العالم الاسلامي

يتقيظ ويدرك

وترى حركة خواطر المسلمين في الهند نفسها وهي
البقعة الانكليزية ليست بأقل منها في غيرها
وقد اتفق لي أن قابلت منذ شهرين انكليزيا « متبصرا
معتدلا » عالما بكل ماجريات الامور في الهند ترجم لي
مقالة ظهرت بتاريخ ٢٥ يونيو الماضي في جريدة مدراس
الاهلية (شمس الاخبار) تظهر بأجلى بيان كنه حركة
الخواطر الاسلامية المتهيجة ضد انكثرا في الهند كلها

فلقد قالت هذه الجريدة بعد أن شرحت دسائس
انكثرا في أرمينيا مامعناد : « ان الانكليز يحرصون الارمن
في هذه الايام ضد تركيا ويوجدون خليفة المسلمين كل
أنواع الصعوبات والمشاكل غير مفكرين في نتائج أعمالهم
فماذا يتغنون ؟ . أحربا دينية ؟ . ليعلموها لنا حتى تسيل دماؤهم
ودماؤنا لاننا نفضل رؤية الموت الاحمر دون رؤية تقويض
أركان الخلافة » . فايحكم القراء على تهيج الرأي العام من هذه
اللهجة الشديدة

وليس بالغريب اذا كان مسلمو الارض جميعا متهيجين ضد
انكلترا ساخطين عليها . فاننا لسنا متعصيين ولا كارهين
لاوروبا . اننا نقدر فوائد المدنية حق قدرها ونريد أن نستفيد
منها . ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر علينا أن انكلترا
تدعونا للهيجان كل يوم والى الخروج من دائرة هدونا
وسكينتنا الى الحدة حتى احتجنا الى كنوز من الصبر والجلد
كيلا نظهر بمظهر العدوان

ألا ان سياسة انكلترا خطيرة عليها ومن الصعب تصور
أنها لا ترى ذلك الخطر . فهل جهل رجال السياسة الانكليزية
مالأ مير المؤمنين من النفوذ المعنوي في العالم الاسلامي ؟

هل جهلوا ان نبي استطاعة السلطان عبد الحميد أن يقيم
كل المسلمين على بريطانيا في مستعمراتها نفسها ؟ اننا لا نقدم
للقرء برهاننا آخر على ساطة الخليفة العظيمة غير ما حصل في
حوادث ثورة «سيباي» الشهيرة التي لم تخمد نارها الا بأمر
أصدره المرحوم السلطان عبد الحميد لمسلمي الهند يأمرهم فيه
بكف كل مقاومة ضد حكومة جلالة الملكة فيكتوريا حليفته

في القريم

ولنذكر القراء أيضا بان أعظم فشل ناله « عرابي » هو
من اعلان جلاله السلطان عبد الحميد عصيانه حيث كان
صدور ذلك الاعلان في خامس شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ أي
قبل حدوث واقعة التل الكبير بثمانية أيام

وفي هذا الاعلان الذي صدر بعصيان عرابي سمي جلاله
السلطان انكترا « بالصديقة الدائمة للحكومة العثمانية » فكان
ذلك من اكبر أسباب تهيئتهم كل الجنود الثائرة

وها قد زال اليوم عن السياسة الانكليزية غشاؤها
فأصبحت بريطانيا لا تملك الدولة العلية ولا تدعى انها صديقة
السلطان . تلك الدعوى العتيقة . بل أخذت تجاهر بالعداء
ضده ورجال سياستها يحرضون الارمن ويشجعونهم على
العصيان علنا ويحرشون المسلمين ويهيجونهم ثم ينادون
بالتعصب !!

والمستر غلادستون الذي لا يعنيه الآن أن يدافع عن
حزبه ولا يكلف نفسه كلمة واحدة في هذا الشأن نراه يدافع

عن الارمن بغيره نادرة المثال . وهو مع ذلك يتجاسر على الادعاء بأنه لا يقصد غير الدفاع عن الانسانية وان ليس لديه تحزب يدفعه ضد الاتراك ولكي يغشى على الابصار يقول انه لو تعدى المسيحيون على المسلمين لدافع عن هؤلاء ضد المعتدين عليهم

ليت شعري لماذا لم نر هذا الرجل الحر والخطيب صاحب الشعائر والاحساسات يحقق أقواله الجميلة ؟ فهام البلغاريون يذبحون المسلمين على الحدود التركية ويأتون بفظائع أثبتتها التيمس نفسه . فما بال المستر غلادستون لا يدافع عن المسلمين كما دافع عن الارمن ؟

واني أتساءل ماذا يفكر الآن المستر غلادستون وأحباؤه في أمر المذابح التي اتترفها أيدي الارمن في عاصمة السلطنة العثمانية نفسها . أفي استطاعتهم أن يدعوا بأن المصادفة (لاشيء غير المصادفة) هي التي أهتت الارمن راية وأسلحة انكاريية ؟

ألا ان تحزب الانكاز وتعصبهم ضد المسلمين أمر

لا يستطيع أحد انكاره وقد أثبتته حوادث عديدة وليس
العداء في هذه الحوادث يقف عند حد تشجيع الارمن ضد
الباب العالي فقط بل أيضا هو حاصل في تهيج وتحريش
المسلمين أنفسهم

وان للانكليز في مصر كما لهم في غيرها من البلاد
جرائد ينقدونها أجرة على مطاؤها في السلطان والمسلمين بأشد
لهجة وهي مع ذلك تسمى دائما المسلمين « بالمتعصبين » .
وأى عمل يأتيه المسلمون ولو كان دعوة لمواجبات والآداب
يعتبره الانكليز عنوانا على التعصب

ولقد أرادوا أخيراً ان يلغوا بتهمة التعصب جريدة
المؤيد - التي هي الجريدة الاهلية الصادرة بالقاهرة - ويطرّدوا
مديرها « الشيخ على يوسف » ذلك الرجل المحبوب من
المصريين كافة ومن الاوروبيين غير الانكليز

فأى ذنب اقترفه المؤيد حتي يصح الغاؤه ؟ اقترف ذنب
ارشاد الجرائد الانكليزية الى الصواب ومنعه اياها - بما له
من التأثير والنفوذ العظيمين بين الاهلين - من احداث

هيجان أو اضطراب

ولقد أحدث الانكاز في جده معركة جرح فيها قناصل
انكلترا والروسيا وفرنسا . ولا يجهل أحد في الشرق ان هذه
المعركة دبرها الانكاز ليشيروا في روسيا وفرنسا عواطف
السخط على تركيا وليحملوا هاتين الدولتين على زيادة
التداخل في المسئلة الارمنية لانه يلزم أن يكون الانسان
ساذخا جداً حتى يظن ان التوافق بين معركة جده وتداخل
الدول الثلاث في مسئلة أرمينيا أوجدته يد المصادفة

وان كل دسائس الانكاز ضد الدولة العلية علمها اليوم
المسلمون جميعا في انحاء الارض وأصبح حنقهم على الدولة
الانكلازية شديداً ولكن هلا يجب أن تتساءل تلقاء هذه
الحالة أي خطة تختارها روسيا وفرنسا؟ أيتبعان خطة انكلترا
ويعلنان الحرب على الاسلام؟ كلا ان هذا المستحيل

ان الشرقيين عموماً يوافقونني على ظني بأن دولتين
كروسيا وفرنسا يدل ماضيها وحاضرها على عدم تحزبهما
ضدنا وعلى ميلهما لنا لا تغيران سياستهما التقليدية حيث تخدمان

بالثبات عليها صالحهما وصالح السلام العام
فيجب عليهما اذن ألاّ تحذوا حذو انكلترا . وان
سياسيين ماهرين كسيو هانوتو ومسيو لوبانوف لا يمكنهما
أبدا ترك هذه الفرصة تضيع دون أن يقويا احترام بلادها
وتفوذها في الشرق . وانه يكفي العمل ضد رغبة انكلترا
لتسكين خواطر المسلمين ونيل ثقتهم
فعلى فرنسا والروسيا اجراء الاصلاحات بالسلم والوداد مع تركيا
والسعى لتحرير مصر التي لا يغفر المسلمون أبداً أمر احتلالها
وترك انكلترا تلاقى وحدها نتائج سياستها العدائية للاسلام
ألا ان الفرصة جميلة لا يصح اغفالها حيث انتهازها
واجب ليتحقق السلام العام الا لا انكلترا اه



ماشرت هذه الرسالة التي كلها حياة وحقائق الا
وتناقلت ملخصها كافة الجرائد الخطيرة وعلقت عليها تعليقا
يوافق سياستها . فالجرائد الفرنسية اثنت عليها ثناء كبيرا
وأبانت ان المدافع عن حقوقه لا يطمئن له بال ولا يقف له

قلم اذا رأى الدولة العلية في نزاع سياسى مع أية دولة أخرى
وقد قالت جريدة الاكلير في هذا الصدد ما تعريبه :

« ان ماتنشره الجرائد الانكليزية بسبب حوادث
الارمن الملققة لما يثير عواطف المسيحية والمسيحيين . ولكن
يجب على هؤلاء وأولئك الذين يسلمون عواطفهم لارادة
الخيال التي لاتصورها الا الاغراض الانكليزية المستترة ان
يرأفوا بهذه العواطف حتى لانرى في أواخر القرن التاسع
عشر مشهداً من مشاهد تصادم الجبلين الراسخين في العالم
وهما المسيحية والاسلام . ويكفى لمن يريد الوقوف على شعور
المسلمين بازاء هذه السياسة الارمنية ضد تركيا ان يقرأ مقالة
ذلك المصرى العظيم الشاب ونعنى به (مصطفى كامل) فلقد
كشف فيها اللثام عن أمور كثيرة وأبان بصريح العبارة
مقدار تعلق المصريين وهم ملايين من المسلمين الذين يشغلون
مركزاً عظيماً كبيراً في العالم بالدولة العلية التي فيها مركزهم
الدينى والسياسى . فالاستانة ليست في نظر المسلمين عامة الا
قبلة يولى كل منهم وجهه شطرها ويعتبرها مبعث النور الدينى

ومحط السعادة المقبلة

فعلى سياسى أوروبا ان يدركوا مرا كزهم اليوم امام
الدولة العلية ولا يضعوا قلوبهم تحت تأثير ما يسمونه بالعاطفة
المسيحية . نعم اننا مسيحيون ولا نحب ان يظلم مسيحي واحد
على وجه الارض ولكن من الحكمة ان لاتسمى مسألة
أرمينيا بمسألة المسيحية كما يسميها ساسة بريطانيا لينوا على
أنقاضيها آمالا لاتجول الا بصدورهم . بل هي مسألة عثمانية
محضة . . . اه

وقد اهتمت الجرائد الانكليزية بهذه الرسالة فبعض
الجرائد الحرة استقبلها بفرور اما جرائد المحافظين فقد سبت
الكاتب أقبح السباب . حتى جريدة ذي ستندرد أشارت الى
الرأى العام الانكليزى بالأآ يعير هذه الكلمات آذانا لان
انكثرا لاتخدم فى هذه المسئلة الا الانسانية . الى آخر
ما تقولت



بعد ذلك ورد على المرحوم كتب كثيرة من أغلب

جرائد باريس تطلب منه المحادثة في المسئلتين المصرية والارمنية
وقد جرى بينه وبين جريدتين منها جريدة الجولوا وجريدة
الجورنال حديثان

اما حديث جريدة الجولوا فهاك تعريبه :

« زرنا مصطفى كامل المصري في شارع الاونيفرسيته
وقد تحدثنا معه في المسئلة المصرية موجبين اليه هذه الاسئلة

(١) هل في قدرة مصر اذا رحل عنها الاحتلال ان

تدير شؤونها بنفسها كما يديرها الاجانب الان

(٢) وما هي الضمانة التي تقدمها مصر للدائنين محافظة

على ديونهم اذا انجلي الانكاز عنها

(٣) وما هي طرق الاصلاح التي يريد المصريون سلوكها

اذا سلمت اليهم مقاليد الامور

فأجابنا ثلاثة أجوبة لا نرى معها الا الاعتراف بكفاءة

المصريين واستعدادهم العلمي وادراكهم مركزهم وتمسكهم

بمقورقهم فقد قال مصطفى كامل بصوت باش ولغة صحيحة

وسرعة مدهشة

« انك سألتني أولاً عن أمر أدهشني كثيراً لا نذك
تعرف مثلي انه يكفي لاستقامة الاعمال في أى بلد ان يكون
مديرو دقها مخلصين لها حاملين لرؤوس استقت من موارد
العلم الصحيح وهذا هو الحال في مصر فان ماغرسته فرنسا
من بذور العلم في بلادنا سواء بواسطة أساتذتها الذين توظفوا
في مدارسنا أو بواسطة مدارسها التي علمت ارسالياتنا
السوية العديدة قد أخرج رجالا يعدون الآن بالآلاف
وفهم القانوني والمهندس والحكيم والصيدلى فضلا عن
الكثيرين من ضباط الاركان الحرب الذين تعلموا تعليماً
كبيراً عالياً سواء في أوروبا أو في مصر

وانى أو كذالك ان الاحلال وغلطاته علمتنا كيف
نصلح ما أفسده الدهر علينا . ويكفي ان تقرأ تاريخ دى فوجانى
وغيره ممن كتبوا على مصر الحديثة لتعرف كيف ان في مصر
جيوشا من الرؤوس العامرة والقلوب الوطنية الحكيمة
المخلصة وتحكم معى بان مصر قادرة في كل وقت ان تحكم
نفسها .

واننا يا جناب المحرر اذا كنا نستغيث بأوروبا لتجبر
انكتر اعلی تحقیق وعودها وعهودها فما ذلك الا لاننا نخاف
كثيرا ان ينقرض مع هذا الاحتلال الجليل الذى تعلم
تعلما صحيحا في مدارسكم أو على أيدي معلمكم ولا نجد من
يقوم مقامهم من الذين يتعلمون اليوم تعلما انكليزيا
وانى أوكد لك مرة أخرى ان الانكليز في مصر
ليسوا الا هادمين لبنيانكم الادبي مدمرين كل حصن علمي
مطقتين كل نور يستعين به المصريون على كشف مساوئهم
أما السؤال الثاني وهو الضمانة التى تقدمها مصر
للدائنين اذا رحل الانكليز من ديارنا فهى أكبر من الضمانة
التي تقدمها الانكليز اليوم لأنهم ألغوا المراقبة الثنائية
ليتمكنوا من التصرف كيفما شاءت أهواءهم وما آربهم بأموال
البلاد

أما نحن فنقبل كل مراقبة دولية على ديون مصر
والجزء الذى يخصها من ميزانية البلاد ويكفى فى ذلك وضع
الثقة بأعضاء صندوق الدين الذين يمثلون الدائنين أحسن تمثيل

وأما طرق الإصلاح التي تقوم بها متى سلمت اليينا
الاحوال فهي لا تخرج عن طرق الإصلاح في أية مملكة
راقية فنشر العلم بأسهل الطرق ونوفد البعثات الى أوروبا
ونعزز الصناعة والتجارة بما نشد به أزر الزراعة . وكذلك
نضع حدا لقوضى القوانين التي أصبحت خليطا من نظريات
عقيمة لا تصلح لاحقر أمة في الوجود . . . الى غير ذلك من
الإصلاحات التي تكون رسل خير بين العباد ومن البواعث
على خدمة الانسانية «

هذا ما أجابنا به (مصطفى كامل) وقد سألتناه رأيه عن
المسئلة الارمنية فقال :

« ان العالم كله متفق على ان الافضل لكل قطعة من
الارض ان تكون مملكة قوية في ذاتها عوضا عن تجزئتها
الى جملة ممالك ضئيلة ضعيفة كذلك الحال في الدولة العلية
فانها دولة قوية بشهادة العدو والصدیق ولكن اليد السياسية
الدولية التي لا يستريح لها بال الا بمشاغبات دولتنا المنصورة
تغش بعض سكانها من المسيحيين وتدفعهم الي مناوأة حكومتهم

وساء المنهم باسم الاستقلال الموهوم فينشأ عن ذلك اراقة
الدماء وخطف الارواح

وهذه اليد هي يد انكليزية قامت لتشغل أوروبا عن
مسئلة مصر فخركت تلك الجماعة التي ظلمت من حيث طمعت
في ملك كبير وسلطان عظيم

واني لأشك في أن العالم كله سيقف على حقيقة السياسة
الانكليزية التي لا يخرج تاريخها في كل أطواره عن الدسائس
ونصب الاشرار لكل الدول على السواء. وكيف لا وهي السياسة
التي تجرد الشرف في كل حيلة تصل بها الى نيل بغيتها ولو احر
وجه البسيطة من دماء البشر لتملك بيتا واحدا

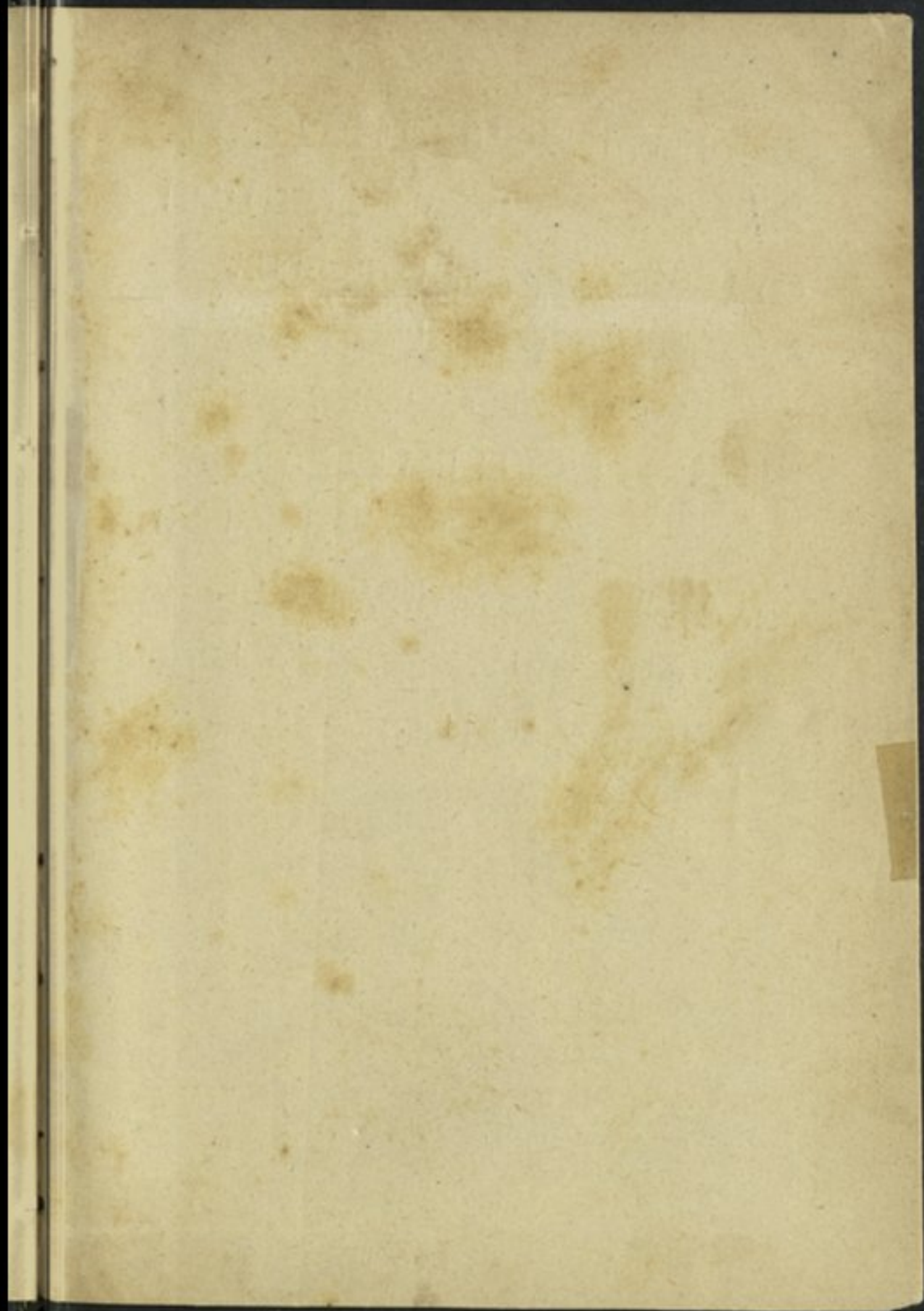
وانه يدهشنا كثيرا موافقة الدول لانكترافي كل عمل
تريد القيام به ضد الدولة العلية. وهن لا يفتن لمثيرى هذه الحركة
وهم معتمدوا نكاترا وقناصلها في الخارج الذين يثيرون الخواطر
بكل الوسائل ثم يحتالون على معتمدي وقناصل الدول الاخرى
فيزينون لهم الباطل حقا والحق باطلا وهو لاء يعيشون بتقاريرهم
السريعة التي لو تليت على جماد لذاب من هول الافصاح بابشع

عبارة ضد الدولة العلية والدول لا تتوانى اذاً في ارسال
أساطيلها عقب انذاراتها المتكررة

فاذا ارادت أوروبا أن تستريح من هذه المتاعب فلتعرف
كل دولة مركزها بازاء الاخرى ولتخذ التاريخ عبرة
وتحترم شعور ثلاثمائة مليون من الانفس فلا تتعدى بلاحق
على دولة لا ذنب لها الا انها اسلامية وعرضة لدسائس
انكثرا» .. اه

وأما الحديث الثاني الذي جرى بين المرحوم وبين
جريدة الجورنال فقد كان مقتصرًا على المسئلة الارمنية وهو
لم يخرج عن خوى حديث الجولوا

﴿ انتهى الجزء الثالث ﴾



فهارس

الجزء الاول والثانى والثالث

من تاريخ المرحوم مصطفى كامل باشا

﴿ الصور ﴾

جزء صفحة

- | | | |
|---|-----|---|
| صورة المترجم (في الثانية والثلاثين من عمره) | ١ | ١ |
| صورة واضع الكتاب (في الخامسة والثلاثين من عمره) | ٥ | ١ |
| صورة سعادة محمد بك فريد (في الثانية والاربعين من عمره) | ٥٢ | ١ |
| صورة جزء من واجهة منزل ميلاد المترجم | ٦٢ | ١ |
| صورة مدرسة والده عباس الاول (التي تربى فيها المترجم التربية الاولى) | ٨٠ | ١ |
| صورة كتاب بخط يد المترجم الى شقيقه واضع الكتاب | ١٣٧ | ١ |

جزء صفحة

١	١٨٣	صورة عنوان مجلة المدرسة
١	١٨٦	صورة كتاب بخط المترجم الى شقيقه واضع الكتاب
٢	٠١	صورة المترجم (في الثامنة عشرة من عمره)
٢	١٥٠	صورة المترجم (في التاسعة عشرة من عمره)
٣	٠١	صورة المترجم (في الحادية والعشرين من عمره)
٣	٧٣	صورة اللوحة التي قدمها المترجم الى مجلس نواب فرنسا

﴿ تعليم المترجم ﴾

١	٨١	التعليم الابتدائي
١	١١١	التعليم الثانوي
١	١٢٦	بينه وبين ضابط المدرسة الخديوية
١	١٣٨	التعليم العالي (علوم الحقوق)
٢	٦٠	تركه مدرسة الحقوق الخديوية
٢	٧١	نجاحه في امتحان السنة الثانية بكلية الحقوق بباريس

جزء صفحة

٢	١٤١	امام كلية طولوز
٢	١٤٣	نجاحه في امتحان الحقوق
٢	١٥٦	بينه وبين ادارة كلية باريس
٣	٢٩	قبوله امام المحاكم

﴿ رسائل المترجم في الجرائد الوطنية ﴾

١	١٤٦	نصيحة وطني
١	١٥٠	الحق يعلو ولا يعلى عليه
٢	٠٠٢	المدنية وتعميم التعليم
٢	٠٣	الاعمال بمقاصدها
٢	٠٢٣	الجامعة
٢	٠٣١	المعلمون والتعليم في مصر
٢	٠٦١	البحر
٢	٠٧١	معرض ليون
٢	٠٨٨	بلجيكا وعاصمتها

جزء صفحة

معرض افرس	١٠٠	٢
واترلو والمذبحة البشرية	١٦٦	٢
الوعود الصريحة	٠١١	٣
حديث ذوشان	٢٠	٣
مناقشة جرائم الاحتلال	٣٠	٣
التهديد الباطل	٣٤	٣
صواعق الاحتلال	٤٠	٣
الشرق الاقصى	٥٣	٣
من أين يأتي الخطر	٦١	٣
كلمة الى المدلسين	٩٩	٣

﴿ أعمال المترجم ﴾

تأليفه جمعية الصليبية الادبية	١٢٥	١
سفره الى الاسكندرية وعودته صيف (١٨٩٢)	١٤٣	١
مظاهرة وطنية	١٤٥	١

جزء صفحة

- ٢ ٠٤٥ رحلته الى أوروبا (يونيو سنة ١٨٩٣)
- ٢ ٤٨ عودته من أوروبا (أغسطس سنة ١٨٩٣)
- ٢ ٥٥ تعرفه بعطاء المصريين
- ٢ ٦٠ رحلته الى فرنسا (يوليو سنة ١٨٩٤)
- ٢ ١٢١ احتفاله بعيد جلاله السلطان ياريس (أغسطس ١٨٩٤)
- ٢ ١٣٦ عودته الى القاهرة (سبتمبر سنة ١٨٩٤)
- ٢ ١٣٨ رحلته الى أوروبا (اكتوبر سنة ١٨٩٤)
- ٢ ١٥٤ عودته الى القاهرة (ديسمبر سنة ١٨٩٤)
- ٢ ٠٣٢ دراسته المسألة المصرية
- ٢ ٤٤ سفره الى الاسكندرية لمقابلة المسيو دي لونكل
- ٢ ٦٩ تقديمه العريضة المشهورة الى مجلس النواب
- الفرنسي
- ٣ ١٤٧ الوليمة التي أقامها للصحافيين في طولوز
- ٣ ١٥٠ سفره الى برلين وعودته الى باريس (يوليو
- سنة ١٨٩٥)

جزء صفحة

٣	١٥٥	سفره الى فيينا
٣	١٦٦	عودته الى باريس (أغسطس سنة ١٨٩٥)
٣	١٩٧	احتفاله بعيد الجلوس السلطاني (في أغسطس سنة ١٨٩٥)

﴿ كتب خاصة الى المترجم ﴾

٣	٨٧	كتاب اليه من موظف كبير
٣	٩١	تلميذ صغير
٣	٩٦	الضباط المصريين
٣	٢٠٩	سفير الدولة العلية العثمانية بباريس
٣	٢١٩	شقيقه واضع الكتاب

3
2 - 6
10 - 12 2
12 - 1
1 - 4 3
4 - 6
6 - 10 4

﴿ أحاديث المترجم ﴾

جزء صفحة

٩٨	١	حديثه مع المغفور له الخديو السابق
١١٨	١	» » » » على باشا مبارك
١٣١	١	» » » » » » » »
٠٤٩	٢	» » » » » » » »
١٥١	٢	(غازيت دي طولوز) » »
١٠٥	٣	جريدة (الجورنال) » »
١٥٥	٣	سائح انكليزي » »
١٦١	٣	جريدة (الاكستراجبلات) » »
٢١١	٣	(الاكلير) » » »
٢٣٤	٣	حديثان بينه وبين جريدة (الجولوا)
		و (الجورنال)

﴿ خطب المترجم ﴾

جزء صفحة

٤٦ ٣ خطبة في وليمة أقامها للمسيو ديلونكل
بالاسكندرية

١٠٩ ٣ خطبة في طولوز

١٩٧ . خطبة على المصريين في باريس

﴿ تأليف المترجم ﴾

« ورسائله في الجرائد الاجنبية »

١٥٥ ١ أعجب ما كان في الرق عند الرومان (كتاب)

١٨٧ ١ مجلة المدرسة (منتخبات منها)

١٦٧ ٢ رواية فتح الاندلس

١٦٧ ٣ أخطار الاحتلال الانكليزي (كراسة)

٢٢٤ ٣ « انكلترا والاسلام » رسالة في مجلة (نوفيل ريفيو)

﴿ أقوال الجرائد الخارجية عن المترجم ﴾

جزء ٤ صفحة

- ٢ ١٤٥ قول جريدة (غازيت دي طولوز) عن نجاحه
في امتحان الحقوق
- ٢ ٧٨ قول جريدة (ال جولوا) عن العريضة واللوحة
المقدمتين منه لمجلس نواب فرنسا
- ٢ ٧٩ قول جريدة (ال اكستراجبلاط) عن ذلك
- ٢ ٨٠ قول جريدة (برلينر تاجبلاط) عن ذلك
- ٢ ٨١ قول جريدة (دي روما) عن ذلك
- ٢ ٨٢ قول جريدة (ذي ستاندرد) عن ذلك
- ٢ ١٠٨ قول جريدة (ال طان) عن حديث بينه وبين
جريدة (الجرنال)
- ٢ ١٣٣ قول جريدة (الدييش) عن خطبته في طولوز
- ٢ ١٣٧ قول جريدة (ال اكستراجبلاط) عن ذلك
- ٢ ١٨٣ قول جريدة (النوفيو فريميا) عن كراسة
« الاحتلال الانكليزي »

جزء صحيفة

٣ ١٩٠ قول جريدة (البتى مرسيليه) لمدام جوليت

آدم عن ذلك

٣ ٢١٧ قول جريدة (الطان) عن حديثه في الغناء

الارسالية المصرية

٣ ٢٣٢ قول جريدة (الاكثير) في رسالته «انكلترا

والاسلام»

﴿ مواضيع شتى ﴾

١ ٢ المقدمة لواضع الكتاب

١ ٥ عطاء الرجال لسعادة محمد بك فريد

١ ٥٤ سيرة والد المترجم

١ ٦٣ سيرة صاحب الترجمة

١ ١٠٦ عظة للآباء

٢ ١ مقدمة الجزء الثاني

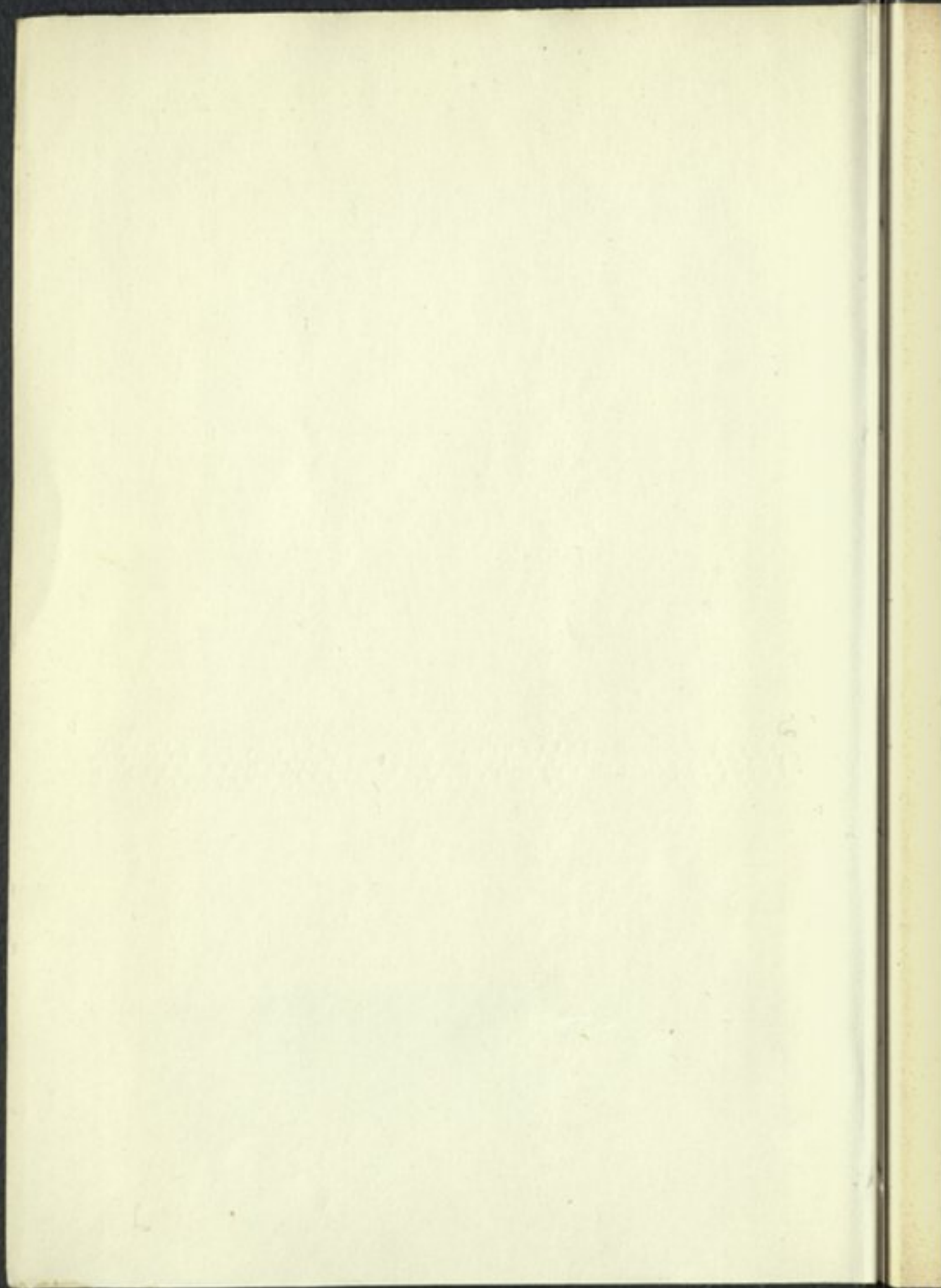
٢ ٢٩ عودة واضع الكتاب من سوا كن الى القاهرة

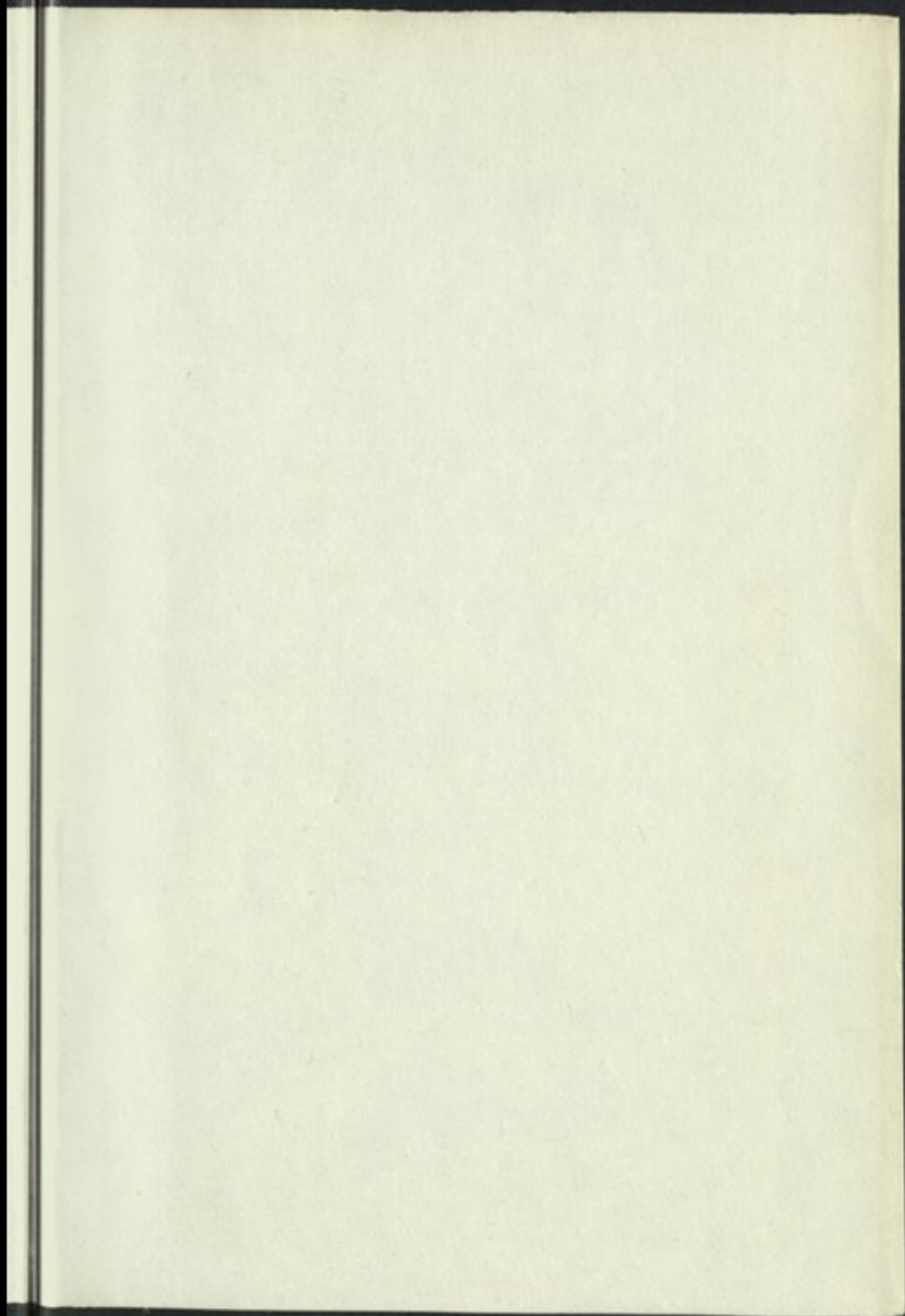
(مارس ١٨٩٣)

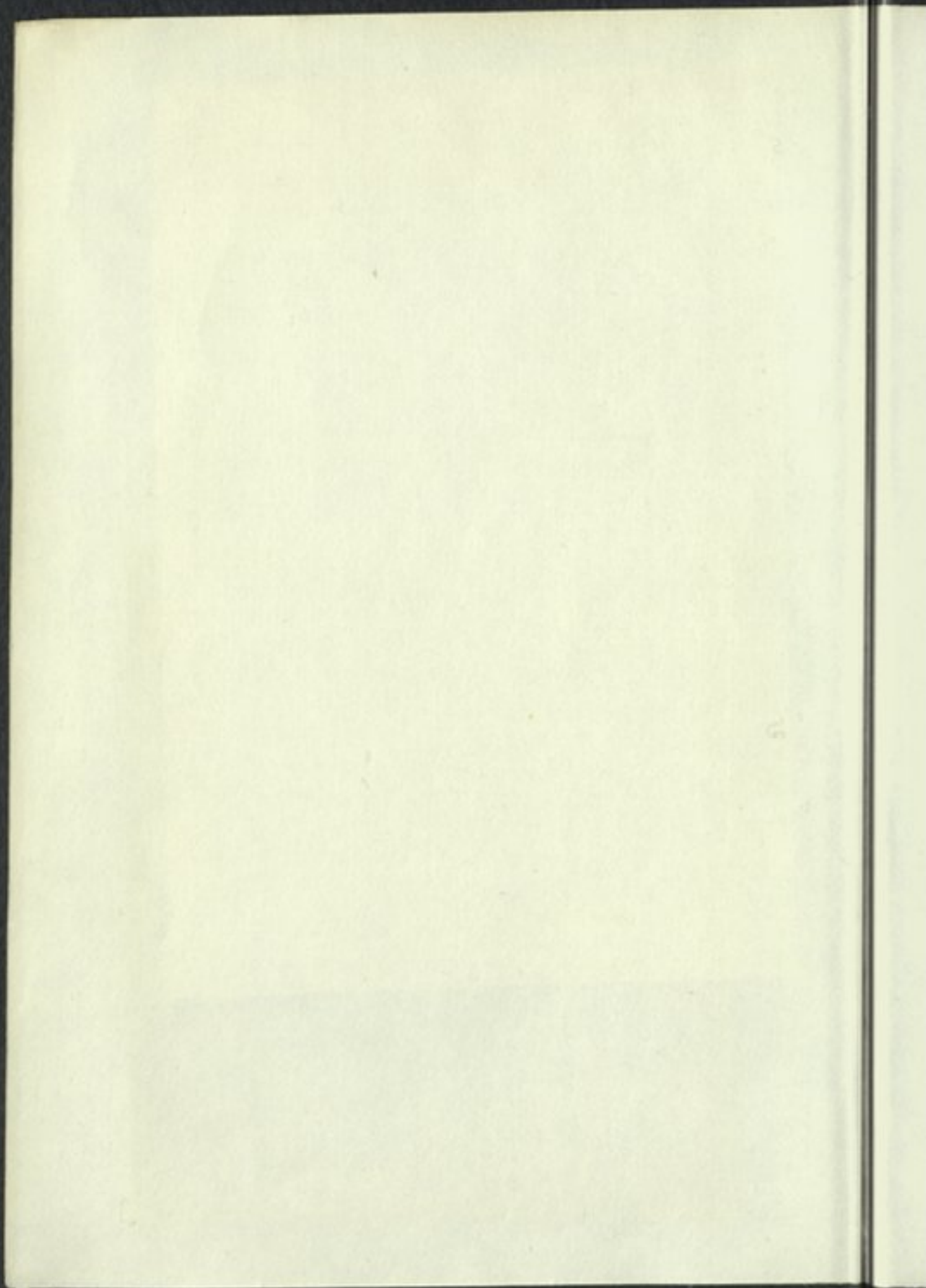
جزء صفحة

٢	٣	مقدمة الجزء الثالث
٤٩	٣	سفر واضع الكتاب الى سواكن (مايو ١٨٩٥)
٢٢١	٣	استقالة » » من خدمة الجيش ورد
		الاستقالة









DATE DUE

~~17 FEB 1975~~

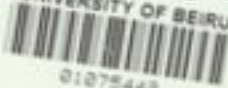
J. LIB.

~~1 JAN 1982~~

~~JAFET LIB.~~

~~1 JUN 1982~~

مصطفى كامل باشا في ٣٤ ربيعاً سيرت
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01075442

v.1-3

تاريخ مصطفى كامل باشا .

